

مكتبة البرق الشامي

١١٦٦/٥٠٦٢ م : ١١٨٧/٥٠٨٣ م

إختصار
الفتح من حلي البندري

من كتاب
البرق الشامي
للعلماء الكاتب الأصفهاني

تحقيق

دكتور فتحية النبراوي

استاذ التاريخ الاسلامي المساعد
جامعة الزهر

١٩٧٩

الناشد
مكتبة الخايجي بصره

حقوق إعادة طبع ونشر هذا المخطوط
محفوظة للمحققة

المحتويات

الاشهاد

تقديم

الفصل الأول : التعريف بالمخطوط ومؤلفه ومختصره وخطة العمل

الفصل الثاني : نص المخطوط مع التحقيق والضبط

الفصل الثالث : الفهارس

محتويات المخطوط

فهرس الاعلام

فهرس الاماكن

قائمة المصادر والمراجع .

الافتاء

إلى شهباء العالم

إلى زوجي الأستاذ الدكتور سعد محمد فتحي أحمد

مع الصديقين والشهداء .

تقديم

أبدى المؤرخون المسلمون في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين اهتماما كبيرا بتسجيل أحداث الصراع بين الشرق والغرب ممثلا في الحروب الصليبية التي استمرت فترة طويلة تجرى أحداثها على أراضي الدول الإسلامية بينما كان تخطيطها وإمدادها وتمويلها تقوم به الدولة والكنيسة معا في أوروبا .

وتأتي أهمية الكتابات التاريخية الإسلامية لهذه الفترة من تاريخ الأمة الإسلامية من الحقيقة القائلة بأن كتابتها أو من بين كتابتها شهود عيان عاصروا الأحداث وعاشوها ، ولمسوا الموقف عن قرب ، كما كان من بينهم من شغل مناصب رسمية في الدولة مما أتاح لهم فرصة الاطلاع على الوثائق والأوراق الرسمية والمعاهدات والاتفاقيات ، والخطابات المتبادلة بين حكام وأمراء المسلمين ، فاستخدموها وأفادوا منها .

وقد كان لأحياء حركة الجهاد المقدس وتعبئة الأمة الإسلامية بشريا وماديا وعسكريا لمواجهة الغزو الخارجي أثره في قيام المؤرخين المسلمين بدورهم في هذا المجال وتسجيل أحداثه ومن هؤلاء القاضي الفاضل ، والقاضي بهاء الدين بن شداد قاضي عسكر الجيش الصلاحي ، واسامة ابن منقذ ، وابن الأثير ، وأبى شامة ، وابن واصل ، والعماد الكاتب الأصفهاني السكرتير الخاص لصلاح الدين ، والفتح بن علي البنداري الذي اهتم اهتماما بالغا بأعمال العماد الكاتب وقام باختصار معظمها ومن بينها المخطوط الذي بين أيدينا سنا البرق الشامي .

وتجيب الإشارة الى أن الحركة الصليبية قد حظيت باهتمام مماثل من المؤرخين المسيحيين ، فكتبوا تاريخ هذه الحرب وسجلوا أحداثها ، ومن أشهر وأهم هؤلاء المؤرخين ولیم الصوري أسقف صور ، وأنا كومنينا ابنة الإمبراطور البيزنطي الكيسوس كومنينوس .

وهذا يفيد الباحث خاصة في دراساته المقارنة للمادة التاريخية التي تتيحها هذه المصادر مع المصادر الإسلامية لنفس الفترة ولنفس القضية .

وبالمقارنة حظيت الحروب الصليبية فى مطلع هذا القرن باهتمام بالغ من المشتغلين بالدراسات الشرقية فى جامعات أوروبا ، فقدّموا العديد من الأبحاث القيمة حول تفصيلات الحركة الصليبية ومفهومها وتطورها ، والعلاقة بين المسلمين والمسيحيين ، وبين المسيحيين فى أوروبا واخوانهم الشرقيين فى بيزنطة ، وموقف المسيحيين الذين استقروا فى الاراضى المقدسة وبين اخوانهم القادمين من الغرب ، كما اعتنوا أيضا بنشر الكثير من المخطوطات العربية التى سجلت أحداث الحروب الصليبية . وسننا البرق الشامى واحدة من هذه المخطوطات الهامة التى تحتوى على كثير من التفصيلات القيمة عن الحروب الصليبية فى عصر صلاح الدين الايوبي ، بل انها بالاحرى تمثل تاريخا سياسيا لعصر الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب الذى كان أهم أحداثه النصر المؤزر فى حطين ، واسترداد بيت المقدس بعد أسر اسير ما يقرب من المائة عام .

وقد كانت هذه المخطوطة جزءا من رسالة الدكتوراه التى تقدمت لنيلها من جامعة كامبردج عام ١٩٧١ . وقد علق أحد الاساتذة الانجليز على هذه المخطوطة قائلا ، بأن ظهورها يعتبر كشف تاريخى هام . واننى هنا أتقدم بالشكر والعرفان والامتنان لاساتذتى فى جامعة كامبردج وخص بالذكر منهم الاستاذ الدكتور روبرت سارجنت رئيس قسم الدراسات الاسلامية بكلية الدراسات الشرقية بجامعة كامبردج ، واستاذى الدكتور مالكولم ليونز من كلية مبروك الذى أبدى كثيرا من الاهتمام بهذا المخطوط ، مما ساعد على اخراجه الى النور .

وقد كنت أتوى اخراج هذا المخطوط وطبعه قبل ذلك ، لكن الظروف حالت بينى وبين تحقيق ما أردت فى الفترة الماضية ، واليوم أقدم للدارسين والقراء الأفاضل هذا العمل آمله أن تتحقق به الفائدة ، والنفع العلمى ، وادعو الله أن أتمكن من مواصلة العمل فى هذا المجال ، اسهاما فى احياء التراث الاسلامى فى مجال التاريخ ذلك ان ثروة علمية هائلة ماتزال تحتاج الى جهد المخلصين من أبناء هذه الأمة العلماء لاخراجها لقرى النور وتروى ظمأ الباحثين عن الحقيقة .

والله اسأل التوفيق والسداد ..

فتحية التبراي

مدينة نصر ١٩٧٩/٤/٥

الفصل الأول

التعريف بالخطوط وتاريخه

ومؤلفه ومختصره وخطة العمل في التحقيق

بين أيدينا نص مختصر لكتاب البرق الشامى للكاتب عماد الدين الأصفهاني السكرتير الخاص لصلاح الدين الأيوبي . وقد قام على اختصار البرق الشامى أحد مؤرخي القرن الثالث عشر وهو الفتح بن على البنداري من رجال بلاط الملك المعظم عيسى حاكم دمشق .

والبرق الشامى الأصل يقدم تاريخا سياسيا لعصر صلاح الدين كتبه مؤلفه في سبع مجلدات ضاعت في معظمها ما عدا المجلدين الثالث والخامس واللذين تحفظهما لنا مكتبة البودليان في أكسفورد تحت رقم MSS

Marsh 425, Vol. 5

ورقم

Bruce 11 Vol. 3

أما سنا البرق الشامى الذى يمثل ستة أجزاء من الأصل فقد عثرت عليه عام ١٩٦٧ في مكتبة السليمانية في استانبول برقم Ms. Asad Efindi 2249

وأمام الحقيقة الثائلة بضياع البرق الأصل في معظمه يقف سنا البرق مكملا ، وبديلا لهذا العمل الذى يعتبر من المصادر الأصلية لدراسة تاريخ صلاح الدين السياسى ، وتاريخ الفترة بصفة عامة ، لما لهما من أهمية في تاريخ الأمة الإسلامية فالقرن الثانى عشر الميلادى شهد اللقاء العسكرى بين الشرق والغرب ، بين المسيحية والإسلام ، ذلك اللقاء الذى خرج منه الإسلام منتصرا مظفرا ، بعد أن استطاع زعماء الجبهة الإسلامية أن يحققوا الوحدة السياسية والاقتصادية والعسكرية للمنطقة ويجندوا القوة البشرية ليواجهوا بهذا جميعا الخطر الذى داهم أراضى الإسلام .

وأمامنا أن تلقى الاضواء على كاتبين الاول صاحب البرق الشامى الأصل وهو العماد الكاتب الأصفهاني ، والثانى الفتح بن على البنداري الذى قام باختصار البرق تحت اسم سنا البرق الشامى .

عماد الدين الكاتب الأصفهاني ٥١٩ : ٥٩٧ هـ / ١١٢٥ : ١٢٠١ م .

هو عماد الدين أبو عبد الله بن صفى الدين أبو الفرج محمد ابن نفيس الدين ، بن على بن محمود بن هبة الله المعروف بأله (١) الملقب بالكاتب الأصفهاني والمشهور بابن أخى العزيز ، ولد فى أصفهان عام ٥١٩ هـ / ١١٢٥ م وتوفى فى دمشق عام ٥٩٧ هـ / ١٢٠١ م .

قدم العماد الكاتب الى بغداد فى سن مبكرة حيث التحق بالمدرسة النظامية وتعلم بها ، وفى العراق تدرج فى وظائف الدولة حتى شغل منصب نائب الوزير ابن هبيرة فى البصرة ثم فى واسط . وعندما توفى الوزير عام ٥٦٠ هـ / ١١٦٤ م (٢) ، اعتقل العماد الكاتب دون ما سبب ظاهر الى أن أخلى سبيله الخليفة العباسى المستنجد (٣) .

غادر العماد الكاتب العراق الى سورية ووصل دمشق عام ٥٦٢ هـ / ١١٦٦ م حيث استقبله قاضى المدينة كمال الدين الشهرزوى . وقدمه الى نور الدين محمود الذى أحسن اليه ، وعينه مدرسا فى المدرسة النورية (عرفت فيما بعد بالمدرسة العمادية) ، وظل يعمل بها الى أن توفى نور الدين محمود عام ٥٦٩ هـ / ١١٧٤ م . وشغل العماد أيضا وظيفة كاتب الانشاء واستطاع خلال فترة قصيرة أن يصبح مشرفا على الديوان كله .

واتصل العماد بصلاح الدين الأيوبي بعد وفاة نور الدين محمود وكان لقائه به فى دمشق حيث بدأ يظهر فى الحياة الثقافية فى المدينة . وقد كان لعلاقاته الوطيدة بالقاضى الفاضل وزير صلاح الدين اثرها فى تقريب العماد الى نفس صلاح الدين الذى عينه نائبا للفاضل وقد كانت هذه الوظيفة هى التى عمقت الصلة بين الكاتب وصلاح الدين الأيوبي اذا سرعان ما أصبح العماد سكرتيرا خاصا له ، وقد كانت هذه الوظيفة هى التى مكنت العماد من الاطلاع على كثير من الوثائق والمكاتبات الرسمية للدولة مما يضى على كتابته وتاريخه أهمية بالغة .

(١) لفظة فارسية تعنى العقاب .

(٢) ابن خلكان . وفيات الأعيان . ج ٢ . ص ٣٢٦ وما بعدها . ويذكر ابن خلكان وفاة الوزير عام ٥٧٠ هـ / ١١٧٤ وصحتها ما ورد بالنص .

(٣) انظر خريدة القصر . العراق ج ١ . ص ٣٦ ، ٣٧ .

وبعد وفاة صلاح الدين الأيوبي كرس العماد الكاتب حياته للعلم والكتابة حيث ألف أهم أعماله العلمية وهو البرق الشامى ، بالإضافة الى عدد آخر من المؤلفات .

وقد عرف العماد الكاتب كمؤرخ الا انه اشتهر بالكتابة وقد وصفه الفتح بن على البندارى بذى البلاغتين . وكتب العماد كثيرة ومتنوعة منها الأدبى والتاريخى والمعاجم وهى :

١ - البرق الشامى . (غير منشور) .

٢ - الفتح القسى فى الفتح القدسى (منشور) .

٣ - خريدة القصر وجريدة أهل العصر وهذه من أهم مؤلفاته حيث كتبها فى عشرة مجلدات وقسمها الى أربعة أقسام ، وكلها الآن محققة ومنشورة . القسم الاول يتضمن شعراء العراق والقسم الثانى يتناول شعراء الشام ، والثالث يتحدث عن شعراء مصر والرابع خصصه لشعراء المغرب (١) .

٤ - خطفة البارق وعطفة الشارق (رسالة) .

٥ - العقبى والعقبى (رسالة) .

٦ - نحلة الرحلة (رسالة) .

والأعمال الثلاثة السابقة اختصرها أبو شامة (٢) ، وذكرها كل من

(١) شعراء العراق تحقيق بهجت الأثرى فى جزعين بغداد . ١٩٥٠ ، ١٩٦٤ .

شعراء الشام تحقيق شكرى الفيصل فى جزعين . دمشق ١٩٥٥ ، ١٩٥٩ .

شعراء مصر تحقيق أحمد أمين ، وشوقي ضيف فى جزعين القاهرة ١٩٥١ .

شعراء المغرب تحقيق محمد المرزوقى . تونس ١٩٦٦ .

(٢) أبو شامة . الروضتين فى أخبار الدولتين النورية والصلاحية ، الطبعة الأولى ج ٢ ص ٢٣٣ ، ٢٤٥ .

ابن واصل (١) ، وياقوت الحموى (٢) ، والفتح البندارى (٣) والصفدى (٤) .
وبالإضافة الى ذلك قام العماد بترجمة كتاب فتور زمان الصادر
وصدور زمان الفتور من الفارسية الى العربية وهو عبارة عن مذكرات
الوزير خالد أنو شروان (٥) وكتاب كيمياء السعادة للإمام الغزالى (٦) .

٧ — نصرة الفترة وعصرة القطرة ٤٤٧ : ٥٨٢ هـ / ١٠٥٥ : ١١٨٦ م
وهذا عبارة عن تاريخ للدولة السلجوقية وقد اختصرها أيضا الفتح بن على
البندارى بعنوان زبدة النصرة ونخبة العصرة وقام على تحقيقها هوتسما ،
وفى هذا الكتاب اشارة البندارى الى اختصاره لكتاب البرق الشامى للعماد
الكاتب الأصفهائى .

أما كتاب البرق الشامى الذى يعتبر أهم أعمال العماد فليس لدينا منه
سوى الجزء الثالث ، والجزء الخامس وكان قد كتبه فى سبعة أجزاء بحيث
يتضمن تاريخ صلاح الدين الأيوبى وعلاقاته بالصلبيين فى الفترة من ٥٦٢ :
٥٨٩ هـ / ١١٦٦ : ١١٩٣ م وتظهر المادة التاريخية المأخوذة من هذا الكتاب
فى كتب المؤرخين اللاحقين لعماد الدين أمثال أبى شامة الذى يذكر بأمانة
ما نقل عنه ، ويورد أجزاء كاملة من البرق فى كتابه الروضتين ، ويمكن
القول انه فى غياب كثير من أجزاء البرق يقوم الروضتين بسد الفجوة وملء
الفراغ التاريخى الناتج عن ذلك .

كذلك استخدم ابن الأثير البرق الشامى دون أن يذكر العماد سوى مرة
واحدة فى كتابه الكامل فى التاريخ .

(١) ابن واصل . مغرر الكروب فى أخبار بنى أيوب ج ٣ ص ١٥
وما بعدها .

(٢) ياقوت الحموى . ارشاد الأريب لمعرفة الأديب ج ٧ ص ٨٥ .

(٣) الفتح بن على البندارى . سنا البرق ص ٩ ، ١٣ .

(٤) الصفدى . الوافى بالوفيات ج ١ ص ١٤٠ .

CF : C. Brockelmann, GAL. Suppl. I. p. 549.

(٥) Th. Houtsma ; Recueil de Text Relatifs â L'Histoire

Des Seljoucides, II, p. 4. CF : AKS. Lambton, Anu Shurwan, E. I. 2.

(٦) أبو شامة . الروضتين فى أخبار الدولتين (الطبعة الأولى) ج ٢

ص ٢٠
M. Watt, Chazali. E. I. 2,

قارن :

وقد ذكر كل من ابن خلكان والصفدى وحاجى خليفة أن العماد كتب كتابه فى سبعة أجزاء ، بينما يذكر السخاوى فى جواهر الدرر أن الكتاب ألف فى تسعة أجزاء أما ياقوت فقد ذكر أنه كان يتكون من عدة أجزاء .

وقد ضاع البرق الشامى ما خلا الجزعين السابق الإشارة إليهما ، أما الجزء الثالث فهو ما زال مخطوطا .

ويحمل هذا المخطوط تاريخ ٦٨١ هـ كعام النسخ ويحتوى على ١٤٦ ورقة ، ويفطى أحداث الأعوام من ٥٧٣ : ٥٧٥ هـ / ١١٧٧ : ١١٧٩ .

وقد وصف الأستاذ جب هذا المخطوط فقال انه مخطوط صحيح وواضح (١) .

أما الجزء الخامس فيقع فى ١٤٠ ورقة ويناقش الأحداث بين عامى ٥٧٨ : ٥٧٩ هـ ١١٨٢ : ١١٨٣ م وقد ذكر جب أن هذا المخطوط قد أضيفت إليه بعض الإضافات فى تاريخ لاحق لتاريخ النسخ ، ولم تكن فى مجموعها صحيحة ، وأن عددا من صفحاته الأولى مفقود .

وقد ذكر فى تذكرة النوادر العثمانية أن نسخة أخرى لهذا المخطوط محفوظة فى مكتبة لئنجراد ، إلا أن الأستاذ كاهل ذكر فى دراسة قدمها عن البرق الشامى أن هذا المخطوط لا وجود له (١) .

كذلك أكد الأستاذ كريم الذى حقق الفتح القدسى انه طلب الى المسؤولين فى مكتبة لئنجراد أن يمدوه بنسخة من البرق التى أشارت إليها

(١) H.A.R. Gibb. al-Barq al-Shami, W. Z. K. M. 1953. pp. 95 — 102.

(٢) AL. Nadawi, Tathkirat al-Nawadir al-'Uthmaniyya., Haidar Abad, 1931, p. 81.

P. Kahle., «Eine wichtige Quelle zur Geschichte des Sultans Saladin», Die Welt Orients, Stuttgart, 1947, pp. 299 — 301.

النوادر العثمانية فكانت أجابتهم أنهم لا يمتلكون مخطوطا للبرق الشامى (١) .

وقد ثنى كراتشكوفسكى على هذا التأكيد بأن ليننجراد لا يوجد في حوزتها مخطوطا للبرق الشامى ، وانما يوجد بها مخطوط للفتح القدسى (٢) .

وقد ذكر سوفاجيه في مقدمته لتاريخ الشرق الاسلامى انه توجد مخطوطة للبرق الشامى في المغرب ، الا أن هذا القول لم يتأكد بعد ذلك أن سوفاجيه لم يذكر اسم المكتبة التى تمتلك هذا المخطوط (٣) .

ومما تجدر الإشارة اليه أن كلا من كاهل وكريم قد قدما دراستيهما بعد سوفاجيه ولم يشر أيهما الى نسخة المغرب .

وقد ذكر لى الأستاذ محمد بن تأويت الطنجى أن هذه النسخة لا يحتمل وجودها في المغرب .

وأخيرا وجدت اشارة للبرق في كتالوج مكتبة ليدن برقم Cod or 1592 وقد أهدتنى مكتبة ليدن (٤) هذا المخطوط ، واننى هنا أتقدم بالشكر والعرفان للعاملين فيها . وبدراسة هذا المخطوط ومقارنته خلصت الى النتيجة التالية :

ظل الاعتقاد سائدا بأن هذا المخطوط هو نسخة من البرق الشامى للعماد الكاتب الأصفهاني ، ولكن بدراسته ثبت لدى انه لا يمثل البرق بل

(١) J. Kraemer, Der Struz des Konigreichs Jerusalem, 583 — 1187. Weisbaden, 1952.

(٢) Catalogue of Arabic Mss. In Institute Narodov Moscow ; 1965.

لم يذكر هذا الكتالوج شيئا عن البرق الشامى ، وانما ذكر البرق اليماني . (حقق عام ١٩٦٨) .

(٣) J. Sauvaget, Introduction to the History of Maslim East., Los Angeles, 1965, p. 63.

(٤) P. Voorhoeve, Hand list of Arabic Manuscripts in the Library of the University of Leiden, London, 1957, p. 42.

هو عبارة عن مقتطفات متفرقة من كتابات العماد وأشعاره بالإضافة إلى ما وقع فيه الناسخ من أخطاء كثيرة .

وقد امتازت كتب العماد بالانفاضة والاطناب ، ولهذا قام على اختصارها عدد من المؤرخين والكتاب .

اختصر خريدة القصر وجريدة أهل العصر رضائي على بعنوان عود الشباب ، وتوجد في مكتبة نور عثمانية برقم ٢٦٩ كما توجد نسخة أخرى لها في فينا برقم ٢٦٤ (١) .

كذلك اختصر الفتح القدسي مجد الدين طاهر محمد بن الفيروز أبادي الشيرازي وتوجد صورة له في معهد المخطوطات العربية بالقاهرة (٢) .

أما البنداري فقد قام باختصار وتهذيب تاريخ آل سلجوق وكذلك البرق الشامي .

الفتح بن علي البنداري :

ليس لدينا معلومات وافية عن الفتح بن علي البنداري سوى انه من مؤرخي القرن الثالث عشر الميلادي الذين عملوا في بلاط الملك المعظم عيسى في دمشق ، وهذا يجعلنا لا نستطيع أن نقدم له ترجمة كاملة .

أما معلوماتنا عنه فنستقيها من أعماله التي قام بها وهي اختصاراته لكتب العماد الكاتب الأصفهاني وأهمها بطبيعة الحال المخطوط الذي بين أيدينا سنا البرق الشامي .

سنا البرق الشامي :

تضم المكتبة السليمانية باستانبول النسخة الوحيدة من سنا البرق الشامي برقم أسد أفندي ٢٢٤٩ .

N. Elisseff, Nur al-Din, I, p. 28.

(١)

(٢) فؤاد سيد . فهرس المخطوطات المصورة . ج ٢ ص ٢٦٨

ويُنع سنا البرق في تسع وسبعين ورقة من القطع الكبير من ١٦٣ ب ١ .
 ١٢٤٢ . وقد وجدته مجلداً مع كتاب حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة
 لجلال الدين السيوطي . وعلى الصفحة الأولى من المخطوط (كتاب حسن
 المحاضرة في تاريخ مصر القاهرة ويليها الجزء الأول من كتاب سنا البرق
 الشامي لعماد الدين الكاتب الأصفهاني) ويبدأ بمقدمة كتبها البنداري ويذكر
 انه انتهى من اختصاره للبرق عام ٦٢٢هـ / ١٢٢٤م وباستعراض الموضوعات
 الواردة في الأوراق الاثنى عشر الأولى يتضح لنا عدم انتظامها وعدم تتابعها
 ففي ورقة ١٦٤ ب يذكر وصول العماد الى الشام في ٥٦٢ هـ / ١١٦٦ م ،
 ويتبع ذلك وصول شاور الى دمشق عام ٥٦٣ هـ / ١١٦٧ م ثم يذكر حملة
 اليمن ، وفجأة يذكر موت نور الدين محمود ٥٦٩ هـ / ١١٧٤ م .

ويأتى خلال ذلك اشارة الى بعثة ابن القيسراني الى مصر ويلي ذلك
 مؤامرة عمارة اليمنى ضد صلاح الدين عام ٥٦٤ هـ / ١١٦٨ م .

وربما حدث ذلك خلال اختصار البنداري للنص ، او ربما وقع من الناسخ
 خلال كتابته له في عصر لاحق .

وينتظم بعد ذلك المخطوط الى أن نصل الى الأوراق الثلاثة الأخيرة
 فنجد ان المادة التاريخية بها غير منتظمة ، وغير مترابطة .

والمخطوط على العموم مكتوب بخط غير جميل ، وهناك كثير من
 الفجوات ، والاطاء الاملائية ربما حدثت خلال النسخ وكان هدف التحقيق
 هو تصحيح وضبط النص .

وقد شكى الفتح البنداري وغيره من المؤرخين صعوبة أسلوب العماد
 وطوله واسهابه ، وتمقيده .

فقد ذكر الصفدي أن شعره الطف من نثره لأنه أكثر الجناس فيه وبالع
 حتى يعود كلامه كأنه درب من الرقي والمزاييم وقد عاب الناس ممن له ذوق
 ونظرة سليمة كثرة الجناس لأنه دليل التكلف .

وقد ذهب أبو شامة نفس المذهب في وصفه لاسلوب العماد فقال بأنه مسهب مطنّب يصيب الانسان الكلل والملل من قراءته .

أما ياقوت وابن خلكان فقد ذكرا ان العماد والقاضى الفاضل كانا يميلان الى التلاعب بالالفاظ مثال ذلك (سر فلا كباك الفرس) ، (ودام علا العماد) ومثل هذه العبارات يمكن قراءتها من اليمين الى اليسار أو من اليسار الى اليمين .

ومما هو جدير بالاشارة ان البندارى حين اختصر البرق كان امينا ، ولم يحاول التغيير في الاسلوب والتزم بخطة واضحة طوال النص .

أما مصادر التحقيق فقد تمثلت بالضرورة في الجزئين الثالث والخامس من البرق الشامى الأصل وقد شكل هذان الجزءان مصدرا هاما من مصادر التحقيق خاصة في غياب نسخة أخرى تفيد في المقارنة .

كذلك كان للمقتطفات التى وردت في كتاب الروضتين لأبى شامة أهمية كبيرة فقد ملأت العديد من الفجوات وساعدت في ضبط الكثير من أجزاء النص وقد اعتبرت ما تبقى من البرق بالاضافة الى مقتطفات أبى شامة أصلا ثانيا للتحقيق .

هذا بالاضافة الى الاستعانة بالمصادر اللاحقة على البرق الشامى كالكامل في التاريخ لابن الاثير ، ومفرج الكروب لابن واصل ، والخطط لتقى الدين المقرئى ، وكلها قد أفاد كاتبوها من مؤلفات العماد الكاتب لا سيما البرق الشامى . كذلك اعتمدت على بعض المصادر غير المنشورة كتاريخ ابن أبى الهيجاء ، والمسجد المسبوك ، ورسائل القاضى الفاضل .

وتجب الاشارة الى ان البندارى ذكر في مقدمته انه سوف يذيل مختصره بمقتطفات من رسالتى العماد العقبى والمقنبى ، وخطفة البارق وعطفه الشارق الا انه لم يفعل . وربما كان سبب ذلك انه لم يستكمل البرق ، فيقول العنوان الجزء الاول من سنا البرق الشامى ، ايجاء الى انه سيكون هناك جزء ثان ، ولكننا لم نعثر عليه .

الفصل الثاني

وما توفيقى إلا بالله

(١٦٣) لنا بعد حمد الله على نعم نافحة الرياض ، ومنح طائفة الحياض ، وترتع في سارجها ليلا ونهارا ، ونكرع في شارعها سرا وجهارا ، ونلبس فضفاضها سائغا ونرد غياضها سائغا ثم الصلاة والسلام على سيدنا محمد صفوة الانام المظل من المجد على الغارب (١) والسنام ، الماحى بانوار صبح هدايته ظلم ليالى الباطل المحلى بقلائد رسالته بحر الزمان العاطل وعلى آله وأصحابه مصابيح الرحمة ومجاديح (٢) الحكمة ومفاتيح الجنة .

فانى لما رايت أبلغ المراتب (٣) وأتجح الوسائل الى خدمة مولانا السلطان الملك المعظم ملك ملوك العرب والعجم أبى الفتح عيسى (٤) ابن السلطان الملك العادل أبى بكر بن أيوب لا زالت سماء الجلالة موشحة بدرارى سيره الزاهرة ومطالع الاقبال منورة بأشعة مكارمه الباهرة ، والتسك (٥) بعصم العلوم وأهداب الآداب والتوسل باخراج درر الكلم من لجج الحكم الطامية العباب . حبست نفسى ووقفت نفسى مشسيعا مآثر حضرته العالية ، سالكا مناهج الاخلاص فى السريرة والعلانية . فالجنان يضم الولاء النافع ، واللسان ينشر الثناء الشايح ، والبنان يحرر بل يجيز

(١) فى الأصل غير واضحة . أعلى مقدم السنام . . . قيل غارب كل شىء اعلاه . لسان العرب ١ - ٦٤٤ .

(٢) فى الأصل غير واضحة ومجاديح كما ضبطت يستقيم بها المعنى ، وتعنى نجوم كما ورد فى لسان العرب ٢ - ٤٢١ ومفردها مجدح .

(٣) فى الأصل : الموت .

(٤) الملك المعظم شرف الدين عيسى بن الملك العادل بن أيوب صاحب دمشق ٥٧٨ هـ / ١١٨٢ - ٦٢٤ هـ / ١٢٢٦ . كان حنفى المذهب بين أفراد الأسرة الأيوبية . انظر ترجمته فى ابن خلكان ١ - ٥٠١ - ٥٠٢ . ومن الجدير بالذكر أن ابن خلكان لم يذكر شيئا عن البغدادي رغم اشارته الى اهتمام الملك المعظم بالادب والادباء .

(٥) فى الأصل الواو ساقطة .

من مدحه الوشايح أفرغ وسع الاستطاعة جريا على مقتضى الخدمة والطاعة فيها يرجع بتخليد آثار بيته الكريم ، ويعود بأعلى صيته العظيم في نظم تطبق فضائله الآفاق وتملا بمناقبه خراسان والعراق ، ونثر ينشر حلل معاليه في محافل السلاطين وأندية الملوك ، ويث عرف اياديه وينظم عقد مساجيه مثل العنبر المفروك والجوهر المسلوك .

ولما ترجمت لخزائنه العالية كتاب شهنامه (٦) التي توجت فيه سير الملوك الاولين والسلاطين الاقدمين بغير مفاخرة وفضلت قلايد مناقبهم وعقود مكارمهم بزهر مآثره نظرت في الكتاب الموسوم بالبرق الشامي للامام السعيد عباد الدين الكاتب الاصفهاني فوجدت عمايه تتدفق (٧) بأنواع الفوائد، وكمايه تتفق عن أنوار الفوائد ، تحتوى من البلاغة على أكارها وعونها ، وتشتمل من البراعة على غررها وعيونها ، فيه من السير السلطانية الناصرية والعدلية وسائر الدوحة الكريمة الايوبية ما ينطبق على مثله كثير من الكتب المصنفة في التواريخ والسير القديمة منها والحديثة . لكنني وجدت درر مقاصدة مكنونة في بحار أسجاعة المتلاطمة الامواج ، ورأيت غرر غوايده مغمورة في غمار أوصافه المتتابعة الانواج ما بين تراين تشابكت قرون لواحقها في أصلاء سوابقها ، وافانين تشاجرت فنون اغصانها في أرجاء حدائقها ، فشذبت شجراتها وادفنت جنا جنايتها لقاطفيها وجنائها ، واقتصرت منها على الفاظ هي كالمعارض لخرايد معانيها الرايقه ، وكالواسطة في قلايد قراينها المتناسقة ، وكشفت أطباق حجبها بل استار سحبها عن محتلى درارى سماتها ، وأرحت قساطر خيلها وغياطل ليلها عن مطالع مسمياتها ، وتباشر اسمائها ولم احم من الكتب المنشأة في الوقايح المذكورة الا حول جهة من الكلم الجليلة الفاضلية ، ونبذ من الكتب البديعة العمادية سالكا مسلك الاختصار وناهجا منهج الاقتصار ثم وقفت له على رسالتين في ثلاث مجلدات وسم احدهما بالعقبى والعقبى (٨) وهى مشتملة على ما جرى بعد الايام

(٦) ملحمة تاريخية فارسية كتبها الفردوسى في ٣٩٠ هـ / ٩٩٠ م للسلطان محمود الغزنوى ترجمها الفتح البندارى الى العربية . انظر دائرة المعارف الاسلامية : مقال شهنامه .

(٧) في الأصل : انواع .

(٨) واحد من أعمال العماد التاريخية . تسمى أيضا عقبى الزمان في عقبى الحدثان . انظر خريدة القصر . القسم المراتى ١ ٤٨ — ٤٩ .

الصلاحية مدة ثلاث سنين ، ووسم الثانية بخطفة البارق (٩) وهي محتوية على
الوقائع التي جرت من مفتتح سنة ثلاث وتسعين الى رمضان سنة سبع
وتسعين وفيها تصرمت أيامه (١٠) رحمه الله .

(١٦٤) / فرأيت أن (١١) أذيل بما أنتخبه منهما هذا المختصر لاشتغالهما
على طرف من السير الكريمة العادلية أنار الله برهانهما ولمع من مطالع انوار
دولة السلطانين العادلين مولانا الملك الكامل (١٢) ومولانا الملك المعظم خلد
الله سلطانهما وأعز انتصارهما وأعوانهما وفتق في مدايحهما الزاهرة
ومحامدهما الباهرة ونبذ من احوالهما في مفتتح جلالهما ومقبل اقبالهما وربيعان
سلطانهما وعنفوان شأنهما خدمة منى للمواقف الكريمة والعتبات العلية
وقضاء لبعض حقوق نعمهما العائدة البادية واياديها الرابحة العادية وسميته
سنا البرق الشامى واستعنت في ذلك وفي جميع امورى بالله سبحانه وتعالى
وهو حسبى ونعم الوكيل .

قال الامام العالم ذو البلاغتين عماد الدين ابو عبد الله محمد بن محمد
ابن حسامد الكاتب الاصفهانى رحمه الله في صدر كتابه الموسوم بالبرق
الشامى .

وبعد فان الكريم من عرف حق النعم عليه وشكر فضل المحسن اليه
واذا خلم مخدوما أوجد كرمه بذكره وان صار معدوما وعرف من بين ما (١٢)
عرفه ما كان مكتوما ومن استكفانى بالانشاء لتنفيذ اوامره في حياته كافية
بالاحياء في انشاء مفاخره في مماته وهو الملك الناصر صلاح الدنيا والدين
ابو المظفر يوسف بن أيوب رحمه الله . فانى صحبتته فكان خير مصحوب ،
وخطبت وده فالفيتة الآن مخطوب ، ولما انقضى عصره وانقضت عمره

(٩) خطفة البارق وعطفة الشارق وهي ايضا من الأعمال المنقودة .
انظر دائرة المعارف الاسلامية مقال عماد الدين . رغم انها لا تشير الى
هذين العاملين الا انها تقدم مختصرا لحياة وأعمال العماد الاخرى . انظر ابن
خلكان . وفيات الاعيان ج ٩٧٢ وما بعدها .

(١٠) المتصود بها عماد الدين الكاتب الاصفهانى .

(١١) اضافة يقتضيها سياق الجملة .

(١٢) ابو المعالى محمد بن الملك العادل الملقب بالملك الكامل ناصر
الدين توفى في ٦٣٥ هـ / ١٢٣٧ م انظر وفيات الاعيان ٢ — ٦٥ : ٧٠ .

(١٣) اضافة يقتضيها السياق .

خشيت ان ينقرض ذكره فأنشأت هذا الكتاب واعطيته من البلاغة حظا واعزته من الفصاحة لخطا وافتكرت وابتكرت صياغته معنى ولفظا وسميت به البرق الشامي لانى وصلت في شعبان سنة اثنتين وستين وخمسائه في دولة الملك العادل نور الدين محمود بن زنكى سقى الله عهده عماد الرحمة فصادت الدولة في أيامه والأيام الصلاحية الى السابع والعشرين من صفر سنة تسع وثمانين متناسقة (١٤) المجاسن وهيبتها بطيها مستمرة على حسنيتها مستقرة ، ثم التفت فاذا هي كبرق ومض وطرف غمض وما أسرع ما انقضت وانقرضت تلك الليالى والايام والشهور والأعوام .

وقد انقضت تلك السنون — واهلها فكانها وكانهم أحلام .
قال وانا أقدم في هذا الكتاب ذكر نبذ من أحوالى مع السلطان ثم أبتدىء بذكر معرفتى به وخدمتى (١٥) له وأصف مبادئ دولته الى ان وصل الى الشام وحضرت خدمته ، وأصف سيره كل سنة وآتى بشرح حسناته بكل حسنة .

قال : ولم يزل قللى (١٦) لسيفه مشاركا وللكه مداركا هذا للرزق وذاك للأجل ، وهذا للأمن وذاك للوجل . وكان السلطان يعتمد على قللى (١٧) وينصر كتابته وهو يقول : الحمد لله الذى لم يضع على العماد اعتمادى وحاط الى سداده سدادى ثم ما وفى أحد بعهده وفائى بعهده من بعده فائى سرت معانى معاليه بالفاظى الفاضلة وخلدت ذكره فى مصنفاتى الى قيام الساعة وأحييت ذكره بالوفاء بعد الوفاة وأهديت له حياة ثانية بعد الحياة . ولما نقله الله الكريم الى جناب جناته واقتسم (١٨) أولاده ممالكه قلت يسلكوا مسالكه وينسكوا مناسكه وانهم يعرفون مقدارى ويرفعون منارى ويشرحون صدرى ولا يضعون قدرى فأخلف الظن حتى قطعوا رسومى ومنعوا مرسومى وغوروا منابعى وكدروا مشارعى . قال ومما كتبه

(١٤) فى الأصل « متناسبة » وكذا يستقيم المعنى .

(١٥) اتصلت خدمة العماد الأصفهاني بالسلطان صلاح الدين فى عام ٥٧٠ هـ — ١١٧٥ م .

(١٦) يعتبر عماد الدين من شهود العيان الذين صاحبوا صلاح الدين فى كل غزواته كما يقول العماد نفسه والمركة الوحيدة التى تغيب عنها كانت وقعة الرملة .

(١٧) هذا يوضح مكانة العماد الرسمية فى الدولة الصلاحية .

(١٨) اضافة الواو هنا يقتضيها السياق .

في كتاب يتضمن شكوى الحال ما حال ما غصبت أملاكه ونصبت
أشراكه أشراكه فكتبت الى المولى الأجل الفاضل في فصل يسلم فيه على
ولدى القاضي الولد مقبل العين ويحييه الى أن تصل القبل الى اليدين وإلى
أن يسر والده إذ هما في الفضل ثاني اثنين وما أحسن قول سيدنا غصبت
أملاكه. أملاكه ونصبت أشراكه أشراكه واستحسنمت ازدواج هاتين الكلمتين
ووقعنا منى بموقع بمشاركتي له في المكروهين قال وتنام هذا الفصل من
الكتاب الفاضلى وقد شرح من احواله واعتزاله وضبره واحتماله وتلفظه
في تجويز الوقت واحتياله وشكره لقوم لا على اتصال مالهم اليه ولكن على
ايماله الى ماله ماذكرنى بابن (١٩) حيوس (٢٠) وقد مظهره صاحب دار الوكالة
ببيع بضاعة له .

مضى الكرماء صانوا ماء وجهي بجود لا يرفق بالسؤال
وما أنا بعد هم في الناس أبغى كريما يشترى حمدي بمالي (٢١)

قال ومما كتبت الى الأجل الفاضل في شكوى الحال تحييده منها :
دمشق تقصيد عظمى بعرقه أى عرقه
اخفائه لرجائي فيها وللقلب خفته
أقمت فيها وحيثما كالدرد ضمته حقه

(١٩) في الأصل حتى زائدة .

(٢٠) هو الأمير أبو الفتيان محمد بن سلطان بن محمد بن حيوس
الغنوي الدمشقي . أحد الشعراء الفحول ولد بدمشق عام ٣٩٤ هـ . وكان
شاعر أنوشتكين وإلى دمشق ثم اتصلت بعد ذلك خدمته بالمرداسيين وعاش
في ظلهم وتوفي عام ٤٧٣ هـ . وله ديوان كبير . انظر ابن خلكان وفيات
الأعيان ٢ — ١٢ — ١٦ . انظر الخريدة — العراق . ج ٢ — ١٩٩ — ٢٠٠
انظر أيضا مقدمة ديوان الشاعر ج ١ ص ٥ وما بعدها .

(٢١) ورد هذان البيتان في ديوان ابن حيوس كالتالي .

مضى الكرماء صانوا ماء وجهي
بما بذلوه عن ذل السؤال
وما أنا بعد هم في الناس أبغى
كريما يشترى شكري بمالي

انظر الديوان ج ٢ — ٦٨

ذكر الوصول الى الشام في سنة اثنتين وستين وخمسمائة

قال : وصلت الى دمشق في أيام جلاء (٢٢) حسنيتها وانجلاء (٢٣) حزنها وغناء أفتانها (٢٤) بالاغاريد وانتشاء انشائها بالاناشيد فقدمتها في أطيب زمان ونزلت من المدرسة التي وليتها في أحسن مكان . وكان ملكها والذي يتولى ممالكها الملك المعادل نور الدين أبو القاسم (٢٥) محمود بن زنكى أعف الملوك واتقاهم وانقبهم واتقاهم وأصلحهم عملا واتحجهم أملا وأرجحهم رأيا وأوضحهم آيا (٢٦) . وهو الذي أعاد رونق الاسلام الى بلاد الشام فاستفتح معانها واستخلص عقابيلها وكانت للفرنج في أيام غيره على بلاد الشام قطائع فقطعها وعثى رسومها ومنعها ونصره الله عليهم مرارا حتى أسر ملوكهم وبدد سلوكهم وصان الثغور منهم وحماها عنهم وأحيا (٢٧) معالم العلوم الدوارس وبنا لمذاهب السنة والجماعة المدارس وأنشأ الخانات للصوفية وكثرها في كل بلد وكثر وقوفها وأجد الأسوار والخنادق وأمر في الطرقات ببناء الربط والخانات وهو الذي أعان على فتح مصر وأعمالها وأنشأ (٢٨) دولتها (٢٩) ورجالها .

وكان صلاح الدين أحد خواصه وأخلص ذوي استخلاصه ولد نجم الدين أيوب من أكابر أمرائه لا يفارقه راكبا في ميدانه ولا جالسا في إيوانه يقف على رأسه ووالده من جلالة وقد اقتدى به في جميع ما اتصف به من التقى والعفة والنزاهة والنباهة وآداب الملك وأحكام السلطنة فنتقل منه مبادئ الخيرات ثم جلوز بها في أيامه الغايات .

وكانت بيننا وبين نجم الدين أيوب معرفة قديمة من تكريت حيث كان

(٢٢) في الأصل : جلا .

(٢٣) في الأصل : انجلا .

(٢٤) في الأصل : الألف الأولى ساططة .

(٢٥) أبو القاسم محمود بن عماد الدين زنكى بن آقسنقر الملقب بالملك المعادل نور الدين . انظر ترجمته في الوفيات . ابن خلكان ٢ — ١١٥ .

(٢٦) انظر الروضتين ٢ — ١ — ١ — ٢٠ .

(٢٧) في أصل وأحيا .

(٢٨) في الأصل : بأنشا . (٢٩) دولته .

بها واليا وسببه ان عمى العزيز (٣٠) أحمد بن حامد راعه السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه (٣١) في قلعة تكريت اشفاقا عليه من قصد من صار في منصبه فجاء في نصيبه وبذل فيه ثلثمائة الف دينار ليعتقل ويحضر هو ما بذله ويعجل فمال الى المال وسير العزيز الى تكريت برسم الاعتقال وذلك في سنة خمس وعشرين وخمسمائة فسمى ذلك الوزير في قتل السلطان بالسهم واجلس اخاه طغرل في السلطنة وتفرد بالحكم فعلق رهن العزيز ودأب مرارا الى تكريت من يباشر قتله فلم يقبل واليهما نجم الدين خدعه وقتله وتولى اخو الوالى أسد الدين شيركوه صوته ولم يزل في حمايته وعونه (٣٢) . قال وسمعت أسد الدين في سنة اثنتين وستين وهو يحكى الى نصرته لعمى فلما كنت جالسا في المحراب يوما عنده وهو يقرأ من القرآن ورده فسمعت هاتفا يقول : قد جعلك الله عزيزا كما دافعت عن العزيز فالتفت الى وقال : أعمل واعلم . قال أسد الدين : فمن ذلك اليوم سميت همتي وتمت عزمي وبدهاء عمك العزيز طمعت في مصر وان أصير عزيزها وحرصت على أن املكها وأحرزها .

ذكر سبب وصولي الى دمشق

قال : وكان انصرافي من بغداد ووصولي الى الشام لا لقصد أحد من الكرام ولكن استوحشت هناك لفارط أعجز الاستدراك وذلك أن الوزير عون الدين يحيى بن محمد بن هبيرة (١) مال لفضله الى فضلى واقتطعنى

(٣٠) أبو نصر أحمد بن حامد بن محمد بن عبد الله عزيز الدين المستوفى توفي في ٥٢٦ هـ . كان متولى خزانة السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه . انظر ترجمته في ابن خلكان ١ — ٧٥ ايضا انظر الروضتين (٢) ١ — ٢ — ٥٣٦ حاشية رقم ٤ . انظر ايضا الخريدة عراق ج ١ — ٧ ، ٨ ، ٧١ ، ٩٥ ، ٢٠٥ ، ٢٧٦ عن وظيفة المستوفى وعمله انظر ابن ممشاق قوانين الدواوين ٣٠١ .

(٣١) أبو القاسم محمود بن محمد بن ملكشاه بن الب أرسلان السلجوقي الملقب مغيث الدين أحد الملوكة السلاجقة . انظر وفيات الاعيان ابن خلكان ٢ — ١١٤ — ١١٥ .

(٣٢) واو الاضافة ساقطة في الاصل .

(١) أبو المظفر عون الدين يحيى بن هبيرة بن محمد بن هبيرة بن سعد ابن الحسين بن أحمد بن الحسن بن جهنم بن عمرو بن هبيرة . تولى الوزارة في ٥٤٤ هـ — ١١٤٩ وكان عالما فاضلا وله كتب منها الاقصاد عن شرح المعاني الصحاح وهو ١٩ مجلدا . وكتاب المقتصد . انظر ابن خلكان ٢ — ٣٢٦ — ٣٣٣ وقد ذكر ابن خلكان وفاته في ٥٧٠ هـ / ١١٧٤ بينما ذكرها ابن الاثير في ٥٦٠ هـ / ١١٦٤ . قارن ابن الاثير . تاريخ الاتابكة ص ٢٣٥ . انظر الخريدة — عراق ١ — ٩٦ — ٩٨ .

اليه وولاني نيابته بالبصرة تارات وبواسط كرات وعرفت به فلما توفي في سنة ستين اتمت بغداد بعده وكل من هو اليه منسوب مكبوت ومكبوب وما طرقتني بحمد الله آفة ولا عرتني مخالفة وانا الى الفقهاء منقطع وبالمناظرة وبالمباحثة معهم منتفع ، ومنهم فقيه من اهل دمشق يصف طيب رياضها وبهجة جواهرها وأعراضها وصحة هوائها وثقله أمراضها فراقنتني معرفته وشاقتني صفته فقلت أجعلها سنة فرجة واسافر لاسفار صبحي يسرى دلجه واقصد ايناس قلبي وتنفيس كربى ورافقتني وما فارقتني حتى وصل بى الى قرب دمشق فانتقطع عنى وساء بعد الاحسان به ظنى فلم أدر فى أى مطار طار والى أى مصير صار فبقيت غريبا وحيدا ولقيت من استيحاشي هما شديدا وقلت لأصحابى : أضربوا لى خيمة عسى أن نعرف احدا يسدى يدا فقد رضينا بمصيف ومثيل بلا مثيل وظل ولو انه غير ظليل . وقد نى خبرى الى بعض الصوفية فدخل الى القاضى كمال الدين ابى الفضل محمد بن عبد الله بن القاسم الشهرزورى (٢) وهو يومئذ قاضى دمشق وقال له فلان قد ورد البلد فبيننا نحن فى تحرير وتفكر وتوهج وتسعر اذ جاء خواص القاضى وحجابه وعدول مجلسه ونوابه يعتذرون عن تأخره لأمر (٣) اناله وانه يخفى عنك سؤله ويقول انزل حيث تختار النزول فاثرت النزول بالمدرسة فنزلت فى المدرسة التى انا الآن مدرستها وترددت الى القاضى فى محافل علمه ومجالس حكمه واستدللت واعترضت فى الأصول والفروع على الأئمة الفحول . وعرف / (١٦٥) الأمير نجم الدين بالوصول فبعثته معرفة العم العزيز على التعرف بى فبكر الى منزلى لتبجلى وتحقيق تأملى واستقبلته وأسعرت الى بساط الأدب فقبلته وخدمته بهذه القصيدة فى اواخر شوال سنة اثنتين وستين وأخوه أسد الدين شيركوه وولده صلاح الدين يوسف قد توجهوا فى هذه السنة الى مصر وهى النوبة الثانية . قلت واول القصيدة :

يوم النوى ليس من عمرى بمحسوب ولا الفراق الى عيشى بمنسوب

(٢) هو أبو الفضل محمد بن محمد بن عبد الله بن أحمد القاسم الشهرزورى الملقب بكمال الدين ولد فى ٤٩٢ هـ / ١٠٩٨ وتوفى فى ٥٧٢ هـ / ١١٧٦ م تولى القضاء بدمشق لكل من نور الدين وصلاح الدين . انظر ابن خلكان ١ - ٥٩٧ - ٥٩٩ .

(٣) فى الأصل لام .

لم أنس أنسى بكم والشمل مجتمع وعيشنى ذات تطريز وتذهيب
أرجو أيايى اليكم ظافرا عجلا فقد ظفرت بنجم الدين أيوب
ومنها فى ذكر أخيه وابنه وما تفرس فيهما من ملك مصر وقد تم ذلك
بعد سنتين .

غدا يشبان فى الكفار نار وعى بلفحها يصبح(٤) الثبان(٥) كالشيب
ويسـتقر بمصر يوسف وبه تنـتـر بعد التئائى عين يعقوب
ويلتقى يوسف فيها بأخوته والله يجمعهم من غير تـثـريب
فأرجو الاله فعن قرب بنصرته سيكشف الله بلوى كل مكروب

فصل

قال : كان شاور وزير مصر فى أيام العاضد قد وصل الى دمشق فى
سنة ثمان وخمسين يوم الخميس سادس شهر ربيع الاول ملتجأ الى نور
الدين فتصره على عدوه وسير معه أسد الدين شيركوه يوم الخميس العشرين
من جمادى الاول سنة تسع وخمسين على قرار عينه وأمر بينه فمضى معه
ونصره واسترد له موضعه واعاده الى مجلس عادته وأظهره بعدوه فلما
تمكن من منصبه قال لأسد الدين : اذهب فقد وقع عنك الغنى وغدر بعده
واخلف فى وعده فأنف أسد الدين وأقام يتأسد ويبرق ويرعد . وكان شاور
قد شاور الفرنج وهداهم فى حرب الاسلام النهج فوصلوا بحميتهم وجمرتهم
فتحصن شيركوه ومن معه بمدينة بلبيس وشاور فى جنود مصر وحشودها
والفرنج فى قوامصها وكنودها . حاصروه ثلاثة اشهر فيها وهو يحبها
حتى فلت جدودهم وملت جنودهم فبذلوا(٦) له قطيعة يأخذها منهم وينفصل
عنهم وكانت المحاصرة فى مستهل شهر رمضان الى مستهل شهر ذى الحجة .

قال : وفى تلك السنة اغتنم نور الدين خلو الشام من الفرنج وقصدهم
واجتمعوا على حارم فضرب معهم المصاف ورزقه الله الانتقام منهم وقتلهم
واسرهم ووقع فى الاسار ايرنس انطاكية وقومص طرابلس وابن جوسلين
ودوك الروم وذلك الحادى العشرين من شهر رمضان سنة تسع وخمسين
وتسلم منهم باتياس . وعاد أسد الدين الى الشام وجرى على عادته فى

(٤) فى الأصل كلمة « يصبح » غير منقوطة .

(٥) فى الأصل « الثبان » وكذا يستقيم المعنى .

(٦) فى الأصل - فبذلوا .

خدمة نور الدين وفي قلبه من شر شاور الاحن وكيف تمت بتقديره تلك المحن (٧) الى ان دخلت سنة اثنتين وستين وخمسائه فجمع وسار في أمل ووصل في سادس شهر ربيع الآخر الى اطفيج وعبر منها الى الجانب الغربى واناخ بالجيزة واقام عليها نيفا وخمسين يوما على محاذاة مصر واستعان شاور بالفرننج واستنجد بالكفر وفسح لهم في طروق الديار وجوس خلال الامصار ورتبوا لهم بالقاهرة سوقا واشاعوا كفرا وفسوقا وعبر بهم من البلاد الغربية الى الغرب وساقوا لمواقفته على الحرب فلما عرف أسد الدين عبورهم رحل قدامهم فقتلوا منه في موضع يعرف بالبايين فعبي صفوفه واطال في الملتقى وقوفه وحشا قلبه باثقاله وجماله وطبوله واعلامه ووقف جانبا برجاله وابطاله وظنوا انه في القلب فحملوا عليه وقلوه وبغوا الى ذلك الجمع وغلّبوه وأسّد الدين بمعزل من القلب وساق اكثرهم وراء المنهزمين ووقف الباقون وقوف المغيرين . وكان صلاح الدين واقفا في صحبه في ابطال من حزيه فاغتتم خلو العرصه وانتهاز بدو الفرصة وحمل على القوم وهم المقدمون فكسرهم واسرهم وركب اكتاف فتاكهم واعرى بيضه وسمره بهلاكهم وكان فيهم ملكهم وقد كاد يدركه ويدركهم . واجتمع الى صلاح الدين من المفلولين (٨) جماعة فما شعروا الا بالفرننج من وراء المنهزمين عابدة وكان ملك الفرنج في نفريس وشاور معه وكاد يظفر به العسكر الاسلامي لكن الامسحاب / (١٦٥ ب) رأوا الفرنج عابدة اشتغلوا بهم وقتلوا منهم ومن تبعهم من المصرية الوفا وضايقوهم وأوسعوهم حتوفا وحصل سبعون فارسا من فرسانهم (٩) في الاسار وقيدوا في خرايم الذل والانتسار ولما تمت لصلاح الدين النصرة اقام وجمع الفل وجاء عمه أسد الدين وساروا بمن معهم الى الاسكندرية ودخلوها ووجدوا مساعدة أهلها وحلوها ثم قال أسد الدين : انا لا يمكنني ان احصر نفسي وجماعتي في البلد فاخذ العسكر وسار الى بلاد الصعيد واستولى عليها وجبى خراجها وصام بها واقام الى انقضاء العيد ، واقام صلاح الدين بالاسكندرية متحصنا بها .

واما شاور والفرننج فما كانت لن سلم منهم قسوة ولا نهضة وراء القوم مرجوة فعادوا الى القاهرة وصمموا على قصد الاسكندرية فحاصروا صلاح

(٧) قارن الروضتين (٢) ١ - ٢ - ٣٣٧ .

(٨) في الأصل - غير منقوطة .

(٩) في الأصل غير واضحة وأرجح ذلك وهو ما يقتضيه السياق .

الدين ودام الحصار شهورا فما زاد المحصور على الحاصر الا ظهورا وبلغ الحصار اربعة شهور وقوى أسد الدين بقوص واستنهض لقصد القوم العموم والخصوص فسمح الفرنج ذلك فرجعوا عن الحصار للخوف والاستشعار مما هو عليه من الاستظهار . وكان شاور قد استمال جماعة من التركمان الذين كانوا معه بالدينار . فلما راسلوه في المهادنة أجاب الى القرار وطلب منهم عوض ما غرمه فبدلوا له خمسين ألف دينار ورجع صلاح الدين من الاسكندرية فقتلوا الى دمشق ودخلوها بكرة يوم الاثنين ثامن عشر ذى القعدة وعادوا الى عادة السعادة من الخدمة النورية والحسنى والزيادة .

قال : ولما دخل أسد الدين الى دمشق عرف خبرى فحضرت عنده للسلام وتلقاني بالاحرام والاحترام وكان يجلس كل ليلة للافاضل وأكثر حديثه معي في تقرير عمى العزيز وتأبينه ووصلني بمعرفته ومعروفه وخصني من عموم بره بصنوفه فخدمته بهذه القصيدة ليلة الجمعة السابع والعشرين من ذى القعدة سنة اثنتين وستين .

بلغت بالجد مالا يبلغ البشر ونلت ما عجزت عن نيله القدر
اسكندر ذكروا اخبار حكمته ونحن فيك راينا كل ما ذكروا
ورستم خبرونا عن شجاعته وصار فيك عيانا ذلك الخبر
يستعظمون الذي ادركته عجا وذاك في جنب ما ترجوه محتقر

قال : واتصلت بيني وبين صلاح الدين مودة ولم يزل يستهينني نظمي ونثري وأول ما خدمته بهذه الكلمة قلت ومن سردها :

نار قلبى لضيف طيفك تبدر كل ليل فيهتدى ويزور (١٠)
كيف يصحو من سكره مستهام مزجت كأسه الحسان الحور
اورثته سقامها الحديق النجل واهدت له النحول الخصور
ولكم عودة الى مصر بالنصر على ذكرها تمر العصور
فاستردوا حق الامامة ممن خان فيها (١١) فانه مستعير

قال : وكان صلاح الدين في خدمة نور الدين المساعد والمعين وبهذه المعرفة السالفة من الاسلاف خصصت منه أيام دولته بالاسعاد والاسعاف .

(١٠) أبو شامة يضيف — كيف قلت بمقتله فتور وأراها بلا فتور تجور
تارن الروضتين (٢) ١ ٢ — ٣٦٩ — ٣٧٠ .

(١١) يقصد هنا ان تسترد حقوق الخلافة العباسية السنية ممن
خان ويقصد الخلافة الفاطمية الشيعية في القاهرة .

ذكر دخولي في خيمة نور الدين

قال : عرفني اليه القاضي كمال الدين الشهرزوري ورغبه في استقبالي
وقرر لديه من حساب آمالي مالم يكن في حسابي . وقال : لا بأس بان
تكتب اليه أبياتا ونحن نرجوا لك في دولة ثباتا وفي (١) روضته نباتا
فانشأت هذه القصيدة وعرضت من جانب القاضي وهي التي اولها :

لو حفظت يوم النوى عهودها ما مطلت بوصلكم وعودها
ماذا جنت قلوبنا حتى غدا في النار من شوقكم خلودها
لیم أنسها اذ نثرت دموعها في خذا ما نظمت عقودها
اذ قربتني للسوداع نحوها فبان في وصلها صدودها
كأسهم الرامي متى قربها يكون في تقربها بعيدها

(١٦٦ ا) / قال فرتبني في ديوانه منشيا وذلك لاستقبال سنة ثلاث
وستين قال : ودخلت سنة ثلاث وستين ورحل الملك العادل نور الدين
رحمه الله وإقام بخص اياما ، ورتب بها اسبابا وأحكاما ، وخرجت معه
وراه ورحلت معه الى حماه وأنزلني أسد الدين شيركوه في حماه وضرب لي
خيمة بقربه وأنا أمضى كل يوم الى الديوان مبكرا ومما أقدم عليه فمن خدمة
لا درية لي بها مفكرا على ان أهل ديوانه ينظرونني شذرا ويعدون كثير
ما عندي من الفضل نذرا وكنت اظن ان صناعة الكتابة لا سيما الانشاء
صعب حتى قرأت كتب الايصار والمراسلات الواصلة من سائر الاقطار
فوجدتها في غاية من الركة وباليته كانت بعبارات معسولة فتجرات على
الكتابة وغيرت تلك الأوضاع الوضيعة واخترعت أسلوبا ما عرفوه والفت
مصنوعا ما ألفوه ووفيت بالبلاغتين ، ونفيت الغش عن الصياغتين ، وكتبت
الى الاعاجم وصارت نواب ديوانه يستفربون ويستهنئون ويهمزون وأرشدتهم
من ضلالتهم فحكمت نسج المداراه وما سلكت نهج المماراه حتى جرى
بسكوني وسكوني قلمي وعلا بمنار علمي علمي ورجعوا الى واجتمعوا على
وانا على مر الجديدين اتجدد في بناء الفباهة واجلوا بأساري وجه
الوجهة وزاد نور الدين دنوى نورا وملأت صبح دولته ووجه مملكته بما
أملية أسفارا وسفورا وتأكدت رغبته وتمهدت محبته وتكررت موهبتة .

ولما اراد قصد حلب حل أسد الدين شيركوه قبله بأيام فوصى بي
ابن أخيه صلاح الدين وترك الخيمة المضروبة لي بما فيها من جميع الآلات
فاقمت مدة مقامه ارافقه ولا افارقه حتى مضى نو الدين الى حلب ونزل في

(١) واو ساقطة في الأصل يقتضيها هنا السياق .

قلعتها وشتى في ذروتها ونزلت في مدرسة ابن العجمي وكان الشتاء كالخا
يابسا ووجه الدهر عابسا وكنت اتردد الى صلاح الدين في منزله واسترسل
اليه في تفاصيل املى وجهله واستدعى (١٢) منى أن أعمل له أبياتا في الشوق
يرصع بها كتبه الى من يشتاقه ويحبه فمنها ما نظمته له :

وحرمة الود الذى بيننا ومالنا من كرم العهد
ما انقضت عهدى لكم جفوة ولا احالت حالة ودى
ولا تغيرت ويأبى الهوى ذلك في قرب وفى بعد

عاد الحديث الى ما تجدد لثور الدين قال : واتفق ان صاحب منبج ابن حسان
ارتكب العصيان فبعث اليه من حاصره وانتزعها منه ثم تمكن عنه وتوجه
اليها لتهديب احوالها وترتيب أعمالها وسار منها الى قلعة نجم (٢) وعبر
الفرات الى الرها وانتظم بأمره أمرها وكان بها قطب الدين ينال بن حسان
عم غازى صاحب منبج فقتله اليها مقطعا وواليا واعاد ذلك الصفح بآياله
حاليا واتام بها مدة في قلعتها قال ومدحته بهذه الكلمة وتحجب لى في عرضها
عنده صلاح الدين قلت ومن هذه الكلمة قوله :

ماصين عنك الصسين لو حاولوها والمشرقان فكيف منبج والرها
مالملوك لدى ظهورك روض فاذا بداشمس الضحى خفى السها (٤)

قال : وعدنا الى حلب في شهر رجب وضربت خيمة نو رالدين في رأس
الميدان الأخضر ، وكان مولعا بضرب الكرة وربما دخل الظلام فلعب بها
بالشموع ويركب صلاح الدين مذكرا كل بكرة وهو عازف بأدائها في
الخدمة وشروطها المعتبرة . واقطعه في تلك السنة ضيعتين احدهما من

(٢) في الاصل استرعى .

(٣) قلعة حصينة مطلة على الفرات على جبل تحتها روض عامر وعندها
جسر يعبر عليه وهى المعروفة بجسر منبج ، وتعب على هذا الجسر القوافل
من حران الى الشام ، معجم البلدان ٣ — ٨٦٠ ، ٤ — ١٦٥ .

(٤) قصيدة طويلة جاءت في الروضتين تتضمن هذين البيتين وتبدأ
كالتالى :

أدركت من الزمان المنتهى وبلغت من نيل الامانى المنتهى

الروضتين (٢) د ١ — ٢ ص ٣٨١ — ٣٨٢

ضياح كفر طاب (٥) مدكين والآخرى من ضياح حلب وزردنا (٦) وزعم أنه بلغ به المنتهى في المنى .

فكر أسد الدين والانعام عليه بحمص

قال : ولما كان ثغر حمص اخطر الثغور تعين أسد الدين لصبايته وحفظه ورعايته لتفرد به بجده واجتهاده وبأسه وشجاعته فانعم نور الدين عليه بها فسار اليها وضبط امورها وكان / (١٦٦ ب) نور الدين قد جدد سورها وسأله في السلو عن حب محبر وشريط على نفسه الحمل في كل سنة وكان لما اراد أسد الدين الانفصال عن الديار المصرية وصلاح الدين عن الاسكندرية اجتمع الكامل بن شاور بشهاب الدين محمود خال صلاح الدين وقال له : أوصل الى نور الدين سلامي وعرفه شففى بخدمته وغرامى وانا اتوسط في جمع الكلمة ورد هذه القلوب المتبددة الى عقود القلوب المنتظمة ، واتكفل بما احمله من مالى على وجه الهدية اقصد بها سلامة البلاد والرعية فلما وصل شهاب الدين محمود اعاد على نور الدين مقالته وذكر سؤله وسؤاله وسأله مكاتبة الكامل والرضا بما التزم به التزام الكافي وكان دخوله اليها يوم الاربعاء ودخلناها يوم الخميس .

فكر توجه فخر الدين شمس الدولة تورانشاه بن أيوب من مصر الى بلاد اليمن مستهل رجب سنة تسع وستين

قال كان فخر الدين أكبر اخوة صلاح الدين وقد شاع صيت مروته ، وكان لا يفى بوجود مصر بجوده ورأى ان حظه من قوص منقوص ولم يرضه أرض تضيق عن سما سماحته فسمت همته وتصممت عزيمته ، وكان بمصر شاعر من اليمن يقال له عمارة (١) ولم يزل يمدحه ويكثر فيه

(٥) بلدة بين المعرة ومدينة حلب في بركة معطشة ليس لهم شرب الا ما يجمعونه من مياه الأمطار في الصحاريح . . . معجم البلدان ٤ - ٢٨٩ (٦) فيها يتعلق بهزم النقطة انظر تاريخ ابن الهيجاء مخطوط برقم (٩٤٥ تاريخ) ورقة (١٥٥ ب) نسخة معهد المخطوطات العربية بالقاهرة . وقد وردت في الأصل وزدنا ويبدو انها زردنا وهى بليدة من نواحي حلب الغربية - معجم البلدان ٢ - ٩٢٤ .

(١) عمارة اليمنى وهو الفقيه أبو محمد عمارة بن أبي الحسن علي ابن زيدان بن أحمد الحكيم اليمني الملقب بنجم الدين . وصل مصر في خلافة الفائز في ٥٥٠ هـ ووزارة الصالح بن رزيك وقد كان فقيها شافعيًا . انظر ابن خلكان وفيات ١ - ٤٧٥ - ٧٧ انظر أيضا الروضتين (٢) - ٢ - ٥٧٢ وذكره أيضا ياقوت في مواضع كثيرة في معجمه .

المدح ويحثه على ملك اليمن ويرغبه فيه . ولما اشتد عزمه واحضر عسكره ورحل مستهل رجب ووصل السير بالسرى وقلا الفلا وجاز اجوازها وغاز بالوصل الى مكة ثم خلف وراءه غور الأرض ونجدها وحجازها واستدل بسماعته ونحا البيد نحو زبيد (٢) فقلب عليها وقبض على عبد النبي الخارجي وسلمه الى ناييه الأمير سيف الدولة المبارك بن منقذ فرأى ان مصلحة الملك في هلكه غارده وشمس الدولة غايب ، ومضى الى عدن وفيه ياسر وخرجوا من البلد الى الصحراء للقتال فطلبوا ونهبوا ثم ولى عدن الأمير عز الدين عثمان (٣) الزنجيلي (٤) واستنابه وفتح القلاع ومنح ملكا عظيما وفتح اقليةا وافترع بكرا وخلف ذكرا .

قال : واما سيف الدولة أبو الميمون المبارك بن كامل بن منقذ المستناب في زبيد فانه كان من الكرماء الكفاه وذوى الآراء والدهاة والحمس الكهاة ولم يزل بشيمته متكرما وبحسن الذكر متوسما دابه آدابيه والفضل شبرعه والأفضال صنعه ومن شعره .

لما نزلت الدير قلت لصاحبى قم فاخطب الصهباء من شهابه
فأتى وفي يمينه كأس خلقتها مقبوسة في الليل من نبراسه
وكان ما في كأسه في خده وكان ما في خده من كأسه (٥)

قال : وفي هذه السنة كان تسيير نور الدين المذهب أبا الحسن على ابن عيسى بن النقاش الى الديوان العزيز للاعلام بمسير شمس الدولة الى اليمن لآخذها والبشارة بكسر الروم ثانية وفقدهم كلمان وكان تقيما اسيرا عند نور الدين من نوبة حصارم وفداه بخمسة وخمسين الف دينار وخمسمائة وخمسين ثوب اطلس وهو اسير (٦) معه اسراء في الروم وذلك في شعبان سنة تسع وستين .

قال : وكان المذهب النقاش كنعته مهذبا وبآرائه للدول مرتبا ، وهو من اهل بغداد وقد سافر الى الشام وشاع صيته بالفضل لا سيما في علم

(٢) مدينة مشهورة باليمن بازائها ساحل غلافقه وساحل المنذب . معجم البلدان ٢ - ٩١٥ - ٩١٦ .

(٣) في الأصل : عثمان .

(٤) في الأصل : - الزنجارى . هكذا كما ضبط تسمية المصادر العربية منها انظر الروضتين (٢) ١ - ٥٥١ أيضا مفرج الكروف = ا . ٢٤٣ ، ٢ - ١٠٣ ، ١٠٤ .

(٥) انظر الروضتين (٢) ١ - ٥٥٥ .

(٦) في الأصل : سير .

الطب ومعرفته ونفق عليه (٧) نور الدين وأقطعه ضيعة ومملكه أخرى ، وكل طبيب في الشام يستحجج الآن بأنه تلميذه ، وعرض جأه ونقاصر عنه أشباهه ونجح سعيه لنور الدين في مرضاته ونجح سؤله للفوز بمرضاته وصار له عنده قبول وخروج دخول ورأى مقبول (٨) وسمى بالنجاح مكفول فندبه نور الدين في هذه السنة للسفارة .

قال : وكلف نور الدين في هذه السنة بإفادة اللطاف والزيادة في الأوقاف وتكثير الصدقات ، وتوفير النفقات وتغيير آثار الأيام واسقاط كل ما يدخل تحت شبه الحرام . وأمر تكتب مناشير لجميع البلاد باطلاق الطرف من الرسوم والتلاد فما أبغى سوى الجزية والخراج وما يحصل من تسمة الغلات على قوايم المنهاج . وحسبنا ما تصدق به على الفقراء في تلك الأشهر فزاد على ثلاثين ألف دينار من الذهب الأحمر قال : وكان إذا أمر بصدقة غلة أو ذهب تقدم خازنه باحضار جماعة من أمثال البلد وعدوله من أهل كل محلة فيقول لكل واحد : كم تعرف في جوارك من ذى اضافة (٩) وصاحب فائقه / (١١٦٧) ومستحق ومقتر ومغيل وغيرهم فيقول : أعرف كذا وكذا فيسلم اليه صدقات أولئك الأعداد حتى يستقرىء بالسؤال جميع الحاضرين من الأمجاد ثم يأتيه كل منهم ثبت بما فرقه .

قال : وكان يرسم نفقته الخاص في كل شهر من جزية أهل الذمة مبلغ ألفى قرطيس صرفه في كسوته ونفقته ومأكوله ومشروبه وحوائجه المهمة حتى أجرة خياطه وخيطه وأبرته وجامكية طبأخه وقدره ومعرفته من ذلك المقرر المعين النزر ثم يستفضل ما يتصدق به في آخر الشهر ويفضه على المساكين وأهل الفقر . وأما ما يهدى له من الثياب والألطف والبرود (١٠) والأقواف (١١) وهدايا الملوك من المناديل والسكاكين والمهاميز (١٢) والدبابيس وكل كثير وقليل ودقيق وجليل لا يتصرف في شيء منه بل يعرض بنظره عنه

(٧) في الأصل : على .

(٨) كذا . معقول بالأصل .

(٩) في الأصل : اضافة .

(١٠) البرود . البرد من الثياب . البرد ثوب فيه خطوط . وخص بعضهم به الوشى . والجمع أبراد وأبرد وبرود . لسان العرب ٣ — ٨٧ .
(١١) الأقواف جمع فوف . يقال برد أقواف وحلة أقواف بالاضافة والفوف ثياب رقائق من ثياب اليمن موشاه . لسان العرب ٩ — ٢٧٣ — ٢٧٤ .

(١٢) المهاميز عصى واحدها مهمزة . وهى عصا رأسها حديدية وتجمع أيضا مهامز ، لسان العرب ٥ — ٤٢٥ .

وإذا اجتمع يخرج به الى مجلس القاضي ليحصل ائمانها المفورة ويعبرنها في
عمارة المساجد المهجورة . وأمر باحصاء ما في محال دمشق من مساجد
هجرت وخربت فأفاق على مائة مسجد وموضع يترك به ومشهد فأمر
بعمارة ذلك كله وعين له وقوفاً وأدنى له من جهات استثمرها قطفوا . قال :
ولو اشتغلت باحصاء وقوفه وصدقاته في كل بلد لطال الكتاب ولم يبلغ الى
امد ومشاهدة ابنيته الدالة على خلوص نيته يغنى عن خبرها بالعيان ،
ويكفي أسوار البلدان فضلاً عن المدارس والربط . وواظب على عقد
مجالس الوعاظ واكبرهم قطب الدين النيسابوري وهو شقوف ببركة
انفاسه . ووفد من بغداد ابن الشيخ ابي النجيب الأكبر ونصب له في كل
اسبوع المنبر وشاقه وعظه وراقه لفظه ، وكذلك وفد اليه الفقيه شرف الدين
عبد المؤمن بن شورو ونال منه الحظوة وما أيمن تلك الأيام وأبرك تلك
الشتوة .

قال : وفي يوم الاثنين رابع شهر رمضان ركب نور الدين على المعادة
وكنا نحن في ايوانه وكل منا متفرغ لشغله أخذ في شأنه فجاءني من اخبرني
ان نور الدين نزل الى المدرسة التي تتولاها وبسط سجاده في قبلتها لسنة
الضحى (١٣) وصلها فقميت في الحال فلقيته في الدهليز خارجاً لما رأيته توقف
فقلت له : ان الموضع قد تشرف اما تراه انه من أيام الزلزلة كيف تشعث
فقال : نعيده الى العمارة ، ثم حملت اليه وجوه سكر وشيئا من ثياب وطيب
وعنبر وكتبت معها .

عند سليمان على قدره هدية للنمل مقبولة
لا تقصر الملوك عن نملة عندك والرحمة مأولة
رقى لمولانا وملكى له وذمتى بالشكر مشغولة (١٤)

قال : ورأى محراب المدرسة غير مفصصة فنقد لعمارتها فصوصاً

(١٣) قال صلى الله عليه وسلم :

ثلاث لا ادعهن حتى اموت صوم ثلاثة أيام من كل شهر وصلاة الضحى
ونوم على وتر . صحيح البخارى ٣ - ٢٣٢ - ٢٣٣ . وصلاة الضحى
ركعتان وعن عتبة بن عامر قال : أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
نصلى الضحى بسورتها والشمس والضحى . وقتها من ارتفاع الشمس
الى الاستواء . صحيح البخارى ٣ - ٢٣٢ .

(١٤) انظر الروضتين (٢) ١ - ٢ - ٥٥٧ حيث يضيف أبو شامة .
وكيف يقضى الحق ذممة ضميعة بالعجز معلولة
وانما شيمة مولى الورى ظاهرة بالفسير مجبولة

مذهبة وذهبا ثم حم مقدور حمامه دون اتهامه . ووقعت الى الموصل فرأينته ليلة في المنام يقول : ما يعود الى المدرسة معناه فقلت ان المدرسة قد استنبت فيها من يتولاها فقال : الصلاة فلما انتهيت (١٥) عرفت انه أشار الى المحراب وانه الآن على هيئة (١٦) الخراب فكتبت الى الفقيه الذى كان الذهب عنده مودعا ان يشرع فى عمارته مسرعا فلما عدت الى دمشق فى الأيام الصلاحية دخلتها يوم فراغ الصانع من عمارة المحراب وفزت من الغنيمة بحسن الاياب .

نكر تغويض شحنة (١) دمشق

الى القاضى كمال الدين الشـهرزورى رحمه الله

قال : ولما استقط نور الدين الجهات المحظورة عزل الشحن وصرف عن الرعية بصرفهم المحن وقال للحاكم (٢) انظر أنت فى العوادي وما يجرى فيها من الدعاوى وميز بين المحاسن والمساوى واحمل الأمور فيها على الشريعة فرتب على بابيه حاجبه أبا نصر وأمره بما يصلح فى كل أمر وحمل للخزائن من عنده من الاطلس مائة ثوب واراد الخالص فلم يخل من شوب ، ولم يكن كمال المواريث الحشرية (٣) حاصل ولا لديوانه طائل فجعل نور الدين ثلث ما يحصل من الحشرى للقاضى كمال الدين فوضحت حواده (٤) وصحت مواده وكان من قبل لا يخلو الحشرى من وصية يثبت محضرها وقضية يحرق مورها ومصدرها ، ودين يدعى وجانب يرفع فلما صار ثلثه للقاضى ازال نوابه نوابيه وصرفوا عنه شاييه ووفروه وكثروه وأعذبوا عده / (١٦٧) وأعزروه وما كان نور الدين يحاسب القاضى على الوقوف وقال : أنا قد قلدته ان يتصرف بالمعروف وما فضل من مصارفها وشروط واقفها يأمره فى بناء الاسوار وحفظ الثغور وكانت دولته نافذة الأوامر منتظمة الأمور .

(١٥) فى الأصل انتهيت وكذا يجرى السياق .

(١٦) فى الأصل : هيأة .

(١) الشحنة وظيفة يقوم المكلف بها بالجمع أحيانا بين الحكم والقضاء ، وقد فسر لسان العرب الشحنة كالتالى — شحنة الكورة من فيهم من الكفاة لضبطها من أولياء السلطان انظر لسان العرب ٣ — ٢٣٤ .

(٢) القاضى كمال الدين .

(٣) الأموال والممتلكات التى يموت أصحابها دون وصية وليس لهم وارث تعود الى الدولة انظر قوانين الدواين ٥٤٣ حيث يقول المواريث التى ترند الى الديوان لعدم وجود وارث شرعى لها .

(٤) فى الأصل — حواد .

عاد حديث مصر وما دبره صلاح الدين قال : ولما رجع رسول (٥) نور الدين وهو الموفق خالد أطلعه على كل ما فيه ، أحصى له الطريف والتالد وقال : هؤلاء الأجناد فأعرضهم واثبت أخبارهم وتأمل اعتبار أقطاعاتهم ومقادير واجباتهم ولا يضبط مثل هذا الاقليم (٦) الا بالمال العظيم ، وشرع في جمع مال يسيره ويحملة بجهد ويبدله وقال : الموارد مشفوهة والشدايد مكروهة وحصل لخالد ما لم يحصل في خلدته وجاء مطرف غناه اضعاف مثله .

قال : واجتمع جماعة من دعاة الدولة المصرية (٧) وتواوزروا وتواوزروا واعتقدوا منية عادت عليهم بالعقبى منية ، وعينوا الخليفة والوزير ، واحكموا الراى والتدبير وكان عمارة اليمنى الشاعر فيهم عقيدتهم ودعا للدعوة قريتهم ويعيدهم وكانوا قد ادخلوا عدة من انصار الدولة الناصرية في جبلتهم وكان الفقيه الواعظ زين الدين على بن نجا ينجيهم فيما زين لهم من اعمالهم ويدخلهم مطلقا على احوالهم فجاء واطلع صلاح الدين على فسادهم وطلب ما لابن كامل الداعى من العقار والدور وكل ماله من الموجود والمذخور فبذل له صلاح الدين كل ما طلبه وامره بمخالطتهم فصار امرهم يقوى وحديث حادثهم يروى فأمر صلاح الدين باحضار مقدميهم واعتقالهم لاقامة السياسة فيهم . وطلب يوم السبت ثانى شهر رمضان جماعة منهم عمارة ورجل يعرف بالعويرس وآخر يعرف بعبد الصمد وآخرون وانقطع حديثهم وهلك جريرهم (٨) وبعيئهم . وكان منهم داعى الدعوة ابن عبد القوى وكان عارفا بخبايا القصر وكنوزه وخفايا السر ورموزه فهلك دون اخفائها وباد ولم يسمح بابدائها وبقيت تلك الخزائن مدفونة وتلك الدفان مكنونة وقد دفن دافنها وخزن تحت الثرى خازنها الى ان ياذن الله في الوصول اليها والاطلاع عليها .

قال وهذه لمع من شجر عمارة فمنها قوله في قصيدة :

ملك اذا قابلت بشر جبينه فارقتة والبشر فوق جبينى
واذا لثمت يمينه وخرجت من ايوانه لثم الملوك يمينى

(٥) ساقطة في الأصل — الضبط من الرضتين (٢) ١ — ٢ — ٥٥١ .

(٦) في الأصل — الاقليم .

(٧) المقصود هنا انصار الدولة الفاطمية .

(٨) نسبة الى جرير الشاعر — هو أبو حرزة بن عطية بن الخطنى واسمه حذيفة من فحول شعراء الاسلام توفى في ١١٠ هـ — انظر ابن خلكان — وفيات الاعيان ج ١ ص ١٢٧ : ١٣٠

ومنها قوله في شمس الدولة تورانشاه بن أيوب من تصيدة .
 لى في هوى الرشاء العذرى عذرا لم يبق لى مذ أقر الدمع ازكار (٩)
 لى في القدود وفي لثم الخدود وفي ضمم النهود لبانات وأوطار
 هذا اختياري فوافق ان رضيت به أو لا فدعنى وما أهوى واختار
 أول كتاب فاضلى من صلاح الدين الى نور الدين : ادام الله تعالى
 سلطان المولى الملك العادل نور الدين وحرس من النعم ما خوله وانهضه
 بالأمر الذى حملته وحى من الكدر منهله وصان من الغير منزلته ومنزله
 ولا زالت الأيام مطاياها الى بلوغ الامانى والكتب تتفتح اليه بمعانى التهاني
 وزمانه مسفرا عن نيل المراد في أهل الاحاد واقامة حدود الله فيهم بالفراغات
 الشداد والسيوف الحداد .

قال : وأمر نور الدين ولده الملك الصالح اسماعيل يوم عيد الفطر
 واحتفلنا لهذا الأمر وغلفت محال دمشق أياما وبنيت القصور طباقا وكل
 منهم رتب المغانى بأغاني وطيب الأوطان بتهادى التهاني وعاش معبد (١٠)
 والغريض (١١) وشاع النشيد والقريض واتفق الطهر في أيام الورد وعصر
 طرده للبرد .

قال : ونظمت في الهناء بالطهر والعيد تصيدة أولها .
 عيدان فطر وطهر قسريب ونصر كلاهما لك فيه حقا هناء واجر

(٩) أورد ابن الأثير هذه الأبيات كالتالى :
 لى في هوى الرشاء العذرى اعدار لم يبق لى مذ أقر الدمع انكار
 لى في القدود وفي لثم الخدود وفي ضمم النهود لبانات وأوطار
 هذا اختياري فوافق ان رضيت له أولا فدعنى وما أهوى واختار
 الرشا . هكذا وردت في الأصل التصحيح ابن الأثير ج ١١ ص ٤١١ .
 (١٠) معبد البقطينى . شدا بالمدينة وأخذ القناء من أهلها ومن جماعة
 أخرى من علية المغنين بالعراق . خدم هارون الرشيد انظر الاغانى
 ج ١٢ — ١٦٨ — ١٧٠ وقال أيضا معبد بن وهب وقيل ابن قطن مولى لربى
 قطن وقيل ابن قطن الاغانى ج ١ — ١٩ — ٣٠ .

(١١) هو عبد الملك المكنى بأبى يزيد وأيضاً بأبى مروان . والغريض
 لصقت به لأنه كان طرى الوجه نضر أغص الشبَاب حسن المنظر فلقب
 بذلك . والغريض الطرى من كل شيء . . وكان أحقق أهل زمانه بمكة
 بالغناء . انظر الاغانى ٢ — ١٢٨ — ١٣٠ — انظر الخريدة — عراق
 ج ١ (٧٥) حاشية رقم ٨ .

قال : وفي يوم العيد يوم الأحد ركب نور الدين على الرسم المعتاد والقدر يقول له هذا آخر الأعياد ووقف في الميدان الأخضر الشمالى لطعن الحلق ورسم القبق (١٢) وحوله كماء الكفاح ورماة الحندق والاكابر تحت ركابه وقوف والعساكر للمثول ببابه صفوف والسوابق مضمرة والبيارق مشهرة (واليوم يوم الزينة (١٣)) والنظارة أهل المدينة ، وكان قد ضرب خيمته في الميدان الأخضر / (١٦٨) وأمر بوضع المنبر وخطب له القاضي شمس الدين بن الفرائش قاضى العسكر وعاد الى القلعة طالع البهجة بهيج الملعة وانهب سباطه العام على رسم الأتراك واكابر الأملاك ثم حضرنا على خوانه الخاص وما وضع بشره وأوضوع نشره وأضحك سنه وأبرك يمنه وفي يوم الاثنين ثانى أيام العيد بكر وركب وكان الفلك بتسييره جار والطود الثابت (يمر من السحاب (١٤)) في وقار ودخل الميدان والعظماء يسنايرونه والفهماء يحاورونه وفيهم همام الدين مودود وهو في الاكابر الاكارم معدود وكان والى حلب فقاتل لنور الدين في كلامه عظة لمن يغتر بأيامه : ترى نكون ههنا في مثل هذا اليوم من العام القابل فقاتل نور الدين مامعناه قل هل نكون بعد شهر فان السنة بعيدة فجرى على منطقهما ما جرى به القدر الساكت فان نور الدين لم يصل الى الشهر وهمام الدين لم يصل الى العام . ثم شرع نور الدين في اللعب بالاكرة مع خواصه فاعترضه في حاله أمير آخر برتقش وقال له : بائس فأحدث له الغيظ والاستيحاش واغتاز على خلاف مذهبه الكريم وخلقه الحليم وزجره ونهره وساق ودخل القلعة ونزل واحتجب واعتزل ولا شك ان المرض تمكن منه وهو واكب عن اظهار ما به ناكب فبقى اسبوعا في منزله مشغولا بنازله والناس لا هون بالختان فما انقضت تلك الاقراخ الا بالانتراج وما انقضى ما اتيح من السرور الا بظهور القضاء المتاح وما نهض الجناح الا منهاض الجناح وما صلح الملك بعده الا بالملك العلاج .

(١٢) في الاصل .. الطبق والضبط من الروضتين (٢) ١ - ٢ - ٥٧٩

(١٣) سورة طه اية رقم ٥٩

(١٤) سورة النمل اية رقم ٨٨

نكر وفاة الملك العادل نور الدين محمود بن زنكى بن آقسنقر رحمه الله بقلعة دمشق

قال : واتصل مرض نور الدين واشار عليه الاطباء بالفصد فامتنع ، وكان مهيبا فما روجع وانتقل يوم الأربعاء حادى عشر من شوال من مرتع الفناء الى مرتع البقاء ولقد كان من أولياء الله المؤمنين وعباده الصالحين (١) وكانت له صفة فى الدار التى على النهر الداخلى الى القلعة من الشمال وكان جلوسه عليها فى جميع الاحوال فلما جاءت سنة الزلزلة بنى بازاء تلك الصفة بيتا من الأخشاب فهو يبيت فيه ويصبح ويخلو بعبادته ولا يبرح فدفن فى ذلك البيت الذى اتخذته حمى من الحمام واذن بناؤه لبانيه بالانهدام (٢) . واخرجوا يوم وفاته الملك الصالح وهو مجزور الذوايب مشقوق الجيب حاف حاسر واجلسوه فى الايوان الشمالى على التخت والدست الباقى من عهد تاج الدولة تنش فوقف الناس يضطربون ويضطرمون ولما كفن ودفن حضر القاضى كمال الدين وشمس الدين محمد بن المقدم وجمال الدولة ريحان وهو اكبر الخدم والعدل ابو صالح بن العجمى أمين الأعمال والشيخ اسماعيل خازن بيت المال وتحالفوا على ان تكون آراؤهم واحدة وايديهم متساعدة وان ابن المقدم مقدم العسكر .

قال : وأنشأت فى ذلك اليوم كتابا عن الملك الصالح الى صلاح الدين ترجمته (٣) ولده اسماعيل بن محمود ومفتحه (٤) اطال الله بقاء مجلس سيدنا الملك الناصر السيد الاجل وادام سموه وعظم أجرا وأجره فى والدنا السعيد الملك العادل . ومنه واجتمع أمراء الحضرة وممالك الدولة وأنشاء النعمة وأولياء الطاعة وارقاء الخدمة على البيعة المؤكدة والايمان المغلظة والمواثيق المستحكمة بعقائد متعاقدة على الصفاء وأعضاء متعاضدة

(١) يضيف أبو شامة .. وصارت الى جنات عدن اعدت للمتقين .
الروضتين (٢) ١ - ٢ ٥٧٥ .

(٢) بعدها يضيف أبو شامة :
عجبت من الموت كيف اهتدى الى ملك فى سجايا ملك
وكيف سوى الفلك المستدير فى الأرض والأرض وسط الفلك
الروضتين ١ - ٢ - ٥٨١

(٣) يعنى بكلمة ترجمة هنا - التوقيع وامضاء الملك الصالح .

(٤) يقصد بهذا بداية الخطاب .

بالوفاء وحلف الأصاغر والأكابر والغايب والحاضر والبادي والحاضر واذعنت
الرعوس (وعنت الوجوه (٥)) وسكنت النفوس وعمت بركات الوالد السعيد
رحمه الله في ثبات ملكه أو ان زلزال طوده الشامخ وسكون الدهماء (١) بعد
حال تخلخل عزه الباذخ . ومنه وما ههنا ما يشغل السر غير شغل الفرنج
خذلهم الله وقد عرف السيد أدام الله علوه ما يتعين عليه في مثل هذا
الخطب الملم واليوم المدلهم من كل ما يعرف من خصوص وفائه وخلوص
ولائه وطيب المحند وزكائه وكرم النجر وسنائه فما كان اعتماد مولانا السعيد
الملك العادل رضى الله عنه الا عليه وسكونه اليه الا لمثل هذا الحادث
الكارث فقد أدخره لكف أنياب النوايب وأعدده لحسم أدواء المعضلات اللوازم
والملة ليومه وغده ورجاء لنفسه وولده ومكنه قوة لعضده وايدا ليده .

قال : واتفق نزول الفرنج بعد وفاة نور الدين على التفرق وقصدهم
بانياس ورجوا ان يتم لهم الأمر ثم ظهرت خيبتهم وبيان اليأس وذلك ان شمس
الدين بن المقدم خرج وراسل (٧) الفرنج وخوفهم بقصد صلاح الدين /
(١٦٨ ب) بلادهم وأنه قد عزم جهادهم وتوصلوا وتكلموا في الهدنة وقطع
مواد الحرب والفتنة وحصلوا بقطيعة استعجلوها عدة من أسارى الفرنج
استطلقوها وتمت المصالحة وعقدت بعد المصافاة المصافحة .

قال : وانشأت في ذلك كتابا الى صلاح الدين بما تم من المصالحة
في ثالث ذى الحجة في الاعتذار عن ترك اعلامه بالحال ومنه . اتفق عند
الصدمة الأولى من الحادثة الكارثة نزول الفرنج على بانياس في أعداد من
الخيول والرجل خارجة عن حسد القياس على حين غفلة من أهلها وقلة من
ذخيرتها وخيموا على حزنها وسهلها ولم يسع الوقت لمكاتبة المجلس العالي
ثانية وظننت أن الأولى كافية ولاعنة عزايمة الى نجدتنا ثانية فأخبار الكفار
ليست بخافية .

كتاب بالانشاء الفاضلى عن الملك الناصر تعزية للملك الصالح بوفاته
والده رحمه الله أوله :

(٥) (وعنت الوجوه للحى القيوم وقد خاب من حبل ظلما) سورة
طه — آية رقم ١١١ .

(٦) في الأصل غير واضحة وكذا يستقيم المعنى .

(٧) في الأصل — وإراسل .

« لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة » (٨) انزل الله الصبر وضاعف التأييد والنصر بالجناب العالى الملكى الصالحى وبيته فى محل الامتحان والاختيار وبصره بحجة التذكر والاستبصار واخلفه بخالصة ذكرى الدار والهمة تدرس (٩) قوله (انما هذه الحياة الدنيا متاع وأن الآخرة هى دار القرار (١٠)) وهناه بالملكة التى اقتعد ذروتها وعلا محلها واحتلى عقيلتها وكان كفوها وبعلمها وأورثه سريره وسريره وكان أحق بها وأهلها أن تعاطى الخادم الإبانة عما دهمه من ألم الفجيعة الفظيعة والمصيبة التى رمت القلوب بالسهام المصيبة احتاج الى خاطر حاضر ولب حاضر وبيان جار وبيان محار وهيئات فالقلوب بأسرها فى أسرها والعقول بجمعها معقولة من سمعها والصدور بالهجوم مملوءة والوجوه بالوجوم مملوءة ليوم سرت الحادثة فيه مسرى الزلزال هز أعطاف كل بلد وطلع مطلع الكسوف بذ الأنوار عن كل عين ويد واستوى الخلق فيه فمن المعزى واعتدى الحق فيه بين الحزن المجتمع والشمل المجزى ياله ناعيا فجع الاسلام باسكندره فتوحا وجنودا وبحضرة ذكر مثله فى الطيب وخلودا (انا لله وانا اليه راجعون (١١)) قول من عز جزاؤه وصدع قوله وتفرقت أجزاءه وصبر مغلوبا ويرجو أن يكون على الله جزاؤه ، ولو وقى من الحمام واق أو آخر أحد من العمر فوق المقسوم قدر فواق لوفى تلك الروح الكريمة ذلك الفعل الكريم ، وتلك اليد التى ما اظلم الخطب البهيم الا طلعت بيد كيد الكريم ولكنه القدر الذى يتجرا (١٢) على الجازع والصابر والمشرع الذى يؤلف بين الوارد والصادر والقضاء الذى يسوق الخلق الى الصعيد الواحد والمواعد الذى لا يجزى فيه والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والد حتى يرث الله الأرض ومن عليها ويعيد الخلق منها اليها ، واذا ودعنا الدارج رضوان الله عليه بلا حول ولا قوة الا بالله فاننا نستقبل القايم بالحمد لله شكرا على بقاء من وهب وصبرا عن لقاء من ذهب ، فان تضى أجل فقد تضى أمل ، وان صدع القلوب وجل فقد جبرها جذل ، وان خر جبل فقد علا والحمد لله جبل ، وان ظم جانب من المجد فقد سلم جانب ، وان اغل طالع من سماء المجد فقد طلع

(٨) سورة الاحزاب آية رقم ٢١

(٩) فى الأصل — تدرس

(١٠) سورة غافر آية رقم ٣٩ .

(١١) سورة البقرة . آية رقم ١٥٦ .

(١٢) فى الأصل غير منقوطة .

غارب ، وان غارقنا العز عقدا فقد وهن منه العظم فقد استأنفناه عقد قد راق منه النظم ، وان استقل سرير الفنا بمودعه راحلا فقد استقبل بمودعه نازلا لاجرم انه سد ظم الرزية (١٣) واطلع التهنية آخذها باعناق التعزية يلتقى اللفظان فيصطرعان ويحل الضدان في القلب وعجا لهما في محل واحد كيف يجتمعان حتى اذا تؤمل ثواب الله الذى تقدم عليه القادم وسلطان الله الذى قدم اليه القايم زادت السلوة ورجحت واحتجبت الايام به ونجحت وكادت العيون تسترجع ماءها الذى سمخت والقلوب تنسخ آية السلو التى قال قابيل الا انها نسخت وهذه الخدمة ناييه عنه في العزاء بهذه الناييه وفي الهناء بالموهبة الثانية وللدولة من الخادم يدان فان انقبضت فعلى قايم سيف نصرها وان انبسطت فبالعطاء الذى به قيام أمرها ، وعينان عين تكلوها على البعاد وعين لولا استزادة طيف مفقودها ما صافحت يد الرقاد .

ومنه اصدرت هذه الخدمة يوم الجمعة التى اقيمت فيه الخطبة بالاسم الكريم وصرح فيه بذكره في الموقف العظيم والجمع الذى لا لغو فيها ولا تأثيم (١٤) وأشبه يوم الخادم أسسه في الخدمة ووفى ما لزمه من حقوق النعمة وجمع كلمة الاسلام عالما أن الجماعة رحمة والله تعالى يأخذ ملك المولى الملك الصالح ويصلح به / (١٦٩ ١) وعلى يديه ويؤكد عهد العلماء الراهنة لديه ويجعل للاسلام باقية واقية عليه ، ويوفق الخادم لما ينويه من توثيق سلطانه وتشبيده ومضاعفة ملكه ومزيده وييسر مثال كل أمل صالح وتقريب بعيد .

قال : ولما وصل سلاح الدين ما كتب اليه من الكتب الصالحة لم يعجبه ما جرى مع الفرنج من المهادة والمهادنة وتأثر قلبه بما آثرته قلوبهم وكيف اندملت ندوبهم فكتب الى جماعة (١٥) من الاعيان بالشام كتباً دالة على التوبيخ واللام .

قال : ولما توفي نور الدين رحمه الله اختل أمرى واعتل سرى وفاس دمعى وغاض بحرى وغلب حسادى وبلغ مرادهم أضدادى . وكان

(١٣) في الأصل الرزية وكذا يتطلب السياق .

(١٤) سورة الطور ٢٣ . يتنازعون فيها كاسا لا لغو فيها ولا تأثيم .

(١٥) اضافة يتطلبها السياق .

الملك الصالح صفيرا فصار العدل ابن العجمي وزيرا وتصرف المخالفون
فى الخزانة والدولة كما ارادوا وولوا وصرفوا ونقصوا وزادوا واقتصروا
بى على الكتابة محروم الدعوة من الاجابة فمشيت امرهم على عرج وتجلدت
على كربهم منتظر فرج وفى عزمى العودة الى العراق وشاقتنى اليه لاعمج
الاشواق ومما نظمته فى تلك الايام قبل الخروج من دمشق فى العشرين من
ذى الحجة فى الشوق والحنين ومرثية نور الدين :

ترى يجتمع الشمل ترى يتفق الوصل ترى العيش الذى مر مريرا بعدهم يحلو
ترى من شاغل الهم مؤايدى المبتلى يخلو بغيرى شغلوا عنى وعندى بهم شغل
وكانوا لا يملون فما بالهم ملسوا وراموا سلوة المغم والمغم لا يسلو
ترى يرجع من طيب زمانى ذلك الفضل أخلاى ببغداد وهل لى غيركم خل (١٦)
هبوان الفيه منكم فبالارواح ما تعلوا اعيذونى من الهجر فبهجرانكم قتل
لقتسد الملك العادل ييكى الملك والعدل
وقسد اظلمت الانساق لا شمس ولا ظل
فاين الكرم والعدل واين النافل الجزل (١٧)

قال : وكانوا لضعف وثوق بعضهم ببعض يتبعون ما ابرموه امس فى
يومهم بنقض ولهم كل يوم قسم جديد على قسم حدوده ويمين يمين الحالف
بها لا محسالة بما شرطوه فيها من القتال واكدوه وكم عقدوا ما حلوه
وحلوا ما عقدوه .

قال : وكان الامر كمشتكين النايب قد سمع بمرض نور الدين فاخفاه
واستأذن فى الوصول الى الشام فاذن له سيف الدين غازى وخرج وسار
مرحلتين وسمع النعى فاعذ (١٨) السير ونجا بهاله وندم صاحب الموصل على
الرضا بترحاله وكان عنده بوفاة عمه بشاره وظهرت على صفحاته منها
اماره فنودى فى الموصل يوم ورود الخبر بالفسحة فى الشرب جهارا وزال
العرف وعاد النكر وانشد قول ابن هانئ :

(١٦) فى الأصل .. اخل

(١٧) قصيدة طويلة ذكرها ابو شامة وتتضمن هذه الابيات .

الروضتين (٢) ١ - ٢ - ٥٨٨ .

(١٨) الاغذاء فى السير هو الاسراع فيه . انظر لسان العرب

٣ - ٥٠١ .

فلا تسقني برا فقد أمكن الجهسر

وقيل انه اخذ المنادى على يده دفا وعليه قدح وزمر وزعم انه خرج بها أمر فلا حرج على من يفنى ويشرب ويسكر ويضطرب وعادت الضرائب والمكوس .

واما كمشتكين فانه وصل الى حلب واجتمع هناك بالأمير شمس الدين على واخيه (١٩) مجد الدين ابي بكر وهو رضيع نور الدين وقد تربى معه ففوض اليه جميع مقاصده وحكمه في ملكه وكانت حصونه به محصنة ومعاقدة معاقلة بشره مبرمة وكان يسكن معه في قلعة حلب ، وشييزر مع أخيه شمس الدين على ، وقلعة جعبر (٢٠) وتل باشر مع سابق الدين عثمان (٢١) ، وحارم (٢٢) مع بدر الدين حسن وعين تاب (٢٣) وعزاز نوابه فيها وهو يصونها ويحميها ، وهم أعيان الدولة وأعضاها وأبدال أرضها وأوتادها فلما توفي نور الدين رحمه الله لم يشكوا في أنهم يكتلون بولده فأقام شمس الدين على وهو أكبرهم وأنبههم وأجودهم وأوجههم ودخل قلعة حلب وسكنها وعرف ما جرى بدمشق من الاجتماع واتفاق نوى الاطماع فكاتبهم وأمرهم بالوصول اليه في خدمة الملك الصالح ونفذ ثم استقر الأمر المحوط واستحكمت الأسباب والشروط وحمل المال وحسنت الأحوال واستمر الأمر وسكن الدهر الى أن قصد الفرنج تلك الديار وسيأتى شرح ذلك في موضعه ان شاء (٢٤) الله تعالى .

(١٩) في الاصل : اخوه .

(٢٠) تقع على الفرات بين بالس والرقعة . كانت تسمى قديما دوبر ، قيل سميت قلعة جعبر لان صاحبها كان يسمى جعبر بن مالك ملكها نور الدين في ٥٦٣ هـ معجم البلدان ٢ — ٨٤ — ٨٥ . قمارن حاشية رقم ٤ في الروضتين (٢) ١ — ١ — ٢٩ .

(٢١) في الأصل عثمان .

(٢٢) حارم حصن وكورة من أعمال حلب تجاه انطاكية ، انظر معجم

البلدان ٢ — ١٨٤ .

(٢٣) قلعة حصينة ورستاق بين حلب وانطاكية وكانت تعرف بدلوك

معجم البلدان ٣ — ٧٥٩ .

(٢٤) في الأصل انشاء .

نكر تيسير فتح قلعة جعبر

قال : كان صاحبها شهاب الدين مالك (١) بن علي بن مالك من آل عقيل من بني المسيب نازلا منها في مناط الكوكب سامي المرتى / (١٦٩ ب) والمرقب وهى التى قتل زكى بن اقسنقر (٢) وهو على حصارها وتحقق عند الناس ان القدر من انصارها . فاغتر برقعات عيون الليلالى عنه ونزل فيها مسترسلا وقصد أن يتصيد فتقنصه بنو كلب وتقربوا به الى نور الدين وذلك في رجب سنة ثلاث وستين فلم يزل عنده بحطب محبوسا وبعين حفظه محروسا فتارة يرغبه وآونة يرهيه ، مرة يعده ودفعة يوعدة . وسير فخر الدين بن مسعود الزعفرانى فحصرها ودام الحصار وابطأت في استفتاحها الاقدار ومضى مجد الدين أبو بكر أكبر أمراء نور الدين وهو رضيعه وصنيعه فلم ير له في فتحها مجالا فلم يزل يتوسط مع صاحبها حتى اصحب بعد جهاحه واشتط فيما اشترطه من اقتراحه وهو سروج (٣) بأمواله والمלוحة (٤) وأدوم (٥) والباب (٦) بأمواله وعشرون ألف دينار فاذا تعجل له ذلك كله وحصل من اليمين على استظهار سلم القلعة عن اختيار منه وايثار فأخذ جميع ما شرط وسلم القلعة في صورة مكره لا في صورة مختار .

قال : ودخلت سنة أربع وستين وخمسائه وتسلم مجد الدين قلعة جعبر وصعد اليها يوم السبت منتصف المحرم ووصل كتابه الى حلب فسار نور الدين وانا في خدمته وطلع الى القلعة يوم الخميس العشرين من المحرم فأنشدته هذه القصيدة قلت ومنها .

اسلم لبكر الفتوح مفترحا ودم للملك البلاد منزعجا

- (١) انظر ابن الاثير — الكامل ١١ — ٢٢٠ وما بعدها .
- (٢) في الأصل — قسنقر .
- (٣) بلدة قريبة من حران من ديار مضر معجم البلدان ٣ — ٨٥ .
- (٤) الملوحة بالفتح ثم تشديد اللام وضمها وحاء مهملة . قرية كبيرة من قرى حلب معجم البلدان ٤ — ٦٣٨ .
- (٥) بقرب العمق ويظن انه جبل . معجم البلدان ١ — ١٦٩ .
- (٦) يعرف بباب بزاغة بليدة في طرف زادى بطنان من أعمال حلب بينها وبين منبج نحو ميلين والى حلب عشرة أميال وهى ذات أسواق . معجم البلدان ١ ص ٤٣٧ .

كان مقيما منها على الفلك الأعلى شهابا بنسوره ضدها
لكنهما الشهاب ما تفر إذا لاح عمود الصباح فانسطعا
يدفعهما طايما اليك وكم عنها أبا بجهده دفعا (٧)

ذكر مسير الفرنج الى مصر

قال : كانت الفرنج في النوبتين اللتين استعان بهن شاور على أسد الدين
قد شاهدوا الديار المصرية واطلعوا على العورات وكشفوا المستورات
وطعموا في البلاد وتجمعوا لها بالاحتشاد وتوجهوا اليها سايرين وشايعتهم
على قصدهم من أعيان مصر جماعة ما كانت للمصريين عليهم طاعة وشاوروا
الفرنج على شاور لأنهم أعداؤه وقد أعياهم (١) دواء وهم ابن الخياط وابن
قرجلة وامثالهم وتوجهوا من عسقلان في النصف من المحرم ووصلوا الى
بلييس أول يوم من صفر واستولوا على أهلها قتلا وأسرا وأقاموا بها خمسة
أيام ثم أناخوا على القاهرة في عاشر صفر وأحرق شاور مصر في اليوم
التاسع منه وخاف عليها من الفرنج وبقيت النار تعمل فيها الى خامس شهر
ربيع الآخر وكان غرضه ان يأمن عليها من العدو الكافر (٢) ثم ضاق الحصار
وعرف شاور أنه يضعف عن الحماية وأن يبدأ الحفظ لا يصل الى الغاية فشرع
في تمحل الحيل فأرسل الى ملك الفرنج يذل له المودة وقال امهلني حتى
أجمع لك الدنانير وأطعمه في ألف ألف دينار معجلة ومنجمة ثم قال له :
ترحل عنا وتوسع الخناق وتظهر الإرفاق وعجل له مائة ألف دينار حيلة
وخداعا وواصل بكتبه الى نور الدين مستصرخا ومستنفرا وبما نال الاسلام
من الكفر مخبرا وسير الكتب مسودة بمدادها كاسية لباس حدادها وفي
طيها ذوايت مجذوة ظن أنها من شعور أهل القصر للأشعار بما عراهم من
بليه الحصر وأرسلها تباعا ورادف بها (٣) نجابين سراعا وعامل الفرنج
بالمطال وبالارسال بعد الارسال حتى أتى القوت ولما سمع أسد الدين
بخبير الفرنج ساق من حمص في ليلة واحدة الى حلب وقال لنور الدين
ان الفرنج قد استحكم في البلاد المصرية طمعهم ، وليس ستواك في الوجود

(٧) انظر الروضتين (٢) ١ — ٢ — ٣٨٧ — ٣٨٨ .

(١) في الأصل — أعداهم .

(٢) في الأصل : والكفار ، والواو زائدة .

(٣) في الأصل : بين .

من يرحمهم(٤) ومتى تجمع العسكر وكيف تدفعهم فقال له : ان خزائني لك
فخذ منها ما تريد وأطلق له في العاجل مائتي ألف دينار وأمر خازنه ولى
الدين اسماعيل بأن يوصل اليه كثير ما يلتمسه والقليل . فمضى نور الدين
لتسلم قلعة جعبر ومضى أسد الدين وحشد التركمان ولما عاد استقل
نور الدين الى دمشق وقدم صلاح الدين اليها السبق وكان وصوله اليها
بكرة الأحد التاسع والعشرين من صفر وخرجنا الى الفوار وأسد الدين
هناك في العسكر الجرار وأطلق لكل فارس عشرين ديناراً(٥) وعرضنا أكثر
من خمسة آلاف / (١٧٠) من الرجال الأبطال وأضاف اليهم نور الدين
ألف فارس(٦) من أمراء مماليكه عز الدين جرديك وغرس الدين(٧) قلع ومن
أمراء خواصه عين الدولة ابن كوخات وبنال بن حسان ومن(٨) شذعن
ذكرهم واجتمع في يوم كتاب الديوان والبيوت والأمراء وركبت العساكر في
تلك الصحراء في عددهم الموفورة واللويته المنشورة فعرضناهم في ساعة
واحدة بأقلام متعددة ورحلوا على قصد مصر في نصف شهر ربيع الأول
وخيم نور الدين فيمن أقام معه برأس الماء نازلاً بمنزلة الفقير(٩) على تلها
مقيماً الى أن يأذن الله في تلك العقدة بحلها فوصل المبشر برحيل الفرنج من
القاهرة عند وصول خبر وصول العسكر فسيرنا(١٠) كتب البشائر بالفتح
والظفر .

نكر ما اعتمده أسد الدين عند وصوله الى مصر وكان وصوله اليها في سابع عشر ربيع الآخر

قال : ولما سمع الفرنج نهوض عسكر الاسلام اجفلوا اجفال النمام

(٤) في الأصل يزحهم .

(٥) انظر

H. A. R. Gibb; The Armies of Saladin, Studies on Islamic
Civilization, pp. 47 : 90.

(٦) جاء زائدة في الأصل .

(٧) انظر النواذر ص ٥٣ — حاشية رقم ٤ . وقد ورد في هذه
الصفحة اسم غرس الدين وفي الحاشية ورد عز الدين .

(٨) في الأصل — وكما .

(٩) في الأصل : الفصيح

(١٠) في الأصل : فسرنا وكذا يستقيم الكلام .

ورحل ملكهم الى بلييس ثم عاد الى الساحل ودخل أسد الدين في التاسع (١) منه الى الايوان وخلع عليه وفي العاشر منه نزل أهل مصر الى مصر وسكنوها وتودد شاور الى أسد الدين وتردد وتجدد بينها من الوداد ما تأكد فقتل صلاح الدين هذا أمر يطول ومسألة (٢) فرضها يعول ومعنا هذا العسكر الثقيل ولا استيلاء مع استيلاء شاور ولا سيما اذا راوغ وغارر (٣) فأنفذ (٤) أسد الدين الفقيه عيسى (٥) الى شاور وقال : أخشى عليك ممن معى من الناس فلم يكثر بمقاله وركب على سبيل انبساطه واسترساله فاعترضه صلاح الدين في الأمراء النورية فبغته وشحته (٦) وقبضه وأثبتته ووكّل به في خيمة ضربها له وحاول امهاله فجاء من القصر من يطلب برأسه ، جاء الرسول بعد الرسول وأبوا أن يرجعوا الا بنجح السؤل فحم حمامه وحمل الى القصر هامة وذلك يوم السبت سابع عشر ربيع الآخر وتقلد أسد الدين الوزارة واستقل بأوزارها وعاد بالقاهرة الى دارها ونعت بالملك المنصور ولما جاء البشر الى الشام كتبت اليه أهنيه بقصيدة أولها :

بالجد أدركت ما أدركت لا اللعب كم راحة جنيت من دوحة الشعب
افخر فان ملوك الأرض قاطبة أفلاكها منك قد دارت على قطب
فتحت مصر وأرجو أن يصير بها ميسرا فتح بيت القدس عن كتب (٧)

(١) قارن الروضتين (٢) ١ — ٢ ٣٩٨ اذ يقول : ودخل أسد الدين في الرابع من شهر ربيع الآخر ... ومن المرجح أن يكون التاريخ الذى ورد في أبى شامة غير صحيح لأن مختصر البرق يقول : ودخل في التاسع .. وخلع عليه في العاشر ... وقد كانت وزارته شهرين وخمسة أيام تبدأ من ١٧ ربيع الآخر وتنتهى في ٢٢ جمادى الآخرة وهذا يؤكد صحة التاريخ الوارد هنا (٢) في الأصل : وسئل الضبط من الروضتين (٢) ١ — ٢ — ٣٩٨ .
(٣) الأصل : غاؤز . والضبط من نفس المصدر نفس الصفحة .
(٤) نفذ . هكذا وردت في الأصل والضبط في نفس المصدر نفس الصفحة .

(٥) هو أبو محمد عيسى بن محمد بن عيسى بن محمد بن أحمد ابن يوسف بن القاسم بن عيسى بن محمد . ويقال له الهكاري الملقب ضياء الدين . توفى في ٦٣٦ هـ وقال ابن خلكان أنه حضر الصلاة عليه . انظر ترجمة له في ابن خلكان وفيات الأعيان ١ — ٥٠٢ — ٥٠٣ .
(٦) في الأصل : وتحتة .

(٧) قصيدة طويلة ذكرها أبو شامة . انظر الروضتين (٢) ١ — ٢ .
٤٠٣ — ٤٠٤ .

وكتب الى صلاح الدين كلمة اولها :

لو أن عذرى لك يالاح لاح ما كنت عن سكرى ياصاح صاح
وما شقائى وسقامى سوى لواحظ الفيد المراض الصاح

قال : وكتب لأسد الدين منشورا من القصر كتب العاضد فى طرته بخطه
هذا عهد لا عهد لوزير بمثله وتقلد أمانة رآك فلان (٨) أهلا لحملها (٩) فخذ
كتابك بقسوة واسحب ذيل الفخار بأن اعتزت خدمتك الى بنوة النبوة
واتخذ للفوز سبيلا (ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله
عليكم كفيلا (١٠)) .

نكر وفاة أسد الدين

يوم الأحد الثانى والعشرين من جمادى الآخرة

وولاية صلاح الدين فى الخامس والعشرين منها

قال : ولما تسنى أمر أسد الدين وعلا سنا سلطانه وملك بملكه
زمام زمانه وقر غرار الكرى وغرار الظبى فى اجفانه فاجأه القدر وجاءه
الكدر فى صفائه وقضى القضاء لأمل بانقضائه فخدمت ناره وغاض ماؤه وتوفى
يوم الأحد الثانى والعشرين من جمادى الآخرة .

ولما فرغ العسكر بعد ثلاثة أيام من التعزية اختلفت آراؤهم واختلطت
أهواؤهم فاجتمعت الأمراء النورية على كلمة واحدة وايد متساعده وعقدوا
لصلاح الدين وقالوا هذا مقام عمه وألزموا صاحب القصر بتوليته وتادت
السعادة بتبليته ، وشرع فى ترتيب الملك وتربيته ، وفرض ختوم الخزائن وفرق
ما جمعه أسد الدين فى حياته ، ورأى أولياءه (١) تحت ألويته وراياته وأحبوه
ولم تزل محبته غالبية على مهلبته وهو يبالغ فى تقرييهم كأنهم ذوو قرابته
وما زاده الملك الا ترفعا وما زاده (٢) الا تأصلا فى السماح وتفرعا . وكتب

(٨) يقصد الخليفة العاضد .

(٩) فى الأصل : لحمله .

(١٠) سورة النحل . آية رقم ٩١ .

(١) فى الأصل أوليائه .

(٢) فى الأصل هاء ناتئة .

له العاضد من القصر منشور الوزارة / (١٧٠ ب) ولقبه بالملك الناصر ومن الفاظ هذا المنشور في مخاطبة صلاح الدين : فيومك واسطة في المجد (بين يدك (٦)) فامسك وكل ناد من أندية الفخار لك أن تقول فيه ولغيرك أن يمسك فبشرأك أن انعمه منكم موصولة بوالد وولد وأن شمس ملكه بكم كالشمس اقوى ما كانت في بيت الأسد .

قال : وكان بالقصر استاذ(٤) له على حكم القصر استحواز وبدأ من شرار شره دخان ومن رشاش كيده رذاذ ، وتآمر(٥) هو ومن شايعه على أن يكتبوا الفرنج مכתوبات بالاستدعاء وسيروها على سبيل الخفاء فاتفق أن رجلا من التركمان عبر بالبيضاء(٦) فرأى نعتين جديدين مع انسان فأخذهما على سبيل الامتحان . وقال : لو أنهما للبسه لكان بهما أثر استعمال فأخذهما وجاء بهما الى صلاح الدين ووصف الحال فامر بنقبهما ووجد في طيهما أحرفا مكتوبة(٧) مكتومة وتأملها فاذا هي للفرنج(٨) من القصر وكان مقصودهم أن صلاح الدين اذا سمع بخروج الفرنج خرج الى القتال ويخرجون وراءه لانتهاؤه ويقدم الفرنج على لقائه ويأخذون امامه والمصريون من ورائه فأخذ الكتاب وقال : دلوني على كاتب هذا فدلوه على يهودى من الرهط فلما احضروه ليسألوه ويعاقبوه قدم التلغظ بالشهادتين والدخول في عصمة الاسلام ثم اعترف بما جناه وأن الامر به مؤتمن الخلافة فرأى اخفاء هذا السر واستشعر الخصى فما صار يخرج من القصر مخافة واذا خرج لم يبعد مسافة وصلاح الدين عليه مغضب وعنه مغض الى ان استقرسل . وكان له قصر يقال له الخرقانية(٩) فخلا فيه يوما للذة له ولم يدر انه يوم ذلته فانهض اليه صلاح الدين من اخذ رأسه ونزع من حياته

(٣) ما بين الحاصرتين مطموس في الاصل .

(٤) يقصد مؤتمن اخلافة .

(٥) في الاصل .. تومر .

(٦) قرية قريبة من بلبيس — تعرف الآن بعزبة أبى حبيب ، محافظة الشرقية .

(٧) في الاصل : حرف .

(٨) في الاصل .. من الفرنج المضبط من الروضتين (٢) ١ — ٢٠١

(٩) من قرى محافظة القليوبية قريبة من القناطر الخيرية .

لياسه وذلك في يوم الأربعاء العشرين (١٠) من ذى القعدة سنة أربع وستين . ولما قتل ثار السودان وثاروا يوم الخميس يوم قتله وكانوا أكثر من خمسين ألف من كل اخضر ينظر من عينه الموت الأحمر ، وأغبر لا يجلوه الا اليوم الأغبر . وكانوا اذا قاموا على وزير قتلوه فحسبوا ان كل بيضاء (١٢) شحمه وان كل سوداء فحمة فأقبلوا ولضرامهم حجه ولضرامهم فحمة فقال اصحابنا : هذا مبدأ الروع وريعانه وعنفوان العنف وعنوانه فهاجوا الى الهيجاء وكان المقدم الأمير أبو الهيجاء السمين فاتصلت الحرب بين القصرين وأحاطت العسكرية بهم من الجانبين ودام الشر يومين حتى أحس الاساحم بالحين وكلما لجأوا الى محلة أحرقوها عليهم وحسوا ما حواليتهم وأخرجوا وأخرجوا الى الجيزة وأذلوا بالنفس عن منازلهم العزيزة وذلك يوم السبت الثامن والعشرين من الشهر فما خلا السودان بعدها من الشدة ولم يجدوا الى الخلاص سبيلا وأين ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا . وسير نور الدين الأمير فخر الدين تورانشاه بن أيوب أخا صلاح الدين الى مصر وكان خروجه من دمشق عاشر شوال ووصله اليها ثالث ذى القعدة ورأى ان يمهده به ويشد به أزره ويصون مصر (١٢) بصفوة فخره ويستديم على الكفر والبدعة ظهوره وظهره قال : وكثرت كتب صلاح الدين الى اصدقائه بالشام فمنها كتاب وضمنه هذا البيت .

وانثر الدمع من قبل أبيضاً وقد حال مذ بنتم فأصبح ياقوتاً

(١٠) ذكرها أبو شامة في الخامس والعشرين من ذى القعدة . انظر الروضتين ١ — ٢ (٤٥١) . وذكرها ابن واصل في يوم الأربعاء لخمس بقين من ذى القعدة سنة أربع وستين وخمسمائة — مفرج الكروب ١ — ١٧٥ — ١٧٦ وهو بذلك يوافق أبا شامة ويقول ابن الأثير : في أوائل ذى القعدة قتل مؤتمن الخلافة . الكامل ١١ — ٢٢٨ . ويقول المقرئ : في يوم الأربعاء لخمس بقين من ذى القعدة . الخطط ٣ — ص ٣ ويرجح أن هذا هو التاريخ الصحيح .

(١١) مما يذكر هنا أن الفاطميين استعملوا عناصر غير عربية في الجيش الفاطمي . استعملوا السودان وغيرهم من الجند المرتقة ، وقد كانوا دائماً يمثلون عنصر شغب في الداخل . وقد شجعت عمه الخليفة المعاضد هذا العنصر وبلغت مكانتهم شأوا عظيما حتى أن استاذ القصر كان واحدا منهم .

(١٢) سبيل : وردت في الاصل . وبها لا يستقيم المعنى . انظر

الروضتين (٢) ١ — ٢ ص ٤٥١ .

(١٣) في الاصل — بمصر .

ومنها كتاب آخر ضمنه هذا البيت

ما كنت بالمنظور أقتنع منكم ولتد رضيت اليوم بالسموع

قال : وفي هذه السنة قتل العاضد بالقصر أبني شاور وعمهما يوم الاثنين رابع جمادى الآخر وذلك أنه لما قتل شاور عادوا بالقصر وكاتما نزلوا في القبر .

قال : ودخلت سنة خمس وستين ونزل الفرنج مستهل سفر على دمياط وأحاطوا بها بحرا بمرآكهم وبرأ بكتائبهم فوقع اليأس واليأس وقنطت النفوس فسبق إليها تقي الدين بن أخی السلطان وشهاب الدين خاله وتوافد إليها الأمراء فرجع إليها بعد الاشقاء الرجاء (١٤) . وأقام صلاح الدين بالقاهرة في دار ملكة ينهض إليها المدد بعد المدد واتصل الحصار واستشرى الشر لكن الاصحاب اولياء الله صبروا وصابروا وتزاوروا وأمسوا على القتال وأصبحوا وتاجروا لله وربحوا وهسدوا بنيان الكفر المرصوص المرصوف وأهلكوا بالعشرات الألوف وأقاموا على دمياط أحدا وخمسين يوما ودب فيهم الفناء / (١٧١) وهب عليهم البلاء (وذهب عنهم الرجاء (١٥)) ورحلوا عنها بالذل الاكمل والصفار الاثمل .

ولما وصل الخبر الى الشام اغتم نور الدين وأمر الأمير قطب الدين خسرو الهذباني أن يسير بالعسكر ويخوض بهم المعاجج الاكبر فوصل قبل رحيل الفرنج بأسبوع فوقع روعه من الكفر في كل روع فان للنجدة قليلة كانت أو كثيرة صيتا يورث شمل العدد تشتيتا وحبل ذي العتد تبتيتا .

قال : وكتبت عن الملك العادل نور الدين الى العاضد كتابا منه :
أطال الله بقاء فلان ولا زالت عوادي نعمه محدقة بأوليائه أحداق الاجفان بالاحداق ، وعوادي ثقه محرقة لأعدائه احراق النيران اهل الشقاق وما أعلت رايات النصر للدين وتليت آيات الذكر المبين الخادم يهنئ بما أسناه (١٦) الله من الظفر الذي أضحك سن الايمان وحصل أهل الشرك في

(١٤) قى الأصل : الدماء .

(١٥) ما بين الحاصرئين في الأصل غير واضح وكذا يستقيم السياق .

(١٦) في الأصل : سناه .

شرك الخذلان وأعاد جيش الكفر واهى الجأش وبدا الضلالة بادية الارتعاش حتى عاد حزب الشيطان مخذولا وسيف الله في رقاب أعدائه مسلولا وذلك ببركات الدولة التي سطع غورها ولولا صدق اهتمامه بأهل الاسلام وحفظ الاولياء الذين يذبون عن الدين ويحافظون على الذمام لكاد ركن الحق يميل لكيد الباطل فوفق الله فلانا وأيده بنصره وأجرى قضاءه وقدره على وفق أمره ورد كيد العدو الكافر في نحره .

قال : وفي هذه السنة كنت رسولا بخلاط (١٧) عن نور الدين وخرجت من دمشق ضحوة نهار الأربعاء تاسع عشر ذي الحجة ومثوليتها حينئذ ظهر الدين سكرمان المعروف بشاه أرمن ودخلت خلاط ثانی صفر وعدت على طريق ماردين (١٨) ومثوليتها البی بن تهرتاش بن ايلغازی ابن ارتق المنعوت بنجم الدين وعدت الى دمشق في ربيع الاول اول فصل الشتاء وعدت الى عادتي في الانشاء وكانت سفرتي في الرسالة مزوجة لم يف بشكايتها شكرنا .

قال : وفي اول هذه السنة خرج نور الدين الى داريا (١٩) فأعاد عمارة جامعها وتبرك بضريح أبي سليمان الداراني (٢٠) رحمة الله عليه وعمر مشهده وأعاد الى الحالة الحالية مسجده وشتا بدمشق . ولما دخل فصل النيروز استأذن الأمير نجم الدين أيوب في قصد ولده والخروج من دمشق الى مصر بأهله وجماعته وسبده ولبده ، وسار ووصل الى مصر في السابع والعشرين من رجب وقضى العاضد من حقه ما وجب ، وركب لاستقباله .

(١٧) خلاط بكسر أوله وهي قصبة أرمينيا الوسطى . انظر معجم البلدان ٢ — ٤٥٨ — ٤٥٩ .

(١٨) ماردين بكسر الراء والذال وهي قلعة مشهورة على قمة جبل الجزيرة مشرفة على ديسر ودارا ونصيبين . معجم البلدان ٤ — ٣٩٠ .

(١٩) من ثرى دمشق بالفوطة . والنسبة اليها داراني على غير قياس . انظر معجم البلدان ٢ — ٥٣٦ والروضتين (٢) ١ — ٢ — ٤٦٣ .

(٢٠) هو عبد الرحمن بن عطية الزاهد ويقال أصله من واسط . روى عن الربيع ابن صبيح وأهل العراق . توفى بداريا في ٢٥٣ هـ وقبره معروف بها يزار . معجم البلدان ٢ — ٥٣٦ .

وقال ابن خلكان : هو أبو سليمان عبد الرحمن بن أحمد بن عطية الداراني الزاهد . والداراني نسبة الى داريا وهي قرية بفوطة دمشق والنسبة اليها على هذه الصورة من شواذ النسب . ابن خلكان وفیات الأعيان ج ١ ص ٣٤٧ .

ولما عزم التوجه الى مصر شرع في تفريق أملاكه وتوفير ماله فيه شركة على اشراكه ، ولم يستصحب شيئا من موجوده وجعله نهبه جوده .

وكان نور الدين لما برز نجم الدين خرج الى رأس الماء بمسكركه وخيامه وأرهدف للجد في الجهاد حدد اغرامه ثم اقام بعد توديعه والوفاء (٢١) بحق تشييعه الى ان اجتمعت عليه عساكره ثم توجهنا الى بلاد الكرك مستهل شعبان ونزلنا اياما بالبقاء (٢٢) على عمان ، وكانت الشعاب معشبة والمراعى مرعة ، ثم سرنا على طريق الوالة الى الكرك واقمنا عليها اربعة ايام وقاتلناها اشد قتال ونصبنا عليها منجنيقين ورجونا ان اقمنا ان نبلغ الغرض ونؤدى في فتحها المفترض لكن وصل الخبر بان الفرنج قد اجتمعوا ووصلوا الى ماعين ففسال نور الدين نرى ان نصرف أعنتنا اليهم وبالله نستعين فرحلنا ومعنا أمراء بنى ربيعة وقد استصحبوا من العرب المشيخة الطيعة ومقدماء الفرنج هنفرى وفيليب بن الرقيق في مائتي (٢٣) رمح والف فارس من التركبولية وراجل كثير من السرجندية فلما راوا مثار عجاجنا ولوا مدبرين وقالوا : قد حصل مقصودنا من رحيلهم عن الحصن ولما عدنا وصلنا الى حوران واستقبلنا شهر رمضان فخطبنا بعشسترا (٢٤) وادينا فرض الصيام .

نكر الزلزلة التي عمت بلاد الشام

قال : واصبحنا يوم الاثنين الثاني عشر من شوال وانا في خيمتي جالس فاحسست بالأرض تحتى تموج كالبحر اذا عصفت به الرياح الهوادج فما اروعها زلزلة وأصدعها آية من الله منزلة وتواصلت الأخبار من جميع بلاد الشام بما أحدثته من الانهداد والانهدام وان مماقد ماعقلها انحلت واختلت (والقت ما فيها وتخلت) (١) فرحل نور الدين من عشسترا يوم الثلاثاء ووصل

(٢١) في الاصل : الوفا .

(٢٢) كورة من أعمال دمشق بين الشام ووادي القرى قديمتها عمان .

معجم البلدان ١ — ٧٢٨ .

(٢٣) في الاصل : ماتى .

(٢٤) موضع بحوران من أعمال دمشق . معجم البلدان ٣ — ٦٧٩ .

(١) سورة الانشقاق : آية ٤ .

الى بعلبك يوم الاربعاء وسقنا وراءه ووصلنا يوم الخميس . وقد شرع نور الدين لما تهدم / (١٧١ ب) من بنياتها في التأسيس وكانت قلعها تعلقت فأقام بنية تشييد أركانها ثم أتاه الخبر بما تم على حمص وحماه وبعرين وحلب لأن أمر الله لا سيما بحلب غلب وزرع عمارتها وسلب السلب فتقدم بترتيب أمور العمارة ، وسلم الى الثقات مالا ووكل بالعمل صنعا ورجالا ثم سار الى حمص وظهر للم (٢) شعثها الحرص . وأما حصن بعيرين (٣) فقد كان بيد الأمير زين الدين عمر بن لاجين فلما وقع سبيته وأخذ الى مصر مذهبه فانه كان صهر صلاح الدين فطلبه . ورتب نور الدين رحمه الله الأمير الكبير عين الدولة بن كوخات في خمسمائة فارس فانه كان من الفرنج على خطر فجعلهم من مجاورته على حذر . وكان الهم الكبير في حلب لانهدام مبانيها وانهداد مغانيها فوصل نور الدين اليها وجد في عمارتها وأقبل عليها ورد الى أحكم القواعد بنياتها وأما سور البلد فانه جدد منه المنهدم وكان بذلك مغرما فلم يستكثر المغرم وأخذ له في كل بلد مجلسا حتى يكون من الزلزلة بعون الله مصونا .

قال : من مكتبة أنشأتها الى المواقف المقدسة المستنجدية في المعنى قد أحاط العلم الشريف لجله الله بهذه الحادثة التي ألت بالشام من الزلزلة التي تداعت له الثغور بالانتماء والمعازل والحصون بالانهداد والانهدام ولم يكن الا (عبرة لأولى الابصار (٤)) موعظة وآية من الله لعباده منذرة موقظة وقد عمت (٥) حتى عطلت كل حال وشغلت كل بال والحققت كل جديد ببال والحمد لله على كل حال وما سكنت النفوس من رعبها الا بما دهم الكفار من أمرها فانهما وافقت يوم عيدهم وهم في الكنائس فأصبحوا للزدي قرايس (شاخصة أبصارهم ينظرون (٦)) (فخسر عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون (٧)) ولولا اشتغالهم بما عراهم حيث

(٢) في الاصل : لكم .

(٣) بليد بين حمص والساحل هكذا تتلفظ به العامة وهذا خطأ وإنما

هو بارين . معجم البلدان ١ - ٦٧٢ .

(٤) سورة آل عمران آية رقم ١٣ .

(٥) في الاصل : عمت .

(٦) سورة القلم آية رقم ٤٣ .

(٧) سورة النحل آية رقم ٢٦ .

انقلعت كل قلعة لهم من أساس بنياتها ورجف كل بلدة في أيديهم بهلاك سكانها لم تؤمن في نوبة هذه النبوة معرفتهم ولم تخش بعد هذه المصرة الا مضرتهم وان بالثغور الاسلامية شدة افتقار الى تحصينها واعادة ابنية حصونها قبل ان يستفحل الداء ويتفرغ لشغلها الأعداء وما أولى المواقف المقدسة بايلاء الأيادي واسدائها واعانة من تكفل بسد ثغور الاسلام وصد أعدائها وما أحوج الخادم الى نظرة شافية وعارضة لهذا المحذور كافية ولا ينهض بعبء هذه النوبة الا بما يرفد به من المعونة وبما يشمله من بركات الأيام الزاهرة الميمونة (٨) .

ذكر توجه نور الدين

الى الموصل بعد وفاة أخيه قطب الدين (١)

قال : فوصل الخبر بوفاة قطب الدين مودود بن زنكى بالموصل فاشفق من أمرها المهمل أن الخادم المنعوت بفخر الدين عبد المسيح (٢) قد تعرض للحكم واقام أحد اولاده وهو سيف الدين غازى مقام أبيه ليتحكم في الموصل وفيه فقال نور الدين انا أولى بالبلاد والشفقة على الأولاد وسار حتى عبر الفرات عند قلعة جعبر واستصحب العسكر وادلج ليلا وسار وأسرى وأصبح على الرقة وفيها أمير يسمى كردك فتمنع فأخذ منه البلد عنوة بالسلم شببيه واطاعه لما عجز ولم يلق كريمة . قال ودخلت سنة ست وستين : يوم نزلنا على الرقة ونور الدين ساطع النور جامع الأمور مصمم العزم آخذ بالحزم جار من عدله واحسانه على الرسم قال : واستدعاني نور الدين ونحن بظاهر الرقة وقال : قد آتست بك وأمنت اليك وأنا غدير مختار للفرقة لكن المهم الذى عرض لا يبلغ فيه غيرك الغرض فتمضى الى الديوان العزيز جريدة وتؤدى عنى رسالة سديدة سعيده وتنتهى ائنى قصدت بيتى وبيت والدى ومعنى طريقى وتالدى فامضى وخذلى اذننا فى ذلك . وامر ناصر الدين محمد بن شيركوه أن يسير بى الى الرحبة فى رجال مأمونى

(٨) يضيف أبو شامة قصيدة طويلة فى مدح نور الدين تبدأ بهذا البيت
هل لعانى الهوى من الأسر فادى ولسارى ليل الصبابة هادى
الروضتين (٢) ١ - ٢ - ص ٤٦٨ .

(١) حكم من ٥٤١ - ٥٦٥ هـ بالموصل .

(٢) وزير قطب الدين ، كان نصرانيا آذى علماء المسلمين . حاول الاستبداد بالموصل لكن نور الدين قمع محاولته .

الصحبة وسرت منها على البرية غربى الفرات بخفير من بنى خفاجة (٣) وعبرت على هيت (٤) ثم عرسنا بالانبار (٥) ورحلنا منها وجزنا على نهر شيل (٦) وعقرقوف (٧) فلما وصلنا الى قرب بغداد سرت غلامى ابراهيم ليخبر الديوان العزيز بالوصول وانتظرت ما جرت به العادة فى تلقى الرسول فجاءوا وعبروا بى الى الديوان العزيز وخصونى باسباب / (١٧٢) التمييز واجتمعت بالوزير شرف الدين بن البلدى وكانت بينى وبينه صداقة صادقة فى ايام الوزير ابن هبيرة فانه كان ناييه بواسط وانا مشرفه ثم انتقل هو الى الديوان الشريف بها ناظرا (٨) ونبت عن الوزير فمن هناك تأكدت (٩) الصداقة فما صدق كيف رأتى وبجبه وحياته حبانى وقرظنى عند امير المؤمنين وقال له بمثله لا نسمح بل يكرم ويخدم ويشرف ويمنح فاحتبسنى عنده شهرين يعنى (١٠) من الامام باجل منصبين من الانشاء والنيابة وشنفع (١١) سؤلى فى حق مخدومى بالاجابة والاصابة فقلت له اذا قضيت حق الرسالة عدت الى عدتك فى الحلية والحالة فلما مرض المستنجد بالله ورأيت مبادئ وهنه تتجدد على مر الجديدين استأذنته فى العود فأذن وسير معى فى الرسالة

(٣) ذكر ياقوت بنى خفاجة فى حديثه عن رصافة الشام وقال : وفيها دير عجيب وعليها سور وليس عندها نهر ولا عين جارية انما شربهم من صهاريج عندهم داخل السور . ولبنى خفاجة عليهم خفارة يؤدونها صاغرين . معجم البلدان ٢ — ٧٨٥ ويبدو أن بنى خفاجة كانوا على دراية بمسالك هذه المنطقة لذلك يقول النص : وعبرنا بخفير من بنى خفاجة . هذا ويرجع اصل بنى خفاجة الى اليمن . معجم البلدان ٢ — ٩٦٨ .

(٤) بلدة على الفرات من نواحي بغداد فوق الانبار . معجم البلدان ٤ — ٩٩٧ .

(٥) مدينة على الفرات فى غربى بغداد . معجم البلدان ١ — ٣٦٧ وما بعدها .

(٦) احدى ضواحي الكوفة فى ياقوت شيلى نهر من انهيار احصى ضواحي الكوفة المعروفة بشيلى معجم البلدان ٣ — ٣٥٨ .

(٧) عقرقوب كما وردت فى الاصل وردت فى معجم البلدان عقرقوف وهى قرية من نواحي دجيل بينها وبين بغداد اربعة فراسخ معجم البلدان ٣ — ٦٩٧ .

(٨) فى الاصل : ناظرا .

(٩) فى الاصل : تألذت .

(١٠) فى الاصل : غير منقوطة .

(١١) فى الاصل : غير منقوطة .

الفقيه مجد الدين اليزدى المدرس الحنفى وذلك فى العشر الاخير من شهر ربيع الأول فسلكتنا الشهباء على النهج الاسهل وجينا الى سنجار ونور الدين على حصارها وهدم اسوارها ولما فتح البلد دخله وملك من نحره منتخبه ومنتحله ثم سلم البلد الى ابن اخيه عماد الدين زكى بن مودود ولم يزل فيه لكونه خصه (١٢) مخصوصا بكل مقصود ومطلوب ثم رحل نحو الموصل وقصد بلد (١٣) واستوضح منها الجذ ونزل (١٤) هناك فى دجلة على مخاضته فاستسهل من خوضها والعبور فيها ما ظن متصعبا . وجاء دليل تركمانى قدامنا وهو يقطع دجلة تارة طولا وتارة عرضا اماننا ونحن وراءه كخيظ واحد حتى عبرنا الى الجانب الشرقى برجالنا واثقالنا واقمنا بقية ذلك اليوم حتى تم عبور القوم ثم رحلنا فنزلنا على الموصل من شرقها وخيمنا على تل توبة (١٥) فاستعظم اهلها تلك التوبة فما خطر ببالهم اننا نغير بقدر مراكب وانا نأخذ عليهم ذلك الجانب فعرفوا أنهم محصورون مقهورون وانقطعت عنهم السبل من الشرق ، وتعذر عليهم الرقع لاتساع الخرق ، وبسط العطاء وكشف الغطاء وتكلم فى المصلحة والمصالحة الوسطاء ومد الجسر وقضى الأمر وأنعم نور الدين على أولاد اخيه ومثلوا بناديه وأقر سيف الدين غازى على قاعدة أبيه والبسه التشريف الذى وصل من أمير المؤمنين المستضى وأعادته الى البلد ثم دخل قلعة الموصل من باب السرو وأقام بها سبعة عشر يوما وحدد مناشير أهل المناصب وتوقيعات دوى المراتب فأمضى قضاء القاضى حجة الدين بن نجم الدين الشهرزورى على قاعدته ونظر فى أحوال الموصل ومعاملاتها ووجوه أموالها وجبااتها فألقى معظمها محظورا محظورا متقدما باستقاطها وإطلاق قناتها وأمرنى فكتبت بذلك منشورا .

(١٢) فى الأصل : خصه .

(١٣) ربما قيل لها بلط بالطاء . اسمها بالفارسية شهر أبازا على نهر دجلة قريبة من الموصل : معجم البلدان ١ — ٧١٥ .

(١٤) فى الأصل : وذل .

(١٥) موضع مقابل مدينة الموصل فى شرقى دجلة متصل ببنينوى معجم البلدان ١ — ٨٦٦ .

تكر الشيخ عمر الملا (١)

قال : كان بالموصل رجل من شيوخ الصالحين وائمة العارفين يعرف بممر العلاء وكان العلماء بل الملوك والامراء يزورونه في زاويته وله كل سنة دعوة في أيام مولد النبي صلى الله عليه وآله وسلم يحضره فيها صاحب الموصل ويحضر الشعراء وينشدون في ذلك المحفل في مدح النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكان يخرجه لهم جوايزهم . وكان نور الدين من اخلص محبيه وأحب مخالفيه وكان يستشير به ويكاتبه ، وكان بالموصل خربة واسمة متوسطة للبلد وقالوا ما شرع في عمارتها الا من ذهب عبره فأشار الشيخ عليه بابتياعها وبناؤها جامعا تقام فيه الجمع والجماعات فانفق فيها اموالا جاوزت حدد الغزارة ووقف عليها ضيعة من ضياع الموصل . وكان الفقيه عماد الدين النوقاني الشافعي تلك السنة من الوافدين الى الشام وكان من اكابر علماء الاسلام من اصحاب محمد بن يحيى ومعاصريه فسأله ان يكون مدرسا في هذا الجامع فقال : وكتبت له منشورا عند عودنا الى دمشق بذلك في سنة سبع وستين . قال وحضر مجاهد الدين قايماز (٢) صاحب اربل في الخدمة النورية بالموصل وذلك في مستهل جمادى الآخرة وزخرت الموصل بأفواج هداياه الزاخرة . قال : وولى نور الدين سعد الدين كمشتكين بقلعتها نايبا وأمر فخر الدين عبد المسيح بأن يكون له في خدمته مصاحبا واقتطع عن صاحب الموصل حران ونصيبين والخابور والمجدل (٣) وعاد الى سنجار واعاد عماره أسنواها . ونزلنا بحران في خامس عشر (١٧٢ ب) / جمادى الآخرة ثم رحلنا على قصد حلب ووصلنا اليها في خامس رجب قال ونظمت هذه الأبيات على مذهب لزوم ما لا يلزم .

الحمد لله فزنا وللمطالب حزنا حزنا السرور ومات الحسودهما وحزنا
ان الاعادي ذلوا بنصرنا وعززنا وعاد سهلا من الأمر كل ما كان حزنا
قال : وفرض القضاء والحكم بنصيبين وسنجار الى الشيخ شرف الدين
أبى سعد بن أبى عصرون فولى بها نوابه وحكم فيها أصحابه .

(١) انظر الروضتين (٢) ١ - ١ ص ٢٠ ، ٢١ ، ٢ ، ٤٨٠ وايضا
الروضتين ١ - ٢ ص ٨٥ .
(٢) في الأصل : - قايماز - انظر النواذر السلطانية ١٢٣ وردت
ترجمة له في ابن خلكان . وفيات الأعيان . ج ١ ص ٥٣٩ .
(٣) اسم بلد طيب بالخابور معجم البلدان ٤ - ٤١٨ .

تذكر وفاة الامام المستنجد بالله وولاية الامام المستضيء

أبى محمد الحسن ووصول رسالته إلينا

قال : ووصل الخبر بوفاة المستنجد بالله وجلس الامام المستضيء بأمر الله وقد بويح له يوم السبت تاسع ربيع الآخر سنة ست وستين وكان الوزير أبو جعفر المعروف بابن البلدى ركب يوم وقوع الأرجاف في عدة معه وعدة من الأمراء فلما لم يصح الخبر تفرقوا الى منازلهم ورجع الوزير الى داره وقيل ان أمير المؤمنين خف ما به فاعلق أستاذ الدار باب العامة فأحس الوزير حينئذ بزوال السلامة وقرع سن الندامة وجاءه أحد الحجاب يميزيه وللحضور في المشايعة (١) يستدعيه فمضى ومعه زعيم الدين أبو جعفر صاحب الخزن فلما دخل صرف به الى موضع كان فيه مصرعه وأمضه بالسيف من دمه تجرعه وشفع عماد الدين بن عضد الدين (٢) رئيس الرؤساء في الزعيم فبقى على سنفه القويم وتولى عضد الدين الوزارة وأخرج جميع من في الحبوس ومن جملتهم مخلص الدين بن الكيا الهراسي (٣) فانه اعتقل من مبتدأ خلافة الامام المستنجد الى منتهائها وعاش بعدها حياة في عطفة ما اشتهاها . وقيل قتل في ذلك اليوم في الحبس جماعة لم يؤثر الوزير ظهورهم ومنهم عز الدين محمد بن الوزير ابن هبيرة وغيره . وجاءنا رسل الخلافة ونحن بشرقي الموصل تصد تل توبة مبشرين بخلافة الامام المستضيء بأمر الله وأنفق ذلك اليوم عبور دجلة واجتباب نور الدين تشريف الاحتباء وركب يوم النزول عن القل في الأهبة السوداء واليد البيضاء وذلك بمرأى ومنظر من أهل الموصل الحذاء وامرنى بإصدار خدمة الى الوزير يشكر الآلاء والامثال للأوامر الشريفة باقامة الدعوة الهادية في جميع الاقطار والأمصار والخطبة على منابرها ونقش سكة الدرهم والدينار .

قال : وكنت يوما عند نور الدين في ناديه وهو مقبل على بأيديه ويسألني عن الديوان العزيز ورسومه ثم قال : وانت تمضي في الرسالة الى

(١) في الأصل غير منقوطة .

(٢) وهو عضد الدين أبو الفرج محمد بن عبد الله بن هبة الله بن المظفر بن رئيس الرؤساء . أنظر الخريدة عراق ١ ص ١٣ ، ١٤ . أنظر ايضا ابن الأثير الكامل ١١ — ٢٩٦ .

(٣) هو ابن الكيا الهراسي الذي وردت ترجمة له في ابن خلكان وفيات الأعيان ١ — ص ٤١٢ .

منزل الجلالة وتهنىء الامامة والوزارة وهناك الشيخ شرف الدين بن أبى
عصرون جالس وهسو فى الزاوية كالمس (٤) ووجهه لما يشكوه من المرض
عابس وكأنه متحيد عن نور الدين وقربه متفقد رأسه فى عبه فلما سمع حديث
بغداد رفع رأسه وحولق واستعاذ وأبل واستقل واعترض واستدل وانقلب
وما به قلبه وتكلم وكلماته مهذبة وثاب ما معناه : أنا للقيام بالرسالة
واقامة الدلالة والنصرة والادالة وجلا الجلالة فقلنا : هو شيخنا وكبيرنا
وهو الأولى فليمتد عليه المولى وليس لهذا المقام مثله ولا دراك هذه
الفضيلة الا فضله واذا وضع الامام المذهب الى الامام فقد تسدى مرامى
المرام . واستقر أن يسير رسولا يستقبل اقبالا وقبولا . قال وعلقت انا على
شغلى من الانشاء وحررت أجوبة الكتب الواصلة مع الرسل للهناء (٥) ونظمت
هذه الأبيات وخدمت بها الفرض الاشراف قلت ومنها :

قد أضاء الزمان بالمستضىء وارث البرد وابن عم النبىء
جاء بالعدل والشريعة والحق غيا مرحبا بهذا المجىء (٦)
فهنيئا لأهل بغداد فآزوا بعد بسؤس بكل عيش هنىء

قال : ولما وصل الرسل الى مدينة اسلام وعرض (٧) التهنئة التى نظمتها
تاج (٨) الدين أخى المقيم بها وسير لى تشريف بأهبة أمامية ومبلغ مائة دينار
أميرية وصار التشريف والذهب مع تشريف أخى أنعاما مستمرا واداراً استمر
لاستقبال سنة ست وستين وأمضاه الامام الناصر لدين الله فى أيامه فى
كل سنة .

قال : ووصل هذا الانعام بحلب فى شعبان من هذه السنة فنظمت
هذه الكلمة وأرسلتها الى أخى تاج الدين ليمرضها وأولها :

(٤) كلس فلان على قدمه وكلس اذا جبن والكلسة فى اللون — انظر
لسان العرب ٦ — ١٩٧ .

(٥) فى الأصل لهناء .

(٦) يضيف أبو شامة البيت التالى :

ومض ان كان فى الزمن المظلم فالعود فى الزمان المضى
الروستين (٢) ١ — ٢ ص ٤٨٥ .

(٧) فى الأصل : وعرضوا .

(٨) فى الأصل : شرف .

هل عايد زمن الوصال المنقضى أم عايد لى فى الصبابة ممرضى
لا اشتكى الا الفرام فانه بلوى على من السسماء بها قضى
(١٧٣) لهفى على زمن الشباب فأننى بسوى التأسف عنه لم أتمرض

ومنها :

ياحسن أيام الصبى وكأنها أيام مولانا الامام المستضى
قسم السعادة والشقاوة ربنا فى الخلق بين محبه والمبغض
اصفى ظلام العدل بعد تقلص وبنى أساس العدل بعد تقوض

قال وقد عرف العالمون اننى من انشاء الدولة الامامية واحد تابعيها (٩)
وما عشت الا بعيشها ولا درجت الا من عشتها وانا الى الآن فى محاسنها
وميامنها .

قال : فى ذكر صديق له ببغداد يقال له علم الدين على بن اسماعيل
الزكادار هذا الصديق كان ببغداد لى مصادقا وفى حبي صادقا ، وقد جمعنا
الفضل وانتظم بالموانسة بيت الشمل . وكنا متصاحبين ليلا ونهارا ومتصافيين
سرا وجهارا فلما سافرت الى الشام وحالت بيننا دواعى البين وعوادي
الأيام شق عليه التفرق وأوحشه وعدم الورد الذى اعتاد رويا عطشه وتوالت
الى كتبه وبعث خاطرى على اعتياب عتبة فمن الرباعيات التى صدرت بها
الكتب اليه :

ما أخلنى وقد اتنتى الكتب تشكوا وتقول أنهم قد عتبوا
هم أهل مودتى رضوا أم غضبوا ما أعظم زلتى اذا لم يهبوا

ومنها :

هبت سحرا فنبهت وسواسى نشوى خطرت غيلة الانفاس
أهدت أريج الرجاء بعد اليأس ما أطيب بعد وحشتى انفاس

قال : ومن المقطوعات التى كنت أوصل بها ذلك الصديق :

جامع الشمل بعد طول القراق للمحبين كافل بالتلاقي
ولعل الأيام تسمح بالوصل وتقضى لبانه المشتاق
يا اخلائى الكرام المضاهين بطيب المروق طيب العراق
ومنها :

يا صبوراً على الصبابة بعدى لك طول البتساء ما أنا باق
فأجبرنى من النوى بالتلاقي وارث لى لا لقيت ما أنا لاق

عاد الحديث الى المتجددات بمصر والشام فى هذه السنة قال : فوصل
نور الدين الى دمشق وأدى فرض الصيام وخرج بعد العيد الى الخيام وكان
قد أخرج سرادقه الى جسر الخشب ناجح الراى راجح الأرب . وكان بها
شهاب الدين الارتقى ومحمد بن الياس بن ايلغازى بن أرتق صاحب البيرة
وهو ذو الرتبة المنيفة المنيرة فى طريق القصد الى الخدمة وقد فارق حصص
ونزل باللوبة وركب متصيداً فصادف (١٠) الفرنج قد أغاروا فى ثلثمائة راكب
من كل سال عن الحياة للحياة سالب فصادقهم وصادفوه وانكروه وما عرفوه
فما زال يقلبهم ويشلهم ويتلهم بدمائهم ويعطهم حتى تم على يده قتلهم بأسرهم
واسرهم وذلك فى يوم الأربعاء السابع عشر من شوال هذه السنة .

ورحل الينا ونحن بعشترا (١١) فركب نور الدين ووقف وجاء شهاب
الدين ونزل وقبل يده وشكر نور الدين جلادته وجلده وعرض عليه الاسارى
المقدمين (١٢) (مقرنين فى الاصفاذ (١٣)) مسجونين فى الاغلال والاثياد ومعهم
مقدم الاسبتار الكبير الأعور بحصن الاكراد (١٤) وعدة مقدمون من أهل الشرك

(١٠) فى الاصل : فصادف .

(١١) موضع بحوران من أعمال دمشق معجم البلدان ٣ — ٦٧٩ .

(١٢) فى الاصل المقدمون .

(١٣) سورة ابراهيمية رقم ٤٩ ، سورة ص آية رقم ٣٨ .

(١٤) حصن منيع على الجبل الذى مقابل حمص من جهة الغرب وهو
جبل الطيل المتصل بجبل لبنان وهو بين بعلبك وحمص . وكان بعض أمراء
الشام قد بنى فى موضعه برجاً وجعل فيه قوماً من الأكراد طليعة بينه وبين
الفرنج وأجرى لهم أرزاق فتدبروها بأهاليها ثم خافوا على انفسهم . باعه
الأكراد منهم ورجعوا الى بلادهم وملكة الفرنج — معجم البلدان ٢ — ٢٧٦

والعتاد وفرق شهاب الدين الباقرين (١٥) من الاسارى على الأمراء والجناد .

قال : وكان بمصر حبس للشحن يعرف بدار المعونة لاقامة العقوبات وسفك الدماء فأعادها صلاح الدين مدرسة للشافعية وعمرها فنشر بها اعلام الادلة الشرعية وذلك في أول سنة ست وستين .

وفي النصف من المحرم عمل دار الغزل مدرسة للمالكية . وعول على القاضي صدر الدين عبد الملك بن درباس (١٦) في القضاء والحكم بمصر والقاهرة وسائر اعمالها الظاهرة وذلك في السادس والعشرين (١٧) من جمادى الآخرة ، وخرج في هذه السنة الى الغزاة بمساركه وأغار على الرملة وعسقلان وهجم على ريش غزة وأفلت على الداروم (١٨) ملك الفرنج تجرى معه / (١٧٣ ب) الذقن ورجع في الحادى عشر من شهر ربيع الأول الى القاهرة ثم وصل الخبر بخروج قافلة من دمشق فيها أهله فأشفق عليها وأحب أن يجمع بها شمله فخرج فى النصف من ربيع الأول وكانت بايلة قلعة فى البحر قد حصنها أهل الكفر فعمل لها مراكب وحملها الى ساحلها على الجمال وفتح القلعة فى العشر الأول من ربيع الآخر واستحلها واستباح بالقتل والاسر أهلها وشحنها بالعدد والعدد وحصنها بأهل الجلال والجلاد واجتمع عليها بأهل ثم ساروا على سمت القاهرة ودخلوا اليها فى السادس والعشرين من جمادى الآخرة (١٩) وسار الى الاسكندرية ليشاهدها ويرتب قواعدها وهى أول دفعة قدم اليها فى أول سلطانه فعم أهلها بأحسناته وأمر بعمارة سورها وتجديد بنيانه .

(١٥) فى الاصل : على .

(١٦) يقول المقرئى : — ومن حينئذ اشتهر مذهب الشافعى ومذهب مالك بديار مصر وتظاهر به الناس واختفى مذهب الشيعة من الأمامية الاسماعيلية وبطل من حينئذ مجلس الدعوة بالجامع الأزهر وغيره . اتعاط الحنفا الجزء المخطوط ورقة رقم ٦٥ .

(١٧) انظر الروضتين (٢) ١ — ٢ ص ٨٦ حيث أورد أبو شامة هذا التاريخ كالتالى — وذلك فى الثانى والعشرين من جمادى الآخرة .

(١٨) قلعة بعد غزة للتأصد الى مصر الواقف فيها يرى البحر خربها صلاح الدين لما ملك الساحل فى ٥٨٤ هـ معجم البلدان ٢ — ٥٢٥ .

(١٩) قارن الروضتين (٢) ١ — ٢ ص ٨٦ حيث يقول ودخلوا فى السادس والعشرين من جمادى الأولى اليها .

وفي النصف من شعبان اشترى تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب ابن أخى السلطان منازل العز بمصر وجعلها للشافعية مدرسة واشترى الروضة وحمام الذهب وغيرها من الأملاك ووقفها عليها .

وفي النصف من جمادى الآخرة أغار شمس الدولة أخو السلطان بالصعيد ثم دخل القاهرة في عاشر رمضان .

وفي الثالث والعشرين من جمادى الآخرة مات القاضي ابن الخلال (٢٠) وكان من الأماثل الأفاضل ولم يزل صاحب ديوان الانشاء ولما كبر جلس في كبر الاتزواء وكان الاجل الفاضل يوصل اليه كل ما كان له وقام به مدة حياته لكرم عهده وتكفله .

ودخلت سنة سبع وستين قال : استفتح السلطان سنة سبع بجامع كل طاعة وسمع وهو أقامة الخطبة (٢١) في الجمعة الأولى منها بمصر لبني العباس وعادت الدولة بها ثابتة الأساس ، وعفت البدعة وصفت الشرعة ، وأقيمت الخطبة العباسية في الجمعة الثانية من المحرم بالقاهرة للامامة المستضوية المضية الزاهرة واعقب وفاة العاضد في عاشورا بالقصر . وجلس السلطان للغزاء واغرب في الحزن والبكاء ثم تسلم القصر بما فيه من خزائنه وذخائره ودفائنه . وكان قد نافق مؤتمن الخلافة وقتل وصرف من هو زمام القصر وعزل ووكل بهاء الدين قراقوش (٢٢) بالقصر وجعله زمامه

(٢٠) القاضي ابن خلال هو يوسف بن محمد المعروف بابن الخلال الملقب بالموفق صاحب ديوان الانشاء بمصر في دولة الحافظ أبى الميمون عبد المجيد المبيدى . ذكره العماد فى الخريدة . استخدم القاضي الفاضل عند حضوره . ولم يزل ابن الخلال بديوان الانشاء الى أن طعن فى السن وعجز عن الحركة فائقطع فى بيته ويقال أن القاضي الفاضل كان يرعى له حق الصحة والتعليم فكان يجرى عليه كل ما يحتاج اليه الى أن مات فى الثالث والعشرين من جمادى الآخرة سنة ٥٦٦ هـ انظر ابن خلكان ٢ — ٥٣٩ هـ — ٥٤٣ . وانظر أيضا الخريدة شعراء مصر ١ — ٢٣٥ .

(٢١) لأول مرة منذ أكثر من قرنين يخطب للخلافة العباسية على منابر القاهرة بعد انقراض الدولة الفاطمية التى استمر حكمها فى مصر من ٣٥٩ هـ الى ٥٦٧ هـ .

(٢٢) وهو أبو سعيد قراقوش بن عبد الله الاسدى الملقب ببهاء الدين انظر ابن خلكان وفیات الاعيان ١ — ٥٤٣ .

واستغابه مناب نفسه وأقامه مقامه فما دخل الى القصر شيء ولا خرج
الا برأى منه وسمع .

ولما توفي العاضد أمر السلطان بالاحتياط على أولاده في موضع
خارج القصر جعله برسمهم على الأفراد ، وقرر ما يكون رسمهم للكسوات
والأقوات والأزواد قال : وهم الى اليوم في حفظ قراقوش واحتياطه واستظهاره
يكلوهم (٢٣) ويحرس بعين حزمه في ليله ونهاره وجمع الباقين من عمومهم
وعتقهم من القصر في ايوان وأبعد عنهم النساء لئلا يتناسلوا وهم الآن
مختصرون وقد نقص عددهم وقلص عددهم . ثم عرض من بالقصر من
الجواري والعبيد فوجدوا أكثرهن حراير فأطلقهن ، وجمع أموال لهن موات
شأعنقهن وجمع الباقيات فوهبهن وفرقهن وأخلى (٢٤) دوره وأغلق قصوره
وسلط الجود على الموجود وأبطل الوزن والعد عن الموزون والمعدود وأخذ كلما
صلح له والأهله وأمرائه وخواص مماليكه وأوليائه من أخاير الذخاير وزواهر
الجواهر والعقود والنقود والمنظوم والمنضود وما لا يعد احصاء ولا يعد
استقصاء فوقع فيها القضاء وكشف عنها الغطاء وأسرف فيها العطاء ،
وأطلق البيع بعد ذلك في كل رخيص منها وغال وبال وأسما ومنقول ومحمول
ومصنوع ومعمول واستمر البيع فيها مدة عشر سنين وتنقلت الى البلاد
بايدى المسافرين ومن جعلتها الكتب (٢٥) فاني تسد أخذت منها جملة في سنة
اثنتين وسبعين وكانت خزاينها مشتملة على قريب من مائة وعشرين ألف
مجلدة مؤيدة من العهد القديم مخلدة ، وفيها بالخطوط المنسوبة ما اختطفته
الأيدى واقتطفه التعدى ونقلت منها ثمانية أحمال الى الشام وتقاسم
الخواص بدور القصر وانتقل اليه الملك العادل سيف الدين إسماعيل نأب عن
أخيه واستمر سكناه فيه .

(٢٣) في الأصل : يكلوهم .

(٢٤) في الأصل : واخا .

(٢٥) فيما يتعلق بالمكتبة الفاطمية في القاهرة وجهت تهمة تدمير الكتب
أما بحرقها أو تبديدها الى صلاح الدين ولكن لم يعثر حتى الان على نص أو
دليل يؤكد أو يدعم هذه القضية وكل ما هناك أن الكتب بيعت أو وزعت على
من لهم اهتمام خاص بناحية علمية معينة .

وخطب لامامنا المستضى فى قوص وأسوان والصعيد وشاعت البشائر
وسار بها البادى والحاضر وتملك السلطان أملاك المتتمين اليهم من أشنياعهم
وضرب الألواح على دورهم ورباعهم ثم ملكها امراءه وخص بها أوليائه وباع
منها أماكن ووهب مساكن .

كتاب فاضلى من صلاح الدين الى المبارك بن منقذ والى قوص وكتابنا
هذا وارد على الأمير مجد الدين : عندهما كان من نفوذ قضاء الله
وقدره محتوما فيما كان منصوبا وموسوما وذلك لمرضى امتدت فيه أيامه
واستولت عليه آلامه الى أن انتصمت به عراه وانحلت معه قواه وأتاه من
أمر الله ما أتاه وحضرنا فى أيوانه ونقلنا بانتقاله أسرار الأمر الى خلائه
ليعلم أن الله استأثر / (١٧٤) بوفاته وآثره وآثرنا لحسن العهد بموافاته
وبلغنا الغاية فى أحمال أمره والتوديع له الى قبره وإطابة نفوس مخلصيه
وأقرارهم فى قصره وانكفأنا الى مستقرنا والامور لدينا مطردة والأحوال
قربانا متمهدة والدهماء ساكنة والدنيا بنظرنا آمنة ، وسبيل الأمير أن يوعز الى
الخطاىء يوم الجمعة بالدعاء لمن الكلمة عليه مجموعة
والدعوة له فى الانتظار مسموعة وهو الامام المستضى بأمر
الله أمير المؤمنين ويلزم الناس العافية فانها أسبغ عطاء وأسبل
غطاء فى تنقل الايام عبرة « لمن كان له قلب أو لقى السمع وهو
شاهد (٢٦) » ومن تعظه الايام من قريب « فأولئك ينادون من مكان بعيد (٢٧) » .

قال : وكان صلاح الدين لا يخرج عن أمر نور الدين ويرجع فى جميع
النصائح الى رايه المتين وقد كان كاتبه نور الدين فى شوال سنة ست بتغيير
الخطبة وانتزاع نكر هذه القضية وأيقن أن أمره متبوع وقوله مسموع
ونطقت بذلك السن الخواص والعوام فسير نور الدين شهاب الدين ابا المعالى
المطهر بن الشيخ شرف الدين بن أبى عصرون بهذه البشارة واشاعة ما تقدم
له بها من الاشارة وامرنى بانشاء بشارة عامة تقرأ فى سائر بلاد الاسلام
وبشارة خاصة للديوان العزيز بحضرة الامام فى مدينة السلام .

(٢٦) سورة ق اية رقم ٣٧ .

(٢٧) سورة فصلت اية رقم ٤٤ . (أولئك ينادون من مكان بعيد)
ف : زائدة فى النص .

ذكر وصول عماد الدين صندل رسولاً من دار الخلافة بالخلع والتشريفات لنور الدين ، وصلاح الدين (١)

قال : كان عماد الدين صندل هذا من اكابر الخدم المتقوية وتولى
استاذية الدار العزيزة بعد عزل كمال الدين بن عضد الدين عنها وهو اكبر
من أرسل وجاء بالتشريف لنور الدين بأهفته السوداء العراقية وحلله الموشية
وطوقه الثقيل وسرجه الخاص الشريف وحصانه المحصن المنيف ولواء الحمد
المعقود وفرجية النسيج المعمود ومثال التقليد المشهود وكتاب التقريظ
المحمود .

وعين يوم يحضر فيه الرسول ونصوا على من يحضر في مجلس نور
الدين عند اجتيابه تشريف الاحتباء وأغفلوا ذكرى قصدا منهم لاغماي فلما
حضرت الرسل طلبني نور الدين فلم يرني فنفذ ورائي واستحضرنى وقام
لقيام الرسل حتى حضرت وكان مقصودة ان يعرفهم منزلتى واختصاصى عنده
فناولنى الكتاب الشريف لأتلوه فتناوله منى الموفق بن القيسرانى خالد وكان
عنده فى مقام الوزير وله انبساط زايد فداريته وما ماريته وتركته يقرأ وأنا ارد
عليه وارشده فى التلاوة الى ما لا يهتدى اليه حتى انهاه فأعجب نور الدين
صمتى وسمتى وأجتاب الأهبة ولبس الفرجة وتقلد مع تقلد السيفين طوقها
وخرج وركب من داخل القلعة وهو حال بما عليه من الخلعة ، واللواء
منشور والنصار منثور ، والركبان الشريفان أحدهما مركوبة والآخر
بحليته مجنوبة وسألت عن معنى تقليد السيفين فقيل هما للشام ولصر والجمع
بين البلادين وخرج الى ظاهر دمشق حتى انتهى الى منتهى الميدان الأخضر
ثم عاد جميل المحضر جليل المنظر لبيقا بالأعظمين السرير والمنبر .

وكان وزن الطوق مع أكرته ألف دينار من الذهب الأحمر ، وحملوا
لصلاح الدين تشريفا رايقا رايحا ، لكن تشريف نور الدين أميز منه وأفضل
وأجل وأكمل فسير تشريفه برمته اليه بمصر ليجتابه وشرف أيضا من عنده
بخلع يشرف بها أصحابه ووصلت تلك الخلعة اليه فلبسها وطاف بها فى
الحادى والعشرين من رجب وهى أول أهبة عباسية دخلت الديار المصرية
فقتضى أهلها منها العجب ، وكانت مع الرسل اعلام وبنود ورايات وأهبط
عباسية للخطباء فى ديار مصر فسرت الى صلاح الدين ففرقتها على المساجد
والجوامع والخطباء والقضاة والعلماء .

قال : وكان صلاح الدين واعد نور الدين ان يجتمعا على الكرك (٢) والشوبك (٣) ويتشاورا فيها يعود بالصلاح المشترك فخرج من القاهرة في الثامن والعشرين من المحرم فاتفق للاجتماع عايق ولم يقدر للاتفاق قدر موافق فلقى في تلك السفرة شدة وعدم خيلا وظهرا وعدة وآب الى القاهرة في النصف من شهر ربيع الأول .

قال : وكان مع الرسول لخاصتى من الامام رسم التشريف والانتعام وهو مائة دينار وأهبة شريفة بجبة وعمامة .

وكان لى ايضا مع رسول الوزير عضد الدين وهو الحافظ الدمشقى (٤) آخر العجيب المائة عن مكارمه ومناقبه منبئة ولما عاد الرسول في سابع عشر جمادى (٥) الآخرة سيرت الى الوزير هذه المدحة واستزدت المنحة قلت وهى قصيدة أولها :

عسى أن تعود لىالى زرود (٦) ويقضى المنى بنجلى الوعود
وتشرق أيامنا الزاهرات ويورق فى روضه الوصل عودى

(١٧٤ ب) / قال : ولما عاد الرسول عاد معهم شهاب الدين بن عصرون بأجوبة الكتب عن نور الدين .

قال : وكان نور الدين لا يقيم فى المدينة أيام الربيع والصيف محافظة على الثغر ورعاية للبلاد وهو متشوق الى أخبار مصر وأحوالها فرأى اتخاذ الحمام المناسب وتدريبها على الطيران لتحمل اليه الكتب بأخبار البلدان وتقدم الى مكتب منشور لأربابها واعزاز أصحابها .

(٢) الكرك بفتح الراء قلعة حصينة جدا فى طرف الشام من نواحي البلقاء فى جبالها بين أيله والبحر الأحمر والبيت المقدس . معجم البلدان ٤ — ٢٦٢ انظر الروضتين (٢) ١ — ٢ — ٥٢٦ حاشية رقم (١) .
(٣) الشوبك بالفتح ثم السكون قلعة حصينة فى أطراف الشام بين عمان وأيله والبحر الأحمر قرب الكرك . معجم البلدان ٣ — ٣٣٣ . انظر الروضتين (٢) ١ — ٢ ص ٥٢٦ حاشية رقم ٢ .
(٤) أبو منصور بن محمد بن الحسن بن هبة الله بن الحسين الدمشقى الملقب فخر الدين . وهو ابن أخى الحافظ ابن عساكر الدمشقى . ابن خلكان وفيات الأعيان ١ — ٣٤٩ .
(٥) فى الاصل : جميدى .

(٦) فى الاصل : مملوسة ولا يظهر سوى رود من الكلمة . وزرود من أيام العرب مشهور بين تغلب وبنى يربوع — انظر معجم البلدان ٢ — ٩٢٨

قال : وفي رجب من هذه السنة فوض الى المدرسة التي بحضرة حمام القصر وعول على في التدريس بها والنظر في اوقافها وكان الشيخ فيها الفقيه ابن عبيد فلما توفي خلف ولدين واستمرا فيها على رسم الوالد ثم خدعهما رجل مغربي استهواهما بعمل الكيمياء ونهج بهما سبيل الاغواء فصاهراه وظاهراه فحافظ نور الدين هذا المعنى واحضرهما واستوفى عليهما انواع التوبيخ فلم يجد من أحدهما لامره سمع النصيح فقال لى : تسلم الموضع ورتبني فيه مدرسا وناظرا وكان ليلة الخميس وحضر القاضي كمال الدين وعلماء البلد بكرة التدريس فاستمرت الولاية وشملتني من الله الرعاية .

قال : ودخلت سنة ثمان وستين والامور سديدة والثغور مسدودة والوية الاولياء بالنصر معقودة والطوالع مسعودة والمواسم مشهودة والمواسم المحمودية محبودة .

قال : ذكر تفيض اشراف ديوانه الى :

كان نور الدين رحمه الله كلما رتب لديوانه مشرفا وجده الى نواب ديوانه متعرضا وبتصرفهم متصرفا فمنهم من يقصر عن مطالبتهم ولا ينهض لمقاومتهم فاذا عرف انه لا يسوء ولا يسر ولا ينفع ولا يضر غفقه وصرفه وعزف عنه وتعيفه ، ومنهم من يعرف انه اذا حادتهم وناقهم لا يظفر بقبول ولا يفوز بمأمول فيوافقهم ويرافقهم فاذا عرف حاله بعد حين كان بعزله غير ضنين . وكنت قد توليت شغله وتفتيات ظله بح نوابه في خفض قدرى وضيق صدرى وانا احلم عنهم ولا انتقم منهم فلما كثر منهم التهاون وظهر منهم التعاون لم يخف عن نور الدين سر امرى وعلم ان لطى الإدارة معهم امرى وكان ذكيا المعيسا لا يخفى عليه الاحوال ولا يتهرج لديه الرجال ولم يزل لايناسه بى واطلاعه على سرى يشمئنى بما لا يخطر ببالى عارفته وعاطفته . وانا اذا انصرف النواب من ديوانه اجلس ملازما للخدمة في ايوانه فاذا خرج الخاتم لشغل ولا يرى منهم احدا حاضرا عباد اليه فاخبره بغيبتهم ويقول ما رايت الا فلانا وربما خرج وتقدم الى بكفاية ذلك المهم واعجبه دوام تلك الشيمة منى وكان يريد تقديمى ولكنه للحزم على الثبات والثباتى . فبينما انا ذات يوم اطلت القعود وادمت على الباب الركود والفيت لنار حركاتى بعد الظهر الخمود فنزلت الى منزلى لاتبلغ بقوت واعود الى الباب في وقت موقوت اذ جاء من يطلبنى وعلى الفقية يعتبنى فتضجرت في نفسى

وعدمت انسى وقلت : ما أصعب هذه الخدمة وما أصعب هذه الغبة
أما أترك لطعامى ومتى يتسدد مرامى مرامى . وحين حضرت خرج الى
خازنه ولى الدين اسماعيل وقال : يامرك بأن تتولى اشراف مملكته وتكون
الحافظ الأمين فى دولته فقلت يمينى فأنا وحيد فى الغربة وبهذا الحمل عديم
الدربة وهؤلاء النواب قد خلا لهم الميدان وطاوعهم على تقادم السنين
الامكان ، ولهم خبرة بالأعمال ومعرفة بالأحوال وكأنهم على حصنهم العربية
قد حاروا قصب الرهان وكأنى على برذون أعرج فكيف أسابقهم فى الميدان .
فاعد بالجواب وقال اتبع أوامرنا وأنت على الصواب فجمعت بين المنصبين
وقسمت زمانى على النصيبين فمرة للكتب والمناسير وتارة للآلات فى
الدماسير ولم أثق بنائب وياشرت العمل بنفسى على أنهم لا يلتفتون نحوى
ولا يبالون بكدرى وصفوى ولا يجرون الا على ما ألفوه من العادة ولا يشاوروننى
فى الإبداء والاعادة . فما زلت أرد طباعهم وأصد أطماعهم حتى قويت على
العمل ورويت من عله النهل .

قال : وكان من عادة نور الدين أنه إذا اقتطع أميرا اقطاعا وعين
بمهرته ضياعا قرر عليه رجالا قوى عسدد لا ينقصون فى خيل وسلاح
وعدد فاذا نقص منقل الاقطاع عن المبلغ اتم له نقدا من خزانته .

قال : وأمر أن يركب كل أمير بعدته وهيئة بأسه فى الحسب وشدته
ونحن نذكر لغيره والأمير الحاجب ضياء الدين بكر يسان متولى هذا الأمر
وهو يجمعنا كل يوم من الفجر وكان هذا الأمير أكبر حجاب أسد الدين
شريكوه وأخص اصحابه فلما توجه مخدومه الى مصر لم يصحبه ولم يرقه
ملك مصر بترك وطنه بالشام ولم يعجبه . فمال اليه نور الدين لزنة حصاه
وزينة حباه / (١١٧٥) ورفع قدره الى رتبة الأمراء الأكابر واعتمد على
نهضته فى الموارد والمصادر .

نكر ما سيره صلاح الدين من مصر من الأموال

قال : ولما عرض صلاح الدين بعد العاضد بالقصر خزانته واستخرج
منها دفاينه سير منها عدة من الامتعة المستحسنة والآلات الثمينة من
قطع البللور واليشم والأوانى التى لا يتصور وجود مثلها فى الوهم ومعها
ثلاثة قطع من البلخشي أكبرها نيف وثلاثون مثقالا والثانية ثمانية عشر

مثقالا والآخرى دونها وقرن (١) بها من اللآلى مرصوعها ومكنونها وحمل معها من الذهب ستين ألف دينار ووصلت من غرايب المصوغات بما لا يجمع مثله في اعصار واعمار ومن الطيب والعطر ما لم يخطر ببال عطار فشكر نور الدين همته وقال : ما كانت بنا حاجة الى هذا المال ولا نسد به خلة الاقلال فهو يعلم اننا ما انفقنا الذهب في ملك مصر وبنا فخر الى الذهب وتمثل بقول ابي تمام :

لم ينفق الذهب المربى بكثرتيه على الحصا وبه فقر الى الذهب

فاستنزره وما استنزره واستقل المحمول في جنب ما حرزه وتروى فيما يدبره وافكر فيما يقدمه في هذا المهم ويؤخره .

ذكر خروج الملك الناصر صلاح الدين ونزوله على الكرك والشوبك

قال : خرج في النصف من شعبان (٢) ومعه الفيل والحمارة العنابية والذخاير النفيسة التي انتخبها من خزائن القصر وقد سبق ذكر تسييرها الى نور الدين ووصلت الحمارة وكثر لها النظارة « وأما الفيل فانه وصل النيا في سنة تسع وستين ونحسن بطلب فأهداه نور الدين الى ابن اخيه سيف الدين غازي صاحب الموصل ثم سيره نور الدين (٣) الى بغداد هدية للخليفة وسير نور الدين الحمارة الى بغداد مع هدايا وتحف سنيا .

وأما صلاح الدين فانه اقام على تلك الحصون وادار عليها رضى الحرب الزبون ولم يبرح حتى برح بها وقرق عنها عربها وخرب عمارتها وشنت على أعمالها سراياه بغاراتها ومن جملة عرباتها الذئب رغبهم وسيرهم الى الشام نور الدين صلخد بنوعباد فاتهم وصلوا في مائتي فارس من أبطال الحرب وكماة الطعن والضرب ووصل على أيديهم كتاب صلاح الدين الفاضلى ونسخته .

(١) انظر الروضتين (٢) ١ - ٢ (٥٢٤) .

(٢) انظر الروضتين (٢) ١ - ٢ (٥٢٥) حيث يورد أبو شامة هذا التاريخ كما يلي : وخرج صلاح الدين في النصف من شوال .

(٣) انظر الروضتين ١ - ٢ ص ٥٢٦ حيث يقول ان سيف الدين هو الذي ارسل الفيل الى بغداد .

سبب هذه الخدمة الى مولانا الملك العادل اعز الله سلطانه ومد
ابدا احسانه ومكن بالنصر امكانه وشيد بالتأييد مكانه . علم الملوك بما
يؤثر المولى ان يقصد الكفار بما يخلص اجنحتهم ويقلل اسلحتهم ويقطع موادهم
ويخرب بلادهم وأكثر الاسباب المعينة على ما نرى أن لا يبقى في بلادهم أحد
من العربان وان ينتقلوا من ذل الكفر الى عز الايمان ومما اجتهد فيه غاية
الاجتهاد وعذه من أعظم الاسباب ترحيل كثير من أنفاسهم والحرص في تبديل
ديارهم الى أن صار العدو اليوم اذا نهض لا يجد بين يديه دليلا ولا يستطيع
حيلة ولا يهتدى سبيلا ولو كان هؤلاء العربان يرغبون في الديار المصرية
لكان يحبل كلهم ويسوقهم كلهم ولكن هواهم في الشام ورغبتهم في بلاده دون
غيرها من بلاد الاسلام . ولو أن المولى خلى لهم اقليما واقطعهم اقطاعا
عظيما ليقطعهم عن الكفر وبلاده ويبعدهم عن تكثير سواده لكان في ذلك
قد احسن فعلا وحمل عن المسلمين ثقلا فكيف وهم يخدمون في البلاد خدمة
من عرف مدالجها وخبر طرقها ومناهجها فما يدعون جهدا في اخراجها وشن
الغارة عليها ومواصلة الفتك فيها .

ذكر بعض المتجددات بالشام

قال : حضرت عند الملك العادل نور الدين بدمشق في العشرين من
صفر والحديث يجري في طيب دمشق ورقة هوائها وبهجة بهائها وازهار
رياضها وانها كزهر سمائها وكل ما يمدحها ويطربها فقال نور الدين انما
حب الجهاد يسلينى عنها فما أرغب فيها قال فارتجلت في هذا المعنى فقلت :

ليس في الدنيا جميعا بلدة مثل دمشق ويسلينى عنها في سبيل الله عشقى

قال : واتفق أن خرج كلب الفرنج اللعين في جنود الشياطين يقصد
الغارة على ناحية زرا (١) من حوران واناخ بأول ليلة بقرية بسمكين (٢)
ووصل الخبر الى نور الدين وهو نازل بالكسوة اليهم وأقدم بعساكره عليهم
فلما عرفوا وصوله رحلوا الى منزلة الفوار واصبحوا بكرة السبت غرة شهر
ربيع الأول راحلين الى السواد صارفين اعنة الجياد عن اسنة الصعاد

(١) تدعى أيضا ذرع من أعمال حوران معجم البلدان ٣٢ — ٩٢١
(٢) في الاصل بسمسكين والضبط من الروضتين (٢) ١ — ٢ — ٥٢٨
وعن سمكين انظر ياقوت . معجم البلدان ج ٣ ص ١٤٠ .

وشلتهم مقدمة عسكرنا حتى نزلوا بالشلالة ونزل نور الدين بعشترأ وانفذ سرية الى أعمال طبريه ولما عادت لاحتها الفرنج عند المخاضة فوقف الشجعان / (١٧٥ ب) وثبت من ثبته الايمان حتى عبرت السرية بجمالها وعادت وقد نصرت صوارمها ونفذت لهازمها ولما أنهضنا السرية رحلنا من عشترأ وخيمنا بظاهر زرا .

قال : وكنت عند مسيرنا الى اللقاء لنور الدين مسائرا وله مجاورأ وهو يقول كيف تصف نهوضنا الى الجهاد وسواد وجوههم بدخولهم في السواد وهو يبتسم وقد تقدم أمراؤه الى المعركة ويقول لم أرك قوى القلب وأتول وكيف لا يقوى قلبي بخدمتك وأنا في عصمتك هذه القصيدة في وصف الحال :

عقدت بنصرك راية الايمان وبدت لعصرك آية الاحسان

تلئت ومنها :

كم مصعب عمر القادة قدته نحو الردى بخرايم الخذلان

ومنها :

وعلى غناء المشرفية في الطلا والهام رقص عوالى المرأان (٣)
وكان بين النقع لمع حديدها نار تألق من خلال دخان
غطى العجاج به نجوم سمائه لتتوب عنها أنجم الخرصان
ولوا وقلب شجاعهم في صدره كالسيف يرعد في يمين جبان
يمتاع من قلب القلوب دماها بالسمر منح الماء بالاشيطان
فمن العراق الى الشام الى ذرى مصر الى قوص الى اسوان
لم تله عما في البلاد وانما الهاك فرض الفوز عن همذان
اذعننت لله المهيمن اذعننت لك اوجه الاملاك بالاذعان
سير لو ان الوحي تنزل انزلت في شاتها سنور من القرآن

قال : وفي هذه السنة غزا شمس الدولة تورانشاه اخو صلاح الدين

(٣) ذكر أبو شامة القصيدة في الروضتين (٢) ١ — ٢ ص ٥٢٩ .

بلد النوبة وفتح حصنا لهم يعرف بابريم وهى بلاد عديمة الجدوى عظيمة البلوى ثم جمع السبى وعاد به الى استوان وفرق على أصحابه فى الغنائم السودان .

ذكر وفاة نجم الدين أيوب والد السلطان

قال : وركب نجم الدين فشب به فرسه وذلك بالقاهرة عند باب النصر وسط ذى الحجة يوم الاثنين الثامن من ذى الحجة وعاش ثمانية أيام بعد وقوعه وتوفى فى يوم الثلاثاء السابع والعشرين من ذى الحجة فى الساعة الرابعة وكان ولده صلاح الدين عنه غاييا فى بلاد الكرك والثوبك فدفن الى جانب أخيه أسد الدين فى بيت بالدار السلطانية ثم نقل بعد سنتين الى المدينة النبوية .

عاد الحديث الى الشام قال : ودخل نور الدين دمشق وشتا بها ولما طاب الزمان تقاضاه عزمه بالحركة ، وكان قصده بجانب الشمال لتسديد ما اختل هناك من الأحوال ولتجديد العهد بتلك الأعمال فبدأ بمصر وشرع فى انفاذ من يستكفيه (١) من الرجال فى تقدير ما يحمل كل سنة اليه من الأموال .

ذكر مسير الموفق خالد القيسراني الى مصر

قال : وكان نور الدين منذ ملكت مصر يؤثر أن يقرر له فيها (١) مال للحمل يستعين به على تحمل كلف الجهاد والايام تماطله والأقذار تحول بينه وبين ما يحاوله وهو ينتظر أن صلاح الدين يبتدىء من نفسه بما يريده وهو لا يستدعى منه ولا يستزيده فلما حمل من أخاير الذخاير ما حمله وعلم مجمله ومفصله تقدم الى الموفق أن يمضى ويطلب ويقتضى . ويعمل أيضا حيازة بالأعمال المصرية وعين له ما يحمل اليه معه من الهدايا والتحف السنايا والثياب المعلمة والخيل المسومة ورحل نور الدين على سمت البقاع وخرج خالد معه للوداع فأعاده بعد أن قرر معه ما أراده وأمره بالمقام الى حين دخول خازنه بتسليم ما سبق ذكره من الأقسام فلما نزلنا بعين الجر (٢) تذكر ما عد به من الأمر فاستدعى ولور الدين اسماعيل متولى خزانته

(١) فى الأصل . يستلفيه .

(١) فى الأصل : فيه .

(٢) عين الجر : بلد بالبقاع بين بعلبك ودمشق معجم البلدان ٣ -

وشهاب الدين ابا صالح بن العجى ناظر ديوانه فاستدعى ولى الدين اسماعيل وعدل خزانته وأمرهما بالعود الى دمشق وتسليم ما كان عنده ليتسلمه خالد وكلاهما بعد انجاز الشغل الى المعسكر معاود .

قال : ولما ودع الموفق / (١٧٦) خالد مستوفى المملكة النورية أراد ان يستنيب أحد أخوته ومن يثق بكفايته فقال نور الدين يقوم العماد بهذا الشغل فجمعت بين الانشاء والاشراف والاستيفاء . ووجدت الخدم الثلاث بكفالتى الوفاء . ثم تعصب فخر الدين الزعفرانى وكان من الأمراء الكبار لرضى الدين يعقوب رئيس سنجار وبذل فى منصبى خمسة آلاف دينار فقال نور الدين : أما العماد فلا نبيع كفاة الرجال بالقناطر المقنطرة من المال واخذ عشرة آلاف دينار وولاه منصب الاستيفاء وجلس معنا أشمرا . فكتب يوما الى نور الدين أننى أريد ان يكون لى فى كل بلد نايب حتى أقدر على الوفاء بما بذلته فقال نور الدين : كأنه يريد ان يوفينى المال من مالى وقرأيد أعمالى فصرقه ورد الى العمل وحقق منه بتقريره الى الأمل . قال وخرج يوما من عند نور الدين من قال : قد أمر المولى ان كل من كان للموفق عليه رسم يوصله الى العماد فإنه بعده بمحل الاعتماد وقد مال الى وعول فى مناصبه على وطالعت كل يوم بمرافق عملى ومنافع شغلى فما اتحف بتحفه ولا اخص من أحد بعطية الا أطلعه بها (٣) وأطلعه على سببها (٤) فكان يعجبه منى تلك الشيمة ويقول : تصرف فيه تصرفك فى مالك . وكانت مواد عنايته لى واغره ومن وجوه رعايته سافرة ثم اعتمد على اعتمادا كلياً وجعلنى له نجيا واذا أراد ان يكتب الى أحد منهم يقول أكتب اليه من عندك . ومن جملة ذلك ان سعد الدين كمشتكين وكان نايبه بالموصل فى خدمة سيف الدين صاحبها أخذ من رجل الف دينار بعلة عليها فتجاء وتظلم فأمر لى نور الدين ان أكتب اليه بردها عليه فقال : ما ينفعنى الا كتابه وتوقيعه فانتهيت ذلك اليه فقال ما معناه : أما يعلم كمشتكين انك كاتبى وأمينى وصاحبى ولا تكتب الا بأمرى فإخالف كتابك اليه قلمت عينيه فمضى اليه بكتابى فسارع الى طاعته ورد عليه الألف فى ساعته .

(٣) فى الاصل : به .

(٤) فى الاصل : سببيه .

نكر الوصول الى حلب والتوجه منها الى الروم وفتح قلعتى مرعش وبهنسى

قال : ووصلنا الى حلب واستغفرنا من ردها الحلب وقضينا الارب
وكان السلطان قلعج ارسلان صاحب الروم وقد تعدى على بلاد قر ارسلان
فكتب يشكو ويتضرر وأن مقاومته عليه تتعذر ففار من ذلك غيرة المغناظ
وعزم على قصد بلد قلعج ارسلان وبدأ ببلدة مرعش ونزل على حصنها
في العشرين من ذى القعدة وأمن من فيها وتسلمها وما حاصرناها أكثر من
يوم فما غالونا برسوم . قال ومما كتبت الى صديق لى بدمشق ومنها :

كتابى فديتك من مرعش وخوف نوايبها مرعشى
ترحنى نشوات الفرام كائى من كأسه منتشى
أسر وأعلن برح الفرام (١) فقلوبى يسر ودمعى يشى

قال : فرتب فيها واليا وجدد من رثها ما كان باليا ، وتولى عنها وجاء
الى بهنسى وواليتها يعرف بقايمان (٢) السلطانى فاطلنا حصارها وازلنا
استنظارها وقامت المجانيق على سورها (٣) ورخصت المهج أنغوالى فى سوقها
ودام مرجوما حتى انتقض الجدار فطلب من فيها الامان ودخلها نور الدين
وغيرها ونعتها بعد ان صرعها وملك تلك البلاد وأقطعها الاجناد .

قال : وفى هذه السنة وصل الفقيه الامام العالم (٤) قطب الدين
النيسابورى وهو فقيه عصره ونسيج وحده قدوة الاسلام ومفتى الأنام
فسر نور الدين بدنو نوره وحضر غايب انسه بسنا حضوره
ونزل فى حلب بمدرسة باب العراق فأطلعه الى دمشق ودرس
وشرع نور الدين فى انشاء مدرسة كبيرة للشافعية لفضله وأدركه الأجل

(١) وردت فى الروضتين الجوى . الروضتين (٢) ١-٢-٥٤٣ .

(٢) فى الاصل : قايمان .

(٣) فى الاصل : سوقها .

(٤) أنظر النوادر . وعنه أيضا أنظر الروضتين (٢) ١-٢-٥٤٥ .

(٥) فى الاصل : مطبوسة .

(٦) فى الاصل : جاروت والضبط من الروضتين (٢) ١-٢-٥٤٥ .

ويقول المحقق فى حاشية رقم ١ « هى الخارجية كانت داخل بابى الفرج

والفراديس شمال الجامع الاموى . بناها سيف الدين جاروج التركمانى .

انظر التعميمى . الدارس فى تاريخ المدارس ج ١ ص ٢٥٥ .

دون ادراك عمارتها لأجله ونقل الله قطب الدين الى جواره في الايام الناصرية في سنة ثمان وسبعين .

قال : وعلى ذكر قطب الدين ذكرت ومادة شيخ الشيوخ عماد الدين ابي الفتح محمد بن علي بن محمد بن حموية الى الشام في اوائل سنة أربع أو في سنة ثلاث وستين وأغفلت ذكره في موضعه فما سستدركه ههنا . وكان كبير الشأن لم يكن له في علم الطريقة والحقيقة مساو فاقبل عليه نور الدين بكليته وأمرني بانشاء منشور له بمشيخته صوفية الشام ومن جملة ما اتحفه به عمامة بأعمدة ذهبية نفذا صلاح الدين اليه فآثر بها شيخ الشيوخ فبذل فيها ألف دينار بزنة ذهبها فلم يجد من سامها الى طلبها قال :

(١٧٦ ب) / دخلت سنة تسع وستين ونور الدين قد فتح الحصون مرعش (٧) وبهنس (٨) واربيلا (٩) وكيسون (١٠) وكان مليح بن لاون ممتلك الأرمن في خدمته آويا الى ظل عصمته . وقد وصل الى خدمته ضياء الدين مسعود ابن تفجاق فخصه بالحباء والتشريف وأنزله من ظل احسانه في المحل المثيف ووفد اليه صاحب ملطية فأجزل له العطية وهو الذي قتله أخوه وملك البلد وحده ولم يفلح بعده . وكان في خدمته أيضا الأمراء من المجدل فسرهم بالعطاء الاجزل وأظهر أنه ينزل على قلعة الروم على الفرات فتقبل مستخلف الأرمن (١١) بالبراءة وحمل خمسة آلاف دينار على سبيل الجزية والصفار ، وعاد الى حلب وقد نجح في كل ما طلب .

(٧) مرعش الضبط من ياقوت مدينة في الثفور بين الشام وبلاد الروم معجم البلدان ١-٤٩٨ .
(٨) بهنسا هكذا وردت في معجم البلدان وهي قلعة حصينة بقرب مرعش وسميساط . معجم البلدان ١-٧٧ .
(٩) غير واضحة في الاصل . وردت في معجم البلدان اربل وهي بين الزابين من أعمال الموصل معجم البلدان ١-١٨٦ .
(١٠) وردت في معجم البلدان كيسوم وهي قرية من أعمال سميساط وفيها حصن كبير . وردت في ابن الاثير كيسون . ابن الاثير - الكامل ١١- (٢٥٧) ووردت أيضا في الروضتين كيسون . الروضتين (٢) ١-٢-٥٤٤ انظر حاشية رقم ١ في نفس المصدر نفس الصفحة .
(١١) ذا النون بن دانشمند حكم على ملطية وسيواس وقيسارية توفي في ٥٦٩ هـ / ١١٧٤ م .

تذكر عود القاضي كمال الدين الشهرزوري الى بغداد

قال : كان القاضي كمال الدين توجه (١) من دمشق عام اول الى بغداد رسولا ووجد من الديوان العزيز عزة ودنوا واقبالا وقبولا . وأمر أمير المؤمنين المستضيء بضرب دنائير للنثار لا ينقص كل دينار عن عشرة مثاقيل وأحضر لنور الدين مما وصل اليه من النصار المطبوع باسم النثار خمسين عددا وزنها خمسمائة دينار فشكر علو تلك الهمة وسأل دوام النعمة .

قال : وكانت ناحيتا درب هرون وصريفين (٢) من أعمال العراق لزكى ابن آقسنقر والد نور الدين قديما من أنعام أمير المؤمنين فسأل نور الدين احياء ذلك الرسم في حقه فأنعم بهما أمير المؤمنين المستضيء عليه ووجه بهما مثاله اليه . وكان من مراده ان يستوهب ببغداد على شاطيء دجلة أرضا ويبنى فيها للشافعية مدرسة ويقف عليها الناحيتين فقيل له : ما ثم موضع يصلح لهذا (الأمر الا دار التمر (٣)) فعاقته أمر القدر عن قدرته على الأمر .

فقال : وأراد نور الدين أن يسرع الى دمشق الأوبة ويقضى فيها الشتوة فالتاث سره لالتياث سريته وشكاة جاريته فتصدق عنها بالالوف والقرم لله في شفائها بنذور ووقوف وأقام حتى ترجع ترجى ابلالها ثم سيرها في محفة تحمل على أيدي الرجال وتأخر نور الدين جريدة مع عدة من مماليكه وأمرائه وتقدم الى أن اساييره وأسامره في طريقه فسرنا على طريق قبه وملاعب والمشهد وسلمية ، وكان اذا سار لا يدركه من يساييره ، فوصلنا الى سلمية من حلب في يومين ، فجاءه الخبر بأن الفرنج قد أغارت على حوران ، فركب قبل العشاء وأدلىح ووصل الى دمشق والصبح قد تبلىح

(١) في الاصل : توجد بالهامش .

(٢) من قرى الكوفة معجم البلدان ٣ — ٣٨٦ . قارن الروضتين (٢) ١ — ٢ — ٥٤٩ حاشية رقم ١ . حيث يقول انهما أي درب هرون وصريفين من أعمال بغداد .

(٣) هذه العبارة بين الحاصرتين غير واضحة في الاصل والضبط من الروضتين (٢) ١ — ٢ — ٥٤٩ .

وسمع الفرنج به فترفروا . وكان أخوه سابق الدين عثمان (٤) رسولا وكان رجلا بعيدا عن الدهاء ، غير خبير بتدبير الأحكام وآلايها يحمل قول كل قائل على الصدق ، ولا يتصور في ذهنه أمر سوى الحق ، وهو كما يقال ساذج سليم القلب فلما (٥) وصل الى دمشق تلقوه بالاكرام وأنزلوه في دار بعيدة عن الاقوام ييكرون اليه كل يوم للسلام واذا جاء الى القلعة تلقوه الى الباب وأجلسوه في صدر الايوان وقام بين يديه حواشي السلطان ، وهو لا يعلم بما يدبرونه وما الذي يقررونه ثم قال شمس الدين هو الودى والولى ويأمر الملك الكفيل الملى فنريد أن يستظهر منه باليمن . وقال شهاب الدين العدل لسابق الدين أنا أصل الى حلب معك فأعطني يدك أن تنفعنى وإنفك فمضى وخرج معه . قال وخرجت الى طريق سابق الدين لاودعه وحسبته لا تخفى عليه الاشارة فاذا هو أعجمى لا توقظه العبارة ، وخلوت به وقلت احتزروا من الكيد قبل أن تقعوا كالصيد في القيد ، وصرحت له بالامر وخوفته من الفدر وحسبته مأمونا على السر فلما سايه في الطريق العدل ابو صالح وجاذبه أطراف الكلام آمال اليه أعطاف الاستسلام ووفاه في صوره الوفا مكاييل مكايده ، وأراه أنه يزجى له محامل مجاهده حتى اذا وصل الى حلب وبعد شمس الدين على خرقه ساجدا وأظهر أنه لم يزل يتمنى المثل في خدمته مغرما واحدا واستوثق يمينه وشمس الدين لطهارة دينه يعتقد طهارة دينه ، واستقر الأمر على أن يحملوا الملك الصالح الى قلعة حلب ، وهو يتسلم ممالكه ويكون فيها أتابكه ورد أخاه سابق الدين للمضى في الخدمة ، ووصل سعد الدين كمشتكين أيضا في تلك الايام الى دمشق ليجدد بالخدمه عهده ، ويذكر من الراى ما عنده ، واستقبلهم الملك الصالح وكنت راكبا في موكبه مسائرا الى جنبه وهو لا يسمح (٦) في أن أتباعه عن قربه فلما أبصرنى العدل صعب عليه تربي وسائرني الى جنبى وقال : سابق الدين حدثنى بما حدثته ولو كان ممن يثبث لبعثته والفيت من انفاسه دخان الجمر لفحنى منها شرر الشر فجيت الى كمشتكين اعتقد أنه صديق الدهر فمت الى بعذر الذعر .^١ وقال : انقطع عنى حتى أصلح أمرك فعرفت انهم أدخلوا رأسه في المخلاة وأنه ليس من الامتعة المخلاة

(٤) فى الاصل : ساقطة .

(٥) فى الاصل : فما .

(٦) فى الاصل : ينسج .

فهجرتهم على قصد المقاطعة / (١٧٧) ولم اجد بدا من المسالبة والمواذعة لأن لى تجبلا وثروة وخيلا وعدة لو تركتها ونجوت بنفسى لكسفت فى الأخذ بالحزم شمسى ، لكنى أوهمتهم أنى معهم ، ومعاذ الله أن ادعهم حتى وصلت الى حلب فى صحبتهم ثم عرجت على دار محى الدين الشهرزورى بالحاضر واقمت مدة أظهر لهم مودة . ثم أزمعت ورحلت وقطعت الفرات والجزيرة الى الموصل والقيت بها العسايا وصلت .

ذكر مسير الملك الصالح من دمشق الى حلب بتاريخ يوم الخميس الثالث والعشرين من ذى الحجة

قال ولما عزم الملك الصالح المسير بيت الجماعة التدبير ، فأقام شمس الدين بن المقدم بدمشق ، وجمال الدين ربحان والى القلعة ، والقاضى كمال الدين الشهرزورى وسار الملك الصالح ومعه كمشتكين والعدل ابن العجمى الوزير وولى الدين اسماعيل الخازن ومعهم سابق الدين عثمان وهم يستعطفونه ويتلطفونه حتى قربوا من تل السلطان ، ووصلت رسل شمس الدين على بالاحسان فخلفوا الرسل وراءهم ، ورحلوا للمسافة مساهم وأدلجوا حتى وصلوا وثوب الليل شقه الصباح ، وصدر الفجر رحبه الانشراح فتلقاهم الكبير والصغير والمأمور والأمير . وكان شمس الدين بالقلعة راقدًا عشائسه وناشدا انتعاشه فجاء أخوه بدر الدين الحسن متلفيا فبقتوه بالتبض وجاهروا سابق الدين فى مبرم عقده بالنقض واستصحبوها محمولين ، وسبقوا الخبر ركضا حتى دخلوا القلعة ، وكان واليها شاذبخت ، وهو معهم فى الباطن مطلعا على سر الشر الكامن فما احس بهم الشمس الا وقد كسفوه وأظهروا له خفى كرههم وكشفوه واعتقلوا الأخوة الثلاثة (٧) فى مأمورة وشعنوا القلوب بما جنوه فعادت غير مأمورة . وجاء ابن الخشاب مقدم الشيعة فسفكوا دمه على الحالة الشيعة وغازط السلطان صلاح الدين هذا الخبر وتطايير من حلب الى مصر من نارهم الشر ، ومن بعدها كم فاضت العبرات واستفاضت العبر .

(٧) يعنى اولاد الداية وكانوا من اخلص اصدقاء صلاح الدين وقد خرج صلاح الدين مسرعا من مصر بعد وفاة نور الدين وكانت مهمته الاولى رعاية شئون الملك الصالح كما قال وهناك فى حلب بذل الجهود لانقاذ اولاد الداية.

قال : ودخلت سنة سبعين وخمسمائة والملك الصالح في قلعة حلب
مستقر وأمره مع أصحابه مستمر وأنا في دار القاضي محي الدين مقيم ،
والى التوفيق من الله مستقيم اترقب للانفصال الوقت ، ولا أجسد من
المفوتين الا المقت . وجاعنى من أخبرنى انهم وضعوا عليك من الاسماعيلية
من يتم حيلة وتقتل غيلة ، فقلت ما مع هؤلاء سلامة ، وما على الكرم أن
يفارق أهل اللوم ملامة فتحولت عن المنزل الثائى وجعلت الدأب دأبى ،
وانقلبت الى حران وسيف الدين غازى صاحب الموصل تدخيم على سروج
فقدمت على قصده العروج لآستان(٨) والى الركب اعرج(٩) وقصدت فخر
الدين عبد رب المسيح وأنباته بعزمى الصريح ورغبنى في خدمة سيف الدين ،
فأبيت وقلت ما جيت بهذه النية فأخذ لى كتابا الى الموصل ، ومضيت
اليها وأتممت بها على عزم العود الى بغداد لاجمع بأخى شتملى لكن صدنى
المرض ، وحرف مزاج جوهرى العرض وذلك في شهر ربيع الأول . وشغف
بالتردد الى كمال الدين بن الوزير جمال الدين محمد بن على أبى المنصور
الجواد فكتب اليه وقد عادنى(١٠) قطعة منها .

قـلـل فـى الكـرام لـه مـشـبـه وان كـثـروا
هـمـة مـباركـة فـى الشـفا لـها أثـر
لـيس فـى السـيوف سـوى لـلمهـند الاثـر

قال : وسأذكر خروجى من الموصل فى أوانه فى ريعان الملك الصالح
وعنفوانه قال : وطمع سيف الدين غازى فى بلاد عمه ، وعاد فخر الدين
عبد المسيح الى خدمته وعاد عزه فى مكانته ومكتبته ، واستعاد الخابور
والرقة(١١) وحران وسروج والرها. وأدرك فى تلك الأعمال كل ما اشتهى ،
فمضى العدل ابن المعجى من حلب اليه للإصلاح ودخل له تحت الاقتراح
وتمت المصالحة ، وعلق رهن أخوة مجد الدين فى الاعتقال ، وضيقوا عليهم
فى القيود والاغلال ، والزموهم بتسليمه الحصون ورفضوا حكم المروءة .

(٨) فى الاصل : لاسنا .

(٩) فى الاصل : أعوج .

(١٠) فى الاصل دعانى .

(١١) فى الاصل : ورقه .

ونقضوا عهد الفتوة . وكان الموفق خالد بن القيسراني قد وصل ونحن بدمشق من مصر وحمل معه لخاصته المال الوثر وأخذ أمان ملك الفرنج حتى عبر الساحل وطوى إلينا المراحل ، ولزم داره بسكون وعقل ولم يدخل مع القوم في شغل .

وأما صلاح الدين (١٢) فإنه اعتقد أن ولد نور الدين يتولاه بعده أخوة مجد الدين وهم أصدقائه وخلصائه ، وغارلهم والملك النوري ، وقال : أنا أولى بحفظه وصونه ، وكتب إلى شمس الدين بن المقدم ينكر ما أقدموا عليه من تفريق الكلمة وكيف اجترأوا على أعضاء الدولة وأركانها بل أهلها / (١٧٧ ب) وأخوانها وأنه يلزمه أمرهم (١٤) وأمرها ، ويضربه ضربهم وضرها فكتب ابن المقدم إليه يردعه عن هذه العزيمة ويقبح له استحسان هذه الشبهة ويقول : لا يقال عنك أنك طمعت في بيت من غرسك وأصفى مشربك ، وأصفى ملبسك فما يليق بحالك ومحاسن أخلاقك وخلالك غير فضلك وإفضالك فكتب إليه صلاح الدين بالانشاء الفاضلي : وصل كتاب الأمر اطل الله بقاءه ، وأحطنا بإنشائه والمكتوب وما نريد معرفته أنا لا نؤثر للإسلام وأهله إلا ما يجمع شملهم ويؤلف كلمتهم ، وإلبيت الاتابكي إلا ما يحفظ أصله وفرعه ، ويدفع ضره ويجلب نفعه ، فالوفاء إنما يكون بعد الوفاة ، والمحبة إنما تظهر آثارها عند تكاثر العداة ، وبالجملة أنا في واد والظانون ظن السوء في واد ، ولنا من الصلاح مراد لن يبعدنا عنه مراد ، ولا يقال لن طلب الصلاح أنك قاذح ولا لن القى السلاح أنك جارح وما مرادنا الإصلحة تؤثر لا فتنة تثار ، وخدمة تنير لا مضرة تسدى وتثار فلو زرنا على غير هذا السبيل لما سلكتنا مراجعة الخطاب ومطالعة الكتاب فلا يحمل أمرنا إلا على أحسنه ، ولا يظن بنا إلا الخير الذي طبعنا أخص بوجوده من معدنه .

قال : وكان عزم صلاح الدين أن يسارع إلى التلاقي ، ويعتمد في إصلاح الدولة وأنجاح البغية اعتماد الوفي الوافي ، فاتفقت عوايق وطرقت طوارق راعت مبادئها ثم أجمدت غاياتها ، وانحلت بعد الملمات المدهمات

(١٢) في الأصل : صلاح .

(١٣) في الأصل : أمره .

غياياتها فمنها نوبة الكنز (١٤) ونفاته ، ونوبة أسطول (١٥) صقلية ووصله الى ثغر الاسكندرية وارهاقه ، وكان وصوله اليها في السادس والعشرين من ذي الحجة سنة تسع وستين وانهزاه مستهل المحرم سنة سبعين .

قال : ووجدت كتابا من صلاح الدين الى بعض امراء الشام بشرح الحال وهو : هذه المكاتب صادرة من الأمير بعد أن وصل الأسطول الصقلي الى ظاهر ثغر الاسكندرية حماها الله تعالى في وقت الظهر من يوم الأحد السادس والعشرين من ذي الحجة ولم يزل متواصلا الى وقت العصر وكان ذلك على حين غفلة من الموكلين بالنظر لا على حين خفاء من الخبر فأمر هذا الأسطول توالت به الأخبار وعظمت الشناعات عنه في الأفاق والإقطار وروع ابن عبد المؤمن (١٦) في البلاد المغربية وهدد به في الجزائر الرومية صاحب قسطنطينية . وكان عسكر الوالي غاييا ولم يحضر في ذلك اليوم الا العدد القليل منه وأصبحوا في يوم الاثنين الذي يليه على ما هم عليه من انتشار راجل الثغر فاشار جماعة من عقلاء الاتراك بأن يرد الناس من المكان البعيد ويقفوا من السور بالمكان القريب فخلا البر وأمكن الأسطول الصقلي في النزول الأمر ، واستنزلوا خيولهم من الطرايد ، وراجلهم من المراكب فأما الخيل فعقدتها على ما حققته أخبار الاسارى على الأفراد وعلم بالارجاف السابق الى البلاد الف وخبسمائة رأس منها راحة ألف وتركبولية خمسمائة وكانت عدة راجلهم في كل شينى مائة وخمسين راجلا فيكون ثلاثين ألف

(١٤) حاكم أسوان قام بحركة مضادة لصلاح الدين والدولة الصلاحية وجمع حوله العناصر الموالية لدولة المصريين لكن أبا الهيجاء السمين استطاع أن يردع هذا التمرد .

(١٥) كان وصول أسطول صقلية الى الاسكندرية جزءا من الاتفاق الذي تم بين عموري ملك بيت المقدس وبين وليم الثاني لفزو مصر بناء على طلب من عمارة اليمنى وزملائه . كانت الخطة أن يتقدم عموري بجيشة برا بينما يغزو أسطول صقلية الاسكندرية بحرا ويبدأ فعلا وليم الثاني تنفيذ الجزء الخاص به من العمل أما عموري فلم يتمكن وذلك بانكشاف أمر عمارة اليمنى في مصر . ومن الجدير بالذكر أن هذا الأسطول لم ينجح في تنفيذ مهمته ومن ثم قفل عائدا الى صقلية . انظر الروضتين (٢) ١ - ٢ - ٥٩٨ .

(١٦) هو أبو محمد عبد المؤمن بن علي القيسى الكومي المتوفى سنة ٥٥٨ هـ . ابن خلكان . وفيات الاعيان ج ١ ص ٣٩٠ - ٣٩٢ .

مقاتل عن مائتي شينى . وكانت عدة الطرايد ستا وثلاثين طريدة تحمل الخيل وكانت عدة السفن التى تحمل آلات الحرب والحصار من الأخشاب الكبار وغيرها ست سفن ، وكانت عدة المراكب الحمالة برسم الأزواد للرجال أربعين مركبا وفيها من الراجل المتفرق وغللمان الخيالة وصناع المراكب وأبراج الزحف ودباباته المنجنيقية ما يتم خمسين ألف راجل ولما تكاملوا نازلين على البر خارجين من البحر حملوا على المسلمين حملة لم يكن حاضرها من أصحابنا سوى محمود بن البصار فاستشهد فى سبيل الله واستمرت الحملة على المسلمين الى أن أوصلتهم الى السور وجذفت مراكب الفرنج داخله الى الماء ، وكانت به مراكب مقاتلة ومراكب مسافرة فسبقهم أصحابنا اليها فحسفوها وأغرقوا (١٧) ما احترق منها واستمر القتال الى وقت العشاء من يوم الاثنين المذكور ونزلوا بخيامهم وضربوها على البر ، وكانت ثلثمائة خيمة وبناتوا على الاهتمام بآلات الحصار ولما أصبحوا يوم الثلاثاء زحفوا وضابتوا ونصبوا ثلاث دبابات وثلاثة مجانيق كبار تضرب بحجارة سود استمحبوها من صقلية . واما الدبابات فانها تشبه الأبراج فى جفاء أخشابها وارتفاعها وكثرة مقاتليها وزحفوا بها الى أن (١٨) قاربت السور ولجوا فى القتال عامة النهار . ووردنا الخبر الى منزلة العسكر بفاتوس على جناح الطائر يوم الثلاثاء ثالث نزول / (١٧٨) العدو فاستنهضنا العسكر الى الثغرين الاسكندرية ودمياط وكان الاميران بدر الدين أيوب وفارس الدين تيمرك فسبعا الى الاسكندرية برجالهما وأنضاف اليهما من كان فى اقطاعه بالبحيرة المجاورة للاسكندرية من المقاويد وغيرهم فى يوم الثلاثاء والأربعاء وعاد بعض عسكر تقي الدين من برقه من القرب واستمرت الحرب ، وقدمت الدبابات ، وضربت المنجنقات وزاحمت (١٩) السور الى أن صارت منه بمقدار الاماح فاتفق أصحابنا على ان فتحو أبوابا من قبالتها من السور ففتحو الأبواب على غفلة ، وخرجوا منها على غرة ، وركب من كان هناك من الأمراء والخيل وخرجوا فارين من الأبواب ، وتكاثر صياح اهل الثغر من جميع الجهات فاحرقوا الدبابات المنصوبة وصدقوا القتال وأنزل الله على المسلمين النصر وعلى الكفار الخذلان والقهر . وما زالت المكافحة بالسيوف

(١٧) فى الاصل وأحرقوا . وبها لا يستقيم المعنى .

(١٨) اضافة يقتضيها السياق .

(١٩) فى الاصل : زاحمت .

الى وتنت العصر من يوم الأربعاء وقد ظهر فئشل (٢٠) الفرنج ورعيهم ،
وقصرت عزايهم وفقرت حربيهم ، واحترقت آلات قتالهم ودخل المسلمون الى
الشفر لقضاء فريضة الصلاة ، واخذ ما يكون به قوام الحياة ، وهم على
نية المباكرة . وكنا قد سيرنا أحد الممالك فركب فرسا وجنب فرسين
فاوقف الثلاثة طاويا واخذ رابعا من ضيعته ودخل الشفر بعد العصر بعد
ان أعلم كل من لقيه من الاتراك انه فارقتنا على المعديه ، وسبق بين ايدينا
بالبشارة ، فارتفعت الصيحة وعلت وخرجت الخلايق التي كانت للصلاة
والعشاء دخلت وثابت اليها عزايها بعد الكلال ، وتداعت رجالها وقبائل
الشفر الى القتال وأوقع الله في قلوب المسلمين أنا في أوساطهم وبين ظهورهم ،
وصار الخارج من بيته يروم ان يتسرع ليجاهد بين ايدينا ، ولنرى اثر الذي
كان يرجوا أن يصل خبره الينا وتضي الأمر ونزل النصر وواقعوا الفرنج في
خيامهم وهاجموهم ، وقد كاد يخلط الظلام وتسلم أهل البلد الخيام بما فيها
من همم الملوك العالية وتحملاتهم الغالية وفنكو (٢٢) في الرجالة أعظم فتك ،
وتسلم أصحابنا الخيالة فلم يسلم الا من نزع لبسته ورمى في البحر نفسه ،
وتتحم أصحابنا البحر على بعض المراكب المذكورة فحسفوها واتلفوها فولت
بقية المراكب هاربة وجاءتها أحكام الله غالبة وبقي العدو بين قتل وغرق
وأسر وفارق واحتفى ثلثمائة فارس في رأس تل فأخذت خيلهم ثم غلب أهل
الشفر عليهم فقتلوا وأسروا وغيمن أسر رجل كبير كان عمر خمسين شينيا ،
وأما المأخوذ من اليزك والنعمة والآلات والأسلحة فنقد ذكر انه لا يملك مثله
ولا يوجد لفرنج الشام أسيره ، وأما الخيل فأنها أكاديش فحول ولم يعد معهم
فرس واحد منها .

وأطلع هذا الأسطول من الشفر يوم الخميس ولا يعلم أين يقصد من
البلاد والأعمال على انه لا بقية فيه لحرب ولا قتال . وكان عدوا ثقيلًا وكان
خطبه جليلا الا أن ذكروا أن مكيدتهم في اللقضاء ضعيفة وحضر من عقلاء
خيالتهم المأسورين من استجبر وأمر أن يصدق فذكر أن النفقة كانت في
الفارس خمسة أشهر وهم ألف فارس منهم سبعمائة نقدية من ثلاثين دينار
مشاهرة الى خمسة وعشرين دينارا الى عشرين الى خمسة عشر ومنهم

(٢٠) في الاصل : قتل .

(٢١) في الاصل : وقتلوا .

من له خمسون ومنهم من له مائة من مشاهيرهم ، وأن الاقطاعية ثلثمائة فارس
وأن التركبولية خمسمائة فارس لكل منهم خمسة دنائير ومؤنته على ملكهم
على ان فرسا لا يموت ، ومنهم من له عشرة دنائير وللقائد والرئيس عشرون
دينارا وأن العدة تناهز أربعة ألف رجل خارجة عن جرخية (٢٢) وسرجندية
عدتهم خمسة آلاف رجل وأن المتقدمين ثلاثة أحدهم ابن عم ملك صقلية
والحمد لله على هذه النعمة التي احدثت للقلوب استبشارا وخفضت
للشرك علما ورفعت للتوحيد منارا ، وأظهرت للملة الحنفية على أعدائها
استملاء واستظهارا ، وأعلننا الأمير ليكون في شكر الله عليه مشاركا وبأخذ
من حمده تعالى بحظ يتعين على مثله أن لا يوجد له تاركا ان شاء (٢٣)
الله تعالى .

قال : وفي أول هذه السنة سنة سبعين قام من كان المعروف بالكنز (٢٤)
في الصعيد وجمع من كان في البلاد من السودان والعبيد ، وكان عنده من
الامراء أخ لحسام الدين أبي الهيجاء السنين ففتك به وبين هناك من المقطعين
فغارت حمية أخيه وثارت للنار وساعده أخو السلطان الملك العادل سيف
الدين وعز الدين موسك ابن خاله وجاءوا الى مدينة / (١٧٨ ب) طود (٢٥)
فأتى السيف على أهلها ، وباتت (٢٦) بعد عزها بذلها ثم قصد الكنز فسفك
دمه وظهر بعد ظهور وجوده عدمه ولم يبق للدولة بعد كنزها كنز وسال (٢٧)
دمه فلم ينتطح فيها عنزا .

(٢٢) والجروح هكذا تجمع وهي آلة حربية تستعمل لرمى السهام
والنقطة المشتعل والحجاجة

أنظر ابن ممتي : قوانين الدواوين ص ٣٥٣ ، ٤٥٦ .
تارن :

R. Dozy, Diet. Arabes, Paris, 1927. 2. Toms.

(٢٣) في الاصل : أنشا .

(٢٤) حاكم أسوان في أول أيام صلاح الدين . عن الكنوز وهم احدي
بطون (ربيعة) أنظر البيان والأعراب ٥٠ ، وأيضا اتعاظ الحنفاء مخطوط
ورقة رقم ٦٠ ب . وقد أشار اليهم كل من أبي شامة وابن واصل . ومعظم
المصادر العربية أشارت الى ثورة الكنز . أنظر ابن شداد — النوادر
السلطانية ص ٤٧ حاشية رقم ٥ .

(٢٥) بلدة بصعيد مصر قرب قوص .

(٢٦) في الاصل : بات .

(٢٧) في الاصل غير واضحة .

ذكر توجه صلاح الدين الى دمشق وتملكه

قال : ولما خلا باله مهد لاستضافة الممالك ، وأوضح بعزايه اقامة سنن المسالك وخرج الى البركة مستهل صفر ورحل الى بلبس ثالث شهر ربيع الاول وكان رسل صاحب بصرى شمس الدين جاولى وشمس الدين ابن المقدم عنده تستورى في البعث والبحث زنده وتستقدمه وجنده فصار ووصل اليه بالسرى الى أن أناخ على بصرى فاستقبله صاحبها بكل ما أسعد به ذخره ، وشد أزره ، وسدد أمره ، واستضاف الى بصرى صرخد(١) ، وتفرد بالسبق الى الخدمة وتوحد (٢) وسار في الخدمة معه الى الكسوة وركب صلاح الدين يوم الاثنين انسلاخ شهر ربيع الاول وسار واعتمد في تعبئة(٣) عساكره الاستظهار وحسب(٤) ان في البلد من يقوى للامتناع ويقوى بالدفاع فأقبل وهو يسوق حتى دخل دمشق وخرقها كأن الله خلقها الى دار العقيقى مسكن أبيه وبقي جمال الدين ربحان الخادم في القلعة على تأبيه فراسله حتى استماله واغزر له نواله حتى تملك المدينة والقلعة ، وملك ابن المقدم داره وكل ما حوالها وبذل له طلبته التى ائتمار اليها وأظهر أنه جاء لتربية الملك الصالح وتدبير ملكه وأنه أحق بصيانة حقه . واجتمع به أعيانها وأصبح هو سلطانها فزاره القاضي كمال الدين الشهرزورى فوفاه حقه من الاحترام وأجراه على ملاقى بسعادتته والسلام .

فصل

من كتاب فاضلى عن صلاح الدين : ان الله ملكنا دمشق عناية وعنوة ولم يكتب فيها بحمد الله الى خطيه خطوة ، ولا حدثت عشرة فيقال فى أمرها لعله يقال ، ولا استعمرت صفة فى ذكرها لعله يقال . وعرض فى المبادئ تعرض(١) من العسكر الدمشقى فاعلموا أن الهشيم تذروه الرياح(٢) والصريم

(١) فى الاصل : صلخد .

(٢) فى الاصل : غير منقوطة .

(٣) فى الاصل : تعبئة .

(٤) فى الاصل : رجب .

(١) فى الاصل ساقطة . الضبط من الروضتين (٢) ١-٢-٦٠٢ .

(٢) فأصبح هشيماً تذروه الرياح . سورة الكهف آية رقم ٤٥ حيث

يتمثل فى أسلوبه بها .

يمحوه الصباح ، والسيف اصمدق انباء والحق أعز أبناء والباطل يضمحل عفاء . « والزيد يذهب جفاء(٣) » الا وأنا رأينا العفو أقرب للتقوى ، وامثل في سلوك الطريقة المثلى فحفظنا الدماء في أهبيها وأرحنا القلوب من نصبها ، ورددنا السيوف عن قرب تغيظها في قربها ، وتركنا الرماح وأطرافها تضطرم وقد واضطرب حقدا ، وقتلنا لنار الغيظ « يانار كوني بردا(٤) » ونظرنا في احوال البيت النورى اعلاه الله فاذا هو قد أطفيت مصابيح نوره ، وكاد ذكره في الذهاب يلحق بمذكوره فاستأنفنا تدبيرات تؤمل أن الله سبحانه يقيم البيت الكريم على عمده ويغنيه عن مسايده من لا يغنيه عن سنده ، وقضينا حق الملك الكريم الصالح وحق والده رحمه الله باظهار الاحسان في كفالاته ، واستشعار الجميل في خدمته . وقد كان ربحان مانع بتسليم القلعة ريثما علم ان لا يبقى بالرماح ربحانه وبقدرا احتوى ضال فكره وأبصر حيرانه فأعطيناه أمانا وبواناه منها مكانا ، وصعد الأجل الأخ سيف الاسلام فملكها وسكنها واستقر ركابنا بالدار النجمية لتنفيذ الأمور والأوامر ، وتدبير الرعايا والمساكر .

قال : ولما سمع المدبرون للملك الصالح باقبال صلاح الدين المؤذن بادبارهم حاروا في حوارهم ، ولبسوا ثمار استشعارهم وراسلوا بالعنف معنفين وبالعسف معتسفين . وكان الواصل منهم قطب الدين ينال بن حسان وقد تجنب في قوله الاحسان وقال له : هذه السيوف التى ملكتك مصر وأشار الى سيفه تردك وعما تصديت له تصدك فطم عنه السلطان واحتمله ، وتغافل كرما وأغفله وذكر أنه وصل لترتيب الأمور ، وتهذيب الجمهور وتربية ولد نور الدين ، واستنقاذ أخوة مجد الدين . فقالوا له : أنت تريد الملك لنفسك وتجنن لا تنزع في قوسك ولا نبني على أسك فارجع حيث جئت أو اجتهد واصنع ما شئت ولا تطمع فيما ليس فيه مطمع ، ولا تطلع حيث مالصعودك فيه مطلع . ونال من تقطيب القطب ينال ما أحال الحال وأبلى البال وأبدى التيسم وأخفى الاحتمال .

(٣) سورة الرعد آية رقم ١٧ .

(٤) سورة الانبياء . آية رقم ٦٦ « قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم » .

نكر رحيل السلطان الى حمص مستهل جمادى الأولى

قال : ولما رأى أن التصد لا يقضى الى مقصود ، وأن القوم لا يميلون الى نهج محمود عول على أخيه سيف الاسلام طغتكين/ (١١٧٩) فى دمشق وأنالتها ورعاية رعيته ، ورحل ونزل على حمص يوم الاحد حادى عشر جمادى الاولى ودخلها يوم الثلاثاء . وبقيت القلعة على الامتناع الى أن أذن الله تعالى لها فى الاستفتاح (١) ورتب عليها من الأمراء من تفى حركته بسكون الدهماء وقلعتها امتنعت وعلى سيوفها ارتفعت فصار الى حماة وأخذها فى مستهل جمادى الآخرة ومضى ونزل حلب فى ثالث هذا الشهر على قصد الحصر ، وكانت الشتوة ذات أنواء وثلوج ، وعواصف هوج ، ومضايق كربة بلا فروج ومداخل شدة بلا خروج . وجرت شدة امتدت للمساقى عدوى الشقاق مدة . وعصم الله حشاشته فى تلك النوبة من سكاكين الحشيشية (٢) ، وأجرى من حفظه ما كان فى غيب من المشية . قال وسبب ذلك أن الحلبيين لما اشتد عليهم الحصار استعانوا بالاسماعيلية ، وعينوا لهم أموالا وضياعا ، وبذلوا من البقول أنواعا . فجاء منهم فى يوم بارد من فتاكهم كل عات فغرمهم صاحب بوقبيس ناصح الدين خمارتكين . وقال لهم : لاى شئ جئتم ، وكيف تجاسرتم على الوصول وما خشيتهم فبدروهم بسكينهم وقتلوه ، وجاء من يدفع عنه ففتكوا به (٣) وبالجراح أثخنوه ، وعدا أحدهم ليهجم على السلطان فى مقامه وقد شهر سكين انتقامه وطفول الأمير جاندار واقف ثابت حتى وصل اليه فشمّل بالسيف رأسه ، وما قتل الباقون حتى قتلوا جماعة وأقام السلطان الى مستهل رجب ثم رحل والى حمص تحول وبحصر حصنهم اشتغل . وسبب ذلك أن قوم من طرابلس ريمند الصنجيلى كان فى أسر نور الدين رحمه الله مذكرة حارم ، وبقي فى الأسر أكثر من عشر سنين ثم سعى الأمير فخر الدين الزعفرانى فى خلاصه .

(١) فى الاصل : الاستمرا .

(٢) المحاولة الاولى لقتل صلاح الدين وهو محاصر حلب فى ٥٧٠ هـ — ١١٧٤/١١٧٥ م انظر :

B. Lewis, Saladin & The Assassins, BSOAS, XV, 1953.

وانظر أيضا لنفس المؤلف

The Assassins A Radical Sect in Islam, London, 1967.

(٣) فى الاصل : قتلوا .

وكان في آخر عهد نور الدين فغلب عليه وهو اكبر خواصه وخلصه بمبلغ مائة وخمسين ألف دينار ، وفكك ألف أسير واتفق هلاك ملك الفرنج في أول هذه السنة فتكفل بالملك بين يدي ولده المجذوم فلما نزل السلطان على حلب وجد فيها طلب كاتب الحلبية الحشيشية فجرى منهم ما ذكروا ثم كاتبوا القومص بطرابلس وقالوا له أنت طليقنا ، وكنت رفيقنا في الأسر والآن أنت عتيقنا وحقنا عليك متعين وبرهان ذلك بين فجاء الخبر بتوجه القومص في الافرنجية الى حمص فرحل عن حلب مستهل شهر رجب فرجع الملعون ناكصا على عقبيه خوفا مما يقع فيه ويتم عليه .

وأقام السلطان على قلعة حمص شهرا ، وقد استشهدت من الجانبين عدة وجرت شدة والسلطان مقيم في بيت في اعالي المدرسة يشاهد منه الحرب حتى هاجم رجاله يوما باب القلعة وهجم عليهم الرجال من فوق فقبضهم أهل القلعة ثم راسلوا السلطان في طلب الامان فهاب لأجل الرجال المقبوضين عليهم فأعطاهم الامان ، وسلموا الحصن وسلموا وتجاوز عما أجزموا ثم نهذ الى بعلبك وفيها خادم يعرف بيمين فنظم الموضع بسلم وهدنه وذلك يوم السبت رابع شهر رمضان .

قال : ووجدت كتابا عن السلطان الى أخيه سيف الاسلام وهو بدمشق يبشره بفتح قلعة بعلبك وهو بالمثل الفاضل ومنه : نحن نبشر الأخ آدم الله طروق البشائر سمعه ونزول المسار ربه بفتح قلعة بعلبك بالنسلم الذي أغهدت قلبه السيوف وقرت به من الاولياء العيون ورغمت من الأعداء الأنوف وكتابنا هذا اليه وسنجقنا فوق قلعتها مستقل ، ومعتمدنا من أعلى شرفاتها مطل ، فالحمد لله الذي قرب كل بعيد وسهل كل شديد وجعلنا حيثما كنا مقصودين بعادات نصره محفوظين بمعقبات أمره ، والأخ يضرب نوبة البشارة ويظهر أثر موهبتها السارة ليزيد الله العدو هوانا ويعلم كل من خالف سلطاننا أن الله لم يجعل له سلطانا .

قال رحمه الله في ذكر ما آل اليه أمره وهو بالموصل : قال فوصل نجاب وذكر أنه فارق صلاح الدين بالكسوة فهاجنى الطرب لقصده لسابق معرفته ، وقديم وده ، وخرجت من الموصل رابع جمادى الأولى وعبرت الخابور في مخاضة المجدل وجئت الى الرقة ودخلت الي دمشق في ثامن جمادى

الآخرة ، وصلاح الدين نازل على حطب ، فنزلت في مدرستي ، وعدت الى منزلي ، والفيثا وفيها مدرس يتولاها وقالوا أن العماد خلاها . فدخلت اليها وأخرجته وأبعدته عن النهج الذي نهجه وكنت في غير الى وعقاييله ارتقب اعتدال مزاجي ، فاقمت حتى استقمت وصبرت الى أن عاد السلطان الى حمص وانتظرت طيب الزمان ومطاوعة الامكان ، وقصدت السلطان وقد تسلم قلعتها في شعبان قال وهنائه في فتح بعلبك بأبيات منها :

(١٧٩ب)فتح تستنى في الصيام كأنما شكرنا لما منح الأثام صيام

من ذا رأى في الصوم عيد سعادة حلت لنا والفطر فيه حرام

باليمن هذا الشهر مشهور كما قد عم بالبركات هذا العام

قال : ولزمت خدمته أرحل برحيله وأنزل بنزوله ، وأواصل حضرته وأنشده شعري وأقول ليت شعري الى ما يؤول أمرى . أحضر في كل وقت على سبيل المجالسة ونهج الموانسة لا أمت بمعرفة ولا أنبس ببنت شفة ولما كثر ترددى اليه وتوددى وتصبرى على العطلة وتجلدى اقترحت على قرائى الاكثار للسلطان من مدايحى ، واحتجت الى أحياء الموات والاذكار بسابق الحرمات مهام به الفهم وكثرفيه النظم الى أن دخلت في خدمته وصرت كاتب حضرته فشغلنى انشاء الرسائل عن انشاء المدايح ، فغلب النثر وقل النظم ولو ذكرت مدايحى في هذه السنة لكبر حجم الكتاب وخرج عن حد الاسهاب .

قال : وكنت ليلة عند السلطان وهو يذكر جماعة من الشعراء وعنده ديوان الامير مؤيد الدولة اسامة بن منقذ ، وهو به مشغوف وقد استحسن قصيدة له طائية ولو عاش السلطان لاقر بفضلها فنظمت في مدح السلطان كلمة اولها :

عفا الله عنكم ما لكم ايها الرهط قسطنتم ونى قلب المحب لكم اقتسط

شربتم له حفظ الوداد وخنتم حنائيكم ما هكذا العهد والشريط

ذكر الواقعة الأولى مع المواصله والحلبين

قال رحمه الله : لما تسلم السلطان قلعة بعلبك عاد الى حمص وخيم ثامن رمضان بظاهرها وخيمنا في عاشره على حماه . وكان قد وصل عز الدين مسعود أخو سيف الدين غازي صاحب الموصل نجدة لها ولما عرفوا ان السلطان مشغول بالحصون تركوا وجاعوا الى حماه فحاصروها فعرضوا أنهم لا ينالون منها فرحلوا عنها . وراسل مقدموها حلب المواصله النايب السلطاني في حماه قبل وصوله اليها اتنا وصلنا للصلح والاجتماع فيما يعود بين الجانبين بالنصح والنجاح فكتب الى السلطان وهو ببعلبك يحثه ويحضه لعله يتم عقد صلح لا يتأتى نقضه فمضى السلطان في خوف وجمع غير وجف رجاء للايتلاف وتكذب مذهب الخلاف فجاء من الحلبيين الأمير سعيد الدين كمشتكين وشهاب الدين أبو صالح بن العجمي واجتمعوا بالسلطان لما دلبوا أن يرد عليهم الحصون ، واستقر أن يقنع بدمشق نايبا عن الملك الصالح وله خاطبا وعلى الانتماء اليه مواظبا ، وأن يرد كل ما أخذه من الخزائنه وأن يسلك فيه سبيل الامانة . فلما راوه لكل ما يلتمس منه مجيبا ، ولكل ما يستبعدونه من مرام قريبا ، وراوه في عسكر خفيف ومطعم عفيف ومجمع لفيف قالوا خبره صحيح وأن انذى يعرض له من عجزه صريح ، وهو في قافلة ما أهون أخذها ، فشرعوا في الاشتطاط ، وجاوزوا حد الاشتراط ، وظلوا الرحبة وأعمالها فقال هي لابن عمي ناصر الدين محمد بن شريكوه ، وكيف الحق به في رضاكم المكروه فقاموا متفضبين ونفروا وارتحلوا ونفذوا وراهم من يردهم فما أكثرثوا به ولا احتفلوا وذهبوا ، وهم يقولون كيف نرتاع لقول هؤلاء والى متى نصبر على البلاء ، وفارقنا الى مخيمهم وربضوا تلك الليلة في مجثمهم ، وأصبحوا على الرحيل الى جانب العاصي واطهروا أنهم على المصاف وعزم الانتصاف فعبر السلطان الى سفح قرون حمص خيامه وركب في مقابلتهم لمقاتلتهم أعلامه وقد اجتمع عسكر الموصل والجزيرة وحلب والسلطان ينتظر وصول أمرائه الواصلين الى دمشق من مصر قال : فوصل في ذلك الوقت لتوفيق الله ومساعدة قدره العسكر المصري في عشرة من المتقدمين الأكابر وهم تقي الدين عمر وعز الدين فرخشاہ ابنا أخى السلطان ، وشهاب الدين محمود بن تكش خاله وخواص رجاله ووصلوا الى المعركة أمام الزحف واقتسموا ميمنه وميسرة تقدموا زحفا وسدا واستدنوا ما ظهر بعيدا فابصروا أولئك ما لم يبصروه وانكرا ما لم يعرفوه ،

واسودت الدنيا في عيونهم وأحسوا باخفاق ظنونهم ، ونحن وقفنا وراء الصفوف نبصر عجاجهم ونسمع ضجاجهم ثم رأينا الغيرة تبعد عن صوينا فقلنا أن النصر لحزينا فإن الهزيمة لو كانت علينا لشارت الغيرة إلينا فكان الأمر كما ظننته ، فان السلطان لما هزمهم طردهم الخيل حتى طرد النهار الليل وسار حتى زحزحتهم عن أثقالهم وأحمالهم ودوابهم ورجالهم . وحقق الدماء وسكن الدهماء ونزل في منزلتهم واستقال الدين من زلتهم ثم سرنا ونزلنا بقرا حصار(١) من أعمال حلب وهناك عيدنا عيد الفطر وشكرنا (١٨٠) الله على أداء فريضة الصوم وانتفاء فضيلة النصر .

كتاب فاضلى الى زين الدين الواعظ في المعنى أوله : لله سبحانه وتعالى الحمد عندنا عوايدهم قد صارت كالأمر المعروف ، والواقع المألوف والضيء اللازم للصباح ، والعرف المتضوع مع الرياح فلا تستغرب غرايبها وان كانت بديعة ولا تبهر عجائبها وان كانت وسيعة وشيعة . وكان الحلبيون والمواصلة قد صاروا بنيانا مرصوصا في الخلاف ، وعقدا واحدا في الشقاق والانحراف ، وحصروا حماة أياما وهم فيها المحصورون ، وأن جندنا جند الله وهم المنصورون ثم ارتحلوا عنها ولم تزل المراسلات تكرر والمعاهدات تنقض بعد أن تقرر الى أن كان آخر رساليلهم ما بيننا الا السيف فرضينا به حكما وأرسلنا حبلم على غاريهم ، وعلمنا أن البقى مهترض دون مطالبهم ولما كان يوم الاحد تاسع عشر شهر رمضان ركبنا والعساكر قد انتظمت عقودها والاطلاب قد اطرده مسرودها ، والسيوف قد كادت تلفظها غمودها ، والرماح ساقها الى الاوراد ورودها فلما تصافحت أطراف القنا مع النحور ووصلت صدور الرماح الى الصدور ، تخور له الصخور وأنزل الله نصره علينا فلاذوا بالفرار ، وذهموا عواقب الاغترار ، واستولت على ابطالهم حلقات الاسار وحاز العسكر المنصور من القوة والعقاد وآلات الحرب والطراد ما ملأ كل يمين وشمال حتى لم يبق فارس الا قاذ الجنائب ولا راجل الا سبق الراكب بما استكثر من المراكب وكان المقام كريما واليوم عظيما ، وكان هذا الفتح لفتوحنا أميرا وهذا اليوم بما بعده من سعادات الايام بشيرا ، وكتبنا ونحن على اثر المنهزمين سايقون الى مستقر القرار الذي يسترجون سابقون

(١) في الاصل : نفرا .

قال ونظمت في هذه الوقعة في مدح ناصر الدين محمد بن شيركوه قصيدة أولها :

وكتيبة مثل الرياض كأنما	راياتها منشورة أزهار
وكانها خضر البيارق للقنا	ورق وهامات العداة ثمـار
وكمائم الأغمار عن زهر الظبي	فتقت فكل صقيلة نوار
وعلى شعاع الشمس لمحديدها	يبدو كما يعلو الجبين نضار
عبيتها بعزيمة مشفوعة بالنصر	منك تعينها الاقدار

ومنها :

أهلى بجلق والعراق مراقبوا	حالى وطرف رجائهم نظار
وقطعت أبواب الملوك اليكم	ليكون منك الى الفجـاح بدار
بادرت نحوك بالرجاء مؤملا	والصفو تهجر دونه الاكدار

قال : فنزل السلطان قرا حصار بنية الحصار فجاءت رسلهم بالاقتياد وإجبابوا الى المراد وقالوا : اقنعوا بما أخذتموه الى حماة ولا تشتموا بنسا العداة فاسترد عليهم كفر طاب والمعرة على انا لا نسومهم المضرة والمهرة واستوفينا عليهم الايمان المستقرة واحضرني السلطان في ذلك اليوم لتحرير نسخة اليمين ورأى الحلبيون الذين غارقتهم انى الى جانب السلطان جالس ويأمره مستأنس فنظروا شزرا وعظموا ما ظنوه نزرا فما وقف السلطان في عرض ولا شاب صحة قوله بمرض وسألهم في المعتقلين اخوة مجد الدين فأجابوا وفرجوا عنهم وتم الصلح وعم النجج ورحلنا ظاهرين ونازلنا بحماة يوم الاثنين ثاني عشر شوال وهناك ألقينا العصا فما استقرت بقا النوى ونوينا الى حصار بعيرين .

نكر وصول رسل دار الخلافة

قال : ولما وصل السلطان الى حماة تلقاه رسل دار الخلافة بالتشريفات السنية والأمثلة الرضوية والجنايب العربية والتحف الامامية والتقليد والتبليك والتحكيم والتفويض فأفاضوا على السلطان وأقاربه الخلع واتبعوا في التشيع به الاتباع والشيع ولبس الالهة السوداء كأنه بدر التمام تجلى انواره

فى الظلام ، وكأئنه انسان عين الاسلام نظر من سوادها ، وصحيفة السعادة
تلاوات امدادها من مدادها ، وركب (١) ولواء الحمد فوقه خافق والمركب
الخاص تحته سابق وافيض على ناصر الدين محمد بن شيركوه بن عم السلطان
تشرىف مقارب للتشرىف السلطانى منير منيف وخص من الديوان العزيز
بالتفضيل والتميز .

قال (١٨٠ ب /) ولم يبق فى ذلك الصوب الا حصن بعيرين مع الامير فخر
الدين مسعود الزعفرانى ، ولما وصل السلطان الى الشام لجأ الى ظل
الاكرام ، ولازمه ظنا منه انه يقدمه على العساكر ويجريه على عاقته فى
العهد النورى سقاه الله فان نور الدين رحمه الله قدمه على العساكر
فى آخر عمره ، وأقطعهم الرها وحماه وكفر طاب وحمص وسلمية وبمعيرين
فعرف انه لا يتم له هذا المراد ولا يصح عليه الاعتماد فأصبح يوما مفارقا
ولحجاب الحجى خارقا ، فنزل السلطان على بعيرين فأخذها سلما فى العشر
الاخر من شوال وانتظمت تلك الفتوح على تواتر ونوال .

قال : وانكر انا عبرنا نهر العاصى عايدىن وقد انكسفت الشمس
وادلهم النهار وغلب القلوب الاستشعار ، وخفيت الرسوم ، وظهرت النجوم ،
وجينا الى حمص ثم الى بعلبك ثم البقاع بعزم العود الى دمشق ، وأقطع
حماه خاله وصهره شهاب الدين محمودا ، وانعم بحمص على ابن عمه ناصر
الدين محمد بن شيركوه ووصلنا الى دمشق فى هذا الشهر برايات الفتح
والنصر قال :

نكر ما أسفر عنه حالى ومال آمالى

قال : قد قرر حسادى عند السلطان ، وقالوا : شغله الكتابة وهى
منصب الاجل الفاضل ، وهو يستنيب فيه من يراه من الأفاضل ، وهذا
(تصرفه برفد جزيل) (١) ووجه جميل ، والسلطان مع شدة رغبته فى متوقف
والى ظهور وجه النجاح فى امرى متشوف وكنت قد آنست مدة مقامى فى

(١) اضافة يقتضيهما السياق حيث أنها فى الاصل ركب .

(١) ما بين الحاصرتين فى الاصل : غير واضح والضبط من الروضتين ؟

المعسكر بالأمير نجم الدين بن مصال وهو ذو فضل وأفضال (٢) وله يد عند السلطان في النوب التي تصدوا فيها مصر لا سيما عند كواحه محصورا بالاسكندرية ، فلما ملك أحبه وأختار قربه فلزمت له التردد اليه ، وجملته الوسيط بيني وبين الأجل الفاضل والخدمة من أنجح الوسائل ووقفت خاطري على تقاضيه نظما ونثرا فدخل الأجل الفاضل الى السلطان وعرفه أنه في راغب وأنه في ترتيبى حاجب فقتال له أنت كاتبى ومدير ملكى صاحبى ولو ربيت كاتباً لظن أن في الحال نقصاً . فقال أنا لا يمكننى الملازمة الدائمة في كل سفرة وعدا تكتيك ملوك الاعاجم ولا يستغنى في ذلك عن عقود اللطافات وحل التراجم ، وأنا ما أحضر في كل أوان والدولة مفتقرة الى كافل بها غير متوان والعماد يفي في الوفاء باختراع كل بكر واختراع كل : وان ، ولك اختاره وقد عرف في النوبة النورية مقداره ، والجواد عينه قرار ، فوافق قوله مراد السلطان وعرف أن الأجل الفاضل أجل فضلى وحسبى عطلى وأخذ خط السلطان بما قرر لى من شغلى فاعتل كبد من حسد وانحط عقد ما فسد ، وراح من الفضل ما كسد ، وعاود الروح منه الجسد .

ودخلت سنة احدى وسبعين

والسلطان في مستهل المحرم في مرج الصفر من دمشق بالمخيم والاسلام وافى المغنم يادى المفرم والعساكر على حظوظها من العز وخاصته والسلطان حاث ولسر عزمه باث فبينما نحن في تصميم عزم وتنميم حزم اذ وصل رسل الفرنج وقد جنحوا للسلم وغرضوا بسوم الهدنة وضرعوا في تقلد المنة وفيهم ماجد غلام هنفرى وهو يثق بقوله السلطان فما زال يردد هم حتى دخلوا تحت كل شرط وقربوا من المراد كل ما شحط وتقبلوا بكل ما فيه للاسلام غبطه ، فترجمت الفائدة ووضحت في المصالحة المصلحة الزايدة . ولما تمت الهدنة أذن السلطان لعسكر مصر في الانصراف واستجداد العدد منها والاستئناف والاقامة ريثما يستوعب المثل ويخرج في المهام الدخال وسار الأجل الفاضل ليزول به هناك الشواغل ولما تم مع الحلبيين الصلح ام يقطع المواصله مواصلتهم بالعتب والرسل والكتب فحملوهم بالبعث بعد البعث على النقض والنكث وحالفوهم في الباطن وهم مستمررون معنا على الوفاق الظاهر ، واتفق أن المواصله نفذوا الى الحلبيين من أخذ عليهم

(٢) في الاصل : غير واضحة ويحتفل قراعتها أفضال .

المواثيق وتوجه ذلك الرسول منهم الى دمشق ليأخذ للمواصلة من السلطان عهده ويكشف ما عنده فلما خلا به لخلابه طالبه بنسخة الراى المقتدح والشرط المقترح فغلط وأخرج من كفه نسخة يمين الحلبيين لهم ناولها اياه فتأملها وأخفى السر وما أبداه وردھا اليه وقال لعلھا قد تبدلت وما أعلمه بالقضية التى عليها اشتجلت فعلم الرسول انه غلط ولم يمكنه تلاقى ما فرط وقال السلطان : كيف حلف الحلبيون للمواصلة ومن شرط ايمانهم انهم لا يعتمدون أمرا الا بمراجعتهم لنا واستئذانهم ، وعرف من ذلك اليوم أن العهد منقوض والوفاء مرفوض والغدر عندهم مفروض .

قال : وفى أول هذه السنة وصل الى دمشق الجماعة الذين خرجوا / (١٨١) من بغداد موافقة لقطب الدين قايماز وما بدا (١) لانفسهم بالالتجاء الى السلطان والاحتراز .

ذكر السبب فى ذلك

قال : كان قطب الدين قايماز محكما فى الدولة الاممية من اول الأيام المستجدية ، وهو الأمر والنهى ، والمفاخر والمباهى وقد بلغ فى التحكم الى أقصى غايات التناهى ، والامام المستنجد توفاه الله وهو عنه غير راض واجترا عليه والتدر عنه متغاض ، وبسط يده فى الدولة المستنضية ، وصل وعقد وأصدر وأورد ، وقرب وأبعد وصوب وصعد ثم تجبر وتكبر ، وقوى على وزير الخليفة عضد الدين بن رئيس (٢) الرؤساء وأخافه ورام اتلافه حتى استعاد منه برباط شيخ الشيوخ وسلم بحمايته من أذى المذكور فارتكب مخالفة الخليفة وخرج عن أمر السنة الشريفة وعن له ان يحيط بالدار احاطة الحصار وحسب أنه فاز من القوة والجند بالاستظهار فلما نجح الخليفة فى ازعاجه وأعجازه لم تف حقيقة عزه بمجازه وحكم باذلاله القدر الذى حكم بأعزازه ، ولم ينج لما احيط بداره الا بفتح باب فى جداره وركب وخرج مغلطا غير لافت،

(١) فى الاصل : وأبدأ والضبط من الروضتين ٢ - ١ - ٦٤٤ .
(٢) هو عضد الدين أبو الفرج محمد بن عبد الله بن هبة الله بن المظفر ابن رئيس الرؤساء أبى القاسم كان استاذ الدار فى أيام الخليفة المستنجد ووزر للمستنضىء ثم قبض عليه فى ٥٦٧ هـ وقتله الباطنية فى ٥٧٣ هـ .
خريدة القصر . العراق . ج ١ ص ١٣ ، ١٤ .
وانظر ابن الاثير . الكامل . ج ١١ ص ٢٩٦ .

وحل بالحلة المزيديّة في أوائل ذى القعدة سنة سبعين ففارقها متوجّها نحو الموصل متشوشاً. أمره متشوراً فكره قد خلاه خلّانه وخاته أخوانه واحاط به غمط احسان الامام وغفرانه وجذبه الى الاجل نهاية زمانه ، ومرض وعانى المضض وتوفى في بعض قرى الموصل بقربها وتحول الى تربها ، وتفرق من صحبه من اصحابه في البلاد ، فمنهم من رجع الى بغداد على سبيل المسداد ومنهج الرشاد ، ومنهم من جاء الى الشام والتجأ الى ظل الاكرام ، ومنهم حسام الدين تيمرك بن يونس وكان في قديم الدهر للسلطان المؤمل ففرح بلقائه وابتهج بروائه ، ومنهم عز الدين اقبورى بن أرغش، وطالما اليه تمطش فانه كان صهره قديماً وعنده كريماً ، وأسف عز الدين على ما تركه من ماله وكان ذا خزائن مملوءة ، وآلاف مؤلفة من بدر النضار وعقود الجواهر والخيل المسومة ، فنخرج بفرشه منهلاً خالياً وعنّها سالياً فأواه واعزّ مأواه وكتب في حقه الى الديوان العزيز كتب شفاعة فما كان الذنب الذي ارتكبه مما يقبل الصفح ، وما زال السلطان يسعده ويسعفه حتى صبح وزنه ومسح حزنه وهون عليه ذهب مصر ذهب ما سواه ولكن أين الترب الذي تولى بعدما تولاه . وكان عز الدين اقبورى عند السلطان أعزّ الاعزة وعزّمه في مصالحه غصب المهزة والسلطان خال بنته وهى زوجة عز الدين فرخ شاه ابن أخيه وصعب عليه من محل عزه فحاجه ولزمه بحكم القرابة والمروءة والسماحة حاجة وكثر على الديوان العزيز لحرمانه ومواته وخدماته احتجاجه .

قال : وهذا فصل من كتاب في المعنى (١) الى نجم الدين نجاح عن السلطان وهل تكون الشفاعات الا لاهل الكباير ، يسع عواطف الايام الا لذوى الجراير وعفو أمير المؤمنين وهو أراف بأوليائه وأرحم ، ولا غنى عن جذبة من جذبات همته المباركة في التكفل بأمر المذكور لازالت مكارمه متكفلة بانجاح الأمور .

قال : ولما سار الاجل الفاضل الى مصر اعتمد على في تنفيذ الاوامر والتفرد للاصدار والايراد بالأمر . وواظب السلطان على الجلوس في دار العدل والقيام بدار البذل لكشف المظالم وبث المكارم . ومن جملة ما حصل في خزانته بمصر من الاعلاق النفسية دوى محالة نضارية وفضية ثقيات

(١) في الاصل : المعناه .

الأوزان غاليات الأثمان فتسلط عليها يد أياديه وفرقها على جماعة موالية فقال لى يوما اكتب لأمين الدين قاضى حماه الى مصر بدواة محلاة فقلت بل اكتب بدواتين أحدهما للطالب والأخرى للكاتب فتبسم استبشارا بالسؤال واهتزأا للنوال ووقع بهما فى الحال .

وكتبت الى الأجل الفاضل رسالة فى صفة الدواة ، ومنها قد احاط العلم الأشرف بأن الكاتب معظم أدواته دواته ، وبها يتوفر وتحبى حرمانه ومواته وهى صاحبتة التى لا يؤثر طلاقها ومعشوقته التى لا يحب فراقها ، المرصعة لبنها الهيف الهيم ، الملحفة النهار ليلها البهيم .

قال : ومحدث فى مستهل شهر ربيع الأول الملك تقي الدين وكان قد فوض اليه ولاية دمشق بقصيدة أولها :

احاط بورد وجنته الجنى بنفسج خط عارضه الطرى
وجال وشاحه فى الخصر منه مجال الوهم فى السر الخفى
وجانب حقفه غصن قصيف فيا ويح الضعيف من القوى
(١٨١ب) / يواخذ طرفه بالذنب قلبى فياجور السقيم على البرى

ومنها :

يغيد العاقل اليقظ التغاى فياجور السقيم على البرى
ولم يصب السهام على اعتدال بها لولا اعوجاج فى القسى

قال : وشاع الخبر عن المواصل بالخرج فى الربيع ، وحشد الجيوع وحشر الجميع ، واطلاق السنتهم بالتشنيع . وكنا فى كانون ونحر لبيوت المقائى فى دمشق بانون وامرنى السلطان بأن أنشئ عنه الى الملك العادل سيف الدين وهو بمصر ما يشيع له السر ، ويعرفه الأمر ، وان يلزم الأمراء بالاستعداد لوقت الاستدعاء قال ثم ظهر من المواصل الخلاف وصح عنه الأرجاف وجاءوا الى نصيين بجنودهم وبنودهم وحشدوهم فكتب السلطان الى الأمراء بالاستدعاء والاستبطاء ، فوصل من مصر من وقس على حضوره التنصيص ، ونفذ بالأمر التعميم والتخصيص . ووصل الأجل الفاضل وشملت الفواضل ، ونجحت الوسائل . ولما تحقق اجتماع الموصلية والطبية ،

وبتفانيهم بالهمم الابية ايقنا منهم صدق القصد وضلالهم عن نهج الرشيد
فرحلنا من دمشق في شهر رمضان فما عرجنا على بلد ، ولا انتظرنا ما ورائنا
من مدد حتى جزنا حماه ، وخيمنا بقرب بوقبيس في فرجه وبعث النصر في
أوجه وبحر الظفر في موجه فالتقينا ذلك الشعب مشعبا فاسمنا الخيول
وضمننا الذيول فركب السلطان عند استكمال امداده، واحتفال أجناده ففرض
وفرض وحرص وحرص بالجد وعرض وجاعنا الخبر انهم في عشرين الف
فارس سوى سوادهم وما وراءهم من امدادهم وانهم موعودون من الفرنج
بالنجدة ، وانهم يزيدون كل يوم في القوة والشدة وما كان اجتمع من عسكرنا
سوى ستة آلاف فارس فقال الصواب مسيرنا اليهم والاقدام عليهم . ونحن
بالقعود لا نستزيد عددا وهم كل يوم في زيادة جموع ، وما بقى ورائنا من
أنا نتظر ويقدومه نستظهر فرتب عسكره ميمنة وميسرة وقوى بقلبه بقلبه ،
وأمد الله بحزب ملائكته حزيه .

ذكر الواقعة مع المواصلة والحليين يوم الخميس عاشر شوال

قال : وأتمنا بقية شهر رمضان بالمرج القبيسي وبدلنا فقد الحسرب
بالنسي ونقول قد وصلوا الى حلب وما عرفنا منهم الطلب فان خرجوا في
الطلب الى حدودنا خرجنا اليهم بجدودنا وذكرناهم بعهدونا . ولما وصلت
المواصلة الى حلب اطلقوا من كان في الاسر من ملوك الكفر وفيهم ابرنس
الكرك وجوسلين خال الملك وقرروا معهم أن يدخلوا من مساعدتهم في الدرك .
وكان وصولنا الى مرج بوقبيس في الخامس والعشرين من شهر رمضان
فلما عيونا ووصل الخبر بوصولهم الى تل السلطان عبرنا العاصي عند شيزر
ورتبنا العسكر وأعدنا الاثقال منها الى حماه وجردنا الكمت والكماء وسار
يوم الثلاثاء بعزم اللقاء وتفرق الخيل على الجباب والمصانع يوم الاربعاء ،
وأخذ حظها من الارتواء ثم ادلج ليلا وصبح القوم بكرة الخميس بالخميس
وعرس بقريهم الأسد مع العريس . ولما طلع الفجر نظروا واذا الخيل
عليهم مطلة وبوارق البيارق فوقهم مستهلة ، والصواهل محجمة والقناطل
مدممة والجاليشية دايرة والجاوشية شائرة والخابيا مرنة والمنايا مرجحنة
فحين غامرهم الجيش خامرهم الطيش وقالوا ما أوقع هؤلاء أما عرفوا انهم
عند بحارنا جداول وعند جبالنا جنادل وعند صقورنا بفاك وعند ذكورنا
اناث فامتطت جبالهم الرماح وهزوا بالمراح الرماح وشاموا بوارق القضب

وانقضوا بشهب الذهب ، وسلوا من النبل الجعاب ومن الزعف العباب
وصف سيف الدين غازى صاحب الموصل أمام قلبه وتراكت قدماه سحب
صاحبه وقد فوق اليهم السهم كأنه مستوى بيت القوس وشمس برج الأسد
للغرس يخطب كفؤ الكرم لأقامة العرس ملابس وللجمال جميل اللبس ، شاب
حوله شباب ، وشهاب تجلله من لثام الزرد سحب بعزه معتز ويفروره
مفتز ، وبعطف اللدن ثل رمحه الى اللقاء معتز بعمره غير مبال لا يخطر
الخطر له ببال والملك الدالح مع الحلبيين فى خلايه بارز فى أطلابه وقد جمع
كل بطل كفى وأجدل ، غرعى ومن سلاير قبائل الاكراد ومن الممالك
الانابكية / (١٨٢) كل كيش وهجان واكديش وكان الأمير مظفر
الدين كوكبرى بن زين الدين على كوجك على ميمنته وهو فى كنيسته
الشسها وداهيته الدعيا ودهته الحششا ، وفى مقابله
ميسرتنا وفيها شمس الاين صاحب بصرى ومعه جماعة
مجمعة تحمل عليها مظفر الدين ففلجها وطحنها وأوى عقودها
وأوهنها وساق ائقالها ، وتل رجالها فظنوا أنهم ظفروا وفازوا وكثروا
وحازوا .

وكان السلطان فى قلبه وإاء التل وهم لا يبصرونه فتحين اليه فل الميسرة
المكسورة فهاج نحوه بالهزم المتورة ، وساق وأشرف من التل على القوم ،
وقال : لا ونية بعد هذا اليوم وبدر من أصحابه أميران بالجملة واختلطا
مع الجاليشية فأحاطوا بهما ولم يفلتا واتلفا ، وحينئذ ظهر البرج مبرح الفطا
وكانوا حلفوا أنهم لا يبقون على أحد ولا يقرون من الصلاحية روحا
فى جسد .

وقويت أطماعهم بظفر الميمن وتتل من لقوه فى المقدمة فحملوا حملة
واحدة راكضة النبا طاردة والسلطان واقف فى صفة ألف بالقه ، وائق
بزحفه ، مايح بحره فى غدير زاعة . وكانت حملتهم من مسافة بعيدة ،
وشقه مديدة فقال لأصحابه تثبتوا وقفوا ودعوهم يتعبروا (٣) ويركضوا وينقمتموا
قواهم ويرفضوا وإذا قربوا منا أبعدا هم ، وإذا وصلونا (٤) قطعناهم فنحن

-
- (١) فى الأصل : فظمها .
(٢) على الأصل : غير منقوطة .
(٣) فى الأصل : يعتبروا .
(٤) فى الأصل : مطموسة .

نعتليهم الأشواط ، ونوليهم الافراط ، وهم يصلون متسابقين متفترقين فاذا دنوا من بنيان صفنا المرصوص انقض عليهم جداره ، ولفح وجوههم أواره . وكانت حملتهم وقدام الالوف مائون وامام المائين عشرات وقد سبقتنا آحاد منتشرات ، فلما حملتهم حملتنا وصدمتهم صدمتنا عكستهم وأركستهم وردت اولهم على آخرهم وسيارهم الى سايرهم ، ولم يعرف ساقيتهم ما تم على مقدمهم ، ووقع التخاذل والتفائل في ميمنتهم وميسرتهم ، وركب السلطان اكتافهم حتى اخرجهم من خيامهم ووكل بسراق سيف الدين غازي عز الدين قرخشاه ، وركض وراءه حتى علم انه تعداه ، ووقع في الاسر جماعة من الامراء المتقدمين ثم من عليهم بالخلع والتشريفات بعد نقلهم الى حماه ، واطلقهم واعتقهم بعد ان استرقهم .

ثم نزل في السراق السيفي فتسلم خزائنه واصطبلاته ومطابخه ورواسي عزه ورواسخه ، والقدر على المواعد رقود ، والندامي المواعيد تيام وقعود ، والخمور مقدمة ، والزهور مقدمة ، واللحنون والمرقنون (٥) جلوس وبأيدي البدور شמוש ، والخيل على طائليها صفون ، وما نطول الحديث فللحديث شجون ، فبسط في جميع ذلك أيدي الجود وفرقها على الحضور والشهود وأبقى منها نصيبا للرسول والوفود، ورأى في بيت الشراب بل في السراق الخاص طيورا من القمارى والبلابل والهزاز والبغاء في الاقفاص فاستدعى أحد الندماء هو المظفر المعري الأتقع وهو مما به يتجشى ويتجشع فقال له : طب نفسا فاستبدل من الوحشة اثنا وخلق عليه وقال له : خذ هذه الاقفاص واذهب بها الى سيف الدين وأوصلها اليه وسلم عنا عليه وقتل له : عد الى اللعب بهذه الطيور فهي سليمة لا توتعل في المحذور .

ولما كسر القوم وولوا مدبرين ركضوا الى حلب فلم يقف بعضهم على بعض ، وظنوا ان العسكر وراءهم ركضا وراء ركض ، وما سار وراءهم عسكر لكنهم لشدة رعبهم قطعوا نياط القلب ، وما صدقوا كيف يصلون الى حلب فيغلقون أبوابها ويسكنون اضطرابها .

(٥) المرقن هو الكاتب ، وقيل المرقن يحلق حلقا بين السطور كترقين الخضاب ، ورقن الشيء أي زينه . انظر لسان العرب .

وأما سيف الدين فاته ركض في يومه من تل السلطان الى بزاعة (١) ،
وجاوز في سوقه الاستطاعة ، وشرق وفارق الجماعة .

ومن الانشاء الفاضلى في هذه الوقعة الى الأستاذ جلدك بدمشق
كتاب منه نشعرك ايها الأستاذ الأجل بكسرة المواصلة والحببين والديار
بكرين يوم الخميس عاشر ثوال على تل السلطان بعد أن وقفوا وواقفوا ،
وأخلف الله ظنونهم بما نكثوا وعصوا وخالفوا فأظهر الله فيهم القدرة ودمر
عليهم بهذه الكسرة ، وأخذهم من أمرهم على غرة ، وأجرانا على أفضل
عوايدنا من الاستظهار والنصرة .

ولم تزل الجيوش بعقب المنهزمة ماذا طرح الراكب الى الأرض عفت
عنه السيوف المتضرمة ، وكذلك عودنا الله أن تغفر مع الاقتدار ، ونثيل
عظيم العثار ، والحمد لله الذى مكن لنا في الأرض ، ولم يجعلنا ممن يفعل
في العباد ما لم يرض .

قال رحمه الله :

(١٨٢) ذكر وصول شمس الدولة تورانشاه أخى السلطان من اليمن
ودخوله الى دمشق في سابع ثوال

فكتب السلطان بخطه من الانشاء الفاضلى :

« قال أنا يوسف وهذا أخى قد من الله علينا انه من يتق ويتصبر فان
الله لا يضيع أجر المحسنين » (١) فالحمد لله الذى اذهب الحزن (٢) ووهب

(٦) بلدة في وادى بطنان من أعمال حلب بينها وبين منبج نحو
مليون والى حلب عشرة أميال . معجم البلدان ١/ ٤٣٧ .

(١) سورة يوسف ، آية رقم ٩٠ .

(٢) اقتباس من الآية ٣٤ سورة فاطر التى نصها « وقالوا الحمد لله
الذى اذهب عنا الحزن » .

الحسن وأغاث الشام بسحاب منشؤه (٣) من اليمن ، وأرضانا باللقاء اليوم
كما اسخط أمس بالفراق على الزمن .

نفسى الفداء لفايب عن ناظرى ومحله فى القلب دون حجابـه
لولا تمتنع مقسلى بـلقائه لو هبتهما لبشرى بايابــــه

واسعد الله المجلس السامى فى مقدمه ، وأسعد هذه الأعمال بموطىء
قدمه ، وأجرى الأرزاق بحكمى سيفه وقلمه وأعاد الإسلام وأهله بنعمه
وجوده عن نعمة عـدمه ويقسم الخادم أنه لو جاز أن تـسـافر نفس
عن جثمانها ، وترحل عن أجفانها لسرت مهجته الى لقاء آمالها ، واهتدت
مقلته الى مجلسه الكريم بما أنماض من الأنوار على مسالكها ، والحمد لله
ثم الحمد لله ثم الحمد لله قول الشاكر الذى تـدر النعمة حق قدرها ،
وعلم بعد الاطالة أنه عاجز عن شكرها ، وانهض الله بركاتها حمله وسقى
الله طريقا أوصله وان نطحت سحب عليها فاجفانى ، وأهلا بليلة قدر لقاءه فى
صبيحتها بقدر وصبيحة عيد فطر هلائنا فيه نير وجهه الأكبر ، ولو أن
اليوم يصام فيه الفرض لنذر كلما كررته الجمعة صيامه ، ولولا الشغل
بالعدو الذى لا مشغل للقلب الا به لالتيناه من حيث كان فى مقامه الجليل
مقامه وما انطوت (٤) فى الغسولة (٥) ليلة الاثنين الثانى والعشرين من شهر
رمضان .

عاد الحديث الى ما جرى بعد الكسرة قال : أما صاحب الموصل
فانه أسرع اليها أوبته وشكر سلامته واستأنف اللهو واللعب ، وأكل وشرب
ولعن الحرب واصطنع (٦) الطعن والضرب وأما الحلبيون فأنهم أوثقوا الأسباب
وغلقوا الأبواب واستقطوا (٧) فى أيديهم حين أفرطوا فى تعديهم ، وتصرفوا
بالاستبصار وتهدفوا للحصار ، وأما السلطان فانه عبر بحلب ولم يعرج
عليها ولم يعج اليها ونزل على حصن بزاعه (٨) وتسلمه وفى سلك ملكه نظمـه

(٣) فى الأصل : منشأوه .

(٤) فى الأصل : ومنطوت .

(٥) الغسولة : من قرى دمشق معجم البلدان ٣-٨٠٢ .

(٦) فى الأصل : واصطعن .

(٧) فى الأصل : وسقطوا .

(٨) فى الأصل : غير منقوطة وقد سبقت الإشارة إليها .

وذلك يوم الاثنين الثانى والعشرين من شوال . واما منبج فانه كان فيها الامر قطب الدين ينال والسلطان لا ينال منه الاحسان ، وكان في جر عساكر الموصل اليه اقوى سبب ولا يحفظ معه شرط ادب ، ويواجهه بما يكره فلما قرب من بلده اثر ان يثيره منه ويأخذه من يده فسلط النقبائين على حصنه فنزل مستأمنًا ، وسلم القلعة بما فيها والذخاير التى تحويها فقوم ما تسلم بلثمايه الف دينار وسأومه على ان يخدم ويأخذ بلده وذخيرته وعدده فأبت نخوته ونبت حميته ، وأنفت غيرته وغارت أنفته ، وسهل عليه عسيره وأمر أمره ، ومال عليه فى ماله دهره ، وكأنا جمع ذلك المال ليفرقه هذا الجود ، ومطل بديون المكارم ليقضيها هذه النقود . ومضى الى صاحب الموصل فاقطعه الرقة وبقي فيها الى ان اخذها السلطان منه مرة ثانية في سنة ثمان وسبعين .

وعادته عادة منبج وصاروا بحاله الذى جمعه متفرقين ، ثم عاشى بعد ذلك أحوالا وأثك أحوالا ، وجمع مالا وانتتهت به صروف الدهر وأحداثه واستحقته من بعده ورائه فاقترضوه السلطان على ان يقتنوا به املاكا ، وينالوا به من غارطهم استدراكا ، فانقضى عصر السلطان ونعب بالتفرق غراب البين ولم أدر كيف جرى حديث ذلك البين . قال : ثم سلم منبج الى من بجده عمرها وبجوده غمرها ، وبسياسته ساسها وأنس ناسها .

ذكر النزول على عزاز(١) في ثالث ذى القعدة

قال : ولما كان حصن عزاز أعز الحصون ، والاسلام ضاحك عن ثغرة المصون وهو من الثغور الاسلامية التى يتعين سدادها ، ويجب بأمداد الرجال امدادها اشفق السلطان لموافقة الحلبيين للفرنج من هذا الحصن فانه ان تسلمه الفرنج عادت معاهد الاسلام فى مائلها الى الوهن ، فنزل عليها وقطع بين الحلبة وبين الفرنج وكان حصارها / (١٨٣) حصار حلب على الحقيقة ، وخيم عليها وأخذ بمضايقها وهى محمية بالرجال محشوة ، بالأبطال مملوءة ، بالعدة والأسلحة قوية من عراداتها وزنا يزنها

(١) عزاز بفتح أوله وتكرير الزاء وربما قبلت بالالف فى أولها ، والعزاز الارض الصلبة وهى بليدة فيها قلعة ولها رستاق شمالي حلب بينهما يوم وهى طيبة الهواء عذبة الماء .
معجم البلدان ٣ — ٦٦٧ .

بالقوادم والأجنحة ، وهى غير ملبية لدعاتها ولا مبالية بعداتها لا تهب
أذعانا ، ولا تهاب سلطانا فخطب السلطان كيف تسلط خطبها ، وقدم نصبه
فى تقديم منجنيقات ونصبها ، ورجم الحصن رجم الزانى الحصن ، واستشهد
عليه وفيه جماعة ، وصعب الأمر واستمر الحصر وعيل الصبر ، وضجر
المقاتل وحرص بالباس الباسل . وأخرج السلطان مناطق الذهب ونقوده ،
وقلايد العقيان وعقوده يعنى أن من أغنى أغناه ، ومن أبلى أبلاه فقامت هناك
للموت أسواق واشترت باعلاق النفوس من النفائس اعلاق .

ذكر قفز الحشيشة على السلطان ليلة الاحد

حادى عشر ذى القعدة (١)

قال : وكان الأمير جاولى الأسدى خيمته (٢) قريبة من المنجنيقات ،
وكان السلطان يحضر فيها كل يوم لترتيب المهمات ، وحض الرجال ، والحث
على القتال ليكون المقاتل اذا كان به رأى من السلطان احتد واشتد وبذل
الجهد ، وهو غار يناديه بار ييث أياديه . والحشيشة فى زى الأجناد وقوف
والرجال عنده صفوف اذ قفز واحد منهم فضرب رأسه بسكينه فعاثته صفائح
الحديد المدقونة فى كمنه عن تمكينه ، ولفحت المدية خده فخدشته ، وساحت
قطرات دم غشته ، فقوى السلطان قلبه وثبت لبه وحاش رأس الحشيشى
وجذبه ووقع عليه وركبه وأدركه سيف الدين يازكوج فأخذ حشاشة
الحشيشى وبضعه وقطعه وجاء آخر فاعترضه الأمير داود بن منكلان
فمنعه فجرحه الحشيشى فى جنبه بحد سكينه ، وكانت منيته بعد أيام فى
تلك الضربة . وجاء آخر فعانقه الأمير على بن أبى الفوارس وضمه من
تحت ابطيه وبقيت يد الحشيشى من ورائه لا يتمكن من الضرب فنادى اقتلونى
معه فقد قتلنى وأذهب ثوتى فطعن ناصر الدين محمد بن شيركوه بطن الجارح
بسيفه ومازال يخوضه حتى القاء لحثفه وخرج آخر من الخيمة منهزما
وعلى الفتك بمن يعارضه مقدما فصادفه الأمير شهاب الدين محمود فتكب
عن الطريق ووافقه حسن التوفيق فثار على الكلب أهل السوق فقطعوه
أربا أربا . ولما السلطان فانه ركب وجاء الى سرادقه وصوته جهورى

(١) المحاولة الثانية لقتل صلاح الدين .

(٢) فى الاصل : جميعه .

وزهو قسورى ، ودم خده سابل وعطف روعة ماييل ، وطوق كراغنده بتلك الضربة مشكوك مفكوك لكن نهج سلامته بوقاية الله وعصمته مسكوك فما أخرج روع روعه حتى علم أن جرح خده سالم ، وأن صبح جده باسم فانه كان سلا سلامته وأقام القوم قيامته من بعد دين رغب ووهب واحترز واحتجب ، وضرب حول سرادقه على مثال خشب الخركاه تازيرا وأوثقه تحجيرا ، وجلس في بيت الخشب وبرز للناس كالمحتجب وما حدث الا من عرفه ومن لم يعرفه صرفه ، وما قرب الا من يثق باعتقاده ويعتمد على سداذه واذا ركب وأبصر في موكبه من لا يعرفه أبعد ثم سأل عنه فان كان مستشفعا أو مستسعدا أشغمه (٣) وأسعده .

قال : وأنس بى فمن عرفته قربه ومن أثبت على كفايته استكفاه (٤) وندبه وقد اصطنعت أقواما فرعوا المراقب ، واغترعوا المراتب فحجدوا من بعده عارفي (٥) ومعرفتى ، وانكروا صفوتى وصفتى ، وليتنى خلصت من شرهم ونجوت من ضرهم ، وكان السلطان الى مستنينا ولصحبتي مستديما حتى لا يؤثر غيبتى عن ناد يحضره وكل ما اسوغه من أمر يحضره .

فكر مكرمة فاضلية

قال : قال الأجل الفاضل للسلطان تنبيها له فى حقى على الاحسان ان الذى عينت للعماد من الجامكية (١) بدمشق حوائته ولم يتسع به عندنا ضائقته ، فان الطرق مقطوعة ، والسبل ممنوعة فعين له من الخزائنة فى الصحبة كل شهر ما ينفقه فقرر لى مثل ما كان لى من قبل واستمر المبلغان وتقلدت بهذه العارفة طولى الامتنان ومن تمام انعامه انى هنيته بعزاز يوم عيد الأضحى على العادة ثم جئت اليه العصر مسلما ولبعض الأحوال مستعلما فقال ما جئت اليوم مرتين الا لأمر باعث وقد فهمت المعنى . ووقع له أنى لتشريف السلطان متقاضى وأننى عليه الا بما يرضاه لى منه غير راض . وأرسل الى الخزائنة وأخذ لى أحسن وأثمن ثوب وعمامة واتبع ذلك نفقة مشفوعة بكرامة سوى ما قرره للعيد من وظيفة واقامة .

(٣) فى الاصل : أسعفه وكذا يتنضى الجناس .

(٤) فى الاصل : استكفاؤه .

(٥) فى الاصل : عارفنى .

(١) جامكية هى الراتب الجارى على شخص ما ، انظر ابن مباتى —

ذكر فتح عزاز يوم الاثنين حادى عشر ذى الحجة

(١٨٣ب) قال : وأقام السلطان عليها ثمانية وثلاثين يوما يسومها القتال سوما حتى وجت جنوبها ، وكثرت ثقوبها ، ونحبت قلوبها ، فاقترصر من فيها بعد طول النزال على النزول وانتهت مدة وقوفنا منها على الطلول وسلموا القلعة كرها ، قال : وقتلت فيها قضيذة أولها :

سلطت المظل على نجازها وضيمت حتى فى مجازها
وصالها من الحياة منيتى من لى بالفرصة فى انتهازها
وجنتها الوردية فى احمرارها وتدها البانة فى اهتزازها
شمس الضحى فى الحسن لم تضاهها بدر الدجى فى التم لم يوازها
ومنها

تمل من فتح عزاز نصرة أوقعت العداة فى اغترارها
اليوم ذلت حلب فانها كانت تنال العز من عزازها

ذكر خلاص رجل مسلم من نكبه عظيمة بشفاعه كريمة

قال : كان عسكر حلب مدة مقامنا على عزاز يطلب من عسكرنا غرة فأغارها يوما على العلاقة وبلغ اليها صريخ المخافة ، فركب السلطان والعساكر معه نحو الصارخ وأخذ الحلبيون ما وجدوا وعادوا فما أدرك أصحابنا الا فارسا فأخذوه وسيروه اليها .

وجاء السلطان وهو مغتاض ومعه من أصحاب الموتورين قوم غلاظ فأحضر وأمر بقطع يده ، وكان المأمون بإقامة تلك السياسة حسام الدين سنقر الخلاطى وهو كامل الكياسة فقلت له بمسح من السلطان سسهل ساعة لعله يقبل منى شفاعه ، ثم قلت هذا لا يحل وتدرك بل دينك عن هذا بحل وما زلت أكرر عليه الحديث حتى تبسم ، وشاهد عبوسى فنشبر ، ورجع

عما به ثم أمر بحبسه ، ودخل ناصر الدين بن أسد الدين وكلج وبسر ودمدم وزمجر وقال : لم لا يقتل ولماذا اعتقل فوعظه السلطان وسكن غيظه ثم أطلق سراحه وتم نجاحه .

نكر النزول على حلب منتصف ذى الحجة

قال : ولما أمنا من جانب عزاز وجدنا من الله فى عدته النجاز سرنا الى حلب ونزلنا عليها عند حاضر الياروقية ، والسلطان يركب كل يوم مع العسكر ، وربما طاف حول البلد وتأمل أسواره ، واستوضح بعيساته أسواره ، وأقمنا نتصرف فى الاعمال ونصرف العمال لجباية الاموال ، والبلد فى ضجيج وأجيج وأمر مريح ، وسب تشنيع وتجنيس فى القد وتطليسق وتنويع فما تم الا السنة تعيث وطبول تستغيث والمراسلة بالقول العنيف ، والمواصلة بالتنفيذ والتعنيف ، والسلطان لا يهتم غمهم ولا يفهم همهم ويزيد من حمد الناس له ذمهم ، وقد علم أنهم جاهلون^(١) بنبيهم ذاهلون وانه سوف ينبوا حدهم ويخبوا وقدهم .

قال : وكان حصن حارم قد تولاه سعد الدين كمشتكين واشفق عليها ، ومضى اليها خوفا من النزول عليها وما ظن ان السلطان يعجل من عزاز النجاز فلم يرمئها الى حلب الجواز فلما حضرناها وحصرناها ضاق كمشتكين بالمقام فى حارم ذرعا فعاد يمتري فى الضراعة اليها ضرعا ويقول : لو فسحتم لى فى دخول حلب لقضيتم من وفائى بشرط خدمتكم المعجب ، وهو يخشى انه ان استمر هناك مقامه بطل فى سلك جماعته انتظامه ، وتفردوا دونه بما يصدرونه ويوردونه ، وهو على النار الحامية وعساكرنا قد أخذت عليه الطريق فكتب الى السلطان يسأله ان يرفع عن نهجه الحجر ، وكتب الى الحلبيين يسألهم ان يرسلوا فى أمره فراسلوا السلطان فى شأنه وان يقلدهم من أجازته طوق امتنانه فانه أول حضوره يبتدىء بالوصول الى حضرته والمثول لخدمته وقرروا على انفاذ معروف رهينه تقيم عنده الى أن يدخل

(١) فى الاصل : جاهلان .

عليهم ويستوفى عليهم في اليمين عقده ونفذوا بحكم الرهن نصرة الدين (١) بن زكى حتى يدخل الرسول ويخرج فأمرني بالدخول في صحبة الرسول وهو شمس الدين الوزير أبى المضاء فلما دخلوا أبعادوا عنا الغلمان وأفردوني ورغيتى في مكان ضيق بغير اسراج ولا مرفق ولا بساط ولا كساء ولا خبز ولا ماء وبتنا بليلة الغدر (٢) ونحن جياع عطاش ولا لحاف ولا فراش وعندنا جماعة يحرسون غنائم يشتمون ويشمتون ، ويلعنون ويطعنون ، وما أنسنا حتى تبسم الفجر وقلنا لعله يرتفع الحجر . / (١٨٤) فاحضرنا عند الملك الصالح وعنده ابن عمه عز الدين مسعود أخو صاحب الموصل وكانوا عملوا نسخة يمين فما نظرت في شرط ولا تعيين فحلفناهم كما أرادوا وسكتنا فيمائنصوا وزادوا وخرجنا الى غلماننا ودوابنا وهم في آخر نفس وخرجنا الى السلطان كأننا قد نشطنا من شيد وعرضنا النسخة وقلنا له كل من حلف بهذه اليمين يمين ولا كانت حلب ولا كمشتكين .

قال : وجاء كمشتكين وعبر آمنة ولم يزل منافقا مداهنا وعائبنى السلطان وعصب بى جرمهم والزمنى حكمهم ثم عرف الحال وألان المقاتل وعاد اليهم رهنهم . وتوبتني تلك النبوة وصحت الانابة وما حدثت نفسى بعدها برسالة ولا تعرضت لعثار يحوجنى الى استقالة ، ورفعت قدمى ووجهت تسمى التوسل بالخط لا بالخطى واسطوا بقلمى الذارى على نوى السطى وارسل الرسل برسائلى ولا أخرج من فضاء فضائلى ولا أدخل في لواذع عواذلى قال :

ودخلت سنة اثنتين وسبعين

والسلطان بظاهر حلب مقيم وللمصابرة في حصرها مستديم ، وكنا نؤثر أن تصير الكلمة واحدة ، والالسنة لسنة الجحود جاحدة ، والملك

(١) اسم « نصرة الدين » مكرر مرتين .

(٢) في الاصل : القدر وكذا المرجح ولا احتمال لأن تكون الصدر لأن النزول على حلب في منتصف ذى الحجة ، والقدر في العشر الاواخر من رمضان كما ورد في الحديث .

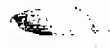
الصالح من حكم الخارجين خارجا حتى يتولاه السلطان بالتربية ويبادر الى ندائه بالتبعية . لكن قومه قاموا بالاصرار على الاصرار ، وسدوا عن مطالعة سبيل الأنوار ثم عادوا الى السلطان مستعطفين وللإحسان مستسعفين وعرفوا أن العقوبة اليمية ، وإن العاقبة وخيمة قدخلوا من باب التدلل والتذلل ، ولأنوا بالتوصل والتوصل (١) واظهروا التودد ، واكثروا التردد ، وحضروا بأذهانهم بعد ما غابوا واعترفوا بأنهم أخطأوا وما أصابوا .

وصفى السلطان وصفه ، وأصلح واصطلاح ، ولما ملك انتجج وأبقى للملك الصالح حلب وأعمالها ، واستقرى كل عثرة فأقالها ورد اليه عزاز واعتذروا عن كل ما أسخطه وحلفوا له على ما شرطه ، وكان الصلح لهم وللمواصله وللديار بكريه عاما ، ولشمول المصالح الجامعة ضامها وكتبت نسخ ايمان بأسمى ملوك ديار بكر والروم وصاحب الموصل على الشرط المعلوم وهو أنه أن غدر منهم واحد وخالف ولم يف بما عليه حالف كان الباقون عليه يدا واحدة حتى يفى الى الوفاء والوفاق ويرجع الى مرافقة الرفاق .

وسار بهذه الرسالة اليهم سعد الدين أبو حامد وكان جلدا كافيا ويتدبير الأمور وأفيا فمضى الى الملوك ونظمهم من سلك نهج الموافقات في السلوك .

فكر الرحيل من حلب

قال : ولما انتظم بحلب الصلح وتم النجح ذكر السلطان ثأره عند الاسماعيليه وكيف قصدوه بتلك البلية ، فرحل منها يوم الجمعة لعشر بقين من المحرم مصمما على الجهاد الأعظم ، وأناخ على حصنهم مصيات (٢) فانهمض اليه الرجال وحرض الأبطال وأمر بنصب المنجنيقات الكبار . وأقام أياما



(١) يرجح أن تكون احدهما بالسجين عوضا عن الصناد .

(٢) حصن حصين مشهور للاسماعيلية بالساحل الشمالى قسرب طرابلس وبعضهم يقول مصياف . معجم البلدان ٤ - ٥٥٦ .
وأنظر :

B. Lewis. " Kamal el-Din" s Biography of Rashid el-Din
Sinan., Arabica, Revue d' Etudes Arabes, XIII Fascicule, 3, 1966.

واستطال عليهم فريقه واستطار فيهم حريقه ، وشرع العسكر يخرب ديارهم ويترب دمارهم حتى جاء خاله شهاب الدين الحارمى وهو صاحب حماه وشفع فيهم لأن بلده جار نواحيهم ، وأراد الأمن من خوف عواديهم وكانوا قد راسلوه وأرغبوه وأرهبوه . وكان شهاب الدين مقبول مأمول الطول ورأى أيضا من أمرائه ميلا الى الانكفاء وأبت تركهم همته الأبية لولا الشفاعة الشهابية ورحلنا وقد انتقمنا منهم .

ذكر كسرة على الفرنج

قال : كان شمس الدين بن المقدم متولى بعليك وأعمالها ومدبر أحوالها فعرف أن الفرنج قد افاروا على البقاع فكمن لهم عند العياض واوتر عليهم حنايا المنايا بتفريق التوفيق فى الانباض واسر منهم سوى من قتل أكثر من مائتى أسير وأحضرهم عندنا ونحن على مصياف ، ولولا هذا الحادث لم يصرف عنها الأحداث .

وكان قد خرج الملك المعظم شمس الدولة أخو السلطان حين سمع أن الفرنج على الخروج وباسطهم (١) عند عين الجر (٢) فى تلك المروج ووقع عدة من أصحابه فى الأسار منهم سيف الدين أبو بكر بن السلار واجتار (٣) الفرنج بتلك الجولة واغتروا (٤) بتلك الصولة ، وانبسطوا فى تلك العياض وانهضوا بما قدم ابن المقدم من الانهاض .

ووصل السلطان الى حماه فاجتمع فيها بأخيه شمس الدين يوم الثلاثاء ثانى صفر وهو أول يوم لقائه بعدما أزمع عنه الى اليمن السفر ، وتعانق الاخوان فى المخيم فى الميدان وتحدثا فى الحدثن . وكان قد وصل الى السلطان من أخيه هذا عند مفارقة اليمن كتاب ضمنية هذه الأبيات من شعر أبى المنجم (٥)

(١) فى الاصل : وما سطهم والتصحيح من الروضتين (٢) ١ — ٢ ص ٦٧٠ .

(٢) فى الاصل : ساقطه التصحيح من الروضتين (٣) ١ — ٢ ص ٦٧٠ . وعين الجر بين بعليك ودمشق فى اقليم البقاع معجم البلدان ٣ — ٦٧٠ .

(٣) فى الاصل : واجتر .

(٤) فى الاصل : واغتر .

(٥) أبى المنجم المصرى : هونشو الدولة على بن مفرج المنجم ولد

سنة ٥٤٩ هـ وتوفى سنة ٦٣٠ هـ انظر الخريدة — قسم الشعراء المصريين — ج ١ ص ١٦٨ ، ١٦٩ .

المصري قلت ومنها :

(١٨٤)/أبدى التجلد والجوانح تلتظى	وأرى التصبر والحشى تتقطع
وحملت من فقد الأحبة مفزدا	ما ليس يحمله الأحبة أجمع
والى صلاح الدين أشكو أننى	من بعده مضى الصبابة موجع
جزعا لبعد الدار منه ولم أكن	لولا هواه لبعد دارى أجزع
ولاركن اليه متن عزائى	ويخب بى ركب الفرام ويوضع
حتى أشاهد منه أسعد طلعة	من أمتها صبح السعادة يطلع

قال : فسألنى السلطان أن اكتب اليه فى جوابها على وزنها وروياها
فقلت أبياتا منها :

صب تولى حالتيه فى الهوى	جلد له عاصى ودمعى طيع
نو ناظر ربع الكرى فى جفنه	خال وحوض الدمع منه منزع
مولاي شمس الدولة الملك الذى	صبح السيادة من سنانه يطلع
لولا ترجى قرب عودك لم يكن	لى فى الحياة لأجل بعدك مطمع
قسما ببيت أمه زواره	والطايعون الساجدون الركع
أن لى سواك من الحوادث ملجأ	أو لى سواك من النوايب مفزع

قال : ولما رآنى (١) بالمخيم بميدان حماه عند أخيه مخصوصا بتوقيه
وتوخييه بشرلى وبش ، وشرع فى تقرظى والثناء على قريضى . ثم سرنا
الى دمشق ووصلنا اليها فى سابع عشر صفر ، ووجه النجح قد سفر ،
وموض ملك دمشق الى أخيه الملك المعظم وعزم على السفر الى مصر .

ذكر وفاة القاضى كمال الدين بدمشق فى سادس المحرم وما آل (٢) اليه أمر القضاء

قال : كان القاضى كمال الدين بدمشق فى الايام النورية الحاكم المطلق
وكان صلاح الدين حينئذ يتولى فى دمشق أسباب الشحنة ، وكمال الدين

(١) فى الاصل : رأى .
(٢) فى الاصل : وما الىه .

يمكس مقاصده بالاحكام الشرعية، وربما كسر اغراضه وأبدى عن قبوله اعراضه وأهدى الى صحته امراضه الى أن نقله الله من نيابة الشحنة الى الاستقلال بالملك فصار كمال الدين من قضاة ممالكه المنتظمة الملك وكان فى قلبه منه ما فيه وما فرط منه فأتى تلافيه . فلما ملك دمشق اجراه على جملة واحترم نوابه وأكرم أصحابه وفتح للشرع بابه وأذهب بحقوقه حقوقه ، وأعرض عن عقوبته عقوده .

وكان ابن أخيه ضياء الدين القاسم بن تاج الدين الشهرزورى قد هاجر الى صلاح الدين بمصر فى ريعان ملكه ، فأذنت هجرته فى ذلك المراد بإدارة ملكه ، وأنعم عليه هناك بجزيرة الذهب (٦) ، ومن دار الملك بمصر بدار الذهب ، ووفر حظه من الذهب وملكه دارا بالقاهرة جميلة جليلة ، ورتب له وظائف ، وخصه بلطائف . ووصل مع السلطان الى الشام وأمره جار على النظام ولما اشتد بكمال (٧) الدين المرض ، وكاد يفارق جوهره العرض أراد أن يبقى فى ذويه فوصى مع حضور ولده بالقضاء لضياء الدين بن أخيه علما منه بأن السلطان يمضى حكمه لأجل سؤاله فيه وتوفى فى سانس الحرم من هذه السنة وعمره ثمانون سنة لأن مولده كان سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة وفارق ولم يخلف مثله ، ومن شاهده شاهد المقل المكنون والفضل المدون ، وكان بارا بالابرار مختارا للاخيار . وإذا كان له صاحب حفظه ونبه له ناظر حظه وأيقظه ، وقد قواه نور الدين رحمه الله وقلسده الحكم فى أيامه وسدد مرامى مرامه ، وهو الذى سن دار العدل لتنفيذ أحكامه بحضرة السلطان حتى لا يبقى عليه مغمز ولا ملمز لذوى الشأن فيما دبره من الشأن .

وهو الذى تولى بناء أسوار دمشق ومدارسها والمارستان ، واستقرت

(٦) جزيرة الذهب صاحبة من ضواحي البحيرة انظر ابن ميساتى
توأمين الدواوين ص ١٢٦ .
(٧) فى الاصل : كمال .

تاعدته فى دولة السلطان . وتوفى ونحن نَحلب (٨) محاصرون . وجلس
الضياء ابن أخيه مكانه فأثبت وامضى وأغضب وأرضى وأشهد وسجل وجرح
وعدل .

وكان الفقيه شرف الدين / (١٨٥) أبو سعد عبد الله بن أبى عصرون قد
هاجر من حلب الى السلطان وقد أنزله بدمشق ، وهو شيخ المذهب (٩)
الشافعى وأتوم العلماء بالفتيا وأعرفهم بما تقتضيه (١٠) الشريعة من مصالح
الدين والدنيا .

والسلطان يؤثر أن يفوض اليه منصب القضاء ولا يرى عنه عزل
الضياء ، وامضى بسر مراده الى الأجل الفاضل ، وكان الفقيه ضياء الدين
عيسى يتعصب لشيخه ويجد فى رفع الحكم الضيائى بنفسه ، واستشعر
القاضى ضياء الدين من عزله وتزلزلت قدمه فى شغله ولو قوى نفسه
ونفسه وثبت على الإباء المحض أسمى لما خرج القضاء على حكمه ولا واجه
السلطان بصرفه عن منصب عمه . وأشاروا عليه بالاستعفاء ، وأنه كاره
لمنصب القضاء فكتب يستعفى فقبل لا وجه لاستعفائك فلح القول فاستقهم
عن معنى طلبه وأبداء سببه فقال : ما ألوتر الا قرأغ الشر والخلاص من
تبعات هذا الامر فأصيب سؤله وأجيب سؤاله وهنىء بأنه مجدد تبسوله
واقباله وأبقى عليه الوكالة الشرعية (١١) عنه فى بيع الاملاك واستجد عليه
الاقبال السلطانى بعطلته وعزا عنده بمزلته وزاد فى اعلاء منزلته .

-
- (٨) فى الاصل : بحلب ولعله من خطأ الناسخ حيث أن الحصار
يجرى من قبل السلطان لمدينة حلب وهو خارجها .
(٩) فى الاصل : غير معرفة .
(١٠) فى الاصل : يقتضيه .
(١١) الوكالة الشرعية : أشير اليها آنفا عند الحديث عن ابن حيوس .

نكر وفاة شمس الدين بن أبي المضاء الوزير

قال : كان رسولا كافيا وبما يمضى فيه من مهم وافيا ، وهو أول خطيب بالديار المصرية فى عصرنا للدولة العباسية ، وفيه ترفع وتكبر ، يعجبه الناموس ولا (١) يوحشه الا الجاه المائوس واذا مضى الى الديوان العزيز قصده الشعراء فأكثر خلعهم وجوايزهم وبعث على مدحه سرايرهم وربما عاد وعليه ديون تراه فى هيئته وهيبته كائنه وزير ، وكلامه اذا خاطبته نذر يسير وهو الذى ضوع للسلطان وعرف عرف ظهير الدين منصور العطار وشد به ظهر الاستظهار ، وحصل للسلطان بصدق صداقته الانتفاع والارتفاع ، وتزايدت له فى القوة والحظوة الاشياء والاشياع . فوصلنا الى دمشق وقد قضى نحبه واتى ربه ، وكانت وفاته ليلة الجمعة الثانى عشر من صفر فحمل السلطان غمه ، وقرب ولده وجبر بتربيته يتمه . ثم تعين ضياء الدين الشهرزورى بعده للرسالة الى الديوان العزيز واستتبت له الى آخر العهد السلطاني هذه وتمهدت بترده فى الجانبين العمارة ، وذاك بعد المضى الى مصر والعود الى الشام فانه بعد ذلك خاطبت فى هذا المرام .

نكر مؤيد الدولة أبى الحرث اسامة بن مرشد (٢) بن على بن منقذ

وعوده الى الشام عند علمه بوصول السلطان

قال : كان من الامراء الفضلاء ، والساداة القادة الطيلاء ، قد تمتعه الله بالعمر وطول البقاء ، وهو من المحدودين من شجعان الاسلام وفرسان الشام ولم يزل بنو منقذ ملاك شيزر (٣) ، ولما تفرد بالمعقل منهم من تولاه لم يرد ان يكون معه فيه سواه فخرجوا منه سنة اربع وعشرين وسكنوا

(١) فى الاصل : ساقطة وهكذا يقتضى السياق .

(٢) أبو المظفر أسامة بن مرشد بن على بن منقذ بن نصر بن منقذ الكنانى الكلبى الشيزرى . الملقب مؤيد الدولة ومجد الدين . ولد فى ٤٨٨ هـ وتوفى فى ٥٨٤ هـ ، انظر ابن خلكان ١ — ٧٨ — ٨٠ وانظر أيضاً معجم الادباء ٢ — ١٧٣ — ١٩٦ ، من كتاباته الاعتبار ، المنازل والديار ، نشر وتحقيق المكتب الاسلامى . دمشق ١٩٦٥ . ترجم له ابن العديم (بغية الطلب) مخطوط رقم ٢٩٢٥ . أحمد الثالث ج ٢ . أوراق ٢٠٤ — ٢١٢ (٣) شيزر انظر معجم البلدان ٣ — ٣٥١ . وهى قلعة بالشام قرب المعبرة .

دمشق وغيرها من البلاد وكلهم من الاجواد الامجاد وما فيهم الا ذو فضل
وكمال ونبل ، وما منهم الا من له نظم مطبوع وشعر مصنوع وهذا مؤيد
الدولة أعرقهم في الحسب ، أعرفهم بالأدب ، وكانت جرت له نوبة في أيام
الدمشقيين وسافر الى مصر وأقام هناك سنين في دولة المصريين وعاد الى
الشام فلم يمكنه نور الدين من المقام وصار الى حصن كيفا (٤) وتوطن وأبتنى
هناك الدار والعقار . ولما سمع بالملك الصلاحى نبا الى دمشق وذلك في
سنة سبعين . قال : وكنت اسمع بفضلله وأنا بأصفهان وانشدنى له مجد
العرب العامرى (٥) بها سنة خمس وأربعين هذين البيتين وهما من مبتكرات
معانيه فى سن قلعه :

وصاحب لا أمل الدهر صحبته يشقى لنفلى ويسمى سعى مجتهد
لم القه مذ تصاحبنا فحين بدا لناظرى افترقنا فرقة الأبد

قال : فلما لقيته فى دمشق فى سنة سبعين انشد فيهما مؤيد الدولة
لنفسه مع كثير من شعره المبتكر من جنسه .

وشاهدت ولده عضد الدين ابا الفوارس (٦) مرهفا وهو جليس صلاح
الدين وأنيسه ويابن حمدون النديم (٧) لا يقيسه . وقد كتب ديوان
شعر أبيه لصلاح الدين وهو لشغفه به مفضلته على ساير الدواوين ولم
يزل هذا الأمر (١٨٥ ب) العضد مرهف صاحبا له بمصر والشام الى آخر
عمره . وتوطن بمصر فلما جاء أبوه أنزله ارحب منزل وأورده أعذب منهل،

(٤) حصن كيفا ويقال كيفا . قلعة عظيمة مشرفة على دجلة بين آمد
وجزيرة ابن عمر . انظر معجم البلدان ٢ — ٢٧٧ .

(٥) مجد العرب العامرى هو الأمير مجد العرب مصطفى الدولة أبو
فراس محمد بن غالب العامرى . من شعراء القرن السادس . وردت ترجمة
له فى الخريدة ومختارات من شعره انظر الخريدة — عراق ١ — ١٤٢
حاشية رقم ٧ .

(٦) وهو العضد أبو الفوارس مرهف بن اسامة بن منقذ . ذكره ابن
العديم فى البغية .

(٧) ابن حمدون وهو أحمد بن ابراهيم بن اسماعيل بن داود بن
حمدون النديم أبو عبد الله . وسمى النديم لأنه كان ينادم الخليفة المعتصم ثم
الوائقي من بعده . انظر معجم الادباء ١ — ٣٦٥ — ٣٧٢ .

وملكه من أعمال المعرة ضيعة زعم أنها قديما تجرى فى أملاكه وأعطاه (٨) بدمشق دارا ووظف له غيثا من فواضله مدرارا فإذا كان بدمشق جالسه وآتسه وذاكره فى الأدب ودارسه . وكان ذا رأى وتجربة وخلال مهذبة يستشير فى نوايه ويستشير برأيه فى غياهبه وإذا غاب عنه فى غزواته كاتبه وأعلمه بواقعاته ووقعاته ويستخرج رأيه فى كشف مهماته وحل مشكلاته وبلغ عمره سبعا وتسعين سنة فان مولده سنة ثمان وثمانين وأربعمائة ومات سنة خمس وثمانين (٩) ومن أبيات أوردها عماد الدين لنفسه فى هذا الموضوع قوله :

نفسى قد اشد شادان	على الدل نشا
واتى زيف قهره	بحملها مرتعشا
وخده من اثر اللثم	كأنه قد خدشا
وكاد يحسولثمه	عذارة المتشاشا
كأنما وجنتيه ورد	بطل رشاشا
رايته فكدت من عجبى	به أن أدهشاشا
هممت أحيانا به	لولا التقى أن أبطشاشا

ذكر تفويض القضاء الى ابن أبى عصرون

قال : ولما استعفى القاضى ضياء الدين لم يبق فى منصب القضاء الا فقيه ينعت بالأوحد كان ينوب عن كمال الدين فأمره السلطان بأن يجرى على الرسم ويتصرف فى الحكم . وكان السلطان لاهياء القضاء فى البيت الزكوى مؤثرا ولذكر مناقبه كثيرا وقد سبق منه الوعد للشيخ شرف الدين ابن أبى عصرون ففوض اليه القضاء والحكم والامضاء على أن يكون محيى

(٨) فى اصل : واعاه .

(٩) وهذا خلاف ما ذكره ابن خلكان فى الوفيات ٧٨١-٨٠٠ حيث ذكر ان سنة ٥٨٤ هـ سنة وفاته .

الدين أبو المعالي محمد بن زكى الدين (١) والواحد (٢) داود غاضيان يحكمان ، وهما عن منابته يوردان ويصدران ، وتوليتهما بتوقيع من السلطان . فاستمر الأمر ولم يزل الشيخ شرف الدين متوليا للقضاء سنتي اثنتين وثلاث وسبعين في ولاية أخى السلطان المعظم فخر الدين . فلما عدنا الى الشام تكلم الناس في ذهاب بصره ففوض السلطان القضاء الى ابنه محبى الدين أبى حامد محمد كئنه نايب أبيه واستمر القضاء الى انتضاء اسمه من سنة ســــبع وثمانين .

وهو من ديوان الوقوف بجامع دمشق وغيره من المساجد الى القاضى الأجل مجد الدين بن الزكى فتولاه الى ان انتقل الى موقف من عمل (١) الاعمال وتولاه بعده أخوه محبى الدين على على الاستقلال الى آخر عهد السلطان وبعده . وبنى على قاعدة الشريعة فيها حلة وعقده ثم تولى القضاء بدمشق بعد صرف من قبله وأحى بما اعتمده بيته وفضله .

نكر وصلة السلطان للخاتون العصمية بنت الأمير

معين الدين فى آخر صفر

قال : كانت هذه الخاتون المنعوتة بعصمة الدين فى عصمة نور الدين فلما توفى رحمه الله أقامت فى منزلها فى دمشق بالقلعة مستقلة بأمرها ونهيها ، ساكنة فى إحدى حجرها آمنة فى خفاره خفراها . صادقة فى اخراج الصدقات سالحة فى الاستكثار من الأعمال الصالحات ، فرأى السلطان أن يحل عطل الملك بخطبتها ، ويصل جناح النجاح بوصلتها فأحضر الشيخ شرف الدين والقضاة وأخوها لأبيها سعد الدين مستعود بن انر حاضر وعقد باذنها وتمت عقدة النكاح ودخل عليها وبات عندها ثم خرج بعد يومين لدمشق مودعا وعلى عزم المسير الى مصر مزمعا .

(١) وهو أبو المعالي محمد بن أبى الحسين بن محمد بن يحيى الملقب محبى الدين المعروف بابن زكى الدين تولى قضاء دمشق فى ٥٨٨ هـ . وكان أبوه وجده وولداه أيضا من قضائها وتوفى عام ٥٩٨ هـ انظر الترجمة له فى ابن خلكان وفيات الاعيان ١—٥٩٢—٥٩٦ .

(٢) الواحد داود بن ابراهيم بن عمر بن بلال الشافعى وكان ينوب عن كمال الدين . الروضتين (٢) — ٢ — ٦٧٤ .

أسير الى مصر وقلبي أسيركم ومن عجب أسرى وقلبي فى أسر
تذكرت أحبابى بخلق بعدما ترحلت والمشتاق يأس بالذكر
ومن فارق الأحباب مستبدلاً بهم سواهم فقد باع المراح بالخسر

قال : وكان الدخول الى القاهرة يوم السبت السادس والعشرين من شهر ربيع الاول ، وتلقى السلطان أخوه الملك العادل سيف الدين ، و تلقانا خير مصر وجنت الينا ثمراتها ، وجلبت علينا زهراتها ، وحلقت أنظارها وعلقت أقراطها ، وزينت أطرافها وأوساطها ، ودخل السلطان داره ، وراجع الفلك مداره ووفق الله فى جميع الأمور إirاده وإصداره . قال : ولم يبق لى من الشغل الا الكتب التى الى الشام ولم يكن ذلك على الدوام فان فى كل ديوان كتابا وفى كل عمل نوابا فتوفرنا على الاجتماع فى المغانى لاستماع الأغانى والشعر (٢) فى الجزيرة والجزيرة والأماكن العزيرة والاستماع (٣) بالجواهر والأعراض ، والحضور فى المدارس للاستدلال والاعتراض والتدريس للطلبة ورواية الأحاديث النبوية والمباحثة تارة فى المعانى الأدبية وتارة فى المسائل الفقهية ، والحضور عند السلطان فى كل ليلة للمشاورة الملكية والمحاضرة الانسية ، والمذاكرة النسكية .

وكان مشغولاً بمجالسة خواصه من العقلاء وموانسة ذوى اختصاصه من الفضلاء فإذا أراد الانصراف بعد هزيع من الليل قام الى صلاة العشاء وإذا فرغ من الصلاة جماعة تفرق الجمع ورفع الشمع فان كانت له حاجة الى انشاء كتاب أو البوح بسر صواب أجلسنى وأملئ على مقاصده وقمت وسهرت تلك الليلة لتحريين الكتب ثم أبكر اليه وأعرضها عليه فان رأى الزيادة فيها أو تبديل شيء من معانيها وصل بي الى مقاطعها ووفقنى على مواضعها فما أبرح حتى أسوى قوامها وأروى أوامها وإذا استصاها وقد أتممت نصابها توجهها بتوقيعه ويقول توجهها ولا تعوقها وتسنددها الى الأغراض وتفوقها . قال :

(٢) كذا وفى الأصل ليست واضحة المعنى ولعلها « البشر » أو « الشعر » .
(٣) فى الأصل : الاستماع .

فكر النموذج من انعامه على بمصر

كان لبيع الكتب فى القصر كل اسبوع يومان ، وهى تباع بالمجان وأرخص الاثمان ، وخزانتها بالقصر مزينة البيوت مقسمة الرفوف مفهرسة بالمعروف فقيل للامير بهاء الدين قراقوش متولى القصر ، والحال والمآقد للامر هذه الكتب قد عاث فيها العث وتساوى سمنها والغث ، ولا غنى عن تهويتها ونفضها واخراجها من بيت الخزانة الى ارضها وهو تركى لا خبرة له بالكتب ، ولم يدر أن فى نفضها انفاضها وان فى تصحيحها امراضها ، وهى مبنوية فى مقاصيرها معينة فى محتاجيها ، مثبتة بخطوطها المنسوبة واعدادها المحسوبة فى دساتيرها .

وكان مقصود دلالى الكتب أن يوكسوها ويخرموها ويعكسوها فأخرجت وهى أكثر من مائة ألف من أماكنها وغربت عن مساكنها وخربت أوكارها وزهبت أنوارها وشتت شملها فاختلط ادبيتها بنحويتها ، وشرعيتها بمنطقيتها ، وطبعتها بهندسياتها ، وتواريخها بتفاسيرها ، ومجاهيلها (١٨٦ ب) بمشاهيرها .

وكان فيها من كتب الأمصار والتواريخ الكبار ما يشتمل كل كتاب على خمسين أو ستين مجلدا اذا فقد منها جزء لا يخلف أبدا فاختلطت واختبطت فكان الدلال يخرج عشرة عشرة من كل فن كتب متبرة فتسام بالدون وتباع بالهون . والدلال يعرف كل شدة وما فيها من عدة ويعلم أن عنده من اجناسها وأنواعها وقد شارك غيره فى ابتياعها حتى اذا ألفى كتابا قد تقوم عليه بعشرة باعه بعد ذلك لنفسه بمائة . فلما رأيت الأمر حضرت القصر واشترت كما اشتروا ومريت الاطباء كما مروا ، واستكثرت من المتاع المتاع ، وحسوت نفائس الانواع ولما عرفت السلطان ما ابتعته وكان بمائتين (٤) انعم بها على ثم وهب لى أيضا من خزانة القصر ما عينت عليها .

ودخلت عليه يوما وبين يديه مجلدات كثيرة انتقيت من القصر وهو ينظر فى بعضها فنبسط يدى لقبضها وقال لى كنت طلبت عينتها فهل فى هذه منها فقلت كلها وما استغنى عنها فأخرجتها من عنده بحمال . وكان هذا منسه بالاضافة الى سماعته اقل نوال وأهنا رغد بغير سؤال .

قال : وكتبت اليه رقعة ذكرت فيها أنني غرمت في طريق مصر ما يقارب ثلثمائة دينار وأنتى من تعويض عنه على أمل وانتظار (٥) فأمر (١) باطلاق ذلك من بيت المال . وشملنى الانعام الفاضلى فى تحصيله وتعجيله للحسالى ، ورتب لى بمصر وظيفة دارة وميرة بمصالحى بارة ، واقتطعنى من الانعام ما بقى بعده على الدوام ومرور الايام مستمرا مضافا الى ما هو مقرر بالشام فما يزال يتبع الانعام بالانعام ويقرن الفرد منه بالقوام ، ويعلم أن الدنيا قليلة اللباث كثيرة الأحداث فتتاهز فرصه بالاغتنام وادخار حمد الكرام .

ذكر القاضى ضياء الدين القاسم بن يحيى بن عبد الله الشـهرزورى (١)

قال : وكانت للقاضى ضياء الدين بالقاهرة دار جميلة ، هى دارة بدره ودائره قدره ومجال جماله وفضل أفضاله ، وبمصر له منزل هو قطعة من دار الذهب بدار الملك القديم مقيمة على قواعد المستقيمة ، فهو تارة يضيفنا فى داره بالقاهرة بمقاريه الباهرة وتارة يقرينا فى منزله بمصر بالطائفة الظاهرة ، ونحن عنده فى أرب وجد وطرب وجد وسماع وغناء واستمتاع واستغناء .

قال : وعملت فى تلك الايام أبياتا يغنى بها ومنها :

ان الفراق منيتى يا منيتى	ان لم تجد بالوصل مت بحسرتى
ما صحتى الا لديه وعطيتى	لك ناظر ذو صراحة فى علة
واراك فى البحران تضعف منيتى	كم منة لك فى الوصال قوية

ومنها :

وصف طرفك بالعليل	قلبي العليل فكيف سـ
فما لخصرك والنحسول	وأنا المحب المسـ
فما يراد من الشـمول	سلبت شمايلك العقـول

(٥) فى الاصل : وانتظار .

(٦) فى الاصل : فاه .

(١) فى الاصل : القاسم وقد سبقترجمته آنفا .

وسلاف ثغرك ليس يشقى غير رشتها غليلى
ولقد ظميت فسل سميلا نحو ذاك الساسيل

قال : واقترحنا على القاضي أن يفرجنا في الاهرام فأضاء وجه بشره
لهذا المرام . وكانت له جزيرة الذهب في طريقها فعبّر بنا إليها وتحمل من
الكلف ما هو غير مطيقها فبنتنا فيها ومعنا فلك ومراكب ، وملك ومواكب
وشداة وحدادة وولاة وحماه ، وقصدت تلك النليلة لطبيها ، وأخذ كل نفس
بمصيبها .

وبكرنا وسيف الصباح قد شق برد الظلماء وابن ذكا قد جلا وجهه
السماء ، وقدمنا المراكب وعدينا الجنايب فلما انتهى العبر وانقضى الصبر
جزنا بالجيزة فرأينا أرضا (٢) رضية وبقعة فضية فيها قوم تعود في حلق
متطلسون وبزى نقهائنا في العراق والشام متلبسون فظننتهم طلبة علم
يدرسون فلما أحسوا بنا طاروا وصاروا الى حيث صاروا وقيل لهم شاربوا
المزر وحاقبوا الوزر فقلت لهم ما بال كل منهم بطرحة فقالوا هذا زي هذه
البلاد ولا لوم على العرف المعتاد .

ثم مضينا ودفعنا الى مخاض وارتفاع بعد انخفاض غاضت بغلة
القاضي وعثرت وتوحدت (١٨٧) والقلوب لاجله توجعت وتوجلت فخرج سالما
ونقطيب أنفسنا باسمنا فاستأنفنا قصد الاهرام وقد سبقنا اليها غلماننا
بالخيام فنزلنا ودرنا حول الهرمين وطاف عليها القاضي من حسن خلقه
وحسن تخلقه بكرمين .

وكان معنا القاضي شمس الدين أبو فلان فما منا الا من هو زهير وقد
ظفر بهرمين وشب لنا هناك المكان والزمان وطالما كانا في تلك الرمال
هرمين (وقد ظفر بهرمين) (٣) ودرنا في تلك البراري والرمال والصحاري ،
وهالنا أبو الهول ، وضاق في وصفه مجال القول . ورأينا العجايب وروينا
الغرائب واستصغرنا في جنب الهرمين كل ما استنظمناه . وتداولنا الحديث
في الهرم ومن بناه فكل يأتي في وصفه بما نقله وعقله واجتهد في الصعود
اليه فلم يوجد منهم من يوئله وحارت العقول في عقوده ، والافكار في توهم
حدوده ولما أتممنا الفرجة عزمنا العوده وما أرفق تلك الشيمة وأهنا وأسنى
تلك الصنيعة النصيحة .

(٢) في الاصل : أيضا .

(٣) هكذا في الاصل .

ذكر بناء السور على القاهرة ومصر

قال : ولما ملك السلطان مصر واتاه الله على الاعداء بها النصر رأى ان مصر والقاهرة لكل واحدة منهما سور لا يمنعها ، ولا قوة لاهلها تحميها (١) وتردها (٢) وقال : ولو افردت كل واحدة بسور احتاجت الى جند مفرد ونظر مجرد والرأى أن ادير عليهما سوراً واحداً من الشاطئ الى الشاطئ ثم يتكل فى حفظها على الله الكالى . فأمر ببناء قلعة فى الوسط عند مسجد سعد الدولة على جبل المقطم فابتدأ من ظاهر القاهرة ببرج فى المقسم وانتهى به الى أعلى مصر ببروج وصلها بالبرج الأعظم .

ووجدت فى عهد السلطان ثبثا رفعه النواب ، وتكمل فيه الحساب وهو دابر البلدين مصر والقاهرة بها فيه من ساحل البحر والقلعة بالجبل تسعة وعشرين ألف وثلاثمائة ذراعاً . شرح ذلك قياس ما بين قلعة المقسم على شاطئ النيل والبرج بالكوم الأحمر بساحل مصر عشرة ألف وخمسمائة ذراع ، ومن الرية بالمقسم الى حائط القلعة بجبل مسجد سعد الدولة الى البرج بالكوم سبعة ألف ومائتى ذراع قياس دابر القلعة بمسجد سعد الدولة ثلاثة آلاف ومائتى وعشرة أذرع ، وذلك بطول قوسه وأبدانه وإبراجه من النيل الى النيل على التحقيق والتعديـل وذلك بالذراع القاسمى (٣) بتولى بهاء الدين قراقوش الاسدى ، وبنى القلعة على الجبل وأعطاهـا من حقها من أحكام العمل وقطع الخندق وهناك مساجد يعرف أحدها بمسجد سعد الدولة اشتملت عليها القلعة ودخلت فى الجملة .

وحفر فى رأس الجبل بئراً ينزل فيه بالدرج المنحوتة من الجبل الى المعين ، وتوفى السلطان وقد بقيت من السور مواضع ، والعمارة فيها

(١) فى الاصل : نحيها .

(٢) فى الاصل : وتزعها .

(٣) وردت فى الاصل القاسمى وهى واضحة تماماً . كتاب الروضتين ٢٨٨ حاشية رقم ١ يذكر المحقق أنها أيضاً فى الاصل القاسمى ، وصحها هو من كتاب مفرج الكروب الى الذراع الهاشمى . انظر ابن واصل ، مفرج الكروب ٢ — ٥٢ .

نكر اللسان الصوفى

قال : وكان حينئذ بمصر شيخ صوفى من أهل بلخ قد جرب الدهر وعانى العقد والفسخ ، وعانى الإثبات والنسخ وجاور بغداد والكرخ ، ظريف طريف ، عفيف ، لطيف لا يأكل وحده ولو أنه رغيف . له مع نجم الدين أيوب صحبة قديمة ومودة كريمة وقد ملك من قلوب الملوك قبولاً ، ولم يزل بشمول عارفاتهم مشمولاً فبنى داراً على شاطئ النيل وفتح باباً لمن يضيفه من أبناء السبيل ، وفيها بركة وبستان وروح وريحان ، ومن كل شهى ولذئذ ألوان وللحلاوات على شيمته الخطوة حوالات ، وللحاجات عند سجيته السمحة نجات له فيها يدخل السرور فى أنفـس أصدقائه أخراجات .

وما زال يدعونا الى داره ولا يخلينا فى ليالى الجمع من انتظاره ، ويضيفنا منفردين ومجتمعين ، ويحضرنا المستمعين والمفردين . وكان محباً للادب ولدقاته مستنسخاً ومؤثراً للفضل ولعائمه معاشراً مصرحاً فإذا عرف ميلنا الى كتاب قدمه وقدم على تقديمه قسمه ويحلف أنه لا يأخذ ثمنه وإنه لاجلنا ادخره وخزنه ثم وقف داره على الصوفية من بعده وانتقل بعد سنين الى النعيم وخلده .

عاد الحديث قال : ولما عدنا من ثغر الاسكندرية صمنا بقية الشهر فى القاهرة ، والسلطان متوفر على نشر العدل وإغاضة الجود وسسماح أحاديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم . وهناك لسماطه ميسوط وخوان ميسوط وكلنا بما هو فيه من النعمة مغتبط مغبوط ، وكان إذا فرغ من الطعام ، وخف ثقل الزحام تخلف عنده من جرت عادته من الجلوس والخواص الأمراء ثم قضينا غرض العشاء ووصلنا بالترابيح والاستغفار والتسبيح . ثم ان شاء جلس وبمن يقربه استأنس وإذا أراد البكور قاس (١) وجلا من نشره القس وبكر وركب « والصبح قد تنفس » (٢) .

(١) فى الاصل : قلـس .

(٢) سورة التكويد آية رقم ١٨ « والصبح اذا تنفس انه لقول رسول

ذكر وصول الرسل ووقوع بعضهم فى الاسر

قال : قد سبق ذكر انفاذ سعد الدين أبى حامد رسولا الى الاطراف الاستحلاف ورفع الخلاف وتأليف الكلمة العائدة بالاسعاد والاسعاف . ومضى أبو حامد وسرنا نحن الى مصر ثم وصل الخبر بأنه قد عاد بعد ما استفاد وبلغ فى تبليغ الرسالة المراد . ووصل ومعه من صاحب الموصل القاضي عماد الدين بن كمال الدين الشهرزوى (١) والحاجب ضياء الدين أبو بكر البغدادى ورسولان أحدهما من نور الدين قرا ارسلان يقال له المظفرى والآخر من تطب الدين صاحب ماردين وهو الضياء الرحبى ، وحضروا بدمشق عند الملك المعظم شمس الدولة أذى السلطان واستحلفوه ودخل لهم تحت ما كلفوه ، واستوفوا عليه اليمين بالموافقة على ما شرطوه ووصفوه .

فأما القاضي الشهرزوى فإنه عاد الى الموصل واستبعد طريق مصر واستعمل الوقار فما خف وعاف وعف ، فأما الباقر فإنه حسن لهم سعد الدين ركوب الخطر وكروب السفر ووعدهم بالغنى وأخذهم على طريق فى بلد الفرنج ، ان قطعوه فى يومين على غرة منهم نجوا فما جاء أهرهم كما رجوا بل شعر بهم القدر فأعرضهم وأخرجهم بالمضايقة وأعرضهم فسابق أبو حامد والضياء أبو بكر بمن معهما فى نهج وعر ، وحصل رسولا الحصن وماردين فى أسر الملاعين الماردين ووصل الناجون الى مصر واجبروا حديث حادث السفيرين الأسيرين فاغتم السلطان واهتم ثم فكهما من الاسر بعد سنين حين فتح حصن بيت الاحزان (٢) .

كتاب فاضلى الى صاحب الموصل فى هذه النوبة مع رسوله : أحسق المودات أدام الله أيام المجلس وأنفذ عزمته وأعلى كلمته وأتم نعمته وشرف همته وحفظ ذمته وسدد حكمه وحكمته بأن يؤكد أسبابها ويقصد استناباتها ويحافظ وجود استقامتها مودة أرض الله سبحانه (٣) انتظامها وأتم النعمة

(١) ذكره ابن خلكان فى آخر ترجمته لأخيه أبى حامد . وقال : كان لكمال الدين ابن آخر يقال له عماد الدين توجه رسولا الى بغداد عن نور الدين فى ٥٦٩ هـ . انظر ابن خلكان وفيات الاعيان ١ — ٦٠٠ .
 (٢) بيت الاحزان بلد بين دمشق والساحل سمي بذلك لانهم زعموا انه كان مسكن يعقوب . بنى الفرنج فيها حصنا . انظر معجم البلدان ١ — ٧٧٥ .
 (٣) توجد بالهامش .

على أهل الإسلام تماما وعادت على مسرات الأولياء بتخليصها وعلى جموع
الاعداء بتحييصها وعلى الملة الحنيفية باغرادها بمزية النصر وتخصيصها وعلى
عباد الله ورعايا أوليائه بسبوغ ظلال الالفة بعد تقليصها ووعدت فى انتظام
المصالح واتصالها ، وفل شأفة الكفر واستيصالها وسددت الى نحو
الكاشحين ما كان طائشا من مناصل الأولياء ونصالها وتلك المودة هى التى
تلقى الدعوة اليها بالتأمين وتلقى الراية (١٨٨ ١) المنصور منها باليمين . ورفع
الكتاب الواصل بسببها على الجبين وعلم أن الخير ما اشتمل عليه نجواه
والصواب ما دل عليه فحواه . قال سبحانه فى كتابه الكريم « لا خير فى
كثير من نجواهم الا من أمر بصدقة أو معروف أو اصلاح بين الناس
ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه اجرا عظيما » (٤) . وأعطى
الصفو ما تبع الكدر وأجلى الصحو ما كان غب المطر ، وأهنا الراحة ما كان
فى أثر تعب السفر .

والآن قد حفظت المودة مجراها ، وألقت الثقة عصاها ، ولاح لعين
السرى دجاها بل أشرقت شمسها وضحاها ، وجرت عمدة الله الايمان
« وقد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها » (٥) .

ووصل الحاجب أبو بكر كتب الله سلامته وأحسن صحابته بعد أن عاد
القاضى عماد الدين الى مستقر عزه من الحضرة ، وقنع بحضوره واستيفاء
اليمين الملكية المعظمية البرة . وكانت التناعة فى موضوعها والثقة فى مستقرها
ومستودعها فان النفس واحدة ولكنها (٦) ساكنة فى جسدين والمصافحة لازمة
واليد منها كاليدى ووصل هذا الحاجب بعد أن لقي من سفره نصبا ، وكانت
سلامته مع أخذ المضيق عليه من طريقه آية عجبا فانها شقة بعيدة ومشقة
شديدة وبلاد مطوحة ومسالك تكاد يكون فيها أسباب العطب مرجحة .

ولم يكن التزم من مقصده الا الكتاب الذى كان على يده فان التعظيم
بحسب قدر المناسب الى قدره العلى ومجده الجلى وشرفه الاولى ، وعن
الذى هو أبلا أعيان الاوصاف عين الملى ، فسرت فيه نعمة السلامة وتوفرت
عليه مزية الكرامة ونظمت اليمين التى احتفل بمحضرها واتترنت الاحكام

(٤) سورة النساء آية رقم ١١٤ .

(٥) سورة الشمس آية رقم ٩ - ١٠ .

(٦) فى الاصل : لكنه .

بظاھرھا والصفاء بضمونها واقام الى ان استكرم له التوفيق واختبرت له الطريق ، وتوجه مصحوبا بلطف الله وأمانه داخلا في حرز كتابته وضمائه ، ونسخة اليمين على يده سايره والمشافهة له تستولى على المقاصد الباطنة والظاهرة . وقد سرى هذا الاتفاق من اللسنة الى القلوب وتأكدت فيه قضايا سفرة الوجوب مؤكدة الرجوب ، واستبشرت الأنفس بأن الله سبحانه يجعله أحد ما ينجز به وعد نصره المكتوب ولزم للمنة به شكران يحمله الله سبحانه وتعالى فقد « ضعف الطالب والمطلوب » (٧) .

وكذا للامير مجاهد الدين قايمار ادام الله تأييده في ذلك السعى المشكور والاثر المأثور وتجارة الخير التي لا تبور ، والعزم الذي يتوضح في ظلام الخطب منه « نور على نور » (٨) فهو شكور بلسان احسانه ، معدود اذا اتسع ميدان الفضل من سبقه وفرسانه .

وأما الكتب الكريمة الاتابكية فانها نعمة لا يخفى قدرها ، ومنه لا يمثل شكرها ، وحسنة تتقدم الحسنات ذكرها ، ولو ان المودة قد تأكدت لقيل انها مما يتأكد به عهدا ، وينتظم به عقدها ، ويشرق به في آفاق الخواطر سعدا وبحسب ذلك نرغب في أن نجعل ثوت الأنفس منها ادرارا وسماء الانعام بها مدارا مع ما يودع من اخبار نعمة الله سبحانه لديه على انها نعمة ظاهرة آثارا متظاهرة اثارا . لا زال الجنب السامى لتحاييل الصدور مستخلصا ، ولنهر المكارم مستقرضا ، ولصفقات المودات مسترخضا ، وللقلوب على ما يجب من الموالات مستحرضا ولا برحت الايام بحسناته موسومة واتم الله نعمه فانها بينه وبين الخلق مقسومة وهو تعالى فاعل ذلك بكرمه ان شاء .

نكر خروج السلطان الى مرج (٩) الفاقوس في ذي الحجة من السنة

قال : وخرج السلطان الى الفاقوس وخيم بمرجها وزخرت بحار مساكه هناك بفوجها وموجها . وكان مقصوده ارهاب العدو في ثغره

(٧) سورة الحج آية رقم ٧٣ .

(٨) سورة النور . آية رقم ٣٥ .

(٩) في حوض مصر الشرقي وهي آخر ديار مصر من جهة الشام .
معجم البلدان ٣-٨٤٥-٨٤٦ . وهي الآن إحدى مراكز محافظة الشرقية .

وازعاجه بذعره وهو يركب للصيد والقنص والتطلع الى اخبار الفرنج
لانتهاز الفرص . ولم يخل كل يوم من انهاض سرية وسرية واعتراض البرية
الكافرة فى كل معقل وبرية .

وكان مرحبا رضيا ، وفضاء مضيا ، وصحارى واسعة ، وبرارى
شاسعة وهو مصطاد وسيع ومصطاف وثيع ، ومراد مريع كله ربيع ،
وشملنا فيه جميع ولكل رجاء من الجود السلطانى شفيح ، ولكل توقيح
توثيع .

وخفت سنة ثلاث وسبعين

والسلطان بمرج الفاقوس من أعمال مصر الشرقية ، والاسلام
زاهر زاه والكفر واهن واه ، والنصر مضمون ، والعصر ميمون ، وسر
التوحيد سار ، وطلب الشرك محزون ، وذخر المال مبدول ، وكنز الحمد مذخور
ومخزون ونحن فى اجتماع واتساع وارتفاع وامتناع لا شيم كهام ولا رنة
شاك ولا انة باك ، ولا شكاية مظلوم ، ولا حكاية محروم ، والايام ظاهرة
الايام باهرة المحاسن ، وقد طابت للزمان واهله أنفاس ونفوس ودارت على
الدنيا من الطاف الله كئوس . قال ونظمت فى الأجل (١٨٨ ب) الفاضل
قصيدة ميمية فى منتصف المحرم وأولها :

ريم هضم يروم هضمى	من سقم عينيهِ عين سقى
قد نقطت شمس وجنتيه	للحسن من خاله بنجى
واهى مناط الوشاح حلت	فيه بوجدى عقود عزى
نطاقة فى القياس نطق	يدور من خصره بوهى

ومنها

عندى مواعيد المعالى تطل	دهرى فليها برغى
نتيجة النجح منك تقضى	أن المواعيد غير عسى

نكر علم الدين الشافعى (١)

قال : قد سبق ذكره فى الايام النورية ، وهو من ادياء الموصل وشعرائها بل من فصائها وظرفائها وله نتف وطرف . ووفد سنة اثنتين وسبعين (٢) الى مصر وأصطنعه الملك (٣) عز الدين فرخشاہ وانزله فى داره ، وقرر له احسانا دارا ، وجمع له من رفده ومن الامراء ذوى الفواضل مبلغ الف دينار ، وأذن صبح نجح امله منه بأسفار ، وكان عندنا فى المخيم (٤) فى المحرم من هذه السنة وقد مدح السلطان بكلمة مطلعها :

غدا النصر معقودا براياتك الصفر
فسر وافتح الدنيا فانت بها احسرى

وأقام (٥) حتى اجتاب خلعة الاحتباء (٦) وعقد له السلطان حبى الحباء .

قال : وكتب الاجل الفاضل من عنده مكاتبه الى عز الدين يحمده على اصطناعه ورفع من حضيض حظوظه الى بقاع ارتفاعه . فصل منها (٧) : لولا حق وجب على الملوك اداؤه ، وسر خدمة تعين عليه ابدأؤه لامتنل الأمر فى أن يدوم (٨) سرور المجلس السامى بالحباية ، وأن لا يعارض صفو عيشه بكدر كتابه . لكن لم يتسع له مع (٩) عود القاضى الفقيه الامام الرئيس الكامل علم الدين وهو ينهى أن المذكور صايغ حليه الذكر وشارس حلية الشكر وخطيب الأيادى ، والعالم بما يورده فى كتب محاسنه (ومنهم أعيون

(١) هو أبو الحسن بن سعيد بن عبد الله بن بندار بن ابراهيم الشافعى كان فقيها غلب عليه الشعر . ولد فى ٥١٠ هـ وتوفى فى شعبان فى ٥٩٩ هـ . ونسبته الى شاتان بلدة بنواحي ديار بكر . انظر ابن خلكان ج٢ ص ١٧٥ . وقد ذكره العماد فى الخريدة . انظر شعراء الشام ٢ — ٢٨٤٢٦١ . انظر أيضا الروضتين ٢ — ٢ — ٦٩٦ .

- (٢) فى الاصل : وستين .
- (٣) فى الاصل : المال والضبط من برق ٣ ورقة ٦ ب .
- (٤) انظر برق ٣ ورقة ٦ ب .
- (٥) فى الاصل : وأقوم التصحيح من برق ٣ ورقة ٦ ب .
- (٦) فى الاصل : وفى برق ٣ ورقة ٦ ب غير منقوطة .
- (٧) فى البرق ٣ ورقة ٦ ب منه .
- (٨) برق ٣ — ورقة ٦ ب يديم .
- (٩) فى الاصل : بالبيع والتصحيح من برق ٣ ورقة ٦ ب .

لا يعلمون الكتاب الا امانى (١٠) وما برح مذ فارق الركاب المالى فى هذه الايام التى طالت عليه ببعده فكأنها أعوام كما قصرت عليه تلك الايام بقربه فكأنها أحلام اذا ذكر المولى سبّح بحمده وبأدر من غير تشييع بتعفير خده وصلى على ذكره وسلم وأورد من آيات مجده ما كان بإيراده أقوم ولا نقول أعلم فان الخلق قد اشركوا فى هذا العلم وامتروا فى هذا الحكم .

عرف العالمون فضلك بالعلم وقال الجهال بالتقليد

بل لا يقول أحد بالتقليد فى فضائله لما عندهم من فوائده :

فان من يفتى عليه حقايب فانت الذى تثنى عليه الحقايق (١١)

وكل سحاب يطره فالمولى منشىء أفواجه ، وكل بحر يغمره فهو باعث أمواجه ، والمولى مقفو اثر الاحسان متبوعه ، ومن الذى يتبعه فيستطيعه ، فمن أعطاه أوادنا فانما عرفه بتعريفه واستتشرف ناظره اليه بتقريبه له وتشريفه والمولى كما قال حبيب الأدباء حبيب :

منى كل نجد فى البلاد وغاير مواهب ليست منه وهى مواهبه

وفى هذه القصيدة بيت يليق بأوصاف بيته الكريم وهو :

الى سائب الجبار بيضة ملكه وأمله عاد عليه فسالبه

والمملوك لا يستزيد الاحسان لانه ناقص عن غاية ولكنه يشاركه فى الشكر وان كان المذكور اشهر آياه واظهر آية (١٢) .

نكر بروز السلطان بقصد الغزاة الى غزة

وعسقلان ونوبة الرملة (١)

قال : وعاد السلطان الى القاهرة وأقام بها ثم تناقضته عزيمته واهتمت

(١٠) سورة البقرة آية رقم ٧٨ .

(١١) ورد فى برق ٣ ورقة ١٧ حقائق بدون التعريف .

(١٢) قارن برق ٣ ورقة ٧ ب .

(١) قارن برق ٣ ورقة ٧ ب .

بالغزاة (٢) وجد بالجهاد وجده وجهده وجردت سرجياته وأسرجت جسرده
وقلقت بفرارية أجفانه وفاضت على النحور غدرائه ، وتلبست بالأجسام
أبدانه ، وصانحت أشجاع الشجعان صفاحه ، وأسقر في ليل العجاج من
غرر وهمه صباحه وخرج من القاهرة يوم الجمعة ثالث / (١٨٩) جمادى
الأولى بعد الصلاة وخيم بظاهر بلبيس في خامسها بخيمته (٣) لقصد الغزاة ،
ثم تقدمنا الى السرير وخيمنا بالبرز ، قال : ونودى خذوا زاد عشرة أيام
أخرى زيادة للاستظهار ، فقلت لفلانى قد بدأ لى وقد خطر الرجوع ببالى
وأنا صاحب قلم لا صاحب علم وقد استشعرت نفسى في هذه الغزوة من
عاقبه ندم ، والمدى بعيد والخطب شديد والطريق كله فى الرمل وجهالى
وينغالى لا تقوى على الحمل وهذه نوبة السيوف لا نوبة الاقلام والواجب
على كل منا أن يلزم شغل ولا يتجاوز محله لا سيما ونواب (٤) الديوان قد
استأذنوا فى العود وأظهرت سرى للمولى الفاضل فسرره اشفاقا على .

وكان السلطان ايضا يؤثر ايثارى ويختار اختيارى فقال أنت معنا أو عزمت
أن تدعنا فقلت العزم للمولى وما يختاره لى فهو أولى ، فقال تعود وتدعو
لنا وتسال الله أن يبلغنا فى النصر سؤلنا . قال وكنت كتبت الى المجلس
الفاضلى أبياتا ونحن بالبرز يوم الاثنين العشرين من الشهر مما على سبيل
المداعبة (٥) ومنها :

قل لى سر الى الجهاد وماذا بالسخ فى الجهاد جهد مسمى (٦)
ليس يقوى فى الجيش جأثنى ولا قوسى (٧) يرى موترا الى موتور

قال : وما انتقطعت عن السلطان فى غزواته الا فى هذه الغزوة ، وقد
عصمنى الله فيها من النوبة . قال : وكنت لما فارقت القاهرة استوحشت
وتشوقت الى أصدقائى وتعطشت . وكتبت من المخيم بلبيس الى القاضى
شمس الدين محمد بن محمد موسى بن القراش اذكر له لواعج الاستيحاش

(٢) قارن برق ٣ ورقة ٧ ب .

(٣) فى الاصل : نحميه .

(٤) فى الاصل : واو ساقطة .

(٥) قارن برق ٣ ورقة ١٩ ب .

(٦) تصيدة طويلة وردت فى برق ٣ ورقات ١٩ ، ١٩ ب .

(٧) فى الاصل : قوس والضبط من برق ٣ ورقة ٩ ب .

وكان أصدق صديق واشفق شقيق وقد تصاحبنا من الأيام النورية واستشرته في التأخر عن السلطان فكتب في الجواب وقال : رافقه ولا تفارقه فانه يعرف لك حقه فكرهت رأيه وتلوت سور الخطر وأيه وضمنت الكتاب هذه الأبيات :

إذا (٨) رضيتم بمكروهي فذاك رضا لا ابتغي غير ما تبغون لى غرضا
وان رأيتم شفاء القلب فى مرضى فاننى مستطيع ذلك المرضا
انتم أشرتم بتعذيبى فصرت له مستعذبا استلذ بهم والمضما
ان رمتم عوضا فى محبتكم فحاشى لله ان أبغى بكم عوضا
لله عيش يقضى عندكم ومضى وكان مثل سحاب برقه ومضا
قد اظلم الأفق فى عيني بغيبكم فان اذنتم لشخص فى الحضور اضا
ما كنت أعهد منكم ذا الجفاء ولا حسبت ان ودادى عندكم رفضا

قال فكتب الى فى الجواب ابينا منها :

ارسلت سهم (٩) عتاب قد جعلت له قلبى وان لم تكن عينته غرضا
لا تنسبونى الى ايشار بعدكم فلست أرضى اذا فارقتكم عوضا

عاد الحديث قال : ثم ودعت السلطان وعدت وما تأخرت الا الهاما من الله تعالى بالنجاة من تلك الورطة حيث حكم فى تلك النوبة بالعثرة ، ورجعت وأنا بين عادل وعاذر وناه وأمر ثم رحل فى سلطان مقدما ولعزمه فى الجهاد مصمما وسار فى جيش مجر من سواد القتام فى ليل ومن بياض البيض فى فجر ، ومن حب الفوز فى وصل ومن ساو الحياة فى هجر فنزل على عسقلان يوم الأربعاء التاسع والعشرين من جمادى الأولى وسقاهم من الموت قسبى وسلب وغنم وغلب وجمع من كان معه من الاسارى هناك فضرب منهم الاعناق وسقاهم من الموت الكأس الدهاق ، وتفرق الفرق فى الأعمال مغيرين ومبيدين ولما رأوا أن الفرنج نايون خامدون استرسلوا وانبسطوا / (١٨٩ ب) وناموا وأقاموا وتوسط السلطان البلاد وسلط عليهم البلاء .

(٨) فى الاصل : لا والضبط من البرق ٣ ورقة ١٠ أ .

(٩) كذا : وفى الاصل معهم .

واستقل يوم الجمعة مستهل جمادى الآخرة بالرملة (١٠) راحلا ليقصد بعض المعازل فاعترضه نهر عليه تل الصافية فازدحمت على العبور ائثال العساكر المتوافية فما شعروا الا بالفرنج طالبة باطلائها حازبة بأحزابها مصحرة ، حادرات اسادها في غابها ، زائرة بزئرها في مساعير سنعيرها وذلك يوم الجمعة أول الشهر (١١) وقد تفرق الجمع وأمن الروع وسرنا (١٢) والضياع مغيرة ولرحى الحرب عليهم مدبرة فوقف الملك المظفر تقى الدين وتلقاهم بصدرة ، وسبك الرجالة (١٣) بنيران سيوفه ، وصددهم عن الحملات بوقوفه ثم حمل على الخيالة بخيله وجرفهم بسيله فاستشهد من أصحابه عدد من الكرام انتقلوا الى نعيم دار المقام ، وهلك من فرسان الفرنج أضعافها .

وكان لتقى الدين ولد يقال له أحمد شاب أول ما طر شاربه وهو فى ريمان شبابه الطرى فقال له يا ولدى قد جاءت نوبتك فأين سطوتك فأقر عيني باقدامك واحسم داء الفزع ببراعتك وحسامك (١٤) ، فحمل وبلغ الطعان وراع تلك الرعان فأردى فارسا وفرسه وصد العدو وحبسه وخرج سالما الى أبيه يعتقد أن تلك النهضة تكفيه . فقال له : عد يا أحمد فان العود أحمد وقسا قلبه حتى كان مراده أن يستشهد فقدم الولد طاعة الله وطاعة والده على هوى نفسه وغامر وحشة الروع بأنسه ، وأذنت الحملة الثانية بكسوف شمسها فاستشهد .

وكان له (١٥) ولد آخر اسمه شاهان شاه فى الاسر ، وسبب ذلك عزته الداعية الى الاغترار فانه خدعه بعض مستأمنى الفرنج بدمشق وقال له تجى الى الملك وهو يعطيك الملك ، وزور له كتابا واستحضر على لسان بعضهم خطابا فسكن الى صدقه وصحبه ولم يدر انه خدعه وسلبه فلما

(١٠) فى الاصل : ساقطة والاضافة من برق ٣ ورقة ١٣ .

(١١) جمادى الآخرة .

(١٢) زيادة عن الاصل والغريب أن العماد لم يكن حاضرا هذه الواقعة ومع ذلك يتحدث كشاهد عيان .

(١٣) بعدها يضيف العماد العنوان التالى : ذكر الحملة التقوية واستشهاد ولده .

(١٤) قارن برق ٣ ورقة ١٤ .

(١٥) ساقطه فى الاصل والزيادة من البرق ٣ ورقة ١٤ .

تفرد به شد وثاقه وغله وقيدده وضيق خنائه الى الداوية ، واخذ به مالا وجدد عندهم له حالا وجملا وبقي في الاسر اكثر من سبع سنين حتى فكه السلطان بمال كثير واطلق للداوية كل من كان عنده لهم من اسير . قال ولو ان لتقى الدين رداء لاودى القوم واغلى السوم لكن الناس لما عرفوا الوقعة تفرقوا وراء ائقاليهم ثم نجسوا برجالهم دون رجالهم ، وضربوا مجملتهم على السلطان فثبت ووقف على مقدمته من تخلف .

وسمعه يوما يصف تلك النوبة ويقول رايت غارسا يحث نحوى (١٦) حصانه وقد صوب الى مجرى سنانة ومعه آخسران قد جعلا شأنهما شأنه فرايت ثلاثة من أصحابى خرج كل واحد منهم الى واحد فيأدروه وطعنوه وقد تمكن من قربي فما مكنوه وهم ابراهيم بن قنابر وفضل الفيضى وسويد ابن غشم المصرى واتفق بسعادة (١٧) السلطان أن هؤلاء وامثالهم من غرسان العسكر واقفوه (١٨) وما فارقوه ومازال السلطان يسير ويقف حتى لم يبق من ظن أنه يتخلف ودخل الليل وسلك الرمل ولا ماء ولا دليل ولا كثير من الزاد والعلف ولا قليل (١٩) وتعسفوا السلوك في تلك الرمال والاوغات والاوعار حتى وصلوا الى الديار المصرية (٢٠) واذا ذلك بتلف الدواب وفقد كثير ممن لم يعرف له خبر ولم يظهر له اثر .

وفقد الفقيه ضياء الدين عيسى واخوه الظهير ومن كان في صحبتهم فضلوا عن الطريق وكانوا سايرين الى وراء فاصبحوا بقرب الأعداء فاكتمنوا في مغارة وانتظروا في بلد الاسلام على عمارة فدل عليهم الفرنج من زعم أنه يدل بهم فأسروا وما خلص الفقيه عيسى واخوه الا بعد سنين بستين أو (٢١) سبعين ألف دينار وغناك جماعة من الكفار عندنا من أسار وما اشتدت هذه النوبة بكسرة ولا عسدم نصره وأن النكاية في العدو وبلاده بلغت منتهاها وأدركت كل نفس مؤمنة مشتهاها لكن في الخروج من تلك البلاد تشتت الشمل وتوعر السهل وسلك مع عسدم الماء والدليل الرمل ، وقبض من ضل به الطريق الاسر والكبل . ومما قدره الله تعالى من أسباب

-
- (١٦) فى الاصل ويجرى والتصحيح من البرق ٣ ورقة ١٤ ب .
 (١٧) فى الاصل السعادة والتصحيح فى البرق ٣ ورقة ١٥ ا .
 (١٨) فى الاصل واقفوه والضبط من برق ٣ ورقم ١٥ .
 (١٩) فى الاصل والقليل والتصحيح من برق ٣ ورقة ١٥ ا .
 (٢٠) لا توجد فى البرق قارن برق ٣ ورقة ١٥ ا .
 (٢١) اضافة يقتضيها سياق الحديث .

السلامة استظهار الأجل الفاضل في دخوله الى بلاد الأعداء باستصحاب الإدلاء (٢٢) وانهم ما كانوا يفارقونه في الغداء والعشاء وينفق عليهم ويقوم بكل ما يحتاجون اليه فلما وقعت الوقعة بدوا به وغلماؤه وأصحابه واثقاله وجهاله وثب أصحابه في تلك الرمال والوهاد التلال حتى أخذ خبر السلطان فقصده وفرق ما كان معه من الأزواد على المنقطعين وجمعهم في خدمة السلطان / (١٩٠) أجمعين وكان الناس في مبدأ توجه السلطان ودخول الأجل الفاضل معه الى البلاد ربما تحدثوا وقالوا لو قعد وتخلف كان أولى به فان الحسب ليست من دأبه . ثم عرف أن السلامة والبركة والنجاة في استصحابه .

قال : وجاء الخبر الى القاهرة مع نجابين فخلع عليهم وأركبوا وأشيع بأن السلطان نصره الله وأن الفرنج خذلهم الله ، وأنهم كسروا (٢٣) وغلبوا وركبت لاسمع حديث النجابين وكيف نصر الله المسلمين ، وإذا هم يقولون ابشروا فإن السلطان وأهله سالمون وانهم وأصلوا غانمون فقلت ما بشر بسلامته الا وقد ثبت كسرة وما تم سوى بسلامته نصره وكان كما حررته .

ولما قرب خرجنا الى تلقيه ودخل الى القاهرة يوم الخميس منتصف الشهر ونابت سلامته مناب النصر وسيرنا بها البشائر وانهضنا ببطائقاتها الطائر لآخراس السنة الأراجيف وأبدال التأمين من التخويف ، فقد كانت نوبتها هائلة ووقعها غائلة .

كتاب فاضلى عن السلطان الى بعض الأمراء يذكر ما دفعه الله في نوبة الرملة (٢٤) من البلاء ، نعم الله سبحانه في كل ما تصرفنا عليه توجب أن نصرف اليه شكرنا ، والطائفة الجميلة في كل ما يفضى بنا اليه يقتضى أن نبلى في حبها عذرا . ومكاتبنا الى الأمير صادرة في يوم الخميس الخامس عشر من جمادى الآخرة عند قفولنا من العزاة التى صرفنا الله فيها عن الكفار لئبلى صبرنا . والمساكر المنصورة سالمة بجمهورنا مقسومة نعم الله في الكافة بين أمرها ومأمورها .

(٢٢) برق ٣ ورقة ١٥ ب يضيف قبل الإدلاء : الكنتانية .

(٢٣) فى الاصل : كثروا والضبط من برق ٣ ورقم ١٦ .

(٢٤) وفى الاصل : الرماية .

وقد كانت هذه المعسكر جاست خلال ديار الكفار وقتلت البلاد وأهلها بالسيفين الحديد والنار ، وحكمت القتل تحكما عجل فيه الارتياح الى أمر الله عن مهلة الأسار واستباحته لهم معاقل واصابت لهم مقاتل ، وشملت المعسكر كسرتها وفيها للمعسكر دوما شغل شاغل (٢٥) .

وكانت العدو رامها مستيقظة فلم يطقها وبارزها (٢٦) على باب عسقلان فلم يفتها من غاية ولم يعقها بل ولاها ظهره عجلا وفر تحت الليل وجلا ثم طرقتها في حال انبثاث منها وانتشار وشغل بالنهب والاغترار (٢٧) وتباعد من الأطلاب وخفة من رجالها وخلو من الأسلحة التي احتاجت في لباسها الى ائتمالها فقتل من العدو أضعاف المقتولة من المسلمين وكانت البادرة للكافرة والعاقبة كما وعد الله للمتقين ، وسلم الله الخلق من المهالك الموحشة والجاهل المعطشة ، والظلم المدهشة والافتراقات التي منها تفل الجيوش الجيئة حفظا لدينه ونعمة يجب شكرها على كل مسلم والا فان الأعمال موبقة والسيئات موثقة والكثرة أعجبت وأعجلت والثقة (٢٨) بغير قادر أخجلت . ولم يفقد مع البعد في المسافة والتتبع بالمحافظة فقد الماء في القفر وعدم الأدلاء وكثير من أظهر من أمراء العسكر وأكابرها واصاغرها الا نفر قليل أكرمهم الله بالشهادة مقبلين غير مدبرين ومتقدمين غير متأخرين وليس منهم من لاسمه في الأسماء شهرة ولا من يعتقد العدو ان له بقتل مثله كثرة وعدنا فحملنا الضعيف والمنقطع ورفقنا في السير حتى لحق المفترق بالمجتمع والأمير يتلو كتابنا على بياض الثغر وذوى هيبته ويستدعى شركتنا في شكر الله الذي هو أيسر واجباتنا ليسكنوا أن الأمور قائمة والمعسكر سالمة والغزوات تتصل ولا تنقطع والطلبات للعدو باذن الله تسهل ولا تمتنع ورأية هذا الدين ترتفع ولا تنخفض ، وأثوار هذه الملة تتسع ولا تنقصر . ولا فلت لنا والحمد لله هذه النبوة عزيزا ولا أحوالت منا عن طلب الكافرين غريما وما عدونا ما قال الله سبحانه (وما زادهم الا إيمانا وتسليما) (٢٩) .

(٢٥) كذا وفي الأصل : مطبوسة .

(٢٦) وبأدائها هكذا وردت في البرق ٣ ورقة ١٧ أ .

(٢٧) في الأصل : واغترار .

(٢٨) في الأصل : ثقة والتصحيح من البرق ٣ ورقة ١٧ أ .

(٢٩) سورة الاحزاب آية رقم ٢٢ .

ويستطبع بعدها البنداري ٤ أوراق وردت في برق ٣ ورقة ١٧ ب ، ١٨ أ ،

١٨ ب ، ١٩ أ ، ويتصل الكلام في ١٩ ب .

قال : وحيث كانت للملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب
في هذه الغزوة اليد البيضاء أنشده قصيدة في سابع (٢٠) رجب وأولها :

جفون البيض أم بيض الجفون وسمر الخط أم هيف الفصون (٢١)
إلا ياعاذلى دعنى وثأنى وما يجرى المدامع من شئوئى
فإن صابتي داء دفين وكم أبقي على الداء الدفين
وحائلة الوشاح رات جمالى على هوجاء حايله الوضين
(١٩٠ب) بكت شجوا وأرزمت المطايا وهاج أنينها الشاجى أنينى
فلى ولها وللانضاء شجوا حنين فى حنين فى حنين
وقالت ما ظننتك قط تنوى مفارقتى لقد ساءت ظنونى
فقلت سراى للعليا وانى تخذت لها أمينا من أمونى
الى عمر بن شاهنشاه قصدى ثقى بفنساى منه وأرقبىنى
ولست أرى سوى عليك (٢٢) تاجا يليق بدر مدحتى الثمين

واهتم السلطان بعد ذلك بافاضة الجود وتفريق الموجود وانتقاد الناس
بالتقود والنساي الصادقة الوعود وتعويض ما وقف من الدواب ونفق من
الغراب حتى حصلوا على أحسن منها وأجود وأحمى وأحمد .

نكر ما تجدد فى هذه السنة بالشام

قال : وقعت المنافسة بين الحلبيين مدبرى الملك الصالح واستولى على
أمره ابن العجمى أبو صالح ، وكان مرهوب الشداة مشبوب الشباه
مخوف البطش مخشى النهش ولا يلزم طوره ولا يعرف أحد غوره ولا يرض
أمرا فوق أمره ولا يريد إلا الاستبداد بخيره وشره .

وكان سعد الدين كمشتكين الخادم مقدم العسكر وأمر المعشر وكبير
المحشر وهو صاحب حص حارم وقد حسده أمثاله من الأمراء لأنه مستقل

- (٢٠) فى سابع عشر رجب هكذا وردت فى البرق ٣ ورقة ١٩ ب .
(٢١) قصيدة طويلة اختار منها البندارى هذه الأبيات .
تارن برق ٣ أوراق ١٢٠ ، ٢٠ ب ، ٢١ ، ٢١ ب ، ٢٢ ، ٢٢ ب .
(٢٢) فى الأصل : علياء . الضبط من برق ٣ ورقة ٢٢ ب .

بالادارة فسلموا للعدل الاستبداد والتمكين من منافسة كمشتكين فصار
يبريء ويتوسط ويرفع ويحط ويرأيه يتسلط وفي المخاوف يتهور ويتهورط
فقفزت عليه الاسماعيلية في جامع حلب بعد الصلاة ومجعوه في الحياة وشغلوه
بمرارة المتون عن المنى الحلوة المشتهاة .

ومن بعده انبسط كمشتكين بعد انكماشه ، واغتر بوفور ريشه
وريائشه ، وترك الجبالاة باوشاب الملك وأوياشه فقالوا هو الذى قتل
العدل وحسن للاسماعيلية الفتك به والقتل ، وحسنوا للملك الصالح وهو
صبى وعلموه وهو غبى وقالوا : أنت السلطان ولا حكم الا لك وقد استكملت
النجر وارفع عنك الحجر وهذا كمشتكين يحتترك وأنت كثير ويستصغرك
وأنت كبير وبالأمن تقلد وزر وزيرك وأشار بالفتك بمشيرك ، وما زالوا
به حتى بسطوا يده على قبض المذكور وطالبوه بتسليم قلعة حارم وارتكبوا
فى تعذيبه المحارم فكتب الى نوابه بها فنبوا واصروا على الامتناع وأبوا
فحملوه ووقفوا به تحت القلعة فلما طال أمره قصر عمره فتركوا رقبتهم وفكوا
رقبتهم واستبد الصغار بعده بالأمور الكبار وامتنعت القلعة عليه ونزل عليها
الفرنج ودافع عليها الكمشتكينية ولزموا فى حفظها التخوة والحمية ثم رحل
الفرنج عنها بقطيعة بذلها لهم الملك الصالح ، ونزل (٢٢) أصحاب كمشتكين
عنها وهم رزايا طلايح ، وولى بها مملوكا لأبيه يسمى سرخك .

نكر نزول الفرنج على حماة يوم الاحد العشرين من جمادى الأولى ورحيلهم عنها بعد أربعة أيام

قال : قد وصل فى هذه السنة الى الساحل من البحر كند كبير
يقال له كند أفكنت من أكبر طواغيت الكفر . ونائب السلطان بدمشق اخوه
الملك المعظم شمس الدين فخر الدين تورانشاه وقد بذل الفرنج ما أمنت
به البلاد من معراتهم وسلطت الغلات من غاراتهم ، وهو خايش فى أمره
وانفاده غايض فى بحر ملاذه ، واشتغل كل من الأمراء فى شغره بهزله وجده
وبدا للكافر الواصل ضعف المعازل وخلوها من الجند المقاتل ومن جملة
شروط هدنة الفرنج انهم اذا وصل لهم ملك كبير ما لهم فى دفعه تدبير

(٢٣) برق ٣ ورقة ٢٥ ! واستنزل .

(١) برق ٣ ورقة ٢٥ ! يضيف ونزولها على حصن حارم .

أنهم يماؤنونه ولا يباينونه ويخالفونه ولا يخالفونه فإذا عاد عادت الهدنة كما كانت ويحكم هذا الشرط حشدوا الجنود وجندوا الحشود (٢) .

ونزلوا على حماة في العشرين من جمادى الأولى وصاحبها شهاب الدين محمود محمود ، والملك بمرضه مهموم مهموم . وكان سيف الدين على بن أحمد المشطوب بالقرب فدخلها وخرج للحرب ، واجتمع اليه رجال الطعن والضرب وجرت ضروب من الحروب ، وكاد الفرنج تهجم على البلد فأخرجوهم من الدروب وواصلوا الاشتجار وقطعوا الأشجار ، وكشفوا الأسوار وأبعدوا (١٩١) في الانجاد والأغوار ، فأعجزهم القدر الغالب وتجمعت على كتبهم الكتاب ، وهم في كل يوم يقلون ، والمسلمون يكثرون ثم سقطت مهابتهم فما صدقوا كيف يرحلون ، فكسفت أديارهم وكسحت آثارهم وكثر قتلهم وأسارهم ثم تجمعوا بعد حين ونزلوا على حارم وقالوا رجالها على صاحب حلب عاصية ، وهي من نجدة المسلمين قاصية ، وصاحبهم قد قتل وهم متورون فحاصروهم شهرين وجرح أكثر من في الحصن وغلب وهن الوهن .

ثم تسامع الحلبيون برحيلنا من مصر لقصد الشام ، وقالوا أول ما يصل صلاح الدين يتسلم حارم فراسلوا الفرنج وأرهبوهم وقالوا صلاح الدين واصل فتنازلوا عن النزال بما قرروه من قطعة المسال وعدة (٣) من الأسارى فربما القتال (٤) ورحل الفرنج وما انفصلوا عن حارم إلا بعد انفصالنا عن مصر .

وأما الحلبيون فأنهم راسلوا من بقى بحارم ، وقد قتل وجرح مقاتلوهم ، ولما فرج الله عنهم تركوا في طاعة الله العصيان ، وخرجوا ، ومضى كل واحد في طريقه (وحصلت القلعة للحلبين) (٥) .

قال : وقد مضى ذكر شهاب الدين محمود بن تكش الحارمي خال السلطان وصهره ومرضه عند نزول الفرنج على حماه وقد مرض أيضا ولده

(٢) قارن البرق ٣ ورقة ٢٥ ب .

(٣) في الأصل : مدة .

(٤) في الأصل : لقتال .

(٥) هذه الجملة غير موجودة في البرق ، قارن برق ٣ ورقة ٢٧ أ .

الأمير تكش^(٦) وهو شاب في ريعان أيامه^(٧) وعنفوان حسنه واحسانه غمات يوم الاربعاء سابع جمادى الآخرة ومات شهاب الدين يوم الاحد بعده بثلاثة أيام وانتقلا الى جوار الواحد الأحد وافق ذلك وقت وقعة الرملة فأصيب السلطان في الشام بخاله وابن أخته منه وكان هذا شهرا طويلا أورث عويلا وحزنا طويلا ، وسلم السلطان الى قضاء الله وقدره وعلم أن كل صفو مردف بكدره فانفق أموالا استوعبت الآمال ، وأعادت بعد الاعوجاج والاعتلال الصحة^(٨) والاعتدال فشد الرحال وعزم الترحال .

ذكر الخروج من القاهرة والتوجه إلى بلاد الشام^(١)

قال : وخرجنا لقصد الشام من القاهرة يوم السبت السادس والعشرين ورحلنا بالخميس بعد صلاة عيد الفطر يوم الخميس . وكان الخبر قد وصل بأن الفرنج حين انفصلوا عن حماه نزلوا على حارم فحث السلطان العزيز سابع الشهر وقطعنا عقبة ايله يوم السبت العاشر وأزويينا الخوامس^(٢) والعواشر. وهناك على الساحل يحفر الرمل فيخرج الماء للعد العذب ويروى منه الركب وتحمله الصحب . وههنا سألنى السلطان أن أعمل آياتا خفيفة لطيفة يكتب بها الى أخيه بدمشق فارتجلت .

الشوق أبرح ما يكون اذا دنيا أمـد اللـتـاء
وتزيل أيام التدانى جور أيام التئانى
العبد يخدم بالسلام وبالتحيـة والدعاء
للسيد الملك المعظم ذى الجلالة والعلاء

قال : وكنا سايرين فى رفقة من أهل الأدب فعبّر بنا مرموق فى صورة ملك اسمه شاه ملك فاقترح على لغز فى اسمه فارتجلت .

(٦) فى البرق ٣ ورقة ٢٧ ب دكش .

(٧) فى الأصل : أيامه .

(٨) فى الأصل : الفقه .

(١) غير موجود بالبرق وانما وردت العبارة التالية : ذكر الرحيل من المخيم بالبركة الى الشام يوم عيد الفطر بعد صلاة العيد يوم الخميس .

انظر برق ٣ ورقة ٢٨ ب .

(٢) فى الأصل : الخواس .

اسم محبوبى سد اسى اذا سقط الثالث فعكس الكلمة
واذا قدم ثانى شطره فهو سلطان لنا ذو عظيمة
عربى عجمى نصفه كله معنى لمن قد فهمه

قال : وانما اوردت هذه اللمعة لأعلم انى فى ظمنى واقامتى ما خلوت
ممن يقترح زناد قريحتى ويقترح ما ينشره من فضلتى .

قال : وما زلنا نسير حتى وصلنا الى دمشق يوم السبت الرابع والعشرين
من شوال فاستقبلنا أهلها بنعم ذات نوال ، واهدنا من فواكهها برخايس
وغوال وجدنا العهد بلقيا أصدقائنا من اديب ولبيب وطبيب وأمين وأمير
ووال (٣) قال :

تذكرت فى جلق داركم بمصر فىا بعد ما بيننا
وما أتمنى سوى قربكم وذلك والله كل المنى (٤)

(١٩١ ب) كتاب فاضلى الى السلطان : ورد على الملوک أدام الله
أيام المجلس العالى الملكى الناصرى ونصره على أعدائه ، ومملكه أرضه بعدل
حكم سمائه ، ولا أخلى من نعمتى نظره وخيره قلوب وعيون أوليائه ، وأعز
الاسلام ورفع عن أهله البلوى بلوائه . الكتب الكريمة التى تسر الناظرين
بشمارها الأصفر وتبشر الأولياء ان كانوا غايبين مع الفيب بأن خطهم حاضر
مع الحضر .

وقد كانت الفترة قد طالت أيامها واستطالت آلامها ، والطرقات التى
سبق الى الانفس اتهامها (الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن) (٥) وأولى من
النعمة ما اشترى الحمد عنا بلا ثمن ، وذلك من فضل الله علينا وعلى
الناس ، ووعد سبحاته منتظر اذ يقول فى كتابه (وعد الله الذين آمنوا

(٣) هنا يستط الاصل الأوراق : ٣٠ ب ، ٣١ ا ، ٣١ ب ، ٣٢ ا ،
٣٢ ب ٣٣ ا ، ٣٣ ب ، ٣٤ ا ، ٣٤ ب ، ٣٥ ا ، وجزء كبير من ٣٥ ب .
يتحدث العماد عن كتبه التى ألفها خريدة القصر وجريدة العصر الى
آخر سنة اثنتين وسبعين ووردت فيه من بعد سنة خمسمائة وهو فى عشر
مجلدات ضخمة . والف ايضا الذيل على الخريدة .
(٤) قصيدة طويلة اقتبس منها البندارى هذه الأبيات من ٣٥ ب - حتى
٣٦ ب .

(٥) سورة فاطر آية رقم ٢٤ .

مئكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم
وليمكن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا (٦) . وصدق صلى
الله عليه وسلم واله فى قوله : ان اختيار الله للمؤمن خيرا من اختياره ،
وان مواقع امله خير منها مواقع أمضية الله وأقداره (٧) .

فقد كانت حركة احتاجت اليها البلاد التى انفصل عنها ، والبلاد التى
تدم عليها اما المصرية فبكونها على عدة من نجدته آجلا ، واما الشامية
فبكونها على تقدة من نصره عاجلا فقد تماسكت من المسلمين الارماق (٨)
وقد انتطعت من المشركين الأعناق .

تهاب بك البلاد تحل فيها ولولا الليث ما خيف العرب

وعرض الملوك جميع ما وصل اليه من مكاتبات المولى على المعلم
المعالي ، فأدركها تحصيلاً وأحاط بها جملة وتفصيلاً . والمولى خلد الله
ملكه فكل ما أشار اليه من عزيمة أبدأها ونية أمضاها فهو الصواب الذى
أوضح الله مسالكه ، والتوفيق الذى قرب الله مداركه ومن أطاع الله اطاعه
كل شئ ومن استخاره بين الرشيد من النى فآله يجعله من كل حادثة بنجوة
ويكتب أجره فى كل حركة ونفس وخطوة .

ومنه قد كان العدو خذله الله نهض ووصل الى صدر (٩) فوجدها أمنع
من عقاب لوح الجو ، وعاد متخلف النية مخلف النو وكفى الله امره
وصرف شره . ومنه الملوك ينهى أنه وقف على نسخ الكتب العراقية المباركة
وهى دالة على جميل النية ، ووقوع الاهتمام بهذا الجانب وحمل اليهم بما يجرى
له مع الأعداء ، والمشاركة المشكورة فى (السراء والضراء (١٠)) وأوهب
أن يتلقى هذا الاحسان بغاية الاعتداد ، ويجرد فيه لسان الشكر والاحماد
وتوسع القول فى أن جميل الآراء الشريفة هو العدة والمدة والمرجو فى

(٦) سورة النور آية رقم ٥٥ .

(٧) تارن مسند ابن حنبل ج ٣ — ١١٧ . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عجبتم للمؤمن ان الله لم يقض قضاء الا كان خيرا له .

(٨) فى الأصل : الارمان .

(٩) فى الأصل : صور والتصحيح من البرق ٣ ورقة ٢٨ ب .

تارن الروضتين ٢ ج ٢ ص ٨٠٧ .

(١٠) ما بين الحاصرتين ورد كاتالى فى برق ٣ ورقة ٣٩ ا : فى
الشدة والرخاء .

الدنيا والآخرة ، والعاجلة والآجلة ، وتعجل إعادة الرسول فما يكون كلفته
الا واسعة والمطالب باقامته متشنته .

ومنه فى صفة الرسول ومن يختار للرسالة وشروطها ، وان كان ولا بد
من رسول فيلمح المولى من أمره الفزاهة حيث لا يتقل تثقلا لا ينفعنا، ويستقل
به من نفذ اليه، والعقل حتى يعرف ما يأتى ويذر ، والصدق فانه لا رأى لكذوب
والاستقلال بالقول فان غيبة الحجة فى وقتها خذلان عظيم والمولى يعرف كل
من طلب فما ينبى أن يقال مع معرفته خذ فلانا ودع فلانا ولو أن عندنا
عرضا مهما كان انهاض الفقيه قطب الدين النيسابورى واجبا لأن حرمة
كبيرة ومعرفته ثاقبه فلا يعدل عن استشارة ظهير الدين فقد تجرد لقضاء
الحق والاتصاف الى هذا الجانب والتشهى بمحبته والخطب فى جله .

ومنه فى معنى شرف الدين بن عصرون وكان قد كف بصره ، وحديث
قناض دمشقى لا يعجل فى أمره ولا يستبدل به الا بعد ظهور الخيرة فيمن
تقدمه فالمنصب كبير وجمع شروط الاختيار عسير وإيلا قلب رجل شارف
منتهى عمره مع كونه لم يظهر منه ما يذم من أثره مما لا يحتاج اليه .

ومنه ونوبة العدو فى الرملة فقد كانت عثرة علينا ظاهرها ، وعلى
العدو باطنها ولزمنا ما نسي من اسمها ولزمهم ما بقى من عزمها ، ولا دليل
أدل على القوة من المسير بعد شهرين من تاريخ وقعتها الى الشام نخوض
بلاد الفرنج بالقوافل الثقيلة والحشود الكثيرة ، والذى تضمنه صاحب
منبج عن الحلبيين والمواصلة فما هو الا ظن توهمه أو نقلة ناقل يجب أن
يتفهمه فأى سبب يحمل قوما أفردتهم الايام بلذاتهم ، وقام المولى بينهم وبين
أهل معاداتهم يسهر وهم ضاجعون ويتعب وهم وادعون ، ثم أنهم قد جربوا
ولدغوا وطلبوا فما بلغوا ما هو عنها بالحديث المرحم .

عاد الحديث قال : لما دخلنا دمشق وجدنا رسل دار الخلافة قد
وصلوا بأسباب العاطفة والرائة ، وكان حينئذ صاحب المخزن ظهير الدين
(١١٨٢) أبو بكر منصور بن نصر العطار وهو من ذوى الاخطار وله التحكم
فى الايراد والاصدار وقد توفى على محبة السلطان وتربية رجائه ، وتلبية
دعائه فوصل كتابه ورسوله بكل ما سر السراير ، ونور البصائر ، وكان
الكتاب بخطه واقترح على السلطان أبياتا يكتبها فى كتاب اليه بخطه فقلت
ما ضمنه الكتاب وهو :

وأنافض في شكر العوارف عارفا بقصور باع الشكر عن نعمائه
وتأمل الخط الكريم فأثرت أنوار حسن العهد من أثرائه
أضحى ظهير الدين أفضل صاحب يستمسك الداجي بصدق ولائه (١١)

مكاتبة فاضلية في التهنية بمولود . الملوك يقبل الأرض بالمقام
العالى الناصري ، نصر الله الاسلام بمقامه وأهلك أعداء الحق بانتقامه
ويهنئ المولى بنعمة الله عنده وعند الاسلام وأهله من زيادة في ولده وكثرة
في عدده وهو الامير أبو سليمان داود انشأه الله نشوء صالحى خلقه ،
وجعله كما جعل أباه من أنصار حقه ، وكانت ولادته في الساعة الرابعة
من ليلة الاحد لسبع يقين من ذى القعدة ومن الله بكمال خلقه ووسامة
وجهه وسلامة أعضائه وتهلل عزته وأبتسام أسرته ودل به على أن هذا
البيت الكريم فلك الاسلام لا يطلع فيه الا البدور كما دل على عناية ربه بأبيه
فانه تعالى قال : « يهب لمن يشاء أنثا ويهب لمن يشاء الذكور » (١٢) .

وهذا الولد المبارك هو المولى لاثنى عشر ولداً بل لاثنى عشر نجماً
توقد فقد زاد الله في أنجمه عن أنجم يوسف عليه السلام نجماً ورآهم المولى
يقظة ورأى هو تلك الانجم حلماً ورآهم ساجدين له ورأينا الخلق له سجدوا ،
وهو سبحانه قادر على أن يزيد حدود المولى حتى نراهم آباء وجدودا (١٣) .

ومن كتاب فاضلى آخر . أدام الله دولة مولانا الملك الناصر وخصه
بتشييد بناء السلطان ولا أخلى منه عيون الاولياء فاما القلوب فانه لها ساكن
واتها له أوطان ، وأوزعه أن يشكر ما به من نعمة والهمة أن يخلف محمداً
صلى الله عليه وسلم بأحسن الخلافة في أمته ، وحفظ عليه كل عمل ، بيده
قاضيته ، ولقاء كل خير بيده ناصيته :

وإن أكثر الداعون فيما دعوا له فلا تلحين من بات يدعو لنفسه
كتبت هذه الخدمة بعد انقضاء عيد النحر على ما شرع
فيه من سنة واستحب من قربه وعلى نيابة المولى الملك العادل أوفى نيابه
وعلى هذا فان الخلق لغية المولى .

(١١) يسقط البندارى الأوراق التالية ٤١ ب — ٤٧ أ وقد وردت في
البرق ٣ وهو عبارة عن مراسلات بين السلطان والجهات المختلفة .
(١٢) سورة الشورى آية رقم ٤٩ .
(١٣) يتبع ذلك في البرق أشارات مختصرة إلى أولاد السلطان قارب
أوراق : ٤٨ أ ، ٥٠ أ .

تراهم كبيت غير الكسر وزنه
فالفاظه نشر ومعناه قايم

دنا العيد أو تدنوا به كعبة المنى
وركن المعالي من ذوابة يعرب
فياعجبا (١٤) للدمع يرمى جماره
ويا بعد ما بينى وبين المحتب

كتب المولى عند الملوك كالجنة التى قال الله تعالى واصفقا لها : « وفيها
ما تشتهي النفس وتلذ الأعين وانتم فيها خالدون » (١٥) وان لم يخلد الملوك
فيها جسما فقد خلده الفخر فيها اسما ونعمة المولى بها وبخيرها تجل عن
الوصف .

وما علمت لسنائي كل عن صفة وما علمتك الا فوق ما اصف
والله ما يهيج البروق اللامعة والحمائم الساجعة والنسيم فى الاصال
والخواطر اذا خطر بها ايام الوصال ما يهيج هذه الكتب وانها لتفح من سحب
العيون ما تلفحه مراقبات (١٦) السحب وبالجملة كل دم حقنة المولى لجهاده قد
أجراه ذمعا ببيعاده وذكر المولى انشودة وانها ربما كانت للقاء ميعادا :

مضى أن يكن حقا يكن احسن المنى يا برد ذاك الذى قالت على كبدى
فسووغونى المنى حتى أعيش بها

وقد ينعش الفتى بعد عشرة ويصطنع الحسنى سراة بنى عجل

سقى الله دارا شوقتك بغيرها واذنك نحوى يا زياد بن عامر
امسايل قرب ارتجى أن أنالها بلياك قد زحزح برد الهواجر

والمملوك الان يعالج من الاشواق غريمين كريمين غريم ينزع به الى
كعبة الحزم وغريم يرجع به الى كعبة الامم .

(١٤) فى البرق ٣ ورقة ٥٠ ب قياويلتى .

(١٥) سورة الزخرف آية رقم ٤٣ .

(١٦) فى برق ٣ ورقة ١٥١ وردت هذه الكلمة مؤلفات .

لو سرت من ذا الى هذا وكيف به ما ما سرت من حرم الا الى حرم

وحديث ما يلزم الخزائنة من المغارم فقد قال أحد وزراء الرشيد له وقد
أراد سفرا الى احدى غزواته يا أمير المؤمنين تكثر الكلف قال ومتى قلت :

(١٩٢ ب)

لا يستقر بكنهه أمسواله فكأنما هي عابرات سبيل

وما ضاع مال ورث الحمد أهله . ومنه للمولى أولاد صاروا رجلا
ويجب أن يستجد للقلاع رجلا كما فعل السابقون أعمارا وأعمالا ، وقيل
القلاع أنوف من حملها شمع بها ما فى الرجال على النساء أمين .

وزهدنى فى الناس معرفتى وطولاً ختيارى صاحب بعد صاحب
ولا كنت أرجوه لدفع مله من الدهر الا احدى النوايب

ومنه عز الدين أقبورى يطول المولى عنان صبره ، ويودعه بلطف خلقه
وتحمل جفوة ظاهرة ، مع العلم بسلامة باطنه ، ومن كان يخص أيادى الموت
عنده تسفيره بستة آلاف دينار فلا بد من احتماله لتناسب أسباب المعروف
عنده ومنه من أبيات فى ذكر السلام وتبليغه الى ولده الملك العزيز عثمان :

وغريبة قد جئت فيها أولا ومن اقتفاها كان بعدى الثانى
فرسولى السلطان فى ايصالها والناس رسلهم الى السلطان

ومن اجابة السلطان عن بعض الكتب الفاضلية بالانشاء العمادى .
وردت المكاتبات الكريمة الصادرة عن الحضرة السامية الاجلية الفاضلية
ضاعف الله سمو ظلالها ونمو أفضالها وبلوغ آمالها وسبوغ ظلالها مؤرخات
بثالث عشر شوال ورابع عشر ومنتصفه نظام سطور الطرس وظلام ديجور
التفيس فى صدفة وسدنة متضمنات شكر ما من الله به من سلف الاحسان
مبشرا بما أعده لنا من مونيقة مهديات للنصائح الفصايح ، فأضاعت بطووعهن
مطالع المطالب عن سنا النجح ، ووصلت مناهج المسار ومباهج المبار سافرة
الوجه مسفرة الصبح وتضاعف من الانس بمطالعة الكتب الوحشة لما ينوب
من مشاهدة طلعة القرب . فأما ما انهاء المجلس السامى بعد رحيلنا من
بزاعة المقيم فانه شرح ما تجدد لنا بغيتته ، وأوضح طرفا مما وجدناه من

الوجد عند عدم الاستيناس بكريم حضرته احاط علم الكريم بأن اليمن مقرون بحضوره وأن استقامة الملك فى اموره بحسن تدبيره ولولا متابعة ارادته ومطالوعة بغيته لما سمعنا على الكرة بغيته ، ولكننا ضننا به لكننا ظننا أنه يجد من ذلك التعب الدائم راحة ويكون حوام موارد الاحجام له مستباحة مستباحة . انى والملكة بارئه وآلائه متسقة العقود ، مشرقة السعود ، فائزة المهود ، ناجزة الوعود لا زالت اقلامه لمقاصد النجاح محررة واحكامه لقواعد الصلاح مقررة والايام بميامنه المبكرة مباركة والممالك لمشاركة تدبيراته المشكورة مشاركة .

ومنها وتلقينا رسل الخلافة المعظمة بالطف البشرى واصناف اليسرى والرسالة المباركة مشتملة على ثلاثة فصول ضامنة لاجابة كل سؤال واصابة كل سؤال .

فاول الفصول اظهار الاعتماد بما جرى من نبوة تلك النبوة ، وثانيها عرض المال والرجال الذين بهما مال الرجا الى دار الحظوة ، وثالثها قبول الشفاعة فى عز الدين اثمورى والاعتداد بها وعدها من المنن الحولة والمنع الصفوة .

عاد الحديث قال : وخرج السلطان للصيد فى ذى الحجة نحو قارا فشكوت ضرسى وعدمت انسى ، واتفق رجوع عز الدين فرخشاه لحمى عزته ورجعت معه احاضره واسامره ليلا ونهارا واجتنتى من رياض اخلاقه الموثقة ازهارا فانشدنى بيتى المتنبى .

وزايرة كأن بهما حياء فليس تزور الا على الظلام
اذ ما تارقتنى غللتى كانا عاكفان على حرام

فقال : وحماتى بالصد منها فانها لا تزور الا نهارا ولا تهجم الا جهارا ولا بفرقتى يفرق ولا اخلص من نارها بعرق فنظمت فيه كلمة طويلة فى صفة الحمى .

(١٩٣) وزايرة وليس بها حياء فليس تزور الا على النهار
ولو عرفت لظي سطوات عزمي لكنت من سطاي على حذار

أحماك استتعارت لفح نار لعزيمك لم تزل ذات استتعار
وما أحمى مزاجك غير لطيف ليوقد ناره عند الفوار
ولفح العارض السارى دليل من الغيث المثلث على انهمار
وما أن حم ليث الغاب الا لخلقك سالب لب العقار

ذكر استشهاد عضد الدين وزير الخليفة

فى العشر الاولى من ذى القعدة فى هذه السنة

قال : ولما صفى للوزير عضد الدين أبى الفرج بن المظفر رئيس
الرؤساء موارد النعماء ، وأمن من صروف الدهر نوايب الاعتداء تفرد بشغله
وغاض عدله وفيض فضله واستكمل الرى من نهله وعله ، وتغاشت أبصار
الملوك عن الصعود الى محله . وذهل والدهر غير ذاهل وغفل والخطب غير
فافل وعزم على الحج لأداء فرضه وارتقى بحركته الى سمائه وقد قرب
سكوته تحت أرضه وكان من أمره فيما باح القضاء بصره أنه سير الاثقال
وقدم الرجال ، وحسب الارزاق ولم يحسب الآجال وخرج فى موكب تمنوا له
وجوه نجوم الاملاك وتخفوا لشمسه نجوم الانلاك وهو يتجلى فى بهو جلاله
وهو فى حليته حالته كالبدر فى هالته . وأمر أن لا يحجب عنه مظلوم ولا يمنع
عنه مهضوم ولا يبعد ذو غصة ولا رافع قصة . فانه قد خرج من بيته الى الله
مهاجرا والى بيته الحرام سائرا فوقف له فى مضيق غربى دجلة كهل فيه
جراة وكفر وجهل ، وفى يده قصة عليها يتجدث وبها يتفوث وهو يصرخ
ويقول لا أسلم قصتى من يدى الا الى يد مولانا الوزير فهو كهف المضم ،
ومويل المستجير . فقال : دعوه ولا تمنعوه فأوما ليوصل قصته فانتهمز
فرصته وقرب نحوه وضربه بهدية وهتك حجاب روحه وغادره لقى بجرحه .

وبدر كمال الدين أبو الفضل بن الوزير فقتل قاتل أبيه بسيفه وكان مع
ذلك الجاهل رفيقان فخرجا ومعهما سكينان فجرح أحدهما صاحب الباب
بموافقة الوزير فى شهادة الوفاة فثعا الملاحدة وقطعوه وأحرقوهم قبل
دخولهم النار بالنيران وختم الله للوزير بالشهادة وفاز فى عليين بالشهادة
فاستقل ظهير الدين أبو بكر منصور بن نصر العطار صاحب المخزن بالدولة
وكان لسلطاننا ظهيرا ، وللملك الناصر نصيرا وكان الرسل قد مضوا الى
الوزير فلم يصادفوه وتولى ظهير الدين أمرهم فألقوه فى الاعتناء بالأمر

كما القوه . وكان المندوب فى الرسالة القاضى ضياء الدين الشهرزورى فانه كان لها يترشح وبأدريتها يتوشح ورأى السلطان فيه يترجح فتعين للرسالة وسار بقوة القلب والبسالة فلقى من ظهير الدين ما دنا به من الظهور وحصل منه على الوفير الوفور والعرف المشكور واقتضت المهام مقامه هناك عدة من الشهور ، وكانت من الانعام الامامى وظيفه داره ، ومبرته به وبمن معه باره . وكانت ميالوته بالدنائير الامامية تبلغ العشرين فاذا انقضى الشهر تضاعف مائين وذلك سوى وظائف الطعام والعلوفة والاغنام وسوى التحف والهدايا والتشريفات وما وصله من الصلات سفر به وشرف من تقوّد النفقات كان السلطان قد نفذ معه على عادة انفاذه كل سنة الى اعيان العراق وأمثاله وأكارمه وأفاضله والعلماء والشعراء والمتصوفة من الفقراء عطايا وهدايا وخلعا وتشريفات وسنايا . وربما بلغ المبلغ الوفيا يسرى بها الى ذوى المعروف معروفا .

نكرى مكرمة ههنا

قال : جئت الى الصفى بن القابض المتولى والخازن وقلت له اطلعنى على أسماء الذين سيرتم اليهم العطايا على يد الرسول فتلقى قولى بالقبول فلما تأملت الدستور فقدت فيه أسامى جماعة من الاصدقاء قد أهملت فى العطايا فقلت له : ههنا خمسة أسماء لم يجر لها ذكر (١٩٣ ب) ويغتنم لهم حمد ودعاء وشكر فقال : كم نصيبهم فقلت مبلغ مائتى دينار فلم يقابل قولى بانكار فوزنها وحدها وسلمها الى عدنان النجاب وقال : الحق بها الرسول وخذ منه بها الوصول . فقلت له هلا استأذنت السلطان فقتال قولك المقبول والسلطان لا يقول فى هذا ما لا تقول .

فصل من انشاء الفاضل فى مطالعة الى السلطان : النوبة الحادثة

لوزير عضد الدين نوبة نايبة راجعة فاجعة واعظة رادعة « وما ربك بظلام للعبيد » (١) فقد كان عفى الله عنه قتل ولدى الوزير ابن هبيرة رحمه الله وازهى أنفسهما وجماعة لا يحصى .

من ير يوما يريه والدهسر لا يغتر به

وهو من ذرية لم تزل قاتلة مقتولة وما زالت السيوف عليها ومنها
مسلولة فهم فى هذه الحادثة المصمة كما قال : دريد أبى القتل الا
آل صمة والأبيات المولى يحفظها وهى فى الحماسة ومنها :

أبى القتل الا آل صمة أنهم أبوا غيره والغدر يجرى الى القدر
قسمنا بذاك الدهر شـطرين بيننا فما ينقضى الا ونحن على شطر

وقد ختمت له السعادة بما ختمت به له الشهادة لا سيما وهو خارج
من بيته الى بيت الله قال سبحانه « ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله
ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله » (١) .

ان المساء قد تسر وربما كان السرور بما كرهت جديرا
ان الوزير وزير آل محمد اودى فمن يشنأك كان وزيرا

هذان البيتان قالهما شاعر فى أيام السفاح أبى العباس أول خلفاء
بنى العباس فى وزيره أبى سلمة بن الخلال ، وكان دعامة دولتهم وقائم
دعوتهم ولذلك قصة طويلة .

ذكر عز الدين أقبورى وعوده

قال : قد سبق ذكر الامير عز الدين أقبورى بن أرغش وأنه فى نوبة
تطب الدين قايمان خرج وخلق ببغداد من أمواله وذخايره القناطر المقنطرة
فاعتنى به السلطان وكرر الشفاعة فى حقه ورد سناه من رضاء الديوان
العزیز الى أفقه ، وسفره بأمواله وسيره باجلال ، وسمع فى طريقه
بإستشهاد الوزير فجئنت نفسه وزال بالعود الى بغداد أنسه فلما وصل
كتابه أخلف فى أمره حسابيه .

من كتاب فاضلى فى معناه . وما للممالك حاصل الاهتمام به واستثبات
النظر فى أمره أمر الامير عز الدين أقبورى وعودته وضعف نفسه وكان
سبيله أن يتوكل ويقدم فان ذمة المولى ما كانت تخفى فيه والقيام الآن مقام
الماضى صاحب غير متهم المودة وبالجملة المخاطر كثير الخواطر ومالى غير
هذا الرأس رأس .

ولقد ضربنا فى البلاد فلم نجد احدا سواك الى المكارم ينسب
فاصبر لعمادتنا التى عودتنا أولا غارثسدا الى من نذهب

وقال :

فلو كنت تحصى ماوهبت من الندى تبينت ما تجنى عليك المكارم
قال : ولما وصل الرسول الى الموصل بلغه استشهاد الوزير فتوقف
ووافق وصوله اليها وفاة ابن عمه القاضى عماد الدين أحمد بن القاضى
كمال الدين الشهرزورى .

فصل

من كتاب فاضلى : فى ذلك كله مكتبة ضياء الشهرزورى بالانتماء
لطيته والنفوذ لوجهته صواب ، وعلم أيضا وفاة ابن عمه فسيحان من تارب
بين الخلق فى الارزاق والآجال .

يدلى ابن عشرين فى قبره وتسمعون صاحبها راتع
اغتبط الولد مع نضارة الشبيب المقتبل
وعمر الوالد مع ذبول المشيب المشتمل
ليعلم أن الشيب ليس بمسلم وأن الشبيب الفض ليس بمائع
وليكون العبد حذرا من نغيات الآجال فى كل الاحوال ، والله تعالى
يطيل للمولى العمر كما أطال له فى القدر ويسمع منه ولا فيه ويبقيه سندا
للدين الحنيفى فان بقاءه (١) يكفيه .

(١٩٤ أ) ذكر الامير شمس الدين بن المقدم

قد سبق ذكره وانه من اكابر الامراء المقدمين وله سوابق ومساوات
وشوافع وحرمت ، وهو السابق الى مكتبة السلطان فى تصويب رايه الى
الوصول الى الشام وتدارك أمر الاسلام ، وأن السلطان لما تسلم قلعة بعلبك
انعم بها عليه فأقام بها مستقرا ، ولما وصلنا فى هذه نوبة الى الشام

(١) فى الأصل : بقاء .

لم يحضر كما جرت العادة للخدمة والسلام فانه انتهى اليه أن الملك المعظم شمس الدولة طلبها من أخيه وأنه لا يمكنه الرد في تحر مبالغيه وعلم أنه اذا أحضر حضر عليه العود وكوتب مرارا سرا وجهارا فأبى الا الإباء وشارف السلطان منه ومن أخيه الحياء ، ومكث طويلا عسى أن يجمع بين القلوب ويدفع ما لزم من الخطوب وهو في ذلك يستعين بالله في هدايته الى الصواب . وفي هذه السنة أربعنا عن مخيم السلطان بتل حارم من الشعراء ونزلنا منها بالعراء والعشب وأص والخطب قاص والزمان غير عاص ، ونجح الآمال غير متعاص والمرعى مريع وشمل المسار جميع (١) ولله في الاحسان الينا صنيع نصيع وروض لنا وسيع وشيع .

ودخلت سنة أربع وسبعين

والسلطان في أمر بعلبك مفكر ، والرسل بينهما الينا رايح او مبكر وشمس الدولة أخوه (١) لا يقبل عذرا ولا يرى عما طلبه صبيرا ، وكانت سلطنة الشام له فلما وصل السلطان أخذت عقوده في الانحلال وأموره في الاختلال فأراد موضعا ينفرد بحكمه ، ويجرى فيه من طيب عيشه على رسمه فلم يتعين له سوى بعلبك فطلبها والسلطان يريد أن يحفظ قلب ابن المقدم فكلمنا رفق به عنف ، وكلما استأنف معه لاستمائه عزف فما زالت الموارد (٢) الصافية تتكرر والضماير السهلة تتوعد حتى استأذن الملك المعظم في التوجه الى بعلبك فأذن له وعقد بها أمهه وقصر على تسلمه عمله . وتوجه عز الدين فرخشاه الى حوران لحفظ الثغور ورعاية الجمهور وصرنا (٣) الى حمص ونزلنا على العاصي لاستثناء الآمال القواصي العواصي (٤) .

فصول من كتب فاضلية وردت في أوائل هذه السنة . فصل له من كتاب : فأما المتحصن (٥) بقلعة بعلبك فقد ضرب بينه وبين السعاد بحجاب ،

(١) في الأصل : وجميع .

(١) في الأصل : أخو .

(٢) في الأصل : المواد وكذا يستقيم السياق .

(٣) في الأصل : وصرنا .

(٤) في الأصل : العاصي .

(٥) في الأصل : التحصن .

وصرف عن باب الخير وهو باب مولانا الذى ما بعده سوى لله باب وقد خدعه الرأى الذى تبعه وولاه النظر الذى دله . ولو هدى لصوابه ووفق لرشاده فتحت له أبواب الانابة ومهدت لدعائه أسباب الاجابة قبل أن يحق عليه الكلبة وتشدد عليه حذب الحكمة ، وتخبطه الارجل خبط السلمة .

فصل آخر من كتاب آخر فى المشورة والفكر: الملوک يقول: ان كثرة الشك محامة عن اليقين المعتقد ، وكثرة الفكر امان من تطرق الرأى المستنقد وانه لا تنال الزبدة الا بالمخض ولا يتأكد الابرام الا بعد النقض ، واذا تكرر صقل السيف كان التكرار اظهر لجوهره ، واذا تكرر سقى الغصن كان اخرج ثمره (٦) ولا سيما وكل أمر ابتدأ به المولى واستدركه ونهى عنه ثم أمر به لم يفت منه غايت ولا خرج عن اليد منه خارج .

فصل آخر : لا شك أن المولى تغرق الجبال فى بحرهِ ، وتضيق (٧) العظام فى سعة صدرهِ ، وهذه عادة الخواطر والله سبحانه قد اشرك بين الخلق فيها ولكنه عند الصواب أفردهُ . والمالك فيما يرد عليه منها بمثابة الشجرة فيما يرد عليها من مائها ما يتنقى صفوه تستسيغه فينبو عن قذاه فتجمه وتلفظه . ومن أمثال العرب رب عجلة تهب ريثا . وقال النبی صلى الله عليه وآله وسلم : « ما كان الرفق فى شيء الا زانه ولا كان الخرق فى شيء الا شانه (٨) . ولعمري والله أن الفرص اذا لاحت لا يحمد الرفق فيها وانما يحمد الى أن يلوح مضاربها ويحمد مطالبها . والله تعالى يقسدر المولى على نيل أغراضه ويسدد سهمه لمطابقة أغراضه .

فصل آخر : المولى عفيف الا أن نوابه والمشارف مأمون الا أن كتابه الا انه غير متصرف (٩) .

ولكل شرع آفة موجودة نور السراج على سراه يذخن

فصل آخر : وأما سور القاهرة فعلى ما أمر به المولى شرع فيه والله يعمر المولى الى أن يراه نطاقا مستديرا على البلدين ، وسورا بل سوارا يكون

(٦) فى الأصل : الثمره .

(٧) فى الأصل ويضيع وكذا يتطلب السياق .

(٨) حديث أبى داود جهاد ١ — ابن حنبل — ٦ ص ٥٨ ، ١١٢ ،

١٢٥ ، ١٧١ ، ٢٠٦ ، ٢٢٢ .

(٩) قارن البرق ٣ ورقة رقم ٦٧ ب حيث يقول : « الوالى عفيف الا أن نوابه ، والمشارف مأمون الا أن كتابه ، وفلان ثقة الا أنه غير متصرف .

به الاسلام محلى اليدين محلا الضدين والأمير بهاء الدين قراقوش ملازم الاستحثاث بنفسه ورجاله لازم لما يعنيه بخلاف أمثاله قليل الثقيل مع حمله لاعباء التدبير وأثقاله .

فصل آخر فى حق نقل القضاء : (١٠) (١٩٤ ب) من شرف الدين الى أبنيه . أما ما أورده المولى دفعة أولى وثانية فى معنى الحكم بدمشق فالمولى متوقف فى مقام التوقف متردد فى مكان التردد ولن يخلو الأمر من قسمين والله يختار للمولى خير الأقسام . أما ابقاء الأمر باسم الوالد بحيث ييسقى رأيه ومشاورته ومفتياه ويتولى النيابة ولداه ويشترط عليهما المجازاة لاقل زله وترك الأقالة لاقل عشرة فطالما بعث حب المناقسة الراجحة على اكتساب الاخلاق الصالحة وأما أن يفوض الى الامام قطب الدين فهو بقية المشايخ وصدر الاصحاب ولا يجوز أن يتقدم عليه فى بلد الا من هو ارفع طبقة فى العلم منه .

فصل آخر من كتاب فى معنى أخيه شمس الدولة : وأما المولى المعظم وما قام به من المفارم الجليلة وحمله من التكاليف الثقيلة فالمولى لا يحاسبه فيها يعطيه فانه اذا اعطاه فقد جعله واسطة بينه وبين سائليه . وقد كان معاوية أجاز عبد الله بن جعفر بعشرة آلاف ألف درهم (١١) فقليل له فيها واستكثر فقال : انما اعطيت بنى هاشم وبنى أمية وأهل الحرمين فلم يعد عبد الله بن جعفر الى بيته الا بعد أن تحمل خمسة (١٢) آلاف درهم ديناً والدين داء يصيب الكرام ويسلم منه اللئام ولو كان ما يفعله المولى المعظم فعل صديق لوجب أن يفدى بالاحداق فكيف فعل أخ لا يجرى الممالك مجراه فى التوفيق والوفاق .

فصل فى ذم ماء دمشق : عرف المملوك من الكتب الواصلة التيات المولى الامير عثمان والحقير مما ينال ذلك الجسم الكريم يؤثر فى قلوب الاولياء الاثر العظيم وقليل تذاة العين غير قليل وماذا يقول فى بلد لو صحت الحمية من مائة لكنت أكثر من أسباب صحة المحتفى وشفاؤه فانه

(١٠) قارن الروضتين (٢) ج ٢ — ٢ .

(١١) برق ٣ ورقة ٦٨ ب عشرة ألف ألف درهم .

(١٢) برق ٣ ورقة ٦٨ ب خمسة ألف ألف درهم . انظر الذهبى . تاريخ

الاسلام ٢ — ٢١٨ .

ماء يوكل وبقية الامواء تشرب ويجد وخامته من ينصف ولا يتعصب ونرجو أن يكون هذا المولى قد أمسك عن الفاكهة الدمشقية التي لا يخفى كثرة فضلاتها وعن أكل اللحوم المجلوبة التي نقلها سير الطريق الى شر حالاتها .

فصل آخر . والمرب جنس كالحنظل كلما زيد سقيا بالماء العذب أفرطت مرارة ثمره وعزت نضارة خضرته .

فصل آخر : وأما حديث ملك النوبة فإنه أقل من أن يسقى بحجر لنباحه أو يشمر (١٢) عن ساق لخوض ضحضاحه ولو أن شرارة من زند العزم (١٤) أو ريشة من ريش السهم هتفت اليه لذاق وبال أمره وعرف بقدر وجهه الذي هو أشد سوادا من قدره .

ومنه اذا وصلت من المولى رفقة نجابين فكانتهما عسكر نجدة قد بشرت واذا فض منها كتب فكانها الوبة فتح قد نشرت ورسله وكتبه بالاضافة الى شغله ، ومهماته كثيرة ولكنها بالاضافة الى تطلعنا وتشوقنا قليلة . وما استكثرت في اليوم منها ألوفها وواحدها في الحول منك كثير

وكتاب المولى الى المملوك مزينة سماؤه من حروف خطه بمصاييحها ، ومفتوحة له أبواب السعادة من أسطره بمفاتيحها .

فلا عدمت عيناي كاتبه انذى له الفضل مكتوبا اليه وكتبها صحبت به والله أعظم نعمة فلا زال مصحوبا ولازلت صاحبا

فصل آخر في معنى ازالة المنكرات : وأما المأمور به في معنى المنكرات الظاهرة وازالة أسبابها وغلق أبوابها وتحصين كل مهتوكة من عصمة وتطهير كل موصومة فאלله يثيب المولى ثواب من غضب ليرضيه بغضبه وحمل الخلق على منهاج شرعه وأدبه . وقد استدعى الملك العادل أحد الواليين وسلم اليه ما كتب به من مولانا وأسمعه الانتكار العنيف . وأشار المخاطب الى جهات تحمى بيوت المنكرات . فقال : لو استقام النعود لما أعوج ظله ولو تنتهى أنت لانتهى غيرك ، ولكنك ملجم عن أنكارها لانك شريك فيه

(١٢) في الاصل : ويثمر .

(١٤) في الاصل : الفسرام .

وأجيب الى أن يرتب من الاصحاب العادلية من يفلق مواضع الخنا ويحجر على فواسد النساء . وما وقفت خواطر العصيان عند الزنا الا أن زادت مصحفة وهو الريا فلا حول ولا قوة الا بالله من محارم فيه منتهكة ، ومكاسب تد نزع الله منها البركة ، ومروا قد سقطت ووجوه قد توقحت وأموال قد تحرمت وشريعة منه قد خولفت فشكو الى الله دنيا لا نحن نتركها ولا نحن ندركها .

غدارة بالناس غرارة قريية العرس من المائم

(١٩٥) وليس لحوادثها ونوايها قرن الا التقوى والله المسئول أن يوفر منها حظ المولى وأما فلان فانه بطل كثير السر والحيلة والمال والرجال (١٥) فلا يحتقرنه وبعد أن أيقظه فلا ينم عنه والحيلة فى بعض الاوقات ترجع على القوة على أن الساعى مخذول ومن سل سيف بفى فهو عما قليل به مقتول وواجب أن يظهر المذر .

فما أحسن أن يعذر المرء نفسه وليس له من ساير الناس عاذر

واذا افترن بكل ما يريده المولى حسن النية كانت العاقبة للتقوى على ان المولى ظاهر عذره والمشار اليه ظاهر ذنبه ومكره ، قال الله سبحانه وتعالى فى مثل المولى « ولمن انتصر بعد ظلم فاولئك ما عليهم من سبيل » (١٦) وقال حاله مثل حاله : « ولا يحيق المكر السيئ الا بأهله » (١٧) ورب سبيل بدؤه مطير ونعم السبيل الى الخير نية الخير قال : وانما أوردت الفصول الفاضلية لأن فى كل فصل منها ذكر سيرة وفيها فوايدة كثيرة وبواعث للخواطر مشسيرة ، وفيها احاديث للحوادث واعاجيب الاوهات والدمايث .

ذكر ما أسقطه السلطان من المكوس بمكة شرفها الله

قال : كان الرسم بمكة أن يؤخذ من حاج المغرب على عدد الرعوس ما ينسب الى الضرائب والمكوس فاذا وصل حاج حبس حتى يؤدى مكسه

(١٥) فى الاصل : الرجل .

(١٦) سورى الشورى ، آية رقم ٤١ .

(١٧) سورة فاطر ، آية رقم ٤٣ .

ويُفك بما يطلبونه نفسه وإذا كان فقيرا يحبس وتفوته الوقفة بعرفة . فقال
السلطان نريد أن نعوض أمير مكة عن هذا المكس بمال ونفنيه عنه بنوال
وإن أعطيناه ضياعا استوعبها ارتفاعا وانخفاضاً ولا يكون لأهل مكة فيها
نصيب فقرر أن يحمل اليه في كل سنة مبلغ ثمانية آلاف أردب قمح يحمل في
جلابها إلى ساحل جده ويهدى بها إلى أهل الحجاز وجدة فإن الأمير بها يحتاج
إلى بيعها للانتفاع بأثمانها وأهل الحرمين يثقون من الدولة (١) بدوام
إحسانها (٢) وقرر أيضا حمل جلاب الغلات إلى المجاورين والفقراء بها من
الشرفاء فستطلعت المكوس واغتبطت النفوس واستمرت النعمة ومر البؤس
وذلك في سنة اثنتين وسبعين .

فصل من كتاب فاضلى فى المعنى : ومن البشائر التى لا عهد لملك
من ملوك الديار المصرية بالحصول على فخرها وأجرها انقطاع المكاسين عن
جدة وعن بقية السواحل ويكفى أن تمام هذه المثوبة موجب للاستطاعة مقيما
لحجة الله فى الحج فثقت كانت الفتيا على سقوطه مع وجود الحامل ووصلت
كتب من مكة تضمنت أن القمح ويبه وربيع بدينار مصرى وأن المعنى فى شدة
وأن الفقير هالك وأن هذه الجلاب بمشيئة الله قدرة من قدره « يحيى العظام
وهى رميم » (٣) وفرج عظيم انتهى إلى البلاد بعد أن تناهى الكرب العظيم
والله تعالى يفرج عن أهل دينه ضايقات الكرب ويفك عن أهله (٤) حرة
خلقات الكرب قال : واستمر مقامنا بالخيم بظاهر حمص والسلطان يصمم
العزم للجهاد ويجد الحرص قال :

ذكر الحوادث فى هذه السنة ونحن بحمص

ومنها وفاة المذهب أبى الحسن على بن عيسى المعروف بابن النقاش
البغدادى بدمشق فى المحرم . قال : وكان المذهب كنعته مهذباً ومن الملوك
لتفرده بفضله مقرباً وهو فى وقته مبرز وملك الشام بمحاسنه مطررز
ومنها وفاة نجم الدين بن مصال فى الثامن عشر من جمادى الاولى وقد جاءنا

(١) فى الأصل : الدواب والضبط من الروضتين ١ — ٢ — ٢٣ .

(٢) فى الأصل : اختانها والضبط من نفس المصدر نفس الصفحة .

(٣) سورة ياسين ، آية رقم ٧٨ .

(٤) فى الأصل : أهل .

نسيه ونحن بجمع فزاد اغتمام السلطان برزئه (١) حتى جاز (٢) حده وجلس
فى بيت الخشب مستوحشا وحده وقال : لا يخلف الدهر لى مثله صديقا
بعده واجرى ما كان له جميعه لولده وحفظ عهده وكان لجماعة من الاعيان
والشعراء والادباء بعنايته من السلطان رزق فأبقاه (٣) عليهم كانه عليه حق
مستحق ومن جملتهم رجل من اولاد أبى حصينة فلما توفى المذكور قصصنى
فقلت للسلطان لو أن نجم الدين بن مصال كان حيا وشفع اليك فى رزق
مستحق أما كنت تقبله فقال بلى فقلت فاقبل شفاعته وهو فى دار البلى
ثم ذكرت له ابن أبى حصينة وصداقته النجمية فضاعف ادراه واذهب عنه
اقتاره .

ذكر الظفر بخيل ورجل للفرنج أغارت على بلد حماة فى العشر الاول من شهر ربيع الأول (٤)

(١٩٥ ب) قال : وكان متولى عسكر حماه الامير ناصر الدين منكورس
ابن الامير خمارتكين صاحب حصن بوقبيس ، وكانت طائفة من الفرنج ومن
انضم اليهم من ذويان الكفر قد الهبوا الاعمال بنارهم والهبوها بغوارهم .
ولكم أغاروا على غرة وأمتاروا مرة بعد مرة .

وكانت لحماة مع ناصر الدين عدة معدودة لا تبلغ مائة تعرف القوم
أن أعمال حماه شاغرة فنهضوا فى جمع جم فخرج اليهم ناصر الدين فى عدته
وعدته وتوكل على الله فى نصرته ونجدته وصحنهم بثقاله ونطحهم بكباش
رجاله وأخذ عليهم المضايق وصوب اليهم البوابق فوقعوا فى فخاخه وفنيت
شغلهم جاء الى الخدمة السلطانية بمنقبته مستقلا وبنهضه مذلا وساق
أولئك الاسارى والاغلال فى أعناقهم والأجال آخذة بأرماقتهم فركب السلطان
فى اليوم الحادى عشر من شهر ربيع الآخر ووقف راكبا ووقفنا راكبين وحضر
الامير منكورس وترجل ولثم الأرض وتقدم وصائح السلطان وقبل يمينه بعد
أن عفر بقدمه جبينه ثم أحضر الاسارى من الفرنج والنصارى « كأنهم سكارى

(١) فى الأصل : برزه والضبط من الروضتين ١ - ٢ - ٥ .

(٢) فى الأصل : جاء .

(٣) فى الأصل : فازقاه والضبط من الروضتين ١ - ٢ - ٥ .

(٤) تارن برق ٣ ورقة ٩٦ ب حيث أورد العماد هذا التاريخ كالتالى

فى العشر الاول من شهر ربيع الآخر . وهذا هو المرجح .

وما هم بسكارى» (٥) فأمر بفتح أغلالهم وضرب أعناقهم وأن يتولى ذلك أهل الفتى والدين من الحاضرين وأن يكون هلاك المشركين بأيدي الموحدين «فأعق أممه الضياء الطبرى الى برى عنق وتلاه الشيخ سليمان الديبرى» (٦) المغربى وتلاه آخرون وكان الأمير اقطفان بن ياروق حاضرا فنقرب الى الله بضرب رقبة أحد أعدائه . قال : وجاعنى فى تلك الحالة رسول من السلطان يدعونى فظننت أنه لهم لا يكتفيه غيرى ولا ينهز به دونى ولما أجبته وهو يقول جرد سيفك لهذا الكافر وخذ به ما يشتمل على سمعه وبصره فقلت انا للقلم ولا أراحم السيوف ، وانشر الفتوح ولا انشئء الحتوف ولكن هب لى ذلك الصغير لملك رقة وغيرى ينوب عنى فى ذلك الاسير فيضرب عنقه فتبسم فعانيت منه المضحوك القتال وأقالنى وأجاب فى النوال السؤال فقال : هذا الصغير نستفك به من المسلمين أسير ونهب لك من سببى الاسطول بمصر مملوكا كما تؤثر أثيرا فانتهزت الفرصة وأحضرت دواتى ودرجى واستمكنت بالامير عضد الدين مرهف بن مؤيد الدولة أسامة بن منقذ فكتب لى توقيعها وأخذت فيه علامة السلطان . ولما نزلت حررت الى المولى الفاضل رسالة فى المعنى ووصفت المملوك المطلوب بأوصاف يتمذر وجودها فسير لى فى جوابه مائة دينار مصرية عن المملوك عوضا . وقال رأيت تحصيل فرضك مفترضا والرقيق الذى أحضره الاسطول ما فيه ما يوافقهم وأجودهم يساوى ثلاثين دينارا وما رأيت ذلك مختارا وقد أخذت من الديوان عن المملوك خمسين وعن الخزانة العادلية ثلاثين ومن خلاصتى عشرين فائمه قلبى بما عف عنه السيف وما ضيعت اللين لما جاء السيف ولو أرقنت الاحمر وانما أعرضت عن ذلك مخافة أن يضحك منى ذلك الجمع كما ضحكوا منى الباقيين .

قال : وعادود السلطان ذكر بعلبك واشفق عليها وأزمع أن يسير اليها ودخل فصل الخريف ومالت الطباع الى التحريف وأصغرت الاوراق وأغبرت الافاق وقد تشاجرت عواصى العواصف مع الاشجار وألقت حواملها أجفة الأثمار ونشا النشاصى وربا الرباب وسحب ذيل نيله السحاب وارتجت

(٥) سورة الحج ، آية رقم ٢٢ .

(٦) قارن برق ٣ ورقة ٩٨ ا حيث وردت الروى وما بين الحاصرتين

ورد هكذا بالنص .

ويضيف البرق (فاعنق أممه الضياء الطبرى الى برى عنق وزهقت

ملاقطه بازهاق علق) .

الأرض وارتجزت السماء ووصلت النار وهجر الماء وقال الأمر للسلطان
هذ أو أن الانصراف ووقت الانحراف فقال قد بقيت في النفس حاجة بعلبك
نقضها وعزيمتنا في تسليها نمضيها فان المتحصن بها بحكم هواه متصرف
وعن أمرنا متوقف فنحضره ونحصره ونعظه ونوقظه وأن أهملنا أمره فربما أطمع
فينا الفرنج وافضى بسر الشر الى الجهر على أن حق ابن المقدم متقدم
ولا شك أنه متقدم ودينه قوى ويقينه روى ولعله لا يحوجنا الى (٧) المطاولة
ولا يخرجنا الى المنازلة فسرنا على طريق الزراعة وجينا وراسلناه بالاستعفاف
والاستعفاف وداريناه لشيخوخته كالاطفال بالالطاف . وكان نزولنا بظاهر
بعلبك على رأس عينها وطالت الإقامة عليها أشهرا . وأدلج المذكور في ليل
لحاجة فلم يبد في سفارة منه واليه صباحا مسفرا ونحن نشفق من نزاله ولا
نصدق (١١٩٦) في قتاله ونرفق (٨) به على عنقه في أحواله فتارة نخوفه
فيتجلد وتارة نرعبه فلا يجيب بل يتبلد .

ودخل الشتاء ووقع الثلج وامتلأ به ذلك المرج وأصبحنا وصباحنا
أبيض ، وجناحنا لا ينهض والعروق لا تنبض والبروق لا تومض والنيران
مقرورة وشبه الجليد مطرودة والزناد كابية والاجناد آبية ونحن كأننا من
ضيمننا في حبوس وقد جمدنا كأننا بلا نفوس فلبدنا على المراض في مضارب
البلاد وكنا في الاكنان حول الكوائن كأننا في صوامع العباد نظرى أفلاذ
الأكباد بشى أفلاذ الأكباد فعلى المناقل الشيشيات شرايح ، وللاقتراحات
على الطهارة قرايح وللسلطان في كل بكور ركوب للصيد وله طرايد وطرايح
فما ألذا شتوة وأهناها نوبة لم نر لها نبوة لكأنها كانت غفوة لم تذكر للدهر
لولا انتضاؤها هنوة وهيئات أن نرى بعدها في طيب عيشها عشية أو غدوة .

نكر مكرمة السلطان

قال : كتب اليه النواب بدمشق أن الاموال ضايعة وأن الأطماع فيها
زايغة وقد أفنى الجود مجموع الموجود ، وأنا عند الاحتياج الى كف لم
ودفع مهم لا نجد ما ننفعه وأن في أرباب الصدقات أغنياء لا يستحقونها
وما لهم رقبة من الله يتقونها وأن المصلحة تقتضى افراد جهات لما تسنح
من مهمات فأمر بهم في كتابه يكتب مؤامرة فجاءت مطالعة مكملة بالاسماء
مفصلة . فقال لى السلطان : أقرأها على قيدات بذكر أرباب الصدقات ،

(٧) في الأصل : أن

(٨) في الأصل : ونردف .

وقدمت ذكر جهتهم على الجهات ، وكان مبلغ أحد عشر ألف دينار للصدقات
وقدمت ذكر جهتهم على الجهات ، وكان مبلغ أحد عشر ألف دينار للصدقات
في مثل دمشق قليل والعطاء بحمد الله جزيل والصنع جميل فقال أكتب عليها
جميعها بالأمضاء ولا يكدر على ذوى الآمال موالى العطاء . فقلت أما أطو
بقية الأسماء فقال بل نزهنى عن هذه الأشياء فبقيت تلك الرسوم دارة
وللآمال سارة بل تضاعفت على السنين أضعافا واستضافت آلافا وآلما
ولما طال المقام على حصن بعلبك لم ير السلطان مقابلة المسلمين فيه ولا كسر
الناموس فرتب طغرل الجاندار وجماعة معه يكون من الرجال ووصاهم
بألا يتعرضوا للقتال بل يمنعون من الدخول والخروج ووصلنا الى دمشق
في العشر الأواخر من رجب ، وتمادى الأمر الى أن رضى ابن المقدم بحصن
بعرين وأعماله وببلد كفر طاب وأعيان نواح وقرى من بلدة المعرة ، وكان
الذى أخذ أكثر وانفع مما خلاه وما خطر بباله وما حصل له ولا ترجاه
ولا تمناه . قال : وسألنى السلطان أن اعمل أبياتا يكتبها الى مصر فقلت :

يا سالكى مصر لا والله مالكم شوقى الذى لذعت قلبى لواعجه
أصبحت أطلب طرق الصبر أسلكها هيهات قد خفيت عنى مناهجه

ذكر المقياس بمصر

هذا المقياس موضع مبنى في عهد خلفاء بنى العباس ليعرف زيادة الماء
ونقصائه بالمقياس ، وهناك عمود في الماء مقسوم بالأذرع ، والأذرع مقسومة
بالأصابع في مسجد ينوب في الجزيرة عن الجامع تصلى فيه الجماعات والجمع
ويتولاها من العهد القديم متولى من بنى أبى الرداد (١) من هو معروف
بالنزاهة والعلم والسداد وله راتب دار ورسم وقرار وخلع وتشريفات في
المواسم وحرمة متوالية المعنى سامية المعالم .

ذكر حيث حصن بيت الأحزان

قال : كان السلطان على بعلبك (٢) نازلا ولتسلمها محاولا وطال مقامه
عليها فانتهز الفرنج فرصة الخلو واستخلوا عصر العتو وجاءت الداوية

(١) قارن البرق ٣ — ورقم ١١١٢ .

(٢) فى سنة ٥٦٤ هـ هكذا وردت بالبرق ، انظر البرق ٣ — ورقة
١١٢ ب والصحيح فى ٥٧٣ هـ .

منهم وشرعوا في بناء حصن على مخاضة بيت الأحزان وأحكموا بناء ذلك المكان وكان يقبول للسلطان متى أحكم هذا الحصن تحكم على الثغر الاسلامي الوهن وغلق الرهن فان بينه وبين دمشق مسافة يوم فيقول اذا اتموه رحلنا اليه وهدمناه الى الأساس وجعلناه من الرسوم الادراس فندعهم الآن حتى يستنفذوا بقية احوالهم وينفقوا عليه أموالهم ويتعبوا (١٩٦ ب) رجالهم فاذا قصدناه عكست آمالهم والحين مالهم فنقول منهم من الابتداء اسهل من الدفع في الانتهاء . واذا فات الفارط لا يستدرك وهو الان حين فلا يترك وهو صابر بقوة دينه ، ساكن بنور يقينه فان العاقبة الحميدة بعد سنة كانت كما جرت على لفظه من عدة حسنة . فلما انفصل أمر بعلبك لم يزل أمر الحصن من همه وقصد حصاره في عزمه وكان العام مجدبا والجذب عاما والشام لروايح (٣) الحوايج شاما وللأسعار أسعار وللأسرار استسعار وللضر استضرأ وللشر استشراء ، وعلى العباد من ثقل المحل أعباء وللرجال من لطف الله تعالى رجاء على أن الأيادي السلطانية نابت عن الأنواء ونادت في الأندي بالانداء فزرتنا من احسانه في مرعى مريع وشرعتنا في سلطانه من منبع منيع .

نكر وصول رسول دار الخلافة

قال : ووصل في هذه السنة رسول دار الخلافة بالعارفة والعاطفة والرافة ، وهو الاجل فاضل أفضل الخدم ، وهو خاص الجهة الشريفة مخصوص بالمنزلة المنيفة ، وسر السلطان بوصوله وحل كل نجح بحلوله وببركات ذلك رخصت الأسعار ونقص الاعسار وتفرجت العيون وتفرجت العيون وسكن القرار ، وقر السكون .

كان الرسول كريما كانه في سواده انسان عين كله نور وبالحسن والحسن مشهور وزرته فالنيته طلق الوجه بشرا واليد برا فلما خرجت من عنده سير لى من هداياه وتحفه والطافه وفرا ، ولم يدع أحدا من اكابر الدولة الا وحباه بحباته ، وحياء من حيا سحبه . وكانت الجهة الامامية مالكة قد ملأت يده بمال وافر ليصل ويعود بوجه سافر فلما رأيت رسولا وجه في وجاهته ونباهته وهبته ونزاهته وشكف السلطان به وكلف بقربه

(٣) في الاصل : لزوات والضبط من البرق ٣ ورقة رقم ١١١٣ .

واستصحبه معه الى الفزاة وشن الغارة على بلاد العداة ووقف به على الحصن الذى استجده الفرنج على المشهد اليعقوبى وكان السلطان بهذا الرسول الامامى مفتبطا واليه فى كشف أسرارہ منبسطا ولما جهزه ليعود بالعطايا السنايا والخيول السبايا فرقها قبل قفوله ومن جملة ما حمل له بغلة شهباء موصوفة لا يوجد لها نظير كأنها تحت السرج هضبة من ثبير(١) .

وكان رسولنا ضياء الدين بن الشهرزورى عنده حاضرا . وقال كنت على عزم طلب هذه البغلة من السلطان وقد فرحت لك منه بهذا الاحسان فقال : أنت أولى بها وبما معها . فأخذتها(٢) منه بما تبعها وفيها حصان عربى منسوب وحجرة ما لها قبة وكان اذا أهدى له باقة ريحان حزاها بخلع حسان ، وانفصل منتصف ذى القعدة بالاكرام موصولا وبالأعظام مسمولا .

ذكر نوبة هنفرى ومقتله فى أواخر هذه السنة

قال : وكانت الأخبار قد تواترت على السنة جواسيس الفرنج أنهم على عزم الخروج فتقدم السلطان الى ابن أخيه عز الدين فرخشاہ بن شاهنشاه وقد قدمه على عساكر دمشق أن يخرج على الثغر فى عسكره ويرتب كلا فى مركزه مختزلا فى مورده ومصدره . وأقام مدة واستكمل عدة وعدة فلما كان مستهل ذى القعدة من هذه السنة تواترت الأخبار بخروجهم على اللسنة فجرى من النصر الذى لم يحتسب والنجاح الذى لا يعمون الله لم يكتسب ما وصفته فى كتاب أنشأته عن السلطان الى الأجل الفاضل ومنه :

قد سبقت المكتوبة بما سناه الله وأسناه من النصرة الطوة وذلك يوم الاربعاء مستهل ذى القعدة فانه فضل بنصرة خميس الاسلام على كل خميس وضيق على الأسود السود من بنى الأصفر كل عريس وخيس ، وأثر من ورق الحديد الأخضر فى مربع الموت الأحمر منهم برأس كل رئيس . وكان الأرجاف قد شاع بخروجهم منذ أيام والظنون مرتابة والقلوب مرتاعة ، والفكر غير حاضر لان السنة جذب ومجاعة وليس فى مقابلة الفرنج فى ذلك

(١) والثبير جبل بمكة . انظر لسان العرب ٤ — ١٠٠ .

(٢) فى الأصل : فأخذها وكذا يستقيم المعنى .

الثغر إلا ولدنا عز الدين وهو في عدة من عسكرنا المنصور لا تبلغ ألفا وهو معرض بإرسال الحمام عند علمه بخروجهم لنخرج إلى لقائهم فأمرناه أن يجفل البلد وأن ينور الأكام وينذر وأنه لا يلتفاهم بل يتوقاهم ولا يخاطر بالجماعة الذين معه بل يحمي بهم ويتحماهم وفي كل يوم يرجف برجفتهم وهم متبادون متباطئون وعلى مجافلة البلد متواطئون فلم يشعروا مقدموا الطلائع ذلك اليوم إلا وقد خالطوا القوم فتحيزوا عنهم إلى الفئدة وهم دون المائة فأخرج ولدنا الرماة (١٩٧) الكماه ، وقدمهم إلى العدة العتاة ليشغلوهم ساعة ويحولوا بينهم وبين طعان الحرب الجافلة ، ولم يكن في زعم العزم أنهم يستدرون أخلاف النصرة الحافلة واستمرت الرماة عند تل الجارة وطلب أصحابنا طلب الملك فما تركه مالم يكن الترك حتى طرحوا حصانه وجرحوا فرسانه فحمل طلب هنفري ليحميه وأبى الله أنه كما رمى الملك إلا أن يرميه وقتل دونهما برهان صاحب الناصرة ونجا الملك يجر معه الذقن وقد تجرع كأس الشجب والشجن ، وحمل هنفري جريحا وأودع بعد يومين ضريحا وما زالت الرماة يرمونهم ويرامون ويدنون ويدانون حتى نقصت الكماين وانقضت الضغائن وكانت نصرة أثيلة ونوبة أثيرة ، وثورة من أعداء الله في تلك الثورة مستثيرة وحالة صدقت قول الله تعالى : (كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة) (١) وتم هذا الغزو ولم يتم مدد العسكر الغربي ورجع الفرنج من الخزي بذلك الزى وأذنتنا بطاقة الطير في دمشق ذلك اليوم بكرة بكرتهم وبادرنا الخروج لدفع مضرتهم وكشف معرفتهم فما وصلنا إلى الكسوة إلا ورعوس رعوسهم متوافية والبشائر دائية والطاف الله كافيته والشصف بحمل السعف النبا زايد والواحد لثلاثة وأربعة من الأسارى قايد .

ذكر مسير شمس الدولة إلى مصر

قال : وكان الملك المعظم فخر الدين توارانشاه بن أيوب قد ملك اليمن فلما ملك السلطان دمشق بعد نور الدين رحمه الله كتب إليه على اليمن بالتشوق والاستيحاش بالوحدة فجاء سنة إحدى وسبعين فسر بقدمه . ولما عزم السلطان المسير إلى مصر في سنة اثنتين وسبعين لتجديد العهد بملكها عول على أخيه هذا في السلطنة بالشام وفوض إليه الأمر وولاه تولية مطلقة وكان بحرا في الجود مواجا يقنى بفواضله من الوفود

(١) سورة البقرة ، آية رقم ٢٤٩ .

بعد الأفواج أفواجا وراسله الملوك وتواصل اليه من الأطراف والاساط
السلوك . وكان الملك الصالح اسمعيل بن نور الدين رحمه الله مستقرا في
حلب فيمن بقى معه من ممالك أبيه فجرى معه شمس الدولة على الوفاء
والوفاق وسبيل الاشفاق . وأقام السلطان بمصر الى يوم عيد الفطر من
سنة ثلاث وسبعين ثم رحل عايذا الى الشام ولما عاد الى دمشق جرى
على عادة سلطانه وأمره ونهيه وانقطع شمس الدولة الى مواصلة لذاته
وانتهت الأحكام سلطنته فاقترح على أخيه تسليم بعلبك اليه والانتقام بها
عليه فتسلمها له من شمس الدين بن المقدم على ما سبق فانتقل اليها يتصرف
فيها ولما عن الحل رأى السلطان أن يستدعى من عسكر مصر مقدمين
يتقدمون في عدة منتخبة ورأى أن الشام لا تحل أثقال العساكر الكثيفة
فرغب أخاه شمس الدولة بما زاده من الديار المصرية في قصدها وأنه يجدد
بسعده سعددها وكان رحيله من دمشق بعد صلاة العصر في قصدها وأنه
يحدد يوم الجمعة لست بقين من ذى القعدة وصحبه كثير من التجار
والرجال والنساء والاطفال .

قال : وكتبت عن السلطان كتابا منه قد بان له وجه الصواب في
استدعاء عدة متوسطة من أنجاد العسكر المصرى الانجاب بحيث يخف
وطؤها وتنتقل في العدو نكاؤها فتكتب الى أخينا الملك العادل بمصر أن
ينتخب لنا من الاتقياء بالخيول والعدة الفا وخمسمائة فارس وأثرنا على
الملك المعظم بالتوجه الى مصر مستصحباً معه من طال بالشام بيكاره وبان
انفاضه واقتاده ورأينا المصلحة في مسيره لمنافع كثيرة وفوايد أثره منها
التخفيف عن الشام في مثل هذا العام وذلك بعد أن رتب في بعلبك نوابه
وأقطعها أصحابه . ومنها أن في وصوله الى مصر وقد خرج منها عسكر
أسما كبيرا وصيتا عظيما فان الارجاف شايع بأسطول صقلية المخذول
وخروجه ووصول أخينا يكسر من عزم العدو ويحطه من ذروة العتو .
ومنها أنه اذا أقام بالقاهرة تصرف أخونا الملك العادل في البلاد بعسكره
وعذب صنو مقصده في مورده ومصدره .

قال رحمه الله : وفي هذه السنة غدر ابرنيس انطاكية وأغار على
خشير شيزر (١) وغدر القومص بطرابلس بعد الامان بجماعة من التركمان

(١) في الاصل : جيش شيزر والضبط من برق ٣ ورثة ١٢٢ ١ .

فان الافرنجية اجتمعوا وقالوا : الصواب ان نفرق عسكر الاسلام في ثغوره
بالارغاب والارهاب فاننا ان هادناهم من جانب توفر عسكرهم من الجانب
المجانب وتجرد لاصابتنا بالمصايب فاقترضى الأمر أن رتب السلطان ولد أخيه
تقى دين في ثغر حماه ومعه شمس الدين بن المقدم وسيف دولة على
المشغوب وصاحب شيزر بعسكره محتاط في مورده ومصدره وأمرهم
بالاستكثار (٢) من (١٩٧ ب) الرجال واستخدام نخب الابطال ورتب ناصر
الدين محمد بن شيركوه في حمص في مقابلة القومص . وكلهم مأمور بالتنبيه
بكل صوب والاصاخة الى كل صوت رابض في مكانه واذا أحس بدناه وثب
عليها ممسك بعنائه واذا سمع هيمه طار اليها . قال : وبعد توديع السلطان
أخاه شمس الدولة أغار على بلاد الفرنج لمشاهدة الحصن الذي بنوه .

فصل في معناه : قصدنا البرج ونازلناه وما زلنا نقاتل حتى أزلناه
واحتموا بباطنه فما أخرج أحد رأسه وسنعمود اليه بعمود الله ونقلع أساسه
فصل آخر : وأما الاطراف فان ملوك ديار بكر الينا ملتجون ولنا مرتجون
ومن سلطان الروم مستشعرون وبسلطاننا مستظهرون ووصل رسول
سلطان الروم قلج أرسلان يعف لنا صفاه ويوفينا وفاه ويعرض وده ويعرض
بما عنده وقد توافر اجتهدنا على أن نستميل كلا الى الجهاد ونجمع شملهم
على الاتفاق والاتحاد والله تعالى يوثق لنا موافق رضاه من أمر رحيل هذا
المرام وأمرع مراد هذا المراد .

قال : وانتقل السلطان الى الشعراء وخيم في مروجها وسام الخيل
في اكلاء خرونها وخروجها ولما تطوحت الاعشاب وصوخت الشعاب وانتقل
الى باتياني وقد وفد من البوادي من جرى بسيله الوادي فرام أعتاب البرية
وأعراب البرية وقال : هؤلاء اذا اكتالوا السنة من الشام بلى العام بالمحل
العام وجمع عنده الجهوع فبلغت الخيم الى حدود بلد الكفر وكان في كل يوم
يركب وفي خدمته الخواص ويظهر ان غرضه الاصطياد والاقتناص ثم ينزل
على النهر ويجرد فرسان الجلال والقهر ويسير قبائل العرب الى بلد صيدا
وبيروت حتى يحصدوا غلات العدو ويجمعوا القوت وما يبرح مكانه حتى
يعودون (٣) بجمالهم وأحمالها موثقة بأثقالها حتى خف من زرع الكفار بالقرب

(٢) في الأصل : بالاستكثار .

(٣) في الأصل : يعود .

ولم يحصل من ذلك كفاية الغرب . وأشفق على الناس وجمع الأمراء وشاورهم في الأمر وقال : قد علمتم غلا الفلات واقتلال الأقوات وظهور أعراب البادية وخفاء الأعشاب البادية وما كان بالقرب من غلات العدو وزروعه استجنائه واجتحنائه ولم يبق إلا أن ننهض عساكرنا بالنوبة ونقيم بقوتها إلى حين الأوبة فأجابوه بالسمع والطاعة وما زالت المقائب تنهض والطلايع على مراكزها تريض والمزارع تحصد والمواضع تقصد والثمار تصرم والضرام تضرم قال :

ودخلت سنة خمس وسبعين وخمسمائة

والسلطان صلاح الدين نازل على تل القاضي ببيتاناس وقد عم بالآيناس الناس وفي كل يوم يصابحون بلد العدو ويماسونه ، ويداونون جرح الجذب بما ينقلونه من الفلات ويأسونه حتى لم يبق هناك إلا اليسير واجمعنا على أنا نستبيحه في يوم واحد ونسير . وكان المتقدم على العسكر عز الدين فرخشاه بن أخى السلطان شاهنشاه وكان مخيمه على بعد من السراشق السلطاني وقدامه فلما استهل محرم هذه السنة حضر عند السلطان عمه وقال إن المقام ههنا يصعب لا سيما والحر قد تضرم ، والزرع قد تضرم وأهل الشرك هاجمون واجمون ولظنونهم فيما هم راجون راجون فنتحول إلى حيث نتبدل من الضيق بالسعة فقال السلطان ما أنجب الرأي الذى رأيتموه وأنجح السعى الذى سمعتموه وقد بقى لكم أن تهضوا الليلة اجمعين وعلى بلاد الكفر مجمعين فتجمعون منها ما بقى فى مواضعها المتفرقة وإذا عدتم سالمين غائبين رحلنا صوب البقاع واستأنفنا ما يعود للإسلام بالارتفاع والانتفاع .

ذكر وقعة مرج عيون

قال : ولما نهض أصحابنا وأدلجوا وخاضوا بحر الظلام ولججوا أصبح السلطان يوم الأحد راكبا ومعه صمصام الدين أجك (١) وإلى بانياس فى موكب خفيف وجمع غير كثير ووقف على الطريق وسأل الله حسن التوفيق ثم رأى فى تلك العياض أبقارا جافلة ، وسروجا عن مراتعها زائلة . وجاءه بعض الرعاة وأخبر أنه شاهد عسكر العداة وأنهم عبروا بالقرب على قصد

(١) وردت فى الأصل : أجكره والتصحيح من برق ٣ ورشة ١٣٨ ١ .

المتعلقة فمجبى السلطان من هذا الخبر واستبعده وقال : لو كان للفرنج قصد لاجئنا الجاسوس فما صدق الخبر حتى جاء (١٩٨) من أوائل العسكر من ارتاع وعجل فى العود الاسراع فجاء السلطان الى المخيم وقت الظهر ونادى فى متخلفى مماليكه بالحضور . وكان فى اصطبله خيل عربا شدت للتضجير وجياد عتاق أعدت ليوم النفر فبدل مصونها وأصفى لخواصه صفونها وقال : اركبوا وادركوا العدو وما زال ينهض مجريا وينقب منتقبا حتى انتظمت له كتيبة شهباء وساروا والخضراء من وقع الحوافر ونقع الحوافر غبراء وتلقت فى أشباح الغمود الأرواح وجرت بالجبال الرياح وطارت العقبان مع أمثالها من الرايات ، وتنزلت الملائكة من نص النصر بالآيات وجرى سيل الخيل وجر القتال على النهار ذيل الليل والسلطان فى موكب جلالته كالقمر المبدر فى هالته ، ورايد النصر يرشده بدلالته فلم يزل يعتق ويعب حتى ترأى الجبعان ودنا الرعان من الرعان وصافحت الصفاح أشجاع الشجعان ، وظلمت فى أبراج العجاج نجوم الخرسان .

واتفق أن الفرنج حملوا وبرز ابن بارزان مقدما من مقدميهم وحمل لحملتهم وقادوا يكشفون الأنوار ويكشفون الاستار فثبت السلطان أمامهم وردهم وراءهم وتضاعف المدد وترادف العدد فحملوا حملة كادت تتم ، وسر الشرمتم ، وطعن فيها صمصام الدين اجك وخشى أنها لا تتدارك فردهم خسوف الردى الى الجبل وضافت عليهم واسعات الحيل ثم احدثت بهم أسودنا أحداق النار بالجان وخاضت غمرة الهيجاء فأسر الفرنج بأسرهم وصنع النصر من كسرهم ، ودخل الليل فأخفى (٢) بسواده سوادهم وقيده بخواتم الذل قوادهم وما فرس فرسانهم ، ولا شجى وشجب الا شجعانهم فان الرجالة لما شاهدوا عسكر الاسلام تبدد شملهم فى الوهاد والآكام فما ضغم الا كل ضيغم ولا أقدم الا كل مقدم ولم يفلت من بينهم الا الملك المجنوم وقيل ان أحدهم حملة (٣) على قفاه ثم نجا به ونجاه . وعاد السلطان الى مخيمه بعد هده من الليل ووافيت البشائر الى المعسكر المنصور بالنصر من المعصر فجلس فى سرادقه ونحن عنده جلوس وحول شمس من الأفاضل شهوس وهو يحدثنا ويقول لولا التأييد من الله سبحانه لكان الخطب

(٢) برقى ٣ ورقة ١٣٠ أ ، وردت كالتالى : فما أخفى .

(٣) فى الأصل : حمار .

خطيرا فانهم لو بدلوا بالعسكر لاعجلوا عن الالجام والاسراج وسدوا على
الكرب مناهج الأفراج ووجدوا الفرصة بادية والفرصة خالية لكن الله تعالى
صد قصدهم وأعمى لخطاياهم عمدهم ثم اذن في تقديم الاسارى وهم
يتهادون كأنهم سكارى فأول من قدم ابن بارزان بادوين وقد أسره من أمرائنا
الأكراد محمد بن خوشترين . ثم قدم أود مقدم الداوية الكبير وأحضر هو
ابن القومصية وقيد اخو صاحب الجبيل وجساعة من مقدميهم الاكابر وأنا
جالس بجانب السلطان منفردا استعرضهم بقلبي في الدستور فأجلسهم من
حوله وأنسبهم بقوله فأقروا بتطوله وطوله . ومن الطاف الله أنا وخواصه
الحاضرون لم نزد على عشرين والاسرا قد أنافوا على سبعين وقد أنزل الله
علينا السكنية وخصم بالذلة والمسكنة فطلع الصباح ورفع المصباح فقمنا
وصلينا بالوضوء الذي صلينا به العتمة (٤) ثم جلسنا حتى تم عرض المأسورين
قبلوا مائتين ونيفا وسبعين من الفرسان المتقدمين سوى من أسر أسروه في
خييمته وسوى من لا يذكر من الأتباع فانهم عدوا من سقط المتاع ثم نقل
الأسرى الى دمشق واعتقلوا وبالحديد أوثقوا فأما ابن بنرزان فأنه بذل بعد
سنة في نفسه مائة وخمسين الف دينار واطلاق ألف أسير من المسلمين وكان
الفتيه ضياء الدين عيسى من نوبة الرملة عندهم فالتزمه راحه وان يودى من
طبيعته المذكورة القطيعة التي عرف بها فكافه وأما هو فأنه أستفكته أمه
بخمسة وخمسين الف دينار صورية وأما أود فأنه انتقل من عيشته الى
سجين فطلبت جيفته باطلاق أسير من مقدمي المؤمنين وطال أسر الباقيين
فمنهم من هلك وهو عان ومنهم من خرج بأمان .

قال : ومن حسن الاتفاقات أن الاسطول المصرى المنصور غزا في أول
هذا العام وتوغل في الجزائر على أهل الجزاير وظفر ببطشنة كبيرة فلقبها
بالبطشنة الكبرى واستولى عليها وعلى أخرى وعاد الى الثغر المحروس
مستصحا ألف رأس من السبى وكان تاريخ استطالة الاسطول على الفرنج
بمصر في البحر تاريخ بطشنتنا بالشام من غير تأخير بحزب الكفر .

(١٦٨ ب) فما أقرب بين النصرين في المصريين وما أعذب عذاب
الفتنين وتجريعهما الأمرين من الأمرين .

(٤) البرق ٣ . ورقة ١٣١ ١ العشاء .

ذكر منقبة لعز الدين فرخشاه

قال : ذكر عز الدين اننى فى تلك المعركة والجولة الحالية اما عن
المملكة وأما عن المهلكة تذكرت قول المتنبى :

فان تكن الدولات تسمى قاتها لمن يرد الموت الزؤام تؤول
ومن هون الدنيا على النفس ساعة وللبيض فى هام الكماء صليل

فهان الموت فى عينى فما أفرق بين حياتى وحينى وحكى الأمير حسام
الدين تميرك بن يونس وكان مع عز الدين فى الوقعة أنلكنا فى أقل من ثلاثين
فارسا فقد تقدمنا من أهل الفتك فشاهدنا خيل الفرنج فى ستمائة فارس
واقفين على جبل وبيننا وبينهم الماء فقال نعبز النهر اليهم ونحمل عليهم
فقلت له كيف تقول هذا وبمى تحمل عليهم فقال اذا عبرنا النهر اليهم ذلوا
وتبعنا من رأنا من عسكرنا وان وقفنا لهم طمعوا فينسا وجاعوا وعملوا
ما شاعوا فسار اليهم وعبر الماء فما وصل الى القوم الا فى عدتهم وقتل من
حد عدتهم ووافق ذلك رجف السلطان ونصر الايمان .

ذكر غيبة تقى الدين عن هذه النبوة

قال : كان سلطان الروم قلع أرسلان أرسل فى طلب قلعة رعبان (١)
وادعى انه من بلاده وانما أخذه نور الدين رحمه الله على غير مراده وأن
الملك الصالح ولده قد أنعم به عليه ورضى بعوده اليه وأبى ذلك سلطاننا
فعد قصده ومنعه وردة وكان مع شمس الدين بن المقدم وفيه نوابه فانهض
قلع أرسلان عسكرا مجرا نزل على حصاره وشرع فى تشيعت نواحيه
وأقطاره فندب السلطان ابن أخيه تقى الدين ومعه سيف الدين على
المشطوب ليتوليا إزالة رعب رعبان ويرسلا الروع على روع (٢) عسكر قلع
أرسلان فنهضا وهما فى ألف وكانت تلك الحشود فى الوف مجمعة فلما
شاهدوا أصحابنا قد جرى بسيل خيلهم الوادى أجفلوا من عدوى تلك

(١) فى الاصل : سبيل . انظر ابن الاثير . الكامل ج ١١ ص ٣٠٢ .

(١) رعبان مدينة بالثغور بين حلب وسميساط قرب الفرات معدودة
فى المواسم ، معجم البلدان ج ٢ ٧٩١ .

العداوى وزال عن رعيان رعيها وأمن سربها وعذب شربها وارجت بأرجائها
مهاب المهابة وطافت بها الطاف عصمة الله الذابة بالاصابة ، وكتب تقى
الدين توبتها الدايلة وبنوتها الزائلة وأنه فتح لم يحتسب ومنح من الله
الا بفضلته لم يكتسب وغزو الا الى تأييده لم يعز ولم ينتسب ولم يزل تقى
الدين بهذه النصر المبتكر فانه هزم بأحاد الوفا وأرغم بأعداد من الأعداء
أنونا .

فصل من كتاب سلطاني الى مجاهد الدين قايماز(٢) بالموصل وكتب
تقى الدين باذن الله ثلاثين ألفا من عسكر المذكور بألف وكنوا ضعف وقد
علم الله تعالى انه شاء فأكسرننا من سهم المهيب ومؤاخفته على رأيه المخطى
المصاب لا المصيب فان المذكور يمشى زمانه بناموسه ويؤسى نهاره من أشعة
الافلات من شموسه .

ذكر الفزول على حصن بيت الأحزان

وتيسير فتحه في أقرب زمان

قال : لما ضعف الكفر بالثوب التي نابت به بالبأس الاسلامى قوى العزم
السلطاني في قصد البرج وسير الى التركمان والى البلاد لجمع الرجال
فأمر بأعداد الدقيق وتكثيره للتركمان فخرجنا في جيش فضل بالقضاء ختام
قتلناه وورد على الأصباح باظلامه ودارت بفوز القداح اقتداحه ولاحت
غرره وأوضحاه وحملت الآلات وكملت الحالات ووصلنا الى مخاضة بيت
الأحزان يوم السبت والحصن مبنى دونها من الغرب فخيما منها بالقرب
ورفعنا على تلك الاكام أكاما من الخيم ورمينا من الحمايم والعمائم مسامع
الآفاق بالصمم وقتلنا حصن ومكان مكين ولا بد من نظم ستار لنصب المنجنيقات
وجمع الأخشاب والآلات فركب السلطان بكرة الأحد الى ضياع صفد(٤)
وكانت قلعة صفد يومئذ للداوية وهى عش (١١٩٩) / البلية وأمر بقطع
كرومها وحمل زرجونها وأخشابها واستكملت المنجنيقات كل ما يتم به
أسباب أسبابها وعاد الى المخيم بعد الظهر وخرج بعد العصر ، وجمع

(٣) فى الأصل : قايماز .

(٤) صفد ، مدينة فى جبال عاملة المطلة على حمص بالشام ، معجم
البلدان .

أمرأه (٥) وعارض بآرائهم آراءه (٦) فقال له عز الدين جاولى الأسدى تأذن لنا فى الزحف قبل نصب المنجنيق حتى نذوق (٧) قتالهم ونجرب نزالهم . فقال : استخبروا (٨) الله حيث اخترتم فنودى فى البوادرى بالاقدام والحضور فى مقام الانتقام فثاروا الى الثار وطاروا الى الأقطار ودنوا من الباشورة وباشروها وشاقوا معاشرها كأس المنية وعاشروها .

وعهدى بشاب من العوام فى جرة الضرغام عليه قميص خلق وفى يده قضيب (٩) ودرق وقد فرع الجدار وهو يدافع ويقارع ويجالد ويماصع فتبعه ضرب من اضرابه فى الضرب وشيعه آخر على حزب الحرب فتخاذل القوم ودخلوا الحصن وأغلقوا الأبواب ووقفوا وراءها على شرفاته وأشرفوا على شرفاته وملك أصحابنا الباشورة وملأوها وانتقلوا بكليتهم اليها وكلاوها . وباتوا طول الليل يحرسون والسلطان يمدهم بالامداد وينجدهم بالانجاد ويشفق من فتح الأبواب وكبسهم الناس فقتل لنا أنهم وقعدوا خلف كل باب نارا ليأمنوا على أنفسهم اغترارا ولا يلقوا غوارا فقرر الاصحاب وعاد الجراح الى الاصحاب ثم جمع الأمراء والكبراء وفرق عليهم البناء فأخذ عز الدين فرخشاه الجانب القبلى وجمع عليه الصناعات النقبابين وأخذ السلطان النقب فى الجانب الشمالى وأخذ ناصر الدين محمد ابن شيركوه بقرية نقبا وأفرد تقى الدين قسما وكذلك كل كبير شرع فى طرف وأخذ العمل فيه بسرعة والفرنج من فوقهم على السور وراء الستائر يرمون القوارير (١٠) وكان الحصن شديد البناء فمسر على النقبابين اخراج حجره واطهاره مضرة ثم تم النقب السلطاني وغلق وحشى بالحطب ليلة الاثنين وأحرق وظن انه يقع والنقب فى طول ثلاثين ذراعا وفى عرض ثلاثة أذرع فى المقدار وكان عرض السور سبعة أذرع فما تأثر بالتعليق والتحريق فأصبح يوم الاثنين والقلوب قد أشفقت والظنون قد أخفقت ولا سبيل الى تعميق النقب للنيران الملهبة فيه فأخرج السلطان صره فيها ثلثمائة دينار مصرية وتركها على يد عز الدين وأمره أن يعطى كل من جاء بقربة من الماء دينارا

(٥) فى الأصل : امرأه .

(٦) فى الأصل : آراءه .

(٧) فى الأصل : ذوق .

(٨) فى الأصل : استخبر والتصحيح من برق ٣ ورقة ١٤٠ ب .

(٩) فى الأصل وإيضافى البرق غضب وكذا من المرجح .

(١٠) فى الأصل : القوارير .

فرايت الناس للقرب حاملين ولأوعية الماء ناقلين حتى أغرقوا النقب فعاد
نقابوها فخرقوه وعمقوه ثم علقوه واستظهروا فيه يوم الثلاثاء ويوم الأربعاء
ثم أحرقوه ووصل الخبر بأن الفرنج قد اجتمعوا بطبرية وأنهم ملئوا بخيلهم
ورجلهم تلك البرية فحصد الصناع .

ولما كان الخميس الرابع والعشرين من شهر ربيع الأول أصبح
الخميس قد حمى الوطيس وقد عض بالأسد الخيس والدنيا تضطرب
والبلوى تضطرم ونحن ننظر الى السور وقد طال الانتظار ووقع من بطل
وقوعه الاستشعار ولما تعالى النهار وعيل الاصطبار وزال القرار انتفض
الجدار وتباشر الأبرار وتسابق الناس الى الثمة وكان الفرنج قد جمعوا
وراء الواقع حطبا فلما وقع الجدار دخلت الرياح فيها فعادت عليهم النار
وأحرقت البيوت الدانية منها في الجوانب وبلوا من كل صوب بالمصابيب
فاجتمعوا الى الجانب البعيد من النار وقد لفحهم وهج الاستعار وصاحوا
بالأمان وأظهروا الأذعان وجلس السلطان وقد حمد الله سبحانه وحده
فمن أحضر من الأسارى عنده استنطقه فإن كان مرتدا أو راميا يخرج
ضرب عنقه .

وخلص من الأسر أكثر من مائة مسلم أحضروهم للعمارة وقطع
الحجارة . وأكثر من أسر قتله الغزاة المطوعة والرعاك المجمعمة فكان فتحا
هنيا ومنحا سنيا وما ظن لتوثيق بنائه وتوغر سبله يتأتى افتتاحه أو يتصور
اجتياحه وكان قد بذل في هدنة لهم ليأمن الناس منهم مبلغ ستين ألف دينار
فلم يذعنوا بالقرار وبلغ بالمبلغ مائة ألف فثبتوا على الأصرار .

وقال : ورأيت السلطان مستبشرا يتلألا وجهه بنور السرور وعنده
رسول القومص معافي وهو يشاهد بلية أهل ملته ، وكان الحر شديدا
لا يطاق ودم الشراك مباحا يراق ، وقد وقد القيظ وآن وقد الغيظ وسير
من أيقاه الأسار الى دمشق فأقام السلطان في مخيم والأموات قد جافت
والأحياء قد عافت وقال : لا أبرح حتى أهدم الموضع من أساسه وأعيد
الرجاء في أعادته الى بأسه فقسمناه أذرعا على البأس حتى / (١٩٩ ب)
هدوه الى الأساس وعاد المشهود اليعقوبى مزورا وأرى الابتهاج بزيارته
منشورا . ودخلت الحصن فشاهدت العجب ورأيت فارسا قد ألقى على
النار حصانه وهو راكبه فانظر الى هذه الحمية والأنفس الابيسة . وأقام

السلطان في ذلك المنزل الكريه حتى فرغ من التخريب ورحلنا يوم الأربعاء وعند الوصول الى دمشق مرضنا من وباء ذلك الوباء وبتن ذلك الهواء وانتقل الى جوار الرحمة أكثر من عشرة من الأبراء ومن الله على بعد الأشتقاء بالشقاء (١١) .

قال : وهنا الشعراء السلطان بفتح هذا الحصن فمما بقى على ذكرى من ذلك ما أنشدنيهِ الفتى أحمد بن نفاذه :

هلاك الفرنج أتى عاجلاً وقد آن تكسير صلبانها
ولو لم يكن قد دنا حتفها لما عمرت بيت أحزانها

ولأبى الحسن على بن محمد الساعاتى الخرسانى من أهل دمشق قصيدة أولها :

بجـدك أعطاف النفسا تتعطف وطرف الأعادى دون مجدك يطرف
وقنت على حصن المخلص وأنه لموقف حق لا يوازيه موقف
أيسكن أوطان النبيين عصبة تمين لدى إيمانها وهى تحلف
تصحتكم والنصح فى الدين وأجب ذروا بيت يعقوب فقد جاء يوسف

ولأبى الفتح سمادة الضرير الحمصى من قصيدة :

وقدت الى الأعداء جيشا عرمرما إذا أبرقت فيه الصوارم أرمدا
خبيسا كسوت الجو ثوبا ممسكا به وكسوت الأرض ثوبا موردا
لها ما يريك الشمس ناير تنعمه يقلب مطرفها من الطرف أرمدا
ترى اللبث فيه بالحباب مؤبدا نزا البدر فيه بالشهاب مقلدا
طما بالمحاصر الصواهل بحرره الخضم وبالبيض المباتير أرمدا
وأبدى من الخرصان لما مفضضا يعود بوشك الطعن لما معسجدا
فلم تبق للطفيان شملا مجمعا ولم تبق للأيمنان شملا مبسجدا

(١١) يستمر عماد الدين فى البرق ٣ فى ذكر هذه الواقعة وينتهى بالعبارة التالية :

« والحمد لله الذى نصر الحق وأهله وأذل الباطل وأذله تم الجزء الثالث من كتاب البرق الشامى بحمد الله وحسن توفيقه ... ويتلوه الجزء الرابع وهنا الشعراء السلطان بفتح هذا الحصن » ولكن ليس لدينا كما

هو معروف الجزء الرابع . وإنما يوجد فقط الجزء الخامس .

وللامير نجم الدين محمود بن الحسن بن نبهان (١٢) العراقي من أهل
الحلة المزيديّة في السلطان (١٣) أيضا من كلمة :

وأوردت بيض الهند ماء رقابهم وأصدرتها تختال في حلل حمر
جلوت بها صمصامة الدين بعد ما علا مثنها من بغيهم صدد القسر
هي للفتكة الغراء لا زلت (١٤) قائما بأمثالها للدين في السر والجهر
فأصبح في أقصى خراسان ذكرها وفي كل قلب منه جيش من الذعر

قال : وفي هذه السنة كان طهر الملك العزيز أبي الفتح عثمان (١٥) ولد
السلطان وسمّته يقول مولد عثمان بمصر ثامن جمادى الأولى من سنة
سبع وستين وخمسمائة . وكان أحب أولاده إليه وأعزهم وأثناهم لاعطاف
سروره به وأهزهم وهو ربحان شمه وفينان ضمه ورأس ماله وأساس
اقباله . وكانت فراسته فيه من علم الغيب الذي أطلعه الله عليه فهو الذي
من بعده نظم سلكه وضم ملكه وجمع شمله وأبقى أفضاله وفضله ولزم
احسانه وعدله . ولما وصل من مصر إلى الشام في سنّ سبعمين برح به
اشتياقه وأزعجه فراقه فاستقدمه إليه فطلع قمره وينع ثمره وثاب أنسه
وبلغت المنى نفسه وقال : وأنشدت السلطان تهنية بقدومه كلمة منها :

(٢٠٠ أ) / يا أسدا تحمى عرين العلى هنيئ جـمـع الشـمل بالشـبل
يا طيب الثمر بلغت المنى تملينا بالطاهر النجل
يحكيك أقسدا وبأسا فما أشبه هذا الفرع بالأصل
ملك قضى الله له أنسه على ملوك الأرض يستعنى
شمله المجموع آمالنا بنجمها مجموعة الشمل

لم يفارق الملك العزيز أباه واستصحبه إلى مصر في سنة اثنتين
وسبعين ثم عاد به إلى الشام في سنة ثلاث وسبعين . قال وقال السلطان
عند قرب رحيله من مصر : أطلب لولدى هذا معلما يصحبه ويتسنّى به
تأديبه وتهذيبه وكان نجم الدين يوسف بن الحسين بن الجساور إلى متوددا

(١٢) في الأصل : سان .

(١٣) في الأصل : السلطان .

(١٤) وزالت ، هكذا وردت في الأصل .

(١٥) في الأصل : عثمان .

ولشكوى الزمان معددا ويحب الفضل الى اهله مترددا فملت اليه ودلت عليه ورغبته في الصحبة ، واخذت له مركوبا وثققة ، وجاعت اسبابه موافقة موافقة فتولى الصفى بن القابض وكان مقولى الخزانة والديوان والاعمال بدمشق . **اسباب ختان الملك العزيز** : ولقد كان على المهم من اهل التمييز توسع الانفاق وصاغ النحوت والاطواق واطلق الاموال ونمق الاحوال واول من وجد بركة هذا الطهر المبارك المؤدب فقد سعد نجمه وصح شيمه ووضح غيمه وتحلى في اللباس الذهبي باللباس الادبي والمركب النصارى والمركوب العربى وزين المزينون واعيدت عليهم الخلع السنينة وبالسناء اعيدوا وخلع السلطان علينا في المخيم تشريفا لآحوالنا مناسبا وامسى كل منا لذيل الاعتزاز مصاحبا ومن جملة ما حبانى به حجرة عربية وعدة لها ذهبية وعز الملك العزيز في ختام ختانه وعم الفضل والحسنى بأفضاله واحسانه .

قال : وفي هذه السنة خرجنا الى بعلبك لتسلمها الى عز الدين فرخشاه ابن اخى السلطان وكانت الشتوة صعبة ، وكان طريقنا على الرواديف وهى عقاب يتلوها عقاب وطرقها صماب وفي ذى القعدة من هذه السنة جمع عز الدين فرخشاه من رجال بانياس وما حولها من الاعمال من جرب عادته واجترأت عدته فصبح صغد صباح الاربعاء ثامن عشر الشهر قسبى وسلب وغنم وغلب واحرق ما شاء الله واخرّب ومر مر السحاب وعاد بالسبايا والنهاب وأبى عناية الله نصر النصارى واسلام الاسلام ، وشق بالاصباح سراير الاظلام . قال وفي العشر الاخير من شوال من هذه السنة خرج الاجل الفاضل من دمشق الى الحج وعاد الى مصر وكان عام اول سنة اربع وسبعين حج من مصر على البحر وجاء الشام .

نكر وفاة الامام المستضى وخلافة الامام الناصر

رضى الله عنهما

قال : وفي هذه السنة وهى سنة خمس وسبعين توفى الامام المستضى بأمر الله فأظلمت الاضواء وبويع لولده الامام الناصر فاضاءت الظلماء ، وكانت البيعة صبيحة ليلة الوفاة وذلك مستهل ذى القعدة فأقرت القواعد وامرت المعاهد وقد حضر الحجيج من المشرقين وامثلا الملا بالملايين ، وتولى

عقد البيعة المباركة ظهر الدين بن العطار ولاح بشره وفاح نشره وظن أنه قد تم أمره وعرفته مرضة أتعنته وعادية عدوى فأعدته وانتقل الى جوار الرحمة التي أعمال الخير بها وعدته وتمكن من الأمر في الخلافة الناصرية مجد الدين بن الصاحب وكان رسولنا ضياء الدين الشهرزوري حاضرا فحضر وبائع وأخبر بحلية الحال وطالع وبادر السلطان الى الخطبة في جميع البلاد واهتزت بالسمة الشريفة أعطاف الأعواد ومضى صدر الدين شيخ الشيوخ عبد الرحيم بن اسمعيل من بغداد الى بهلوان رسولاً وألزمه حتى خطب بهمدان واصفهان وعمت الدعوة الهادية بلاد خراسان ثم لما رجع شيخ الشيوخ جاء إلينا رسولاً في سنة ست وسبعين وأخذه السلطان معه الى مصر وحج منها وركب البحر وأنعم مولانا الناصر لدين الله أمير المؤمنين/ (٢٠٠ ب) بأجراء رسمي وأدارى وهز أعطاف فخارى ، ومدايحى في أمير المؤمنين قد سارت في آفاق الاشراف انارات ومن جعلتها كلمة سيرتها سنة فتح القدس ومنها :

ورثت من سلفى رقى لطاعته	وذلك الرق للأسلاف احساب
ما كان لولا الرضا والسخط منه	لنا خصب ومحل واحداً واحداً
قد قلت لولا التقى ما غير صارمه	للممر والرزق مناع ووهاب
معبد بعمود الصبح بينهم	له من الشهب أوقاد وأطناب
أبشر بفتح أمير المؤمنين أننى	وصيته في جميع الأرض جواب
ما كان يخطر فى بال تصوره	واستصعب الفتح لما أغلق الباب
وحام عنه الملوك الأقدمون وقد	مضت على الناس أحقاب وأحقاب
نصر أعاد صسلاح الدين رونقه	أيجازه مبلغ فى القول اسهاب
نفى من القدس صلبانا كما نقيت	من بيت مكة ألام وأنصاب

قال ودخلت سنة ست وسبعين : وفي هذه السنة توجه السلطان الى بلد الروم وبلد الأرمن .

تكر السبب فى ذلك

قال : كان نور الدين محمد بن قرا أرسلان بن داود بن أرتق صاحب حصن كيف تزوج بابنة السلطان قلع أرسلان بن مسعود بن قلع أرسلان وهوى بغيرها وقد تزوج بمقتية وهو عليها يستخيرها ، وهى فى سر سترها وفى ضمير خدرها زهراء فى أوجها صابرة على جور زوجها تخفى بلواها

ولا تبدى شكواها وما ذلك لوجود شين أو لعدم زين فانها تالية الثمرين
وثلاثة النرين سلجوقية التجار سلطانية الفخار . وكان زوجها للنساء
المغنيات زيرا فقلبت عليه فمنهن نصف هو بحبها منصف ومن عيشه
بملازمتها منصف وبمناذمتها مع الندماء منتظم مرتصف فاختر العجوز على
الشابة وحسب أن الخطأ عين الاصابة ولكن الهوى ما عليه قياس ولا يتحكم
من رجائه بأسى ولله في التوفيق مواهب وللناس فيما يعشقون مذاهب .

فعرف أبوها ما هى فيه من الضرة وأبت له عزة الملك الرضا بذلة
المعرة فسرّح أهل الارغاب وأوضح سبل الارهاب وأبدل الأعصار بالأعصاب
فبان قرار ابن أرسلان وعزب واضطرم بتوقى التوقع واضطرب .

وكتب سلطاننا صلاح الدين يستدنى اصلاحه ويستجدى انجاده
وانجاحه وأرسل وتوسل واعتذر عما يقال عنه وتصل فأرسلنا الى تلج
أرسلان رسلا لاستكفافه وتحذيره عاقبة خلافه فكتب يهدد ويذكر الذنوب
وينشر العيوب ويقول آبيت الحكم بينى وبينه ولا بد أن يدين ويؤدى دينه
ولما صاهرته جعلت له قطعة من مملكتى فاذا لم ينزل على حكمى فليعد الى
ما كان بأسمى ولينزل عن تلك الحصون ليتحصن منى بالسكون فأجبناه بأنه
لا سبيل له الى قصده وقد عاهدناه ولا يحسد عن الوفاء عن مهده فان
تركته قبلنا المنة وان قصده ثنيا لنصرة الأعنة وكان ابن قرا أرسلان
لقربه من بلاد حمية يخشاه ولا يرى من يحميه ورسله وكتبه اليها متواصلة
متراسلة وهم جيرانه وأقاربه الأرتقية وغيرهم عنه متفاصلة متناصلة فحميت
حمية سلطاننا وتحركت همته وتصومت عزيمته وكان الفرنج قد جنحوا
للسلم ودخلوا له فى الحكم فهادنهم وفدى ابن بارزان نفسه من الأسر (١)
بمبلغ مائة وخمسين دينار صورية واطلاق ألف أسير من المسلمين وأحضر
ما تهيأ له من المال والأسارى وأحضر رهائن على الباقي والباقيين وقرر على
هو ابن القومصية قطيعة مبلغها خمسة وخمسون ألف دينار وخلص
الأسارى المتقدمون كل واحد بقرار فلما فرغ سره من جانب الشام سار بصدق
(١٢٠١) / الاعتزام وعبرنا على حلب والملك الصالح بن نور الدين رحمه
الله مالكا فمنعنا من طروقها مسالكها فجزنا على قرا حصار وعبرنا على

(١) فى الأصل : بالأسنة وكذا يستقيم المعنى .

تل باشر فأضافنا صاحبها بدر الدين دلدريم وهو سخي له الجود والكرم
ووصلنا الى رعبان وخيمنا على نهر يقال له كوك سو (٢)
وزخرت بحار معسكرنا بأمواج القباب وانبساط الفسراب
وجاء نور الدين بن قرا أرسلان وأخوه وامتزجت النفوس وابتهجت الوجوه
ودارت الأفلاك وتزاورت الأملاك واحتفل السلطان بضيافة القوم في سرادقه
وتوشيع نمارقه فكون الأكوان ولون الألوان وجمع من مكارمه البر
والعوان، وبسط الخوان وسماههم الأخوان وشرفهم بنفائس الخلع وحمل لابنى
قرا أرسلان من الحصن والحجور الغريبات والأطواق والشخون والصياغات
وأعمال الثياب المستعملات المصريات ما قوم بمائة ألف دينار وأما ما أخرجه
من الخيل فلم يحرز بمقدار ولم يبق في معسكرهم راجل الا ركب ولا عيل
الا اترب وقد نقلنا اليهم كل ما أصبحنا من أثاث ومتاع ومركوب وكراع ثم
عمل ناصر الدين محمد بن شريكوه بن عم السلطان دعوة واقتدى بسلطانه
في اظهار حسنه واحسانه ثم اختار عز الدين فرخشاه بن أخى السلطان يوما
للقرى وأجزل جوده وبذل مجهوده بل موجوده . واعتمد ما دخل في الامكان
من الاحسان وقرت بما أبداه وأبدعه عين عمه السلطان وما زلنا مدة المقام
في سماح ورياح وارتياح للمنى وارتياح الى أن وصلت رسل تلج أرسلان
ببذل الاذعان وجاء الأمير الكبير اختيار الدين الحسن بن غفراس وكان للملك
الروم الركن والاساس وأحضرنى السلطان وهو عنده وأنشأت باتفاقتها
عهدا أكدت بالشرائط عقده وانصرف هو وأصحابه بخلع سنايا وحسنت
السجايا ، وأمنت الأذايا بتحف وهدايا ووثقت الألايا ووفقت القضايا .

(٢) في الأصل : كول سو . انظر الرضتين ١ - ٢ - ١٦ . وقارن النوادر
السلطانية ص ٥٤ يقول بهاء الدين : عرف ياقوت النهر الأزرق بانه نهر
الثغر بين بهنسا وحصن منصور ببلاد الروم من جهة حلب ثم قال : نهر
الأسود قريب من الذي قبله طرف بلاد مصيصة وطرسوس .

ذكر دخول بلد الأرمن وفتح حصن المانوية

قال : وكان ممتلك الأرمن بن لاون (١) فاستمال (٢) قوما من التركمان حتى يرعوا في مراعى بلاده بالأمان ثم صبحهم بغدره وحصلوا بأسرهم في أسره ، وكثرت شكايه المسلمين من نكايته فرأى السلطان أن الأولى دخول ولايته فسرنا بعساكرنا المنصورة وخيمنا على النهر الأسود ودمرنا على دياره بالدواير وبالقرب دنا على الجبل قلعة شامخة الذرى على رأس رأس محفوفة من نبات الافلاك بأحراش ، وهى من عقايل المعازل محصنات الحصون ، وكانت فى ضمير الجبل كالسر المصون فأضرمها الأرمن نارا ولم يحسب مع استفرادنا بداره قرارا فقصدناها وبادرنا الى اخراج غلاتها وإبراز مودعاتها فأشفع العساكر منها بالزاد واللف وارتفع عنهم مدة المقام أثقال المون والكلف وخاف الأرمنى ودخل الرعب قلبه فأرسل باطلاق الاسارى مذعنا وبذل من مجهوده فى الاسترضاء والاستعطاف ما كان ممكنا وكان الوقت متعسرا والقوت متعذرا وكان من لطف الله اذعان الأرمنى حتى عجلنا رحيلنا بالنصر السننى والعز الهنى .

وعملنا على اعمال حلب ، ووصلنا الى حماه فى العشر الأوسط من جمادى الآخرة ، ووصلنا الى حمص وخيمنا على عاصيتها ، ودانت لنا عواصى الأمور ودنت قواصياها ، والمطالب قد أشرقت مطالعها ، والمآرب قد ملكت نواصياها .

قال : وجاء الفقيه المذهب بن أسعد الموصلى بمدح على الرسم وكان عزيز الفضل وافر العلم ، ورسمه كلما عبر السلطان بجمص مائة دينار مصرية وخلعة مئنة فمما مدح به السلطان تصيدة مطالعها :

أما وجفونك المرضى الصباح	وسكرة مثليتك واثت صباح
وما فى فيك من برد وشهد	وفى خديك من ورد وراح
لقد أصبحت فى العشاق فردا	كما أصبحت فردا فى الملاح
يقرب جوده أقصى الأماني	ويضمن بشره أسنى النجاح

(١) فى الأصل : لازر .

(٢) فى الأصل : استمال .

ومبسوط بنسائلة يداه اذا انقبضت به أيدي السماح
فمن هرم وكعب وابن سمعدى رعا الشاء والنعم المراح
(٢٠١ ب) /جواد بالبلاد وما حوته اذا جادوا بالبان القدح(١)

نكر وفاة شمس الدولة أخى السلطان

في هذه السنة

قال : وتوفى الملك فخر الدين شمس الدولة تورانشاه أخو السلطان
بشعر الاسكندرية فى المحرم سنة ست وسبعين ووصل الخبر والسلطان
بظاهر حمص فجاد مزن حزنه بالقطرات ، وفاضت عين عينه بالعبرات
وتقلص ظل صبره وتنقص ورد عمره وخلا ذلك اليوم فى بيت خشبة يندب
فضل أخيه فى كرمه وحسبه واستدعى كتبا فى المراثى مثالا يتأملها ، وكان
كتاب الحماسة على حفظه فدام ينشد أبيات مراثيها ، وينشد ضالة معانيها ،
وهو يتأسى ويتأسف ويتلهب ويتلف .

وكان شمس الدولة أكبر أخوته قد فضلهم بجوده وفضله ومروته ،
وهو لا يبقى مالا ولا يذر وكم اقتضت من غرايب رغاييه وأبكار مواهبه
العذر . ولما ملك صلاح الدين مصر رأى أن تلك الممالك لا تنفى بمكارم أخيه
وان كل من يدخر لهم جوده لا يبقيه فجهزه الى اليمن فى سنة سبع وستين
ففتح بلادها وحاز طرافها وتلاوها ثم لما ملك الشام استدعاه وجرى من
الأمر ما ذكرناه ونوابه فى زبيد وعدن وسائر بلاد اليمن جازون على السنن
ويحمل اليه من أمواله ما يحمله عن خزائنه الجود على أنه يضيق عن همته
السحة الوجود .

وودعه فى آخر سنة أربع وسبعين وسار الى الديار(٢) المصرية وحكمه
فى أعمال ثغر الاسكندرية واتفتت وفاته بها . قال : ولقد كان مقبلا على

(١) قصيدة طويلة وردت فى الروضتين ١ ٢ — ١٧ والكلمة الأخيرة فى
البيت الأخير وردت اللقاح .
(٢) فى الأصل : ديار .

ومايلا الى ولى فيه (١) مدايح ومنها مدحة خدمته بها عند وصوله من اليمن
ولقائه للسلطان في حماه يوم الثلاثاء ثانى صفر سنة اثنتين وسبعين وانشدت
يوم السبت سادسه بالمخيم في الميدان وهى التى اولها :

صب لتذكرك اهل الجزع ذو	جزع اطاعه دمعته والصبر لم يطع
وكان يطمع في طيف ولم وقد بان	الرقاد فما في الطيف من طمع
يا لا يما يدعى نصيح المحب ولم يترك	له وجده مسـمعا ولم يدع
اتعبت نفسك تنهى غير متبع	حكم الملام ويلحى غير مستمع
ان يجدى لومى فكم في الجود عاشقه	تورانشاه كلانا غير مرتدع
هو الجواد الذى عشق السماح به	أفضى الى امد في الجود مخترع
يارايذا للخصب ان تقصد ذراه تجد	فى ظله خير مصطاف ومرتبـع

قال : وكتب شمس الدولة الى السلطان قبل وصوله بخطه كتابا
ضمنه هذين البيتين :

كتبت ولو لا ان قلبى واثق بقرب التلقى وما حوته الاصابع
ولو لم أعد انسان عيى فانه يراكم سريعا غرقته المدامع

فسألنى الملك الناصر ان اجيزهما ليكتب اليه فقلت :

بنفسى وما أحوى وروحى ومهجتى	كتاب لأسباب الفضائل جامع
يخبر عن قلب حوته أضـالع	ويوم النوى قلبى نفته الاضالع
ومن عجب انسان عيى ظاميا	وقد غرقته في الميـاه المدامع

فلما وصل شمس الدولة الى ثيما وقرب من الشام نظم شمساعره
المعروف بابن النجم جواب الابيات وكتب :

ولبيته لما دعائى منازعا	بنفسى ومالى والمشوق منازع
وانى بيوم واحد من لقاءه	على عظم المزية بايع
(١٢٠٢) وما الملك الا راحة انت	زندها يقنم على الدنيا ونحن الاصابع
فيا برق طالعه بانى واصل اليه	وان طال التردد راجع

فأحضرني السلطان عند وقوفه على الكتاب وحثني على نظم الجواب وذلك يوم أول (١) شوال واعتمدت لسرعة امره الارتجال فكتبت قصيدة طويلة كتبها اليه ومنها :

تألق برق مي تهامة لامع يبشر أن الله للشامل جامع
يحساكي خفوق القلب مني خفوقه فهل راعه مثلي من البين رابع
لقد طال ليلى الانتظار صباحكم فهل لتبأشعر الصباح طلائع
صفت وضفت في الجود منك وفي العلى مشاريع بالحسنى لنا وبدائع
كانك شمس الدولة البدر بيننا ونحن حواليك النجوم الطوالع

قال : ولما أقام بدمشق وفد الى جنابه الوفود وافنى موجوده الجود وشغفه بالواردین بحر عطائه المورود ، وما زال يفكر في اطلاق ما يليق الى من الجائزة ففرض لى من فرضه عذاب مواهبه الغراب وأمر في توقيعه بها الثواب وحسب ما أعطاني العطاء الحساب ، ولم يكن قط في توقيعه تعويق فقلت : قد أحالني البحر على عذاب ودونها مهامه اذا قطعها الحديد ولم يع ذاب ومن لى بها ومن لاستدنائها وتقريبها فتييل لى أدنى هباته من أقصى اليمن وعذاب على كل حال أقرب من عدن فأدرجت التوقيع في كتاب الى المولى الفاضل وأودعته الخريطة السلطانية وثوقا بالوصول فوصلت الى مصر وقد سار على عزم الحج على طريق البحر فسرت اليه تلك الخريطة فاتفق وصولها ساعة ركوبه بحر عذاب فتسلم الكتاب وأحضر الثواب وعرض التوقيع وفض الجميع فما رأيت عطاء منه أهنا ومن المن والأذى أبرأ وما عرفته الا من العوارف الفاضلية .

ذكر وصول الرسل من الديوان العزيز

قال : وفي رجب سنة ست وسبعين وصلت رسل الديوان العزيز الامامى الناصرى وهم صدر الدين شيخ الشيوخ ابو القاسم عبد الرحيم ومعه شهاب الدين بشير الخاص بالتفويض والتقليد والتشريف الجديد فتلقيناه بالتعظيم والتمجيد . وقد عرف السلطان ما بينى وبين شيخ الشيوخ من الاواصر الموشجة المتمازجة والخدمة المتمازجة فان اولاده من ابنة عمى العزيز فأمرنى بالوصول اليه والمبيت عنده ليلة وصوله الى

(١) في الاصل . من وكذا يستقيم الكلام .

القصر فخرجت اوان العصر ودخلت اليه وسلمت عن السلطان عليه وبت طول ليلتي أسامره وركبت سحرا من عنده لأسبق بالدخول وأخبر بالوصول فجننت الى السلطان وقد ركب للاستقبال ولما ترأى الرسل الكرام ووجب لهم الاكرام والاعظام نزل وترجل وأبدى الخضوع وتوجل ، ونزل الرسل اليه وسلموا عن أمير المؤمنين عليه فتقبل الفرض وتبيل الأرض ثم ركبوا ودخلوا المدينة وانزلوا بنزلهم السكينة وانشرحت الصدور واستبشرت الوجوه بصدر الدين وبشير وظفر السلطان من صدر الدين بصديق صدوق مشفق مشير ، وكان قد عزم على قصد الديار المصرية وسلوك طريق ايله والبرية فحسن لشيخ الشيوخ مصاحبته ، ورغبة في زيارة الشافعى فقال قد عزمت على الحج فأقبلوا عذر المحتاج المحتج ثم قال : أصل معكم الى القاهرة بشرط اقامة يومين ولا أدخلها وانما اسكن القرية الشافعية فأنزلها وأسير منها الى بحر عيذاب وأركبه الى جده فطلى أدرك صوم رمضان بمكة وأغتم وأقيم وأقضى الحج اذا حل موسم فاجيب الى المقترح واعاد السلطان أصحابه الى بغداد لياتوه من أيتها الى الحجاز ، وسير السلطان شهاب الدين بشيرا في جواب رسالته على رسم عظمة الديوان العزيز وجلالته وسار معه رسولنا ضياء الدين الشهرزورى لهدايته الى المرشد ودلالته واستصحبنا شيخ الشيوخ معنا الى مصر فأقام يومين كما ذكر وتوجه منها الى مكة على البحر فأدرك بها الصوم .

(٢٠٢ ب) / فكر الرحيل الى مصر يوم الاثنين ثامن عشر رجب

والوصول الى القاهرة ثالث عشر شعبان

قال : ولما عزم السلطان على التوجه خص ابن أخيه عز الدين فرخشاه بالنيابة عنه بالشام وقتله أمر أجناده وأعماله بسائر أحواله وشحذ عزمه واتفق حكمه . ولقد كان عزيز المثل عزيز الفضل معهود الضريب محمود الضريبة مخصوصا من قبول القلوب بالمهابة المحبوبة والمهبة المحبة .

ولقد جرت مدة ايلاته احوال دمشق على أحلى حالة وله عندى ايام وغايات فى المكارم ومباد ولى فيه مدايح طالت قصائدها وجالت فى الاعناق فلاليدها وأذكر فى هذا الكتاب ما هو شرطه ورسم شرحه وبسطه وكتب

اليه يوم توديعه كلمة شينية عظم شأنها وتم بالاحسان احسانها وسير
لى مع فروة واكديش عطاء لم يترك اسراعه للحمد ابطاء ومن ابياتها :

اسأل الله العلى أن نعيشى ألف عام لنصرة مستجيشا
رعبكم يقطع القلاع ويضحي الرعب ههنا للحمد من بأسكم منقوشا
ما اكرى شيئا سوى فروة منك وأبقى لسفرتى اكديش
كيف يخلو من ذى ظهر وظهر سالك طرق ايله والمريش

قال : ولما نزلنا ببصرى الى مصر متوجهين جلست فى خيمتى وحولى
أصدقائى المودعون مجتمعون فقال أحد الجبالين قد وقف لى جمل وما لنا
فى صحبتنا اهل فأبغ جبالا نبتاعه والا فقد حصل على الأرض متاعه . وعندى
صديق قام وغاب وتركنى أخاطب فى شبرى الجمل الأصحاب ثم عاد سريعا
ومعه ثلاثة من حجاب ثلاثة من الامراء المودعين وقالوا سمعنا بابتياحك
الجمال لحمل الأثقال ، وقد أتينا بخير ما عندنا من الجمال فمفرت أن ذلك
الصديق قام وقصدهم وقال : ان كنتم تريدون ان تنقربوا الى فلان بما
يقبله فسارعوا الى اهداء الجمال له فشكرته على هذه المكرمة ونسقتها
فى عقود مكرماته المنتظمة وهذا الصديق المعروف بموفق الدين أبى يعلى
حمزة العنزى من أعيان حماة وأماثلها . وكان ذا همة تروى المكارم من
مناهلها وأراد فى تلك النوبة أن يصحبنا الى مصر فاحتاج السلطان الى من
يعول فى الرسالة عليه الى الموصل فنصصت عليه وأحضرتة للمشافهة بين
يديه فكتب له وودعته وسرنا وسار وشب شوق الأحبة فى القلوب النار
ووصلنا القاهرة على طريق ايله ثالث عشر شعبان واستقبلنا أهلها والملك
العادل أخو السلطان حينئذ بمصر ناييه وتلقننا مواكبه ومواهبه وخدمته
بكلمة منها :

أحبة قلبى طال لىلى بعدكم أسى فمتى ألقى بوجهكم الفجرا
فقدت حياتى مذ فقدت لقاكم فهلا أخذتم فيه من ناره حذرا
لقد عاد أسى وحشة بفراقكم فهل لحياتى منكم نشاة أخرا
سكنتم مؤادى وهو فى نار شوقكم كما عاد عرف الدهر بعدكم نكرا
وقد كنت مغترا بأيام وصيلىكم ولا يأمن الأيام من كان مغترا
قطعنا الى بحر النداء بحر قلزم ومن قصد بحر النداء يقطع البحرا
الى عزمة فى المجد غير قصيرة وكان قصارى امرنا ان نرى القصر

قال رحمه الله : وفي أوائل سنة ست وسبعين توفي صاحب الموصل وهو سيف الدين غازي بن مودود بن زنكي ونحن مقيمون على كوك سو من حدود بلد الروم وجلس مكانه أخوه أحمد عز الدين مسعود بن مودود بن زنكي فجاءنا رسول مجاهد الدين قايماز وهو الشيخ الفقيه فخر الدين أبو شجاع ابن الدهان البغدادي يلزمنا بحكم اليمين مع سيف الدين وقد سير معه بنسخة اليمين التي حلف بها السلطان وفيها إبقاء سيف الدين على ولايته وأنه لا يغير على نوابه وأخوته . وقال هذا أخوك (١) الذي حلفت أنك لا تغير عليه فبأي تأويل تقبض ما في يده فقلنا أما تلك اليمين فاتها منوطاة باتمام الحياة ولا يلزمنا الوفاء بها بعد الوفاة / (٢٠٣) ونحن نرى رأينا فيما نعتمده ونحله في الأمر ونعتقد ، ونطالع الديوان العزيز النبوي أعز الله نصره ونمثل في ذلك أمرنا واعدنا الرسول على عادة الأكرام بالتحشيف والانععام ، وشرعنا في العود الى دمشق واليقين من الله بتسديد مرامي المرام .

قال : وأقام السلطان بمصر مشتغلا بمصالح الدين والدولة مشغولا من نعم الله على التفضيل وبالجملية محتفلا بمجالسة العلماء ومذاكرة الفضلاء والجلوس في دار العدل للمظالم وكسر المحامد بالمكارم ونحن في لهية وعيشة رغدة بل هنية . قال : وفي هذه السنة عريت كتاب كيمياء السعادة (٢) تصنيف الامام أبي حامد الغزالي في مجلدين وفزت من تعريبيه وعلم ما فيه بسعادتين وذلك بأمر فاضلي لزماني أمثاله وشملني في اتهامة اقباله . قال : وفي سنة ست وسبعين مات صاحبي المعتمد ابراهيم (بدمشق وأنا بمصر) (٣) وفجعني مصاب كمصابه وفل ثوبا صبري لفل ثوبا شبابه وقد كان بمصالحى كافلا وجهده في صون حوائجى باذلا خدمنى في أول أيامى بالعراق وفراصة والدى رحمه الله دلت على ما وجدته فيه من الاشفاق ومما رثيته به قصيدة أولها :

أرى الحزن لا يجدى على من فقدته ولو كان فى حـزنى مزيدا لزدته

(١) فى الأصل : أخوه وكذا يتطلب السياق .
(٢) قارن الروضتين (١) ج ٢ ص ٢٠ . انظر أيضا دائرة المعارف الإسلامية (٣) مقال الغزالي .
(٣) فى الأصل ما بين الحاصرتين مطبوس والضبط من الروضتين ج ٢ ص ٢٠٠ .

تفترت الأحوال بعدك كلها فلست أرى الدنيا على ما عهدته
عقدت بك الأمل بالنجح واثقنا فطحت يد الأتقار ما قد عقدته
أردت لك العمر الطويل فلم يكن سوى ما أراد الله لا ما أردته
فيا وحشتنا من مؤنس قد عمدته ويا وحشتنا من صاحب قد فقدته
فقدت أحب الناس عندي وخيرهم فمن لا يمي فيه إذا ما أنشدته

قال : ودخلت سنة سبع وسبعين

والسلطان مقيم بالقاهرة ، والأيام ظاهرة الليالى زاهرة ، والدولة
العالية ضاحكة المباسم مالكة المرایم مهتزة الاعطاف ، معتزة الأطراف ،
سنية اللطاف ، والانعم مستمرة مستقرة ، والأعين قريرة والالسن مقرة ،
وأنامل الأنام باندعاء الى الله مرفوعة ، وأدعية الصالحين فى ذمام دولته
مسموعة ، ولرواية الأحاديث النبوية رواء ، وللأرواح من أورادها أرواء .

وكان البندهى المسعودى فصيح الحجة ، صبيح البهجة ، عالى
الرواية ، حالى الدراية يؤدى بقراءته رواية الصحاح صحيحة ، وتسمع من
الفاظها الفاظها الفصاح فصيحة وتسمع من الفاظ السلطان قد عين له
للسماع ميقاتا وجمع به من العلم والعلماء اثنتان فما أحسن شسميله
وأشمل محاسنه وأزين محاسله وأحفل مزائنه وأمكن فضايله وأفضل
أماكنه .

قال : وفى هذه السنة ورد كتاب عز الدين فرخشاه من الشام يذكر
ما من الله تعالى به على الأنام من الانعام ، وإن ولادة التوم كثرت فى هذا
العام فأنشأت رسالة توامية أصدرتها الى الأجل الفاضل فانه يعرض فى
سوقه بضاعات الفضائل ومنها :

لئن أتأم العام بالحنين وأتى بالحسنين فما زال لكل قد توأما فللمعدل
العمران وللدهر القمران وللسماء سوى توأميها الفرقدان وللارض « مرج
البحرين يلتقيان » (١) لكن الزمان لم يزل بمثل مولانا الفاضل عقيما ولولا
صحة فضله وحصاة أفضاله لكان الدهر سقيما فهو واحده وأوحده وماجده
وسيده وبراعته أم البراعة (٢) قد أتأمت ملكى مصر والشام وعززت من القن

(١) سورة الرحمن آية رقم ٢٠ . (٢) فى الأصل : البراسة .

بثالث بين الاسلام ، والملك توأماه الناصران فباس الباسل العباسى بالامانة
كفيل وجود الماجد الايوبى فى نيابته وكيل ، والمال والنصر توأما نمت فخره
وتميما نحت نجره ، وكوكبا سعد فخره ومركبا جاش حزمه وموكبا جيش
عزمه وكذلك النظم والنثر (٢) توأما الفضل ومولانا الفاضل مربيهما ، وهما
نجيبا بناته وجنينا عناته وانسانا عين بيانه فلا جوار لهما من جور عناد
الدهر الا عنده ولا رواح لرجائهما بين كرام العصر الا فى سوقه ومجده .

(٢٠٣ ب) ذكر وفاة صاحب حلب الملك الصالح رحمه الله

قال : قد سبق ذكر الملك الصالح اسمعيل بن الملك العادل نور الدين
رحمه الله ، وانه اقام مقام أبيه واقام عند وصول السلطان الى الشام
على تأييده . وكان قصد صلاح الدين اصلاحه وان يضمه اليه ويضمن نجاحه
وفلاحه فصد عنه ممالك كفلوه فاحذت بلاده كلها بلجاجهم وفرضت دولته
لسوء علاجهم فامتنع بحلب وبعد عليه من استعادة البلاد ما طلب ولم يزل
بحكم المسئولين عليه مكفولا ولا يجد لحلف رأسه عقولا فأسرعت شمس
البازغة افولا وسعت سعادته عنه تفولا .

ووصل صاحب الموصل عز الدين مسعود الى حلب فجمع ظاهره
وباطنه وأخذ خزائنه وأخرج دفاينه وأخلى كئائنه ثم عرف أنه لا يستقر له
بها أمر فرغب اخاه عماد الدين زنكى صاحب سنجار فى تعويضها له بحلب
فمال الى بذله ورغب وتسلم حلب وسلم سنجار واقام فى رغد لو امن الجبار .

ولما سمع السلطان بوفاة الملك الصالح فى مصر تحرك عزمه واحتد
أواره وندم على النزوح من الشام مع قرب هذا المرام وشرع فى جد الاهتمام
وصدق الاعتزام وكتب الى ابن أخيه تقي الدين عمر بن شاهنشاه وهو
يتولى له المعرة وحماه وأمره بالتأهب والربوض لفرصة التوثب وكان نايبه
بدمشق عز الدين فرخشاه قد نهض فى مقابلة الفرنج فان الابرنس الكركى
كان يحدث نفسه بقصد تيمنا فى البرية وأعد لذلك الأزواد والروايا مع
السايرا السرية فحركت عز الدين دواعى الحمية وبواعث النخوة الدينية
فعرف السلطان اشتغاله بذلك المهم وانه لا يتفرغ لدفع اللطم فشد عزائم
نوابه بالشام بتجديد المكاتبات لهم وبعثهم على الاستعداد وحملهم (١) وكان

(١) فى الاصل : وحمايم .

الأمير معين الدين عبد الرحمن بن صاحب راوندان (٢) في حضنه وهو يشتد بركته فكاتبه بما أرهف حسه واستشف في المساعدة جده .

فصل من كتاب اليه من مصر في أواخر شعبان سنة سبع وسبعين وقد عرف ما تجدد من وفاة صاحب حلب وهى ولايتنا التى لا نقتى عنها عنان الطلب قائمها فى تقليدنا بأمر أمير المؤمنين وما تركناها للملك الصالح بعد التصرف فيها وحصول حصونها ومعاقبتها فى أيدينا الا رعاية لحقوق أبيه ورغبة فيه ، ولا مانع اليوم عنها الا من يمين معقودة ولا عدة معهوده ، وقد وفينا المتوفى بعهدده والآن فقد سفر لنا وجه الحق وبان ودنا لنا مصعبه وأصبح ودان . وولدنا تقى الدين هناك بالقرب وعساكره جارية على حكمه وعزيمتنا معقودة بما هى عزمة فلنكن ايديكم متساعدة متعاقدة والقلوب واحدة .

ومنه ومعين الدين ينهض بنفسه ويعسكره ويؤثر فى هذا المقام حسن اثره ويعمل عمل المرء لنفسه وينتصف ليومه من أمسه .

وقال : وحررت فى المعنى مكاتبة الى الصاحب مجد الدين استاذ الدار العزيزة فى منتصف شهر رمضان سنة سبع وسبعين . ومنها أصدر مملوك الدار العزيزة ثبت الله تواعد مجدها وشد بعزى النصر بمعاقد سعادها مطالعته التى أعرب فيها عن صاحب الموصل فانه طمع فى جانب وطمح اليها ومد يد التعدى بالاحتواء عليها ونكث الايمان البرمة ونقضها وترك المراقبة التى فرضها الله ورفضها وأن حلب وأعمالها داخله فى ولايتنا التى يشهد بها شريف المثال وينطق بحقه المنشور العالى الموقع له من به العظمة والجلال . ومنها ورسوله الى الفرنج يستجديهم فى شمسنا ويغريهم ويبدل لهم الرغائب ويضربهم وقد راسل الحشيشية والمراد من الرسالة غير خاف والعلم بالمعتاد منها غير كاف وما تهيا للمذكور الوصول الى حلب الا بسبب غيبة ابن أخيها فى أقصى بلاد الفرنج فى أول برية

(٢) الراوندان . قلعة حصينة وكورة طيبة معشبة من نواحي حلب ، معجم البلدان ٢ — ٧٤١ .

ثيباً^(١) وهى دهليز المدينة على ساكنيها افضل السلام واغتنم كون البرية معشبة فى هذا العام قففا ابن اخينا اثره ومنع الكافر المخدول وصد قصده ولم يعلم بوفاة ابن نور الدين رحمه الله الا بعد عودته ومن العجب ان نحامى عن قبر النبى صلوات الله عليه مشتغلين بمهمة والمذكور ينازع فى ولاية هى لنا لياخذها بيد ظلمه وكم بين من يحارب الكفر ويحمل اليهم قواصم الآجال وبين من يتخذهم بطانة دون المؤمنين وتحمل اليهم كرايم الاموال وبين بعيد من دار الخلافة المعظمة يفترض الطاعة / (٢٠٤) ويستفرغ فى مرضيها الاستطاعة ، وبين آخر يدعى انه اقرب جيرانها ولا يمت بل لا يمت الا بمعصياتها وكل يعمل على شاكلة أصحابه فهو يمرى بيد المرير اخلاقاخالفه ونحن لا ندين الا بطاعة الامام ولا نرى ذلك الا من اركان الاسلام هذا مع ما نعد من سوابق فى الملة الحنيفية والدولة الهادية العباسية لا يعد مثلها أولا لابی مسلم لأنه أقدم ثم عام وامال ثم آلام ولا احرا لطغر بك فانه نصر ونصب ثم حجر وحجب وقد عرف ما فضلنا الله به عليهما فى نصر الدولة وتطهير المنابر وحسن الادعاء واطلاع انوار السمات الشريفة كاشفة لظلمة تلك الاسماء وانارة صباح الهدى بعد امتداد رواق الضلالة والمذلومة الظلماء ولم يفعل ما فعل لأجل الدنيا فأجزا منه بالحسن طولع فى الأخرى غير أن التحدث بنعم الله واجب والنجح بالخدمة الشريفة والافتخار بالتوفيق فيها على سجيته غالب ولا غنى عن بروز الاوامر الشريفة الى المذكور بأن يلزم حده ولا يتجاوز حقه فلا ولاء بذله من خليقة يقتن بها المضاد ولا وراثة له فى أرض الله فان الأرض لله يورثها من يشاء ، فان اطاع وأتاب ورجع عن الخطأ وعاد الصواب والا فما قصدنا الا أن نقاتله وهو لأمر الخلافة المعظمة مخالف ونحن طايعون والمشار اليه متصائم^(٢) ونحن سامعون .

ومنها فان جنى جان على الدولة العباسية بالنيابة عنه فى ذلك لا يقرب عن دخل معتقده وتنكب نهج الحق وجوده فالأولى تقليد المذكور جميع الولاية فان دخول الأيدى المختلفة من الاعداء شاغل ويحتاج الى مفرم ينفق فيه العمر بغير طایل وبقاؤنا فى هذه الدار القليل اللبث التصير

(١) بليد فى اطراف الشام بين الشام ووادى القرى على طريق حاج الشام معجم البلدان ١ - ٩٠٧ .
(٢) فى الاصل : متصائم .

الملك يؤثر أن نغتنم في الخدمة الشريفة النبوية والطاعة الامامية في مجاهدة العدو الكافر الذي صار له البيت المقدس محلا للارجاس ومضت عليه دهور وملوك لم يحصلوا من رجائهم تطهيره الا على اليأس . هذا وما بنا بحمد الله قصور عن أن نصده عن قصده ونرديه ثوب العجز برده ونكيل له بضاعة ونعثره في عثر اسراعه وقد طالع الديوان العزيز بطيه مستشفعا ولشرح قصته مستوفيا ولعذره في جميع الاحوال مبليا ولا غنى من نظره السامى ليكون للاحوال متوليا ولراية الحق معليا لازال لذخاير الحمد مقتنيا ولقواعد المجد مبينا ورأيه أسمى .

قال رحمه الله : وفي هذه السنة سنة سبع توجه الابرنس بالكرك الى تيمنا وتقرب من المدينة النبوية على ساكنها السلام فشهد عز الدين فرخشاه واستعد ووجد التوفيق الالهي وجد وتوغل في البرية وما زال على مقابلة الابرنس حتى نكس ذلك اللعين على أعقابيه وأذله عز الدين بحق باسه فبطل ما كان في رأسه (١) .

وقد جرى ذكر ذلك في الكتاب الذي انشئ الى الديوان العزيز وأعرب عنه باللفظ الوجيز . قال وفي هذه السنة توجه السلطان الى ثغر الاسكندرية وخيمنا عند السوارى وشاهدنا بسنا قدومه أشعة زند الاقبال الدارى وشاهد الاسوار (٢) التي جددتها وأمر بالاهتمام والاهتمام بالاحكام .

وقال السلطان : نغتنم حياة الشيخ الامام أبى طاهر بن عوف وهو اسمعيل بن على بن عوف فحضرنا عنده وسمعنا عليه موطأ مالك بروايته عن الطرطوسي في العشر الاخير من شوال . وتم له ولولاده ولنا السماع والوالى بالثغر المحروس فخر الدين قراجه وقد أرتفعت بحسن سيرته عن تلك البلاد السماجة . وفرعنا مفارة الاسكندرية وقضينا منها عجبا وخرجنا من البلاد ولم نقض على الكمال اربا وعدنا الى القاهرة في ذى القعدة وشرع السلطان في الاعداد لسفر الشام واستصحب العسكر الهام وضربت على البركة بالبركة مضاربة وكتب بحركته الى الآفاق وتحركت كتايبه فكتبت مناشير البلاد وتسلم عسكر مصر قسمين فقسم في ثغورنا يحكم الملك العادل

(١) في الاصل غير واضحة وكذا من المرجح .

(٢) في الاصل : الاسواق .

وقسم في الصحبة ووصى كلا من المتيمين بملازمة النفر الذي هو فيه ، وأمر بهاء الدين قراغوش باتمام السور الدائر على مصر والقاهرة ، وأمره بمواد العدد الواغرة وأقام الى آخر السنة للحل والعقد والإبرام والنقض وسيأتي ذكر رحيله في آخر السنة ان شاء الله تعالى .

ذكر آفة ضيافة

قال رحمه الله : كان الأمير مجد الدين سيف الدولة مبارك بن كامل بن منقذ لشمس الدولة نايبا بزييد ثم استقاله وانفصل وناب بزييد أخوه حطان وكان قد ابتاع من السلطان الناحية المعروفة بالعدوية وعدل احوالها بالعمارة السوية وهو من أهل (٢٠٤ ب) المجد والأبوة والفضل والمروءة وكانت بينى وبينه صداقة بصدق العقيدة معقودة ومثارية بزماء النسب الأدبى والحسب العربى مقودة وربما أقام بالعدوية اياما وهى ذات جنان وعيون وأفنان وحدائق فاخرة ، وهى على الحقيقة جنة القاهرة فدخلنا اليه بها يوما وذلك في أول السنة فمضينا في جمع من الأفاضل منهم شمس الدين ابن الفرائى قاضى العسكر ، وموفق الدين أبو يعلى حمزة بن الحسن العنزى وجمال الدين الفقيه والشاعر أبو على الحسين بن رواحه حتى قربنا فقربنا القاضى واستقبلنا وتلقانا فوفى كلا حقه من السلام والترحيب والاکرام وترجلنا ودخلنا دارا دارت له الاقدار بالاقدار ووردنا عنبا عدا لم تطرقه يد الاكدار واجلسنا في الرواق كالمملوك والممالك في الروق قيام واستيقظ لحظنا ناظر الدهر وصروفه عنا نيام ، وما زلنا في جد ومراح حتى طما على نهر النهار من الليل السيل وجر على الاتفاق من جلابيب غياهبه الذيل فازهرت نجوم الشموع في أبراج تلك الأروقة واشرقت شمسها للشموس المشرقة وما منا الا من زكت أثمار غرسه وذكت أنوار شمسها ونثرت عقود نظمه وكثرت نقود فهمه حتى تبسم الصباح وسعت ينابيع النور من ساحل لجة الديجور فأصبحنا على ما أمسينا عليه من جوار وار وشعار من العار عار . وقال الأمير الأديب : ما تقولون في نزول النيل فقلنا : لأمرك الاتباع وحكمك المطاع فركبنا عشاريا مخضت بالمحاسن عشاره واغرب من نجاره العربى نجارة فتوسطناه شمسها والبدور على الاطراف والممالك محيطة بشرافاته المحيطة بالاملاك والاشراف ، وأنفاس الصبا تصبى النفوس وشموسه الحجال تحجل الشموس والمركب صاعد ونازل والراكب جاد وهازل ، وعندنا كل طيب وطاهر وبهى وباهر وزاه

زاهر ثم استوت السفينة واحوتت عليها السكينة وملنا للخروج وعدنا الى الجلوس وقتلنا : قد اطلنا وأحجرنا وأملنا واضجرنا فان اذنت فحلف اننا لا نقوم بل نقيم وأنه يتكلف بكل ما نروم ولا نريم ، فذبح من الغنم قطيعا ، وصنع قري وسيما ، ثم راينا اننا نستريح بالقيولة لعزم البيتوتة فقمنا وقتلنا ومال بنا الكرى وملنا ولم ندر أن النور غيور والأصل عثور فما شعرنا حتى ايقظنا الارتياح والارتياح وتقطعت بالمتواصلين الاسباب وأصحاب الامير تشاوروا وتشوروا فقلنا ما الخبر وهم غشا صفونا الكدر فقاتلوا هذا الامير قراقوش قد أحرق ببسيطة هذه الحديقة لقبض الامير وقد شغلته مسامرة الحادثة عن الحادثة السмир ففرقنا وتفرقنا وركبنا اذ انكبنا ونتقنا ولا عطف أحد على أحد ، ولا اخذت يد بيد حتى عدنا الى القاهرة متأسين متأسفين ملتهبين ملتحمين ، وكل من يلتقنا من اصدقائنا يغبنا بالداعبة ويقول كنتم على الامير مبارك مباركين فلم لما أخذ كنتم له تاركين وهلاك كنتم في المكروه له مشاركين فنقول : هذا قدر محتوم وسر للغيب مكتوم ، وشاع عند سلطاننا سره وأعجبه امرنا وأمره ونقول ما أسفنا على تلك الحلاوة التي مرت ومرت والطلاوة التي سادت يوما بعدما سرت واحمدت العقبى ووجدت العقبى .

ذكر السبب في القبض عليه

قال كان خواص السلطان اذا خلوا به ذكروا المذكور وان له الذخر الوفور وأنه استوعب أموال زبيد واقنى الاماء والعبيد ، وكثر كنوزا تأبى أن تبديد ولو حضرت ملأت اليد فيقول ما عليه سبيل ولا لما تذكرون دليل ، وقد اغناه الله في دولتنا فلا نفقره ، وعظمه بعظمتنا فلا نحقره ، فكانوا يتمتعون من هذا الحديث ، ويقولون عليه الاتاويل ، ويحققون فيه الأباطيل الى يوم الدعوة العدوية ، واشتغاله باشغالها وتحوله اليها لاحوالها ، واستدعاء آلات من البلد واحتفاله بجمع المطرف والمتلد . فقالوا للسلطان أن سيف الدولة اليوم في همة عظيمة وحث عزيزة ونهز هزيمة ، فان لم تدركوا فات ، وهيئات هيئات ، فأمر بهاء الدين قراقوش بأن يعدى الى العدوية العدوى وأن يركب (١) الجد في احضاره وجدوى فجاءه فجأة على تلك الحالة ولما رآنا عنده عرف اختلال تلك المقالة فاركبه على عادته الجميلة

(١) في الأصل ركوب وكذا يتطلب السياق .

وعزته الجلييلة ونحن معه/ (١٢٠٥) وللامير قراقوش عاتيون وسرنا الى
العصر حتى وصلنا الى القصر فأفرد الملك العادل له فيه دارا ورتب له
ولاصحابه من وصايف الطعام والشراب ادرارا فسمح السلطان خاصته
بثمانين ألف دينار ولم يظهر فيها بيع متاع ولا استدانة عقار وعزم لآخوى
السلطان الملك العادل وتاج الملوك ما حافظ به على نهج كرمه المشكور (١)
وخرج مشرفا مكرما وزاد السلطان في ثكمرته ورفع مرتبته ونفذ اليه خط
يده بأن المبلغ دين في ذمته ثم باعه أملاكا بمصر بثلاثين ألف دينار وبذل له
كل ما طلب عن ايثار واختيار .

وكان هذا الامير من راحة عقله وحصافة فضله ما سمعت منه قط
شكوى ولا حكاية في بلوى ، وقتل أخوه حطان بزبيد وأخذ ماله فلم يظهر
للسلطان منه كراهة وكل شيمه نزاهة ونباهة قال ومما انشدنيہ لنفسه قوله
في حال أحضرت .

وهيأ ما زالت عساكر حسنها	تغير على العشاق ثارة ثائر
لها في احمرار الخد خال مورد به	خضرة شفاقة للنواظر
نقلت لها ما ذا النجيع الذي أرى	وهل صيغ خال قبله من جواهر
نقالت وقد لاح الحياء بوجهها	حالت جيوش البحر بين المجاهر
سفكت دماء وانسنتتت مزاييرا	فما ذاك الا من دم ومزايير

قال وفي هذه السنة تقرر مع سيف الاسلام ظهير الدين طفتكين بن
أيوب أن يمضى الى بلاد اليمن وزبيد وعدن ويقطع (٢) بها الفتن (٣) ويتولاها
ويولى ويعزل ويستثبت ويستبدل . فسار بعد مسيرنا الى الشمام
وجرت مملكته فيها على احسن النظام وذلك في سنة ثمان وسبعمين .
ووصل الي زبيد وخط حطان عن راحته فاستشعر وأوى الى بعض الحصون
في ذروته وأمنه وسكنه وزال مخافته وأظهر له رافقه ومارجه ومنازحه

(١) في الأصل : المشكوك وكذا من المرجح .

(٢) في الأصل : مطموسة وكذا من المرجح .

(٣) في الأصل : القين .

(ونافقه وأمنه) (١) وأثر له في داره وأدخله الجنة وهو في ناره وهو يقول :
أمرى بتمشية مشيتك يتمشى وملكى يتوشية تدبيرك يتوشى وأنا في مراد مرادك
اتعدى وأتعشى فقال له حطان : أنت السلطان ومنك الاحسان وفي تخلية
سبيلي لك الامتنان وقد تأكدت منك بالامان الايمان فقال له ما أردتك عندي
الا ليرى رأيك زندي ثم أذن له في الانفصال الى الشام وهو يبدى الكراهية
ويريه أن يعيشه بمقامه لديه الرفاهية فجمع حطان كل ماله من سبد ولبد
ولجين وعسجد وياقوت وزبرجد وآلات وعدد وحصن وحجور غراب ومال
أنفذه من اليمن بغير حساب ثم قدم أمامه أحماله وأثقاله وظن أنه نجا وفاز
وركب الاوقات فورد اليه ليودعه ثم يشيعه ويركب معه فلما دخل اليه
اعتقله وسير وراء ماله من اقله والى خزانته نقله ثم أنفذه الى بعض
معاقله فحبسه ثم قتله ومما ذكر السلطان عن خبر ذهابه أن نيفا وسبعين غلافا
من غلف الزرد كانت مملوءة بالذهب الاحمر المنقذة وقوم الماخوذ بالف الف
دينار ، وأما صاحب عدن الامير عثمان الزنجيلي (٢) فانه لما سمع بسيف
الاسلام تجهز الى الشام قبل ان يحطم كتطم حطان بالحطام .

نكر عاطفة مستغربة

قال : أقام الملك عز الدين فرخشاه بعد أن صار السلطان الى مصر
بالشام فهيب ورجى وأمل وخشى فعن للفقيه العلم خطيب مرة أن يزور
على السلطان مثالا يتضمن له منالا شبه فيه بالحظ السلطاني وخطى ووقع
له أن يصيب بالتوقيع وهو المخطى فعرضه على عز الدين فما خفى عليه
تزويره ودار في الايقاع به مع انه من أهل العلم تدبيره ، وهابه العلم وارتاع
وارتاب وأجاب غراب البين ونوى الاغتراب ووصل الى مصر وهو مرتعب
ومرتعب وقد سير عز الدين بالتوقيع المزور الى مصر نجانا وترقب في أمره
بالعنف جوابا فما تحدث السلطان / (٢٠٥ ب) بحديثه بل أذن للعلم في الدخول
وأجلسه الى جانبه وأكرمه وسأله فيما وفد الأجلة من مطالبه وأتسه بالبشر
والطلاقة وصان ماء وجهه من الراقاة فقال له : أية حاجة أوفدتك وأية ضرورة
من قرب الأهل بعدتك فهل كتبت الينا بالغرض فكنا نعد قضاؤه من المفترض
فقال له : اصدقك عن حالي وأخطى بالى المشغول عن بلبالي قد جرى مني

(١) كذا . ما بين الحاصرتين غير واضح .

(٢) في الأصل : الزنجاني .

كيت وكيت فضاق بى بعده البيت فقال : هذه القضية تعزى بك الى التغريب
وأنت تثرى بمأموك ولا تثريب ونحن نحقق ما عدوه مزورا ونودع روح
المعلى فيما أحضر مصورا وأمرنى بأن أكتب له توقيعا بضعف ذلك الادرار
وكتب له بخطه الاشرف وشرفه بالكسى والمسال وأعادته الى الديار فتعجب
الناس من هذه الرغبة الغريبة والصنيعة البديعة فعادة السلاطين الانتقام
ممن يزور على توقيعهم بالايقاع الشنيع والعقاب الفظيع فخالف تلك الطباع
وخرق ذلك الاجماع وأبدع مع عفوه الاصطناع .

وقال ومن كرمه وحلمه أنه كان له امام يصلى به وهو يكتب مثل خطه
فأطلق به أموالا وأصلح وأنجح بتزويره لاصدقائه أحوالا وآمالا ولا يشك
صاحب ديوان ولا متولى خزانة فى أنه صحيح وبالجود صريح فلما دام سنين
انكشف وشارف عند السلطان التلف وجلس خواص السلطان وامراؤه عنده
يفرونه به فمنهم من يقول تتطع يده ومنهم من يقول يقتل ويعطى جسده
فلما فرغوا من حديث العقوبة جذبتة المثوبة وثقلت له بالعجمية سرا تهبه
للقرآن فقال وهته مرضاة للرحمن فتنفس خناقته وعجل وكاد يحبس إطلاقه
وأبقى عليه خيره حين استبدل به غيره وصار بعده للملك العادل اماما وبقي
شغله معه مستداما وعزم ذلك الامام على الحج ذلك العام فودع السلطان
وقال له اجعلنى فى حل فقال السلطان : بل أنت تدعوا لى فى حلك والاحرام
وثق منى عند عودك بالبر والاكرام .

نكر سهوة نظير

قال : كان السلطان عشية توديعه لأهل مصر جالسا فى برادقه آنسا
بفيالته والمجلس غاص وعارض فضله بتلك العراض عراض وكل واحد
منا ينشد بيتا فى الوداع ، ويورد أحسن ما قيل فى برج النزاع وهو يقول
ما أعقب هذا الشميم وأطيب هذا النسيم ، وما ازهى هذه الأزهار وما أسحر
هذه الاسحار فأخرج أحد مؤدبى أولاده رأسه وصوب للتفتيس كرية أنفاسه
وأنشد مظهره لفضله :

تمتع من شميم عرار نجد فما بعد العشية من عرار

(١) فى الأصل الاصطفاء وكذا يستقيم السياق .

فلما سمعه خمد نشاطه وتبدل بالانتقاض انبساطه ونحن ما بين مغضب ومغض ينظر بعضنا الى بعض وكأنه نطق بما هو كاين فى الغيب فانه ما عاد بعدها الى الديار المصرية حتى انتقل من دار الغفران الى غرفاتها العلية .

قال : ومن جملة نسج المعلمين فى القول ما حكاه لنا شيخنا أبو محمد ابن الخشاب بالعراق قال : وصلت الى تبريز وقد أحضرني رئيسا فى داره وقد احتفل فى مرابعه بمبارده وأجلس ولده بين يدي ليقرا بعض ما تلقنه على فقابلت احسانه باحسانى وقرظت ذلاقة لسانه بلسانى وقلت فرخ البسط سايح فتال معلمه وكان حاضرا نعم وجرو (١) الكلب نابج فخلجت من خطأ خطابه ومقصوده ان يذكر قرينه ولا يبالى بعينه قريرة أم سخية ودأب آداب اولاد الملوك والرؤساء لاجترائهم على أعزة اولادهم الاجتراء على الآباء وانما يصلح لجالسة الملوك من يتحفظ فى كلامه ويتيقظ حتى فى منامه ويوافق محبة مرامه ويلازم مهابة مقامه ويجرى فى عقود النقود وخصوص الفصول على نظامه وختامه .

ذكر بطشه فرنجية وقعت الى البحر (٢)

فصل من كتاب الى الديوان العزيز بشرح ذلك : وجرى عند ذلك من الاتفاقات الحسنة فى هذه السنة أن بطشة كبيرة من مراكب الفرنج مقلعة من بلد لهم يقال له يوليه تحتوى على ألفين وخمسمائة نفس من رجال القوم وأبطالهم وهم على قصد زيارة القدس فى الساحل فالتهم الريح الى ثغر دمياط المحروس بجدهم المنكوس ففرق منهم الشطر (٢٠٦) وشمل الباقين بأسرهم الأسر وسقط الفرنج فى أيديهم وحصل منهم فى الأسر زهاء ألف وستماية وستة وسبعين نفسا ذل لها جانب الكفر وقامت بها على الكفرة الفجرة حجة النصر . قال : ودخلت سنة ثمان وسبعين وخمسمائة والسنتان لمضاربه (٣) مبرز والإيمان لعساكره مجهز ومصر قد أبرزت أثقالها وحقت « وألقت ما فيها وتخلت » (٤) وقد خفقت ذوايب الدوابل وانتظمت بحار

(١) فى الأصل : جره .

(٢) فى الأصل : بحر .

(٣) فى الأصل : مضاربة واللام لازمة لإضافة لاستقامة السياق .

(٤) سورة الانشقاق : آية رقم ٤ .

السوابح وأطردت جداول الصفايح وخرجت المعارف للتوديع والاشياع
 للتشييع ونحن على العزم الصريح السريع وما منا الا من استكثر من الطهر
 والزاد واستظهر بوفور الامداد وعزمنا على الرحيل من بركة الجب خامس
 المحرم على طريق صدر وايلة ثم كانت منازلنا على الجسر ووادي موسى ووصلنا
 السير بالسرى حتى قطعنا بعد خمس ليال الى ايلة العقبة وسمعنا بأن
 الفرنج مجتمعون بالكرك لقصد الطريق فصممنا العزائم على جمعهم بالتفريق
 وشحننا الجدد وأنفذنا الى اطرافنا الجنود ثم فرضنا عقبة شتار وذكرنا
 الاوتار وشددنا بالقسى الاوتار فلما وصلنا الى القريتين اقمنا لتدمير العدو
 واغرنا تلك الايام العشرة على طرف بلاد العدو ونواحيها وأزلنا نقوش عروشها
 بمواحيها وأنبتنا في ثانيا تلك الثغور من بيضها بيض أفاعيها فمكثنا على
 أنهم بغارتنا يسمعون وفي غزوتنا يطمعون فما برحوا من وراء جوارهم وراى
 جدواهم قتال السلطان ازوادنا ما تفى بالمقام ومعنا خلق كثير من الخواص
 والعوام فأقام في كماته المجردة وقال لآخيه تاج الملوك بورى : خذ الناس
 معك واقصد بهم على طريق مأونة يمينة تسارت آلايه منتظمة واتخذت الدجنة
 جنة وأدلجنا وسار(١) السلطان على سميت الكرك وبيننا وبينه وهو مقابلنا
 في العرض مسافة يجمع ويقصر فيها الفرض فوردتنا البشائر بنصر عز الدين
 فرخشاه وظفره وأنه غنم وعاد بكرم مآثره وحسن أثره وسأذكر شرح هذا
 الظفر بعد انتهاء هذا السفر . ثم اجتمعنا بالسلطان بعد اسبوع على الاردن
 ثم جئنا الى بصرى وهنا استقبلتنا أنعم الشام وتلقتنا أيام من الايام وجاء
 الملك المنصور عز الدين فرخشاه وقال قد نال الاسلام باقباله ما كان يرجوه
 والكفر ما كان يخشاه وأقرت بجماله وجميله الأعين والألسن وشهدت له
 شواهد فضله بأنه المحسن المفضل وجنت الينا دمشق ثميراتها ووجبت بحكم
 الشوق المسارعة الى دخول جناتها ووصلنا الى دمشق يوم الاثنين سابع
 عشر صفر ووجه الدولة قد سفر ودخلنا منها الى جنة النعيم وفزنا منها
 بالمقام الكريم .

نكر ما تم بهفضة عز الدين فرخشاه

قال رحمه الله لما عرف الفرنج رحيلنا من مصر وجمع من الناس ومن
 التجار وأهل الشام الذين تغربوا خوف الفلا من الشام اجتمعوا الى الكرك

(١) في الأصل : وصار .

وعرفت أن وكيدهم إلا لسيفك لا يرب
بأس وجود أن ذكرتهما فمن عمرو وكعب
عليك علمت الفصاحة كلنا فالعجم عرب

قال : ونعت عز الدين بمعز الدين تميزا له وتفضيلا ، وقد حسنت البلاد بمحاسنه وزينت بمزايحه ، وأخصبت بوجود جوده وسعدت مطالعه بمطالع سعوده ، وله مهابة ومحبة في قلوب القبول وتناسب وتناسق في عقود العقول .

نكر نهوض السلطان الى طبرية وبيسان

قال رحمه الله : ولما القينا بدمشق عصا النوى عاد لنا الى ذكر الغزاة الهوى وقال السلطان : لا راحة الا في التعب ولا دأب لنا غير الدأب ، وكيف لا نغتنم طيب الزمان وفرصة الامكان ، والعساكر بحمد الله ماضية العزائم مضية الصرايم ، وبرز بجموع العساكر والبحور الزواجر وأغار على طبرية وبيسان (١) وفتك وفتك وكسر وأسر وسل السيوف وقتل الالوف وأذل الانوف ، وكانت وقعة شديدة ونوبة للهداة مبدية وللعداة مبيدة . واستشهد من المؤمنين رجال الى حمى الحمام عجال وعاد السلطان ولحزبنا القاهرة قبول واقبال ولحرب الكفر البائر أوجال وأوجاع (٢) وكانت عودته من غزوة طبرية رابع شهر ربيع الأول ، وكان مخيم السلطان في هذا الفوار وعاد اليه في الغزو والفواز ، وطال مقامنا به وبلينا باحبتنا بمكروه ، ولم نقدر على اجتيابه فان ماءه ثقيل وهواءه وبى وبيل وجوه عاقد وجواه واقد وعيونه أجون (٣) وما لساكته سكون فالحيات أتراب أترابه والضفادع جازات ضيائه والاساور أساور أحجاره والافاعي مشاجرات اشجاره ، فخنفت على مزاجي من انحرافه ، وأشفقت على نشاطي من انصرافه وأنشأت رسالة وعرضتها على الاجل الفاضل في تلك المنازل وسميتها برسالة الحيات من الرسايل وهي التي من الفاظها : المملوك في منزلة عيونها سخينة وقطائفها ثخينة وفوارها فوار وانجادها أغوار فوساكنها غير ساكن،

(١) في الأصل : بنيان .

(٢) مراعاة السجع تقتضى أوجاع وأوجال .

(٣) في الأصل وشجونه .

وقاطنها غير آمن وجدا جداولها علاقم ، وخبا جنادلها أراقم ، وحياتها
موحيات وناقشاتها نافذات ، تسعى ملتويات وتلتوى ساعيات كأنها ترك
الترك سهامها والقسي ، والقت السحرة حبالها والعصى أو نبذت السرايا
بالعراء السراء وتيدت الفزاة بأذاهم/ (٢٠٧) أساورها الأسراء ، ساعيات
بالشر كالإقلام السعيات ، تاليات بألسنتها آيات الفكيات ، كأنها صاغت من
سنبليها الخلاخل أو أرغت من لوازعها الفوايل أو رمت للمساوى مساويكها
للسناك ، ووضعت للعصيان غضبها الفتاك أو حذفت للقارح وراء الفيض
الفرسان وناورت في المأزق على إيمان الشجعان المران ، ثقال الرعوس
غانها قصب الغروس ، وهي حطب الخطب وخشب الأشب وخرعات المحن
وتذافات الاحن وحذافات السفن وجاريات القدر وحادثات العبر ، من طوال
كحراب الزنج وقصار كيبانق الشطرنج ، وأوساط كاسواط العذاب ، سراع
كأنامل الحساب ، وخاطفات كبارقات السحاب ، ومارقات النشباب ،
مشجرات في الأشجار كأنها أغصانها مستكنات في الاحجار ، كأنها خباتها
نواظر بعيون كالجمر أو كالشرار ، كوا من تحت الصخور كأنها أسرار ثلوب
الأشجار ان صعدت في الصعاد فالأسنة ، وان أشفقت في إجهاد الجياد فالاعنة
وان تعلقت بقوايمها فأشباه الأشباح ، أو قيود القيود كالرياح ، وان التفت
على أذيابها فكالامطار ، وان نشبت في سبورها فكالأسبار من خضر كضغابيس
الخضر وهم كفرايس الحضرة ، تخفف كصوائح الاصداع أو كنافخ الصواغ أو
كباشق الاتراك أو كألوية الأفلاك وبتير كأيدى السارقين ، وسود كأعمال
المجرمين ، قوابل كأطماع المغيرين ، فواتك كأسياف المغيرين مخذولات
كالأزمة في الهرين بهامات كالكرين وقامات كاتساع الوضين ، تنساب
كجداول البساتين وتنثنى كأغداق العراجين وتعدم في دار الديموم كأنها
تسبح وتعموم كالاساطين كان البطاح بها أجم وأوهاد بها اكم والرمال منها
غروق ، وكالنبال لها مروق ولذوى الأودية منها أقلام ولرعوس الجبال منها
اعلام ، وكأنها مكاحل كحائنا الشريف وانبساطه ، وصفارته أشباه العهود
وأهب النهود أو حنك الشهود أو سكك اليهود أو نكل ذوات النهود أو أذنان
النمور وأعضاب الخيول وأنياب الفيول ، أو طوامير الكتاب أو مسامير
الأبواب من كل غليظة متعطفة على دقيقة منقطة ، رشيقة كالخوص وأسهم
الوتر على الحقيقة ومن كل رقتاء اذا استلخت من جلدها ، ألقت كم درع
وأبقت حديد ذرع وسوداء كصحيفة المجرم كصفحة المتلوم ، قصصيرة
مقصرة الأعمار ، دقيقة جليلة الاخطار ، رشيقة كسهم الراشق ، نحيلة

كجسم العاشق خفيفة كخفافة الباشق ومن كل صل شجاع كلص شجاع
ومن كل اسود سالح وأبتر نافح وأشم شامخ وأصم باذخ وأرقت كالوشى
المنهم كأنه رشا المائح أو قمصة الماسح أو صعدة الرامح ، أو كأنه سجل
الحاصد أو مبضع القاصد ، أو كأنه مزمار الزاط أو زنار القبط ان استدارت
عذرقه التارس ، وان استقامت فخشة الحارس ومن كل اقترن كان فى رأسه
سنايق سنانين أو فى حجاجه سراجين ، أسود تفرق بين المرء وحياته فهو
غراب البين ، حنش فى أنفه خنثى فى خيشومه فطس فى عنقه قعس ،
ناظره نار أو دينار انقرب فتوار ، وان تلوى قصم سوار هامته مستديرة
كالرحى وأنيابه عضل كالمدى مدرع بنظر عيناه من وراه قير ، أو كأثما
النسيم عض وجه القدير ، لسانه كذبالة الشمعة عند النضضة وشدها
كفكى عجوز عند المضضة تكش كشيش البكر ، وينش نشيش القدر ،
أهابه لاذ ونابه فولاز ، وعطفه مايل ، ووشاحه حایل ومنه خایل سمه قاتل
فهذه حالة هذه الحلة فى همامها وهمومها وسمومها ، وهواؤها وبى وبيل،
كل صحيح غير النسيم عليل بها نخقت سوق الاطباء وخفقت سوق (١) الاحياء
وضعفت جسام الأجسام وتضاعفت اقسام الاسقام .

نكر مكرمة للملك عز الدين قرخشاه

قال : ولما رحل السلطان من الفوار الى رأس الماء (٢) والأرض طيبة
الهواء ارجه الارحاء والخيم قد نزلت بوادرها وانتظرت أوائلها ليصل بها
أواخرها وأنا ساير فى موكبى ساير الى مصرى ، وقد نزل الملك معز الدين
فى مقدمة المراتق السلطاني على مرج بهيج ، وروض أريج وعين
تعرف بأمر الدنانير وقد بسط عليها قدام مضاربه من البسط الموشاه الموشعة
التخيير فلما أبصرنى قال : هذا العماد ساير وهو علينا عابر فنادى بى الى
ناديه ووردت حلول واديه فوثب لى مكرما ورحب بى منعما وأجلسنى الى
(٢٠٧ ب) / جانبه معظما ، وقد أحضر عنده بطيخ اعدت بدوره أهله ، وأقامت
صنوره على طلاوة ظاهرة وحلاوة باطنه أدله ، ومكث ساعة وأنا مجالسه
ومحاورة ومؤانسه فقلت له : هل عرف المولى ان هذه العين تعرف بأمر الدنانير

(١) هكذا فى الاصل ويرجح أن تكون مطلوب .

(٢) ميدان فسيح للحرب فى حوران على بعد نحو عشرين ميلا من

Damascus Chronical, p. 306.

انظر :

ولا نظير لنصرة رياض دولتك فى هذه الروض النصير فاعتقده منى بطلب الدنانير تعريضا واخفاه فى نفسه الكريمة ، ثم تعجل رحيلنا صوب الشرق ، ولما خيمنا على بعلبك عابرين خرج الينا صارم الدين خطلخ واليها وأخرج الى مائة دينار مصرية فى صرة وواصل أيدى بره بميرة من حنطة ودقيق وشعير ومن الاغنام والطيور كل كثير ، وناولنى كتابا من مخدومه معزا الدين مضمونه تبريح لوايح الاشواق والتصريح بلواذع الفراق اتنى ما نسيت عين الدنانير فسيرتها وعينت المحمدة وتخيرتها فكتبت فى جوابه ما أكرم من أتيت فى يدى وأقر ما قر من عان أبى الطبيب ولله در الجود البكر المولدى ولا سيما وبكر حمدي واسطا فألبثت وأطلت الرسالة بذكره وخلدت ذكرها كتخليد ذكره ثم تعجبت من تيقظه للمكارم وتحفظه من المكاره وما بينه للكرم غير الكريم التائه وجمعت فى مدحه وحمده نظما ونثرا بين المحكم والمتشابه .

نكر مكرمة مشتركة

قال رحمه الله : كان السلطان بمصر زوج احدى خطاياهم — أولاده لامير كبير من أكبر أمرائه ، وكانت عند السلطان فى موهبة متسعة ومرتبة مرتفعة ، وكانت لها فى الخزانة رواتب ممضاة ، ووظايف مجراة ولها نفقات وميراث ورسوم وكسوات فلما وصلنا الى الشام قال لى السلطان : فى بعض الايام اكتب الى مصر بقطع ما لفلائه من صلة ورواتب (١) مقصلة فقلت له ما يستحسن ما نكارى ووافق ايثاره ايثارى وشكرنى على التنبيه شكر النبيه للتنبيه وبقيت تلك النعمة مدة عمره عليها داره وتلك المسيرة بها بارة هذا على أنه لم يكن لى بها ولا بزوجه معرفة الى حسن المناب عنها داعية ولم تعها منى فى القضية اذن واعية ، ولا ذكرت هذا الاحسان ولا عقدت به الامتان وانما ذكرته الآن من المكارم السلطانية ومنايحه السنية .

نكر العزم على قصد حلب وعبور الفرات

قال : ولما وصل الى الشام اظهر الى قصد حلب صدق الاعترام وانه لا بد له من استضافتها للامن من آفتها ، ولما عاد من غزوة طبرية وبيسان توجه على سمت بعلبك وخيم بالبقياع . وكان قد وعد اسطول مصر أن يتجهز الى بعض بلاد الساحل ليوافقه عليه ، ويسير بعساكره اليه فجاءه الخبر بانه

(١) فى الاصل : وراتب وكذا يستقيم السياق .

وصل الى ساحل بيروت (١) فبادره السلطان بعسكره جريدة فلما وصل رأى أن أمر بيروت يطول ، وكان قد سبى الاسطول منها وسلب ، وظفر من غنيمتها بما طلب ، فأغار السلطان في تلك البلاد وأتى في تخريبها واحراقها بالمراد ورجع وأعاد الملك معز الدين (٢) إلى دمشق ليقوم في سد الثغور وتسديد الأمور بالنيابة .

وسرنا لقصد الشرق وجينا الى بعلبك بوخيمنا بمرج عدوسة اياما ، وأحكمنا أسبانيا ، وسبينا أحكاما ، ورحلنا على حمص على طريق الزراعة ونزلنا على العاصي مذعنين لله بالطاعة ورحل السلطان ووصل الى حماة وكانت حماة للملك المظفر تقي الدين عمر وهو معه فأمره أن يرتب أمور ذلك الثغر ليوثبته فامتثل الأمر وما غارقه ونقل الأمراء ورافقه وسار فلما قرب من حلب تردد عزمه في المسير اليها والعبور عليها فما شعرنا إلا برسول مظفر الدين كوكبوري بن علي كوجك يشير بعبور الفرات وحضور تلك الولايات . ووصل مظفر الدين واجتمع بالسلطان وخلا به لخلابه وأغرائه بالممالك وأرغابه وقاتل له : أنا مواليك والمعالي فيك وصديق صديقك ومعادي معاديك ، وهذه البلاد لك وليس من النصيح أن لا أدلك وأنا لديك وبين يديك ، فإذا ملكت تلك الممالك ، وسلكت تلك المسالك فحلب تبقى من ورائك وأنت بعد ذلك على أيثار عزمك ورأيك والا فحلب تشغلك عن الأمور ومهماتنا والجزيرة وولاياتها ، ولك الحبة العامة والمهابة التامة فإذا عبرت الفرات سلم لك الأقاليم أقاليمها ، وجمعت لك طاعات العباد صناديدها (٣) ، وما زلت تشوقا اليك في حران حران وإلى الرق من ورد خدمتك ظمان ، وهي لك مجذولة وبأوليائك مأهولة . والرها لا تعتبر أمرها والرقعة لمرتك والخابور في انتظار خبرك ، ودارا دارك ونصيبين (٢٠٨) نصيبك إذا ظهر استظهارك وملك الموصل يوصلك الى الملك وما هذا أوان الونا وهل يقدم أحد على عصيانك وأنا أنا ثم عبر مظفر الدين الى بلدته عايذا وبنصرته واعداد وحليت صورة اجتهاده ، وتليت سورة (٤) أحماه ، ووصل البحر الى الفرات وتبدل بالفنى فقر المقننات

(١) في الاصل : غير منقوطة الباء والياء .

(٢) عز الدين فرخشاہ . وقد أطلق عليه لقب معز الدين بعد حربه مع الفرنج في بيسان وانتصاره عليهم .

(٣) في الاصل : عناديدها .

(٤) في الاصل : صورة .

خيمنا على الفرات من غربي البيرة ، وارتاعت العدى من عدوى سطوتنا
البيرة ، ومد الجسر كما امتد على الطريق السطر . وكانت البيرة قد طمع
فيها صاحب ماردين واستولى على مواضع من أعمالها فلما سمع بنا تخلى
ابن الياس الارتقى وشرعنا فى تهيئة أسباب العبور وبدأنا بنقل الاثقال على
السفن ليحصل من مخاطرة الزحام على الأمن ، وضرب كل منا خيمته بالجانب
الشرقى يحول إليها رحله وامددنا من معاقل الأرض بعدة من السفن .
والخلق كثير والجمع جم غفير فلما جزنا الفرات وجمعنا من الرجال والرجال
الشتات وتسلمنا البيرة والعراق كاتبتنا اصحاب الاطراف بالوفود للوفاق
والتنحي عن مذهب الخلاف فانه من جاء مسلما وللامر مستسلما سلمت بلاده
وصينت طرافه وتلاده على أنه يكون من أجناده لغزو(ه) الكفر وجهاده .

وعاد رسولنا من نور الدين محمد بن قرا ارسلان صاحب حصن كيفا
بذكر أنه مذن بالطاعة مؤذن بالتباعدة واصل برجاله ورجاله وأشيعاه
وأشيائه وطلب عند وفائه بالعهد وقيامه بحسن البلاء أن يعان على صاحب
أمد فانه تجرد فى عداوته وكان العائد العامد فشكره السلطان وأجاب سؤاله
وأصاب سؤاله ورد اليه مع رسوله رسوله .

ثم رحلنا من البيرة والميرة مبرة ، وألطف الله مستدرة وفى كل يوم
قوم لهم فى بحرنا عوم وفى كل فجر فجر ولكل جمع جمر وعسكر وافد
وعثير عاقد وبيارق تبرق وبوارق تخفق . ونزلنا بالرها واستمر أياما
حصرها . وفيها الأمير فخر الدين مسعود بن الزعفرانى فتنم وتذمر وتربض
وتصبر ثم رأى أنه لا طاقة فاستبدل(٦) من عبوسه الطلاقة وأرسل اليها
بتسليمها لسلامته ووفيناها حق كرامته ، وتسلمها مظفر الدين والى حران
مضافة ووجد بهما فى رتبة العلاء أنا قد جئنا(٧) الى حران ظافرين ظاهرين
قادرين قاهرين وسحب البأس بارقة راعدة، ومثارات القتات من تحت الصلاد
فوق الصعاد صاعدة وأقمنا حتى أقمنا الشعار وأتمنا الاستشعار فمرحلتنا الى
الركة وتم الحصر والنزال وفيها الامير ابن حسان قطب الدين ينال فدارت

(٥) اضافة اللام هنا يقتضيها السياق .

(٦) فى الأصل : فاستبدل .

(٧) فى الأصل : رجينا .

على قطبه الرحى ورأى من النازلين عليه جنح الدجى فى زاد الضحى ثم عرف أنه لا يطيق ومن مكر خطبه لا يفيق فبذل أذعانا وسأل أمانا وسلم وسلم وعصم المال والدم وخرج بنفائيس أمواله بعد ترك ذخاير عدده وغلاله وفارق وما رافق ووقا لصاحبه وما وافق ورفقنا ريثما أصلحنا الفاسد ، ووقفنا الكاسد وولينا فى البلد من أهل الجلد من يفى بحفظ المطرف وصون المتلد . ولما أتهمنا المصالح وأجملنا المناجح هزرتنا معاطف الزمان الى مشهد الرمان واثنيينا أعنة العراب الى عرابان (٨) وحين قربنا منها تلقنا قضاتها ورؤساؤها ورجالها ونساؤها وخيمنا على ظاهرها فرقمنا منهم الرعوس ووضعنا عنهم المكوس ووضربنا على الضرايب وقتلنا بنوب النوايب وتواصلت أخبار وصولنا الى الخابور وهبت فيه قبول اقبالنا أديار الدبور وشاع العدل وذاع ورتبنا على قانون المعدلة الأوضاع وفتحت من عين رأسها عينها وأصلحت بالطاعة والتباعة بيننا وبينها . وقطعنا نهر الخابور على قنطرة التين وأخذنا الطريق الى نصيبين يسرة ونصبنا بنصيبين خيامنا بعد ثلاث وسلكنا مسالك سهول وأوعاث ودخلنا المدينة وأنزلنا بها السكينة ، وجئنا الى القلعة وقد تحصنت وبمنعتها تحسنت وأشفقنا فى حصرها من سفك الدم وهتك الحرم ووكلنا من يمنع من الدخول والخروج وسلطنا الى اللجاج على واليها اللجوج فأرسل بعد برهة من الأيام فى الاسلام والاستسلام ، وتسلمناها بما فيها من أخاير الذخاير وعولنا فى تولى نصيبين على حسام الدين ابى الهيجاء السمين وكنا قد ولينا الخابور جمال الدين خوشترين . ولما توفى نصيبنا بنصيبين واختلينا من مشرق الظفر النصر المين وكانت الحشود مجتمعة والوفود مزدحمة والعقود منتظمة والسعود ملتية وقطعنا أعمال بين النهرين وأزرننا الرعية زور الرعاية وأمرنا بالعدل والاحسان فى تلك الولاية ثم حزننا الى أعمال البقعة ووصلنا الى بلد وأشرفنا على دجلة وكنا أوردنا خيلنا فى أشهر من تلك السنة فى أسفارنا الحسنة / (٢٠٨ ب) نيل مصر والفرات ودجلة فأصغت إلينا المسامع ومالت نحونا المطالع ، وتواصل إلينا مقطوعوا البلاد وترادفوا أمدادا بعد الامداد ومن ثم صممنا عزم الوصول الى الموصل وبشرنا الصوارى بقرب المنهل وأطرنا الاطراد برياحها الأربع وسرنا اليها بقصد المصيف والمربع وقربنا منها فى مراحل متقاربة وقد قدمت

(٨) أورها ياقوت عرابان وهى بليدة بالخابور من أرض الجزيرة .
معجم البلدان ٣ — ٦٣٢ .

بما اثاره الاسد عين القراءة^(٩) وبطشت من ليل العجاج بصفو النهار يد
الازالة وعادت تلك البرارى^(١٠) من مراكز رماحنا بسساتين ومن مراكز
جبادنا ميادين والليوث معتقات ثعابين ممطيطات سراجين وكأنها رياض
تخلوا بأيديها من القواصب رياحين قال : ولما قربنا من الوصول كبرنا تكبير
من ظفر بالسؤال وتقدم السلطان فى الامراء ذوى الآراء ودار حول السور
وعين لكل مقدم مقاما ولكل مقدم أقداما فنزل هو وراء البلد وتقى الدين
من شرقيه بأهل الجلد وأخوه تاج الدين بورى عند باب العمادية ، وضائقنا
الأسوار أشد المضايقة وصاحب الموصل حينئذ اتاك عز الدين مسعود بن
مودود بن زكى وتولى ناييه مجاهد الدين قايماز حفظ البلد بأحسن تدبير
وتلقى كل ما قابله من الممر بوجه يسير . وكان قد كاتب الديوان العزيز
للايساز باعزازه واعانتته على أعوازه وله موعد انجاح وانجاد عند الصاحب
مجد الدين فتقاضى بانجازه .

نكر وصول رسل دار الخلافة^(١)

قال : ووصل اليها الخبر بأن رسل دار الخلافة المعظمة واصلون ،
وفى أمر الموصل شافعون وهم شيخ الشيوخ وشهاب الدين بشير ومعهما
من خواص الديوان العزيز جمع كثير فتلقاهم السلطان بالصدر الرحب
والبشر العذب والخطاب المتوجه لصرف وجه^(٢) الخطب وكنت الى جنب
السلطان له مسائرا وفى المهام ناظرا ومناظرا والموكب مشهود والطالع
مسعود وشاع أن شيخ الشيوخ قد وصل فى الصلح واغلاق باب الفتوح
واطفاء الوقود واخفاء الحقود . ووصل مظفر الدين قزل أرسلان حسن
الجاندار واجتمعت رسل الآفاق داعين الى الوفاق فقال الذين لأنوا بنا
من أهل البلاد من الأجناد الأتراك^(٣) والاكتراد هؤلاء غدا يصطلحون ونحن

(٩) فى الأصل : القراءة .

(١٠) فى الأصل : الرارى .

(١) برق ٥ ورقة ١١ ، ١١ ب يضيف : للشفاعة ورد المواصله
بالمصلحة فى المصلحة الى الطاعة .

(٢) فى الأصل : وجد والضبط من البرق ٥ ورقة ١١ ب .

(٣) فى الأصل : النزال والتصحيح من البرق ٥ ورقة ١١ ب .

نحظى بالاخفاق وحرمان الأرزاق ونبوء (بالشقاق والشقاء) (٤) واخذوا
امان البلد ودخلوا واعتذروا بأننا نشبنا ووافقهم جماعة من أصحابنا طمعوا
في الخلع وهذه من أيسر جنایات الطمع ونحن نصرع باب(٥) المصلحة
والاستواء على المكافحة وترك قبول الشفاعة وانراغ المجهود في شغل
الحصر وبذل الاستطاعة يوفى كل يوم ثواب القتال ونعاقب النزال ، والملك
المظفر تقى الدين يحمل من جانبيه ويلى ويجرى في مضمار النضال وهو
السابق المجلى وتاج الملوك أخو السلطان يبارز ويحاجز وجمرات اللظى(٦)
تسطرم وغمات الوغى تتحطم وتشيخ الشيوخ ينهى وينكر ويقول أنا جئت
في التوسط واتع من التزريط وهذا الفصل المقتوت اذا غبت لا يفوت فان
كان لى قبول فادبروا حتى ارسل من اليوم الى القرم واتكفل في متاع
هذى المناعب برفع السوم فقلنا له :

السمع والطاعة والحب والكرامة وما احسن مرادك اذا اردت السلم
والسلامة . وتحولنا الى جانب لا يبعد على الرسل طريقته وارسل شيخ
الشيوخ اليهم صاحبه وذكر مطالبه فشرهوا يذبون في كل يوم رسالهم
ويملأون بالمراسلات الخادعة مبالغهم فخرج اول يوم جهال الدين محاسن
مع اخ الشريف الفتيب واستفتحوا فيمساءهم بالتقريع والتسائيب وان
خذلهم في خيرة شيخ الشيوخ فأنفذ الى السلطان من عرفه وصوابهم
واستدعى من ثقائه الذين يسمعون فصولهم فتقدم الى الاجل الفاضل والى
والى الفقيه ضياء الدين عيسى الهكاري(٧) بأن نحضره ما يقولون ونحمي
فادبروا ذلك اليوم بالشكاية ولم يواصلوا مبدأها الى الغاية ثم قالوا ندخل
ونخرج غدا بالحديث المبين والاثر المعين وجاعروا ضحوة الغد وذكرسروا
مطالب متكررة ومآرب مقهذرة واقترحوا اعادة البلاد المأخوذة وتصدوا بها
تقاييل الجدود المشحوذة وأنا نعود الى الفرات ثم نتكلم بما يعود بجمع
الشتات ومكنا(٨) على هذا السنن قريبا من شهر ولا تنتهى الى امر مستقر
وشيخ الشيوخ نسبنا الى اننا لا نؤثر الفضل فدخلنا في كل ما اراده وانفصل

(٤) هذه العبارة وردت في البرق ٥ ورقة ٢ اب الشقا والشقاق ووردت

الشقاوة والشقاق في :

H.A R. Gibb, al-Barq al-Shami W.Z K.M 1952, pp. 55 : 111.

(٥) في الاصل : بابا .

(٦) في الاصل : الظبي وكذا يستقيم السياق .

(٧) في الاصل : الهكاري . (٨) في الاصل : ومكنا .

الأمر على أنهم يردون إلينا حلب ونرد على صاحب الموصل كل ما طلب وكان قد عرف الأجل الفاضل نحوى مقالهم ودعوى / (٢٠٩ أ) مجالهم فانقطع بعد أيام عن الحضور وكنت أحضر والفقهاء عيسى للسمع والانهاء والتحمل والاداء ثم انقطع الفقهاء عنهم وتأنف منهم واستمر ترددى ولم أجذب عن المهم يدى فوجدوا بذلك مهلة وهم يستهدون الاملاك وينصبون الحبايل ويطلبون المقاتل والمخاتل ويظهرون الوفاق ويذهبون فى الشر الى الخلاف حتى استقر أن يدخل اليهم شيخ الشيوخ فى ابرام العقد المنسوخ فظن أن وردهم صفو وأن وعدهم من الخلاف خلو فمضى اليهم ورأهم (٩) متفرقين فى طرف التلون والتلوم غير مجتمعين على بلوك النهج الاقوم وانكروا كل ما ذكره رسولهم وان سوى ما شاء سؤلهم وأن صلاح الدين ان أراد وفائنا رد بلادنا ورحل عنا ونحن نخلى بينه وبين حلب ولا يطلب أيضا استعادنا عليها فان لعماد الدين زكى أخينا معنا يمينا فكيف يجد منا عليه معينا فان رضيتم بما سألنا والا فما سمع الناس وما قلنا .

وكان المقرر مع الرسل انهم يسلمون إلينا حلب ويستعيدون منا البلاد ويحضررون معنا الجهاد ثم ندموا على ما قدموا من التقرير وأخذوا فى غيره من التدبير فانصرف مفضيا وخرج الى بغداد متوجها وعلى نكر (١٠) مكزهم متنبها (١١) فحلوا اليه وتضرعوا وتشنعوا وقالوا : تعود وتعيد ما سمعته وتحلى من المعنى ما استملحته فلعلك ترد بلطفك ما صعب الى المنهج الأسهل ويأتى بالحل بعد النهل فرجع بغير مارجا واستكشف عندهم حجاب الحجب فلما اجتمع بالسلطان استعفى من الكلام واستوفى حديث ما سمعه وأبصره من الاقسام فقال له : هذه أشبه شراف وقد عزمنا أن نرحل ونهيب لوصولك الموصل وكان نزولنا عليها فى رجب ودخل شعبان وامتد الزمان .

(٩) فى الأصل : وراءهم .

(١٠) فى الأصل : مكر .

(١١) فى الأصل : منتها والضبط من برقي ٥ ورقة ١٦ ب .

ذكر الرحيل الى سنجار وفتحها (١)

قال : كان من بسنجار (٢) من عسكر الموصل مدة مقامنا عليها يقطع دوننا الطريق ويمنع السير فأمر السلطان ابن أخيه الملك المظفر تقي الدين عمر أن يهضم لحصر سنجار وقصر من جاور غسار في الأسد والغاب والجيش الغضاب فنهض في بحوره وأبواجه وجموعه وأفواجه ، وخفقت كواسره ورعدت تساوره وترتبت ميمنة وميسرة ، وقلبا وجناحا عساكره وصبح بمنزلة بارنجان (٣) قريبا من سنجار عسكرا من الموصل اليها مجردا فأخذ خيلهم وعددهم وثقت عدوهم ووكل بهم من ردهم الى الموصل رجالة ونالوا من عثرتهم منه اثالة واحتبس عنده مقدمين محترمين مكرمين وكتب بخبرهم اليها وقال : قد وفينا بها علينا فاغتنموا استضافة سنجار فانها غنيمة وخير ما تصمم له عزيمة فرحلنا ومعنا رسل دار الخلافة ومطالع المطالب مؤذنة بالانابة والانافة ولاح سنا سنجار بعد ليال ونزلنا على عيسونها ، وطرقتها الخيل طروق خيال واقتسمنا المنازل حواليتها وولينا الوجوه اليها . وفيها شرف الدين أخو صاحب الموصل فاحتفى منها بالمعقل ، وكان معنا نور الدين بن قرا رسلان صاحب حصن كيفا فأئزله في أنزه الرياض وأنضرها وأفرج البساتين وأعمرها فأذن نزولهم بنوازلها والحاق معالمها بمجاهلها فقطعوا أشجارا ووصلوا أشجانا ورموا جدرانها وخربوا عمرانها . وأنهى الى السلطان اجتراء القوم واجتراحهم ومرامى فسادهم وكان المرام اصلاحهم غيغتم ويمتعض ويرتقى الى ذروة الالباء ويرتبض ويبعد ويمتنع ويوبخ ويقرع .

فصل من كتاب انشأته الى الديوان العزيز عن السلطان : وقد ترك الموصل في العاجل اكراما للشفاعة والتزاما للتباعة واشتغل بسنجار لينظمها في السلك ويضمها الى بلاده الداخلة في منشور الولاية .

ومنه : ومن جملة نعم الله التي نحمده على اتمامها وصول المبشر من اليمن بنتح زبيد وان حطان ابق اباقي العبيد وان الكلمة فيها قد اتحدت

(١) برق ٥ ورقة ١٦ يضيف : وحصارها وفتحها وسبب قصدها .

(٢) في الأصل : سنجار . الاضافة من برق ٥ ورقة ١٦ ب .

(٣) قرية وبها خان وعين قريبة من سنجار . معجم البلدان

والقلوب قد اتفتحت . وكان الخادم قد جهز اليها جيشا من مصر لتمييد أمرها واخراج من خرج بها منها فجرى الأمر على وفق المراد وانتظم في سلك السداد .

ومن جملة البشائر الواصلة من مصر عود الاسطول المنصور نوبة ثانية اليها كاسرا كاسبيا غانما غالبا بعد نكايته في أهل الجزاير بالخسائر (٤) وبعد اخراب ما وجده فيها من الاعمار والعمائر ومن جملة ما ظفر به في طريقه بطشنة (٥) كبيرة من مراكب الفرنج تحمل أخشابا منجورة الى عكا ومعها نجارون ليبتنوا منها سوارى (٦) فأسر النجارون ومن معهم وهم نيف وسبعون وأما / (٢٠٩) / الأخشاب فقد انتفع بها المجاهدون وكفى شرها المؤمنون وللخادم عسكر في المغرب قد بلغ أقصى افريقية فتوجه وعاول به بهاء الدين (٧) في تلك البلاد روجه .

قال : ولما اتخنا على سنجار واستفتحنا الاستفتاح بالرسائل وقربنا من السور من يكلمهم فكلموه وافهمناهم الرشد فما فهموه وناظروا بالسنة الفصال ونظروا بأعين المصال فقدم المنجنيق وهدم النيق الوثيق وأغرينا النقاين برفع نقاب السور وهتك حجاب المستور . ودخل رمضان فقلنا شهر مبارك وبر متدارك ففقرنا ونحن في زى الارهاب وسكنا مظهرين التحرك للارباب فطال عليهم الأمد وضاق بهم الجلد ، وتمادت المدد فسكنوا الى السكون وركنوا الى الركون فجاءنا ليلة من أخبرنا بأن الحراس نيام فندب اليهم منا انداب نجازهم ونجادهم وضبطوهم وربطوهم وانقضوا عليهم انقضاؤا البزاة (٩) على القنص (١٠) ، واغتنموا في قبضتهم انتهز الفرص ، وهم من المقدمين وأعلام المعلمين فأصبح الذى بسـنـجـار بادى الانكسار قد عرف العقبي واعترف بالعقبى وأحسن في التقاضى واقتضى الحسنى واجيبت دعوته ورعيت أزمته وسيرت اليه هدايا وتحف وعطايا

(٤) في الأصل : الخزائر .

(٥) في الأصل : بطنه .

(٦) كذا وقد وردت في الأصل سذاء .

(٧) في الأصل : شمس .

(٨) في الأصل : كما الضبط من برق ٥ ورقة ٢٧ ١ .

(٩) في الأصل البراءة .

(١٠) في الأصل : القبض .

وزلف لكونه من الأولاد الاتابكيه ، وشرف أصحابه وخرج عن العطساء الحساب حسابه وخرج من سنجار بكوسه وعلمه وحشره وحشمه وعبيده وخدمه وأخلى لنا المدينة فأسكنها السكينة ، وخرج إلينا أعيانها وحسن بنا ظهورها وظهر احسانها أفراح رعاياها فرحين برعايتنا مفتصفين من الليالى بأيماننا مستسعين الاء انعامنا . وما أسرع ما أعدنا عمارتها واستجلينا بالمباهى مباهجها وأخلينا من المناهى منهاجها والفينا رياستها لصدورها بنى يعقوب فأثيناهم من كرامتهم سؤلهم المحبوب المخطوب . وعول السلطان فى تضائنها على نظام الدين نصر بن المظفر فانه كان أعرفهم بحكم الشرع المظهر .

وكان (١١) الأمير سعد الدين أنر (١٢) مسعود أنار سعده وسار بالذكر الحسن مجده والسلطان يعتمد عليه فى اعلانه وأسراره وإيراده وأصداره وأخته ابنة معين الدين أنر فى حيالته فلم يعتمد الا عليه ولم يسلم مدينة سنجار وقلعتها الا اليه وولاه وقدمه وحكم سيفه وقلمه وأبقى عنده من خواصه من استحمد شيمه واسترشد فى النجح ديمه (١٣) . ولما قضينا بسنجار الآراب شاورنا الأمراء فقالوا قد توسطنا الشتاء والصواب الإقامة بمكان حتى ينتضى فصله وحينئذ نستأنف الفتوح ونستزيد من الله بزيادة الشكر بره الممنوح فرحلنا الى نصيبين فأقمنا حتى ودعنا شيخ الشيوخ صدر الدين وشهاب الدين بشيرا وركبنا معه حتى توجه سائرا الى العراق وشكى أهل نصيبين ما هاج من نصيبهم بأبى الهيجاء فاستملنا اليه بصرفه رجال الرجاء واستصحبنا المذكور معنا ورحلنا الى دارا وتلقانا أميرها مصصام الدين بهرام الارتقى فأكرمناه واحترمناه وأزفدناه وأفدناه ووصلنا الى حران (١٤) فى أوائل ذى القعدة والثينا بها الحران . وسار الملك تقي الدين بمسكركه وعبر الفرات الى حماه وعاد كل متغرب من بلده الى مثواه

(١١) البرق ٥ ورقة ٣٠ ب يضيف العنوان التالى : ذكر تولية الأمير سعد الدين مسعود بن أنرقى سنجار .
(١٢) فى الأصل : أبر .

(١٣) برق ٥ ورقة ٣١ أ يضيف : ذكر الرحيل صوب نصيبين وانفصال شيخ الشيوخ صدر الدين وكان ذلك فى شهر رمضان سنة ثمان وسبعين .
(١٤) يضيف البرق ٥ ورقة ٣٢ ب : فصل من الكتاب الذى انشأته اليه بتاريخ خامس عشر ذى القعدة سنة ثمان وسبعين من حران .

واقمنا بالمخيم بظاهر حران في الخواص من ذوى الاستخلاص في أحلى حالة وأجلى جلالة وقتلنا أن الدهر قد أطمأن والأمر قد أرجحن ، واهل الموصل مع من وأزرهم في حشد وحشر وطى ونشر وأظها أيد وأضمار (١٥) كيد وقد اغتتموا لتفرق جموعنا الجموع واعتزموا إلينا لرجوعنا الرجوع ونحن مع ثلثنا ثابتون وفي حلتنا ثابتون وهم يعتقدون انا اذا سمعنا بجمعهم نتفرق واننا نتأخر ولا نتقدم وعلى ما فرطنا فى حقهم ننتدم فاستحال تخيلهم واختل تحيلهم على ما سيأتى ان شاء (١٦) الله تعالى .

تذكر وفاة الملك المنصور معز الدين فرخشاه بدمشق في جمادى الأولى سنة ثمان وسبعين

قال : وبعد انفصالنا عنه بالشام لازم الجهاد بجد الاجتهاد وصدق الاعتزام فوعك فى نهضة من نهضاته وأعضلت خلاف ما اعتاد من أعضائه، ونهك بمرضة (١٧) اشتدت عليه فعاد إلى دمشق منبها إلى الله فى طلب مرضاته وانتقل من حومة الشهادة إلى حمى السعادة ومن غار الاغترار إلى مقرر الاستقرار ومن الرتبة إلى التربة ومن الوطن إلى القرية فتيا للدهر ما تبقى بناته على بنيه ولا يلى بكوائته بالسوء سوى مواليه . لقد فجمعت الدين والدولة به ملكا هماما ماجدا ماجد فى الأمر الا بلغ وغلب ولا سعى لنجح الا ظفر بما طلب ولم يزل المستشار المؤتمن والمستجار المتمكن وكان السلطان/ (٢١٠) يقطع برأيه ويصل ويكلاً الثغور اليه ويكل . قال : رأى يوما بين يدى السلطان وهو يأمرنى بفصول أكتبها ومقاصد فى مجاوبات مكاتبات أرتبها وأنا ساكت مصغ وساكن غير لاغ ولا ملغ فعجب منى فى السكوت والسكون وأطراقتى (١٨) وترك استقهامى عن طرق تلك الفنون فلعبت به مرجحات الظنون فقممت وكتبت الكتاب ونظمت تلك الأراب وكسوت كل معنى لفظ الفضل وختمت كل قضية بنص الفصل وزدت وزنت وعبرت بحمصا الحصافة ما وزنت وجئت بالكتاب مسطورا وبالأنب منشورا فأقراه معز الدين فرخشاه فقال لله درك من فضلاء الكتاب وتلا « وترى الجبسال

(١٥) فى الأصل : اظمار . (١٦) فى الأصل : انشاء .

(١٧) فى الأصل : بمرض . قارن برق ه ورقة ٣٧ أ .

(١٨) فى الأصل : وأطراقتى .

تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب « (١٩) ولقد كان له فى عقودى اعتقاد
ولامورى افتقاد وهو من أهل الفضل ويفضل على أهله ويفنى الكرام عن
الابتذال بكرم بذله وكان من أخص خواصه وذوى استصفائه واستخلاصه
الصدر الكبير العالم تاج الدين أبو اليمين الكندى أوجد عصره ونسج وحده
وقريع دهره ، وهو علامة زمانه وحسان أحسانه ووزير دسته ومشير
وقته ورفيق درسه وشجاع شمس يروى بصوب روائه صواب
آرائه . قال : وكانت منايح عز الدين بواعث القرايح ودواعى المدايح ولى
فيه تصايد منها كلمة هائية موسومة مدحته بها فى أول سنة صحبت فيها
السلطان الى مصر وهى سنة اثنتين وسبعين وعارضها تاج الدين أبو اليمين
بكلمة بديعة فى وزنها ورويتها فأما كلمتى فهى :

بين امر حلاوة العيش الشهى وهوى أحال طلاوة الزمن البهى (٢٠)
وصبابة لا استقل أبشرها عن حصرها حصر البليغ المدره
أما عقود مدامى فلتقد وهت وأبت عقود الود منى أن تهى
ومنها فى المدح :

أنتم بنى أيوب أكرم عصبة هذا الزمان بفضل سؤددكم زهى
ان الملوك تخلفوا وسبقتم ابن السوام من العتاق الفره
(٢١)
أن يجحد الثانى علاك فهل ترى اشراق عين الشمس عين الاكمه
بك أصبحت راياته منصورة ياسيدا غنت الوجوه لوجهه

(١٩) سورة النمل ، آية رقم ٨٨ .

(٢٠) قصيدة طويلة تقع فى الأوراق ٣٨ ب : ٤٠ ب اختار منها البندارى
هذه الأبيات . وهى واردة فى الخريدة كما يقول العماد فى ورقة ٤٠ ب .

(٢١) هذا البيت ورد فى البرق ٥ كالتالى :
ان يجحد السابى علاك فما ترى اشراق عين الشمس عين الاكمه
تارن برق ٥ ورقة ٣٩ ب .

وأما الكلمة التاجية (١) فهي التي أولها

هل انت راحم عبسرة وتوله ومجير صب عند مأمنه دهى
من بل من داء الفسرام فاننى مذ حل من مرض الهوى لم انقه
يامفردا بالحسن انك مفتسب فيه كما أنا فى الصباية منتسه
تد لام فيك معاشرا فانتهى باليوم عن حب الحيوه وأنت هى
كم آهة لى فى هواه وانه لو كان ينفعنى علبسسه تأوهى
ومآرب فى وصله لو انها تقضى لكنت عند مبسمه الشهى (٢)

ومنهائى المدح :

فليحجج العلياء منه مجرب يوم الجلال وفى الجدل بمدره
متنبه للمكرمات ولم يكن يوما ينالام فيبتدى يتنبه
انى على شرف القريض لهاجر للنظم هجرة آنف متسزه
اضحى واهلوه كمهد وحيهم فى جهل قيمة ذى الحجى والاوره
كل الميز سامعا ومنشدا فى الناس بين مفهه ومفوه

(٢١٠ ب) / ذكر نصره الاسطول المتوجه الى بحر قلزم وكانت فى سؤال
سنة ثمان وسبعين والمقدم فيه الحاجب حسام الدين لؤلؤ (٣)

قال : لما صنع على الابرنس (٤) صاحب الكرك ما توالى (٥) عليه من
نكاية أصحابنا المقيمين بقلعة ايله وهى فى وسط البحر لا سبيل اليها (٦)
لاهل الكفر افكر فى اسباب احتياله ، وفتح ابواب اغتياله فبنى له سفنا
ونقل أجسامها على الجمال الى الساحل ثم ركب منها مراكب وشحنها
بالرجال والآلات ووقف منها مركبين على جزيرة القلعة يمنع أهلها من
استسقاء الماء ومضى الباقون فى مراكب نحو عيذاب فقطعوا طريق التجار

(١) نسبة الى تاج الدين أبى اليمن .

(٢) قصيدة طويلة تقع فى الأوراق من ٤٠ ب الى ٤٢ ب .

(٣) قارن برق ٥ رقة رقم ٤٢ ب . حيث يضيف لطلب الفرنج السالكين
بحر الحجاز .

(٤) فى الأصل : الأرض .

(٥) كذا وفى الأصل : تولى .

(٦) فى الأصل : عليها .

وشرعوا في الفتك والنهب والاسار ثم توجهوا الى ارض الحجاز فتعذر على الناس وجه الاحتراز فانه لم يعهد في ذلك البحر طروق الكفار فعظم البلاء وأعضل الداء وأشرف أهل المدينة النبوية على خطر ، ووصل الخبر الى مصر والملك العادل متوليها ورافع اعلام الاسلام ومعليها فأفكر فيمن يسلك الى القوم في البحر ويفتك بأهل الكفر ووقع على السهم المختار والليث المغوار (٦) الحاجب حسام الدين لؤلؤ ، فعمر في بحر القلزم مراكب وملاها بالرجال البحرية ذوى التجربة والتحرية من أهل النخوة للدين والحية وسار الى ايله فظفر بالركب الفرنجى عندها فحرق السفينة واسر جندها ثم عدى بأهلها الى عيذاب وشاهد بأهلها العذاب ، ودل على مراكب العدو فتبعها وظفر بها بعد أيام فأوقع بها وأوقعها فخرجت الى بعض سواحل البرية بشعابها مجتمعة في تلالها مرتقيه ولم يزل الحاجب لؤلؤ ناكب مراكبها وراكب مراكبها حتى أزالها وهجم على كثرتها فاستقلها ، فما استقرت وغرت وتفرقت وما بدا بالسفن فأطلق المأسورين من التجار ورد عليهم كل ما أخذ منهم من المتاع والدرهم والدينار . ثم صعد الى البر فوجد أعرابا قد نزلوا منه شعابا فركب خيلهم وراء الهاريين فحصرهم في شبيب لا ماء فيه والحاهم بالاظماء حتى استكانوا واستهانوا واستأمنوا واستسلموا فأسرهم بأسرهم وكان ذلك في أشهر الحج فساق منهم أسرى الى متى كما يساق الهدى ، وعاد الى القاهرة ومعه الأسر والسبى ، وقد بذل وسع النجح ونجح السعى وجاءت البشرى بما من الله تعالى به من النصر فكتب السلطان اليه بضرب رقابهم وتقطع أسبابهم بحيث لا يبقى منهم عين تطرف ولا احد يعلم طريق ذلك او يعرف .

ذكر تولية الأمير شمس الدين بن المقدم بعد الملك معز الدين فرخانشاه

قال : لما وصل الينا بوفاة معز الدين النعمى فقررنا الى البلاد الشرقية السعى وكنا عبرنا الفرات على قصد الرها وقد دنا منا دارها ودرها . فتقدم السلطان الى شمس الدين بن المقدم بالعود الى دمشق أخذا بالأحوط الأحزم وهو أكبر الأمراء المقدمين ، وأكرم الأكابر المكرمين ، وهو

(٦) في الاصل : المغوار والضبط من البرق ٥ ورقة رقم ٤٣ ب .

القرن الذي لا يوجد قرية . والقرن الذي لا يستقل في الوغى صريعه
وأمرني بإنشاء منشوره وتحكيه (١) في أحكام أوامره وأمره .

ذكر مكرمة لمظفر الدين كوكبوري (٢)

قال : لما وصل السلطان حران عند عبوره الفرات وبعد تسلم الرها
أبلغ في إكرام مظفر الدين المنتهى المشتى وقام المذكور بما وجب عليه من
حق الخدمة وشكر النعمة واحتفل بنزولنا على بلده وسخا لنا بسبده ولبده
ومن غرايب رعايه أنه نفذ الى صاحبه بالطافه وأنه يعتذر عن المقدر المنقود
بوعد أضعافه ويقول (٣) ههنا بحران قرية من قراها وقد جعلت برسم وفادتك
قراها ولم تنزل هذه الضيعة المسماة ضرعا (٤) باسم كاتبه الموصل وأنت
أولى بها فأنت يمين الدولة وأجل كتابها ، واستأذن السلطان في كتبها
الى ملكية شرعية معقودة مرعية فأتمهدت عليه وعلى السلطان بإجازتها
وتفردت بحيازتها عشر سنين الى آخر العهد السلطاني سقاه الله العهد .

قال : وفي هذه السنة أئتم السلطان على نور الدين بن قرار ارسلان
بأعمال الهيثم ثم سلمها اليه دون أعمالها تحلة ليمينه ووفاء بوعده لكرمه
ودينه ، ولما جاء لمساعدتنا في هذا العام خصه عاجلا بهذا الانعام ثم وهب
له قلعة الجديدة وهي من نصيبين (١٢١١) / قرية ولاستصراخ من يدعو
أمنها مجيبه ووعده بفتح آمد له وأن ينجح بتسليمها اليه أمله فقد كان أبوه
فخر الدين قرار ارسلان درج على حسره آمد وكان الرئيس على بن نيسان
مرتبا لحصافتها ومزينا لحصانتها ، ولم يزل منها الإبلق (٥) الفرد (٦) راكبا ولكل
من يقاربه فيها مجانبا ، وكان يضرب بأحكامها المثل ، وفي تيسير فتحها يحقق

-
- (١) في الأصل : تحكيمهم والضبط من البرق ٥ ورقة رقم ٤٦ ب .
(٢) ورد في الأصل بعد هذا العنوان العبارة التالية :
(ذكر تولية الأمير شمس الدين بن المقدم بعد الملك معز الدين فرخشاه
صاحب حران) وهذه العبارة زائدة وليس لها علاقة بما جاء بعدها . ولا توجد
أيضا في البرق ٥ .
(٣) في الأصل : وهو والضبط من البرق ٥ ورقة ١٤٨ .
(٤) انظر معجم البلدان ٣ — ٤٦٩ .
(٥) في الأصل : للإبلق .
(٦) في الأصل : للفرد .

الأمل ، وابن نيسان متغور في كهفه (٧) متكف في غاره ، آمن من النوازل والدواير بمنزله وداره ، وكان لآمد أمير قديم يقال له ايكلدی (٨) من أيام السلاطين القدماء ، وولده محمود شيخ كبير عنده يطعمه ويسقيه ويدعى أنه من غلمانه ومصطنعيه وأنه يحفظ البلد له ولا يفدر به ولا يؤثر بدله وإذا جاء رسول يحضره عند أميره ، ويسند ما يديره الى تدبيره ، ويقول : انه غلام وما معه كلام ولا عليه فيما يجري ملام .

وكنت عبرت في سنة خمس وستين بآمد ، وقد سيرني الملك العادل نور الدين رحمه الله (٩) في مهم ، ودفع ملم ، وأتفق نزولى بظاهر آمد بكرة جمعة وحسبت صلاتها على غير ممتنع فقيل لي تحتاج الى استيذان الرئيس وذلك محتاج الى مقدمات ونتائج ومواصلات ووشايح فقلت : هذا عذر وقد ضاق الوقت ثم تقدمت الى غلماني بابتياح ما لا بد منه للطريق من الطعام والعليق فقيل هذا أيضا مشروط باذن الرئيس فأسرعت الرحيل ازالة للكرية بالتنفيس فقدر الله بعد سنين في الدولة الصلاحية انني دخلتها بالسيف وحللتها حلول المالك لا الضيف ، وانما شرحت هذه الحال استدلالا بها على حزم ابن نيسان . قال : وتوفي وتولى مكانه ابنه مسعود على رسم ابيه وجرى على عادة ثابتة ولم يخطر ببال أحد من الملوك الطمع فيه حتى جاءت الأيام الصلاحية ، وصار ابن قرار أرسلان من أشياعها وتدين باتباعها ، وأطعمته في اقتناص ايكار الفتوح واقتراعها وعرفته ان آمد آمد لا يبعد وأنه عن القيام بمساعدته فيها لا يتعد ، وحلف السلطان له على هذا الوعد ، وأنه يحقق في حقه صدق القصد .

قال : وكان جمال الدين عيسى صاحب السويداء (١٠) مسائرا لي في طريق ومذاكرا في جليل ودقيق ، وفي جملة ما قاله هذا سلطانكم يحلف على المستحيل فان فتح آمد ممتنع الدليل فقلت له : سعادته من الله تذلل المصاعب ، وتسهل المطالب . ولما خيمنا بحران بعد العود من الموصل تقاضى ابن قرار أرسلان باتجاز عدته فأذن في تفرق العسكر للاستراحة

(٧) في الأصل : كهف الضبط من البرق — ورقة ٤٩ أ .

(٨) في الأصل : ايلده .

(٩) برق ٥ ورقة ٤٩ ب يضيف الى خلاط .

(١٠) في الأصل : التعويدا الضبط من برق ٥ ورقة ٥٥ أ .

ووعده بتحقيق الوعد عند العود استمر على هذا العهد الى أن وصل الخبر
باجتماع شاه أرمن صاحب خلاط ، وأنه اتصل به صاحب الموصل عند
ماردين (١١) وانهم خرجوا على نية أن يكونوا لنا طاردين ماردين .

نكر السبب في ذلك

قال : كان عند نزولنا على الموصل وصلت رسل شاه أرمن فيها
شافعين ولأسباب الحرب رافعين ثم استتب الرحيل عنها اظهارا لقبول
الشفاعة الامامية واعلانا بسر (١٢) الطاعة الناصرية . ونزلنا على سنجار
ووصل سيف الدين بكتمر وهو أعز أصحاب شاه أرمن وبذل للسلطان
في الشفاعة في سنجار كل ما أمكن فاشترطنا شرائط ما قبلها فنفر سيف الدين
وسار مقيظا وأبدى خلقا خشنا ، وقال قولا غليظا ، ولم يقبل خلع ولا نفقه
ومضى الى صاحبه ونحاه ونقله عما تواتر الى ما توخاه ، وشاه أرمن ظهر
الدين سكران هو خال صاحب ماردين قطب الدين ايلغازي بن ألبى بن
تمرتاش وهذا ابن (١٢) خال صاحب الموصل عز الدين مسعود بن مودود بن
زنكى وكتب اليه واستدعاه وخرج واجتمع به وأتاه الياروقية وغيرهم من
عسكر حلب ونزلوا من ماردين الى ضيعة يقال لها حرزم (١٤) وموج قصدهم
يرزم . وجاعنا خبرهم فلم يندبه أكثرانا ولم يظهر لصحته التيانا ، وكتبنا الى
أمرائنا الغائبين فبادر الملك المظفر تقي الدين من حماه الى حران في خمسة
أيام ووافانا بجدا اهتمام وصدق اعتزام وقال : قوموا بنا الى القوم فلا تعود
بعد اليوم فقلنا أنهم مئ كثيرة ولا بأس بالاحتراز من عثرة وهو العشر المبارك
من ذي الحجة والنصر مع الصبر واضح المحجة (٢١١ ب) / فأبى الا الرحيل
موافقة لرأى السلطان ومتابعة الأمره ومشايعة لسرور سره . وأقمنا حتى
صلينا العيد ، واستقبلنا الطالع السعيد ، وقدمنا الازماع وأجلنا الاتساع
وسرنا بالأسود في غابها ، والبروق في سحابها ، وقدمنا من الرعب جيشا ،
وأبدينا من الحلم طيشا وعلونا الجدد بعزائم صحيحة غير عليلة ، وتلونا كم

(١١) في الأصل : مادين .

(١٢) ساقطة في الأصل الضبط من برقي ٥ ورقة ٥ ب .

(١٣) في الأصل : ساقطة الضبط من البرق ٥ ورقة رقم ٥ ب .

(١٤) حرزم اسم بليدة في واد ذات نهر جار وبساتين بين مادين

ودنيسر من أعمال الجديدة وأكثر أهلها أرمن نصارى ، معجم البلدان

من فئة قليلة (١٥) ، ونزلنا برأس عين فطار الخبر الى القوم فطاروا شعاعا وتفرقوا ولم تدر لما در من شمسهم شعاعا وذلك يوم عرفة فتركوا الوقوف ، وعزموا العزوف ونفروا قبل يوم النفر ، ونحروا أضاحى جلدهم قبل النحر ، وعاد الخلاطى الى خلاط باختلاطه ، ورجع الموصل الى الموصل بمواصلة احتياطه ، واعتصم الماردى بحصنه المارد (١٦) ، وهتكوا حرز حرزم للصادر والوارد ، وهاب عسكر حلب العود اليها ، ونحن على طريقه فأذن جمعه بتفريقه ، ومضى معظمهم الى الموصل فمعر الفرات عند عانة (١٧) ولم يجدها اعانة الاعانة ونسفتهم ريحنا وهم جبال وذهبوا بقلوب النساء وجاعوا وهم رجال ووصل اليها خبرهم ونحن للقصد سايرون ولجناح (١٨) النجاش مطايرون ، وأكملنا المسير ، وقتلنا هذا أخلى المشاه وتعتته ببيارقه وأفراسه ورخاخه وخاف وقوعه في الشبك قبل نصب فخاخه ، واستصرخ صاحب الموصل به فلم يظفر باصراخه ، ولم يصغ الى نصائح أشياخه فان مجاهد الدين قايمار ما يزال يشمر بالثبات ويحذره مخاوف الزلازل ومواقف العثرات ، وعرف بنور فراسته عاقبه الحال ومغبة الاستعجال . ولما نزلنا في منزلة القوم لم نسمع لهم خبرا ، ولم نعالين لهم أثرا وهناك بحرزم لصاحب ماردى قصر مشيد على حسنه مزيد وقد زوقه (١٩) وصوره وحاله جنة (تجرى من تحتها الأنهار) (٢٠) ويترنم من فوقها الأطيوار ، وتترنح من حولها الأشجار فأبقينا بأسه الأثير الأثيل وأشفقنا بنيته الكثيف الاثيب ، وعصمنا عمارته من التشيعيث ، وأقام فيه تاج الملوك أخو السلطان برسم التنزه ووكل بحفظه عين (٢١) التنبه .

(١٥) سورة البقرة ، آية رقم ٢٤٩ .

(١٦) في الأصل : الماردى .

(١٧) بلد مشهور بين الرقة وهيت يعد من أعمال الجزيرة ، معجم البلدان ٣ — ٥٩٤ .

(١٨) في الأصل : يحتاج .

(١٩) في الأصل : زوره .

(٢٠) سورة النساء آيات ١٣ ، ٥٧ ، ١٢٢ . وسورة المائدة ١٢ ، ٨٥ ،

١١٩ (جنات تجرى من تحتها الأنهار) .

(٢١) في الأصل : عن والتصحيح من البرق ٥ ورقة ١٥٣ .

ذكر المسير الى آمد وفتحها وكان النزول عليها يوم الاربعاء سابع عشر ذى الحجة وفتحها يوم الأحد

قال : ولما أحمدا المتأصل وقصدنا المحامد واغتنمنا آمد القرب من
آمد وقتلنا ننجز (١) لنور الدين المواعد ، وكنا لما رجعنا من الموصل كتبنا
نطلب الإذن في قصد آمد بتقليد أملى نجعله أمامنا ونتخذة أمامنا فوصل
التقليد بملكها والإذن بفتحها فقوى العزم وتحقق بالصدق المقصد الجزم
وما زالت قلوب أهلها صادرة (٢) الى وردنا ، وألسنتهم صادحة بحمدنا
مقصدين لها لنعنتها من الرق النيسانى ، ونوثقها بالحق السلطانى . وأعدنا
الى الشام من أكابر أمرائنا من يسد الثغور ويسدد الأمور ، وتوجهنا فى أيام
التشريق وتأييد الله معنا فى الطريق وجزنا على قلعة البارعية فتلقتنا بالبر
البار الرعية وما اعترضنا بلدا ، ولا عارضنا أحدا ونزلنا على آمد فنصبنا
المنجنيقات ، وكان معنا منجنيق يقال له المفتش لان حجره يدور فى الزوايا
بدوائر المنايا ويشوش وشرعنا فى أدوات الحصر وحصر أدواته واشتغل
الجمع واشتمل الجمر ، ووقع الحجر على البلد الحجر .

قال : ودخلت سنة تسع وسبعين وخمسمائة

والعسكر السلطانى للنصر فى حصر آمد وآمل والشمل جامع والجمع
شامل فصيحناهم بالسلاليم وطمعنا منهم فى التسلى من البلد بالتسليم ،
وصعد فيها الرجال وحالت فى قلوب الخصوم الأوجال ، وملك أصحابنا بين
السورين قطعه من الفصيل وتعبدوا عقد بنائها بالتخليط ، وتطرقوا فيها
فاذا هى مسدودة السبيل فشرعوا فى النقب وابن نيسان فى البلد قد جمع
الرجال وفرق الأحوال ، وحرض الكماه وحض الكماه وانهض الكماه وظن
اننا نكل ونمل وكلما (١) شددنا العقد ينحل فآلفوا كل يوم جدنا حديدا ووجدوا
من بأسنا عليهم مزيدا ، وكتب فى أعداد من الشباب فصولا للارهاب
والارهاب نعدهم تارة ونتوعدهم ونهديهم مرة ونهددهم ففترت عنه مساعدة
الاستطالة وشرعوا معه فى الاستقالة فبدأ له وجد الخذلان وخيانة الاخوان

(١) فى الأصل : ننجزها والهاء زائدة . وهذا وفقا للبرق ه ورقة

٥٣ ب .

(٢) فى الأصل : صادية .

(٣) فى الأصل : ساقطة وكذا يستقيم السياق .

اهل المدينة وحصلوا منا على الوثوق والسكينة (٢١٢) / وقد كانوا
تضجروا بولاية ابن نيسان ، وعدموا العدل وألفوا العدوان فتقاعدوا عن
الاستطالة وشرعوا معه في الاستقالة فبدا له وجد الخذلان وخيانة الاخوان
وخطاب الخطوب وحدث الحدثان . فعرف ان سلامته في السلم فأرسل في
الاستعطاف والاستسعاء قبل طلب الأمان وأصبحنا بعض الأيام ومواضع
النقب نخشى عليها من الانهدام ، والعمل منته الى التمام اذ خرج نسوة من
المدينة ذوات جاه وقدر قد أخرجن فأخرجن من أعز خدر لا عهد لأعمارهن
بالتبرج من البروج ولم يحوجهن الا صرف الزمان الجافي الى الخروج فارتدين
على الاضراب برداء الأضرار وطلعن سحرة طلوع كواكب الأسحار معتبرات
الى حرم الكرم الفاضلى معتفيات نصره العفو الناصرى مستشفعات بشفيح
كريم لا ترد شفاعته بل تراد لطاعة الله طاعته فأواهن الى فناء خيمته وعرف
السلطان أن القصد لحرم حرمة وان المعتصمات بعزة عزه وعصمته وانهن
نسوة الأمير والرئيس يسألن(٤) ما خربهن بالتنفيس فأكرمن واحترمن وشفعن
وشفن فيما له شفمن وأعطين الأمان على أنهم ان قاموا توفرت عليهم
الأمالك والأموال وان تحولوا سهل عليهم الانتقال ولم يسألن في البلد لعلهم
أنه لا يخلو وانما سألن الا تسلم المدينة الى أن يفرغ من نفائس أعلامهم
وتخلو فاعطين الأمان على أنهم يخرجون بكل ما يقدرون عليه مدة ثلاثة أيام
بلياليهن وأنا نعينهم بدوابنا وأصحابنا على اخراج جميع ما لهم فيها وعدن
بما وعدن وما سعدن كيف ما أسعدن وأن قرين أبعدن وأن شفمن في استتبات
أمورهن فقد رجعن بخراب معمورهن وهذه عادة الليلالى العادية ، وقضية
الأقذار القاضية في ارخاء الطول وانقضاء الدول وايقاظ النواظر بشوك
أقذايها وايثاذ النواظر بشوك أنوائها .

قال : ولما استقر تسليم المدينة بعد ثلاثة أيام تقدم السلطان برد
النساء باكرام واحترام فنفذ ابن نيسان يخبر بأن غلماته خرجوا عن طاعته
وأنه لا يقدر على نقل ما له ان وكل الى مجرد استطاعته فندب له من خواصه
من يراعى باعائته أحواله ودواب من اسطبلاته تنقل أمواله ونزل في غير
منزل وضربت له خيمة بمعزل فشرع بنقل درهمه وديناره ويحول اليها من كلا
الجنسين أوقاره ويعجل منها ما خف حمله وخيف عليه اذا لم يعجل نقله ،
ونقل المصوغات النضارية والفضية والمنسوجات الذهبية والجواهر والفرايد

(٤) في الأصل : يساكن .

والعقود والقلايد ولم يقدر في المدة المضروبة الا على تحويل الامتعة الكريمة المحبوبة ، وكم تشبعت الطوارق في طرقه بنشبهه وكم ذهبت اعوانه في مذاهبه بذهبه ، وكان من اصحابنا جماعة ندبوا لاعانتته فاستغنوا بما اصابوه وذكر انه كان يحمل من داره عشرة احمال باثقال الاموال فربما وصلت اليه من تلك العشرة ثمانية فيسأل عن الباقي فيقال دوابها وافية وهى في الوصول متدانية ، وما تزال تدخل جملة في جملة وقد عبثت بها ايد جانبية وهو لما به من روع وكره بغير طوع يحصر لدى التكلم ويقصر عن التظلم فلما انقضى الاجل خامره الوجل واعترف بانه عن نقل ذخيره عاجز وان غدر الزمان بينه وبين ما غادره عاجز فتركها من غير ان فركها وفاته دركها وما ادركها ولو استزداد مهلة لاستفاد نيله لكنه هاب وارتاع وارتاب وفي مظنة الرجاء خاب وعلى مطية التجاء نجا وغاب ولو رشد لنشد ضالته في ظل السلطان وأوى احسابه الى مأوى الاحسان لكنه بعد فبعد ولو اسعده لسعد .

ذكر تسليم مدينة آمد الى نور الدين محمد بن قرار ارسلان

قال : ولما انقضت مدة الأمان فتحت لاولياء الله ابواب الجنان ، وذكرنا ان النزول على آمد في سابع عشر ذى الحجة وكان الاشتغال بالقتال باقى السنة فما استهلكت السنة الا وقد سمرت الحسنة ونطقت بالبشائر الالسنة ، وقيل للسلطان هذه آمد فيها ذخاير تربي على ألف ألف دينار ، وما دخلت عند الموعد بآمد في شرط ولا قرار فاقض بها المهام وخص وعم بها الخواص والعوام ، وابن قرار ارسلان يقتنع بآمد فارغة ويعدها حجة بالغة ونعمسة سابقة فقال : نور الدين صار من اشياعنا فلا نضن عليه بهذه الاشياء ولا يظن بجحود هذه النعماء وهبنا له الاصل مع الضفة بالفرع فما يليق بما سننته مكرماننا من الشرع . فأما ما كان في الاهراء من اجناس الغلات وانواع الحبوب فما يحويه علم المظنون وعلم المحسوب (١) وأما الامتعة والاسلحة (٢١٢ ب) / والمدد فما يحصره العدد ومنها ان برجا من سور المدينة يحتوى على ثمانين ألف شمة ، وأما المستعملات الامدية من البسط والفرش والخيام فلا يدخل حصرها تحت الاوهام وكان من جملة المستودعات القطن فقد امتلأ به البلد ولا أقول الخزن وذكر انه بيع منه سبع سنين فما غنى مع أن متولى البلد ببيعه غنى قال : وانما ذكرت ذلك ليعلم

(١) في الاصل : المحبوب ، وكذا يتطلب السياق .

أن الدنيا ما كان لها عند السلطان قدر وأنه لم ينطو منه على قلبها صدر فأول يوم فتحها نصبت على سورها أعلامه ونفذت فيها أحكامه ثم سلمها إلى نور الدين بن قرا أرسلان وكتبت له بها وبأعمالها التقليد وتسلم منى لمغاليق المعازل الأتليد واستعبد السلطان منه حرا وفاة ثمنه ووفى له ومكنه .

قال : ودخل السلطان إلى المدينة وجلس في دار الإمارة فهي على أحسن ما يمكن من العمارة ، عالية الأبواب حالية البنيان رايقة الرواق شايقة الاشراف يحدث ربيع ربوعها بنيسان وتحدث ذكر نباهتها بناء نسيائها وهذه شيمة الدنيا لا يبق وأما ولا يرمى رامقا من جنى منها جنت عليه ، ومن علت يده فيها علت عليه وقد ظهرت آثار غدرها بابن نيسان حيث غادرته وقد رجا نصرها مخذولا ، وتركته وقد اعتصم بها مبتذلا لليالى مبذولا ، وهكذا نور الدين امتد زمانه وامتد إلى داره بعد سنين مكانه وسيأتى ذلك فى موضعه ويشرح شأنه . ولما استقر السلطان فى الدار استحضر نور الدين وأخذ يده واستوثق معه بحلف أكده وعقد ميثاق عقده وعاهده من طاعته على ما عهده وأقامه للكه وفى دسته أقمعه وشرط عليه طاعته وفى كل غزاة متابعته ومبادرته عند الاستدعاء ومسارعته وأنه يعمر البلد وأعماله ويعيها بأحسناته ويعيد ما تشعت منها إلى عمرانها ويسقط المكوس ويغبط النفوس ويبقى السعود ويحى النحوس ثم استودعه وودعه بعد أن نور العيون مطلعته وأوضح وأعذب منهجه ومنهله وأناه بجميله تفصيله جملة .

ذكر القوام أحمد بن سهاقة وزير نور الدين محمد بن قرا أرسلان

قال : كان صدرا رحيب الصدر جليل القدر متحبا إلى القلوب بكرمه متقربا إلى الملوك بخدمته ناصحا فى خدمة مخدمه مدبرا بقلمه لأتليه ، وهو الذى عطف قلب السلطان على صاحبه باستعطافه ونال مراده منه باستسغافه . ولما سأل السلطان فى مبتدا سفارته ومفتتح زيارته عن مشتهى مخدمه ومنتهى مروه وما العمل الذى يقترحه وما الذى يستنجه فقال : ان أباه فخر الدين قرا أرسلان درج على جبره آمد فان فتحتها له استعبدته للابد وأرشدته فى الجد لخدمتك إلى أوضح الجدد وأخذ اليد الناصرية لاتخاذ يد نصرته وحسر لثام الحرص على تحصيل ما هو فى حسرته فسبق الوعد وصدق واتفق من الفتح ما اتفق وكان الوزير المنعوت بقوام الدين قوام دولته ونظام مملكته . ودخل إلى سلطاني من باب عرفاتى وانتظم

مع أخواني ولم يزل نحوى مترددا والى متوددا حتى أخرجنى بمننه وأثقلنى بمنحه ، وشغلنى بفروضه وسننه ، وجعلنى فى مقاصده مقصدا واتخذ عندى بصدق صداقته يدا ، ونجحت له عند السلطان وسهلت حجابيه وموبت لديه آراءه وآلايه وقرر لى على مخدمه وظائف عطايا ورواتب هدايا استمرت من احسانه واستمرت الى آخر زمانه وسيأتى ذكر ذلك فى مكانه :

ذكر الرحيل عن آمد والتوجه الى الفرات لقصد حلب والولايات

قال : ولما تسنى الغرض وتؤدى المفترض وحصل المقصود رميت النوبتية وقد دنت العشية فعفرنا دليل الرحيل ، ونهجننا سبيل التحويل وشرعنا فى ضم نشر الأحمال وجمع شتات الأثقال ، وتفويض ذات العماد وحمل الأطناب وقلع الأوتاد فاستقلت الجمال نصف الليل آخذة فى الاعناق كأعناق السيل ، واصبحنا على الركوب وملأنا الشعاب بالشعوب والصواهل فى الأعنة تمرج والذوايل بالأسنة (١) تلمح وبحر البر بالجيش جايش وقلب الجو من جوى (٢) النقع طايش (٣) والأرض قد تنقبت من وقع الحوافر فما تحرك الخميس حتى صار بالأسد العريس ، وتعينت المنازل وتبينت المراحل . وكان عندنا رسل ملوك الأطراف قد وصلوا على اختلاف المقاصد باتفاق الاستعطاف وكل يسأل فى سؤل بكتاب منه ورسول . وأحضرنى السلطان تلك الليلة عنده (١٢١٣) / وأفردنى بخطابه وحده حتى أنجزت الكتب وجهزت الرسل فمنهم من أحلت على رسوله بسؤله ومنهم من بشرته باقباله وشبولة ومنهم قطب الدين ايلغازى بن البى بن تمرتاش الأرتقى رتقى مُتَقَه ورعى فى اعتذاره حقه وكان أمره كما ذكر فى فصل من كتاب وهو لما رأى صاحب ميافارقين أن أخت صاحبتة قد ابنتى بها ابن عمه خاف أن يجمع له بين الأختين فراسل يبذل الخدمة ليكون فيها لنور الدين ثانى اثنين وقرر أن ينهض عسكره فى أوقات الملاقات وينتقل عن حكم النفاق الى حكم الثقات .

فصل من كتاب آخر : كان الملك نور الدين بن قرا ارسلان فى الخدمة منذ عبرنا الفرات بنفسه وعسكره ملازما لنا لحرصه على المناصحة وتوفره فأنجزنا له فى آمد موعده لدينا وحملته انشاء بالأعمال والبناء . ورأى صاحب

(١) فى الأصل : ساقطة والضبط من البرق ه ورقة ١٧٥ .

(٢) فى الأصل : جرى وكذا يتطلب السياق .

(٣) فى الأصل : الثائر ، والضبط من برق ه ورقة ١٧٥ .

ماردين أن ابن عمه قد فاز بالسبق وقد حاز الفضيلة فدعانا بالاذعان وابتغى
الينا الوسيلة وقد كنا فتحنا من بلاده طرفا وحركنا من قلبه شغفا فحين عاد
الى الحمى شملته عاطفتنا بالاصطناع والاختصاص وملكانه ما ملكانه عليه
وأعدنا كل ما أخذناه من ولايته اليه واستمسك منا بجبل العصمة واستقر
أيضا أن يكون عسكره معنا في الخدمة .

ذكر القبول وعبور الفرات وفتح تل خالد

قال : ووصلنا الى الفرات في مراحل وعبرنا (١) ببحر الجيش اللجى
وغزونا النهار بليل العجاج الدجوى وأسدلنا على الخضراء ستر الغبراء
وسلونا عن السوداء بحب الشهباء ونزلنا على تل خالد يوم الثلاثاء ثانى عشر
الحرم وكان قد تقدمنا تاج الملوك أخو السلطان اليها واناخ عليها . ولما
أطلت عليه راياتنا ألقى من فيها بيده وأنجز النصر صادق وعده .

فصل من الإنشاء الفاضلى فى المعنى

فان راياتنا المنصوبة المنصورة قد صارت مغناطيس البلاد تجذبها
بطبعها ، وسيوفنا مفاتيح الامصار نفتحها بفصر الله لأخذها ولا يقطعها ولما
قطعنا الفرات بعثنا سرعات العسكر المنصور الى تل خالد فنزلوا
بعثوبتها (٢) ورفع المنجنيق يده الى ذروتها فلما نزلنا بها نزل من فيها على
حكمنا وأجزيناه من الاحسان على رسمنا واستجار من حربنا بذمة سسلما
وطوينا الى اخرى بمشيئة الله قريبا كتاب فتحها ويقر الله بها العيون أسرع
من لحها .

قال : ثم نزلنا على عين تاب حائزين فنزل صاحبها الينا وهو ناصح
الدين محمد بن خمارتكين وتبرع بطاعته وشرع فى بذل استطاعته فمكناه فى
مكانه وأحسننا اليه لاحسانه فهأتانا له النحلة وعجلنا عنه الرحلة ووصلنا الى
حلب وعماد الدين زنكى بن مودود بن زنكى ثاقب سمائها وراكب شهابها
وآمرها وناهيها وزاهاها وهو مع ذلك على ما فى يده متخوف والى
سنجار بلده متشوف ومن استئناف الحرب مع امكان السلم آتف لكنه بأمر

(١) فى الأصل : الخضر .

(٢) فى الأصل : بعثو ، وبتها فى الهامش .

الأمراء النورية مستشير ولرايهم مستشير وهم أوقدوا للحرب نارا وخرجوا لاسلافهم واخلافهم على الاسلام الحقوق والسلطان لا يؤثر جراحهم وخرجوا مدججين ودفعوا عن مقاربة السور وهم على كل حال أجناد الجهاد واجلاد الجلال ومنهم النورية الأذكاء القارية الرماء ومنهم الياروقية الروق وقد سلفت اجتياحهم ، وقد راقه بأسهم وبسالتهم وترجحت في نظره استمالتهم ، وكان هو مع عقلاء العسكر يتقى (٣) واليزكية مع جهلاء المعشر تلتقى (٤) . وكان تاج الملوك فارس ومعفر الاقران بحكم شبابه الطرى وشبابه الطرير ولما سبق حكم الله في التقدير يسرع الى الحملات ويشرع الاسلات وما زال به اقدام حتى توقظ وسنذكر شرح ذلك مع النزول بظاهر حلب في منزلتين :

المقالة الاولى :

قال : نزلنا بالميدان الأخضر في الزمان الأنضر والربيع في ريعانه والزهر في زهوه والروض في ضوعه وضوئه فضربت سرادقات السلطان في صدر الميدان وضربت خيمتي عن يمينها على العادة في البستان ، ولقد أسفت على تلك المستزهاات كيف تشعنت (٥) وأيدى التعدى بها قد تشبثت . ثم للعساكر على كثرتها من بعيد بالبلد أحاطت واشتطت في حب الكريهة واستشناطت ، وفي كل غدوة وعشية وكرب الى كروب وهبوب الى وثوب وتاج الملوك موقد نارها وخايض تيارها والسلطان لاشفاقه على رجال الاسلام وأبطال الشام (٢١٣ ب) / يأمرهم بالكف وينهاهم عن الزحف ، والشباب يشبون الضرام ويحبون اقدام فأصاب تاج الدين طعنة لم يكرت بها وفكت ركبته وقتلت ركبته وقضت بقلول شبا شبابه ودبول جنى جنانه ومؤول رتبته الى ترابه .

المقالة الثانية :

ثم رأى السلطان ان مقامه بالميدان الأخضر لا يقضى بتضييق حصر ولا يفضى الى تحقيق نصر فصحبنا بعد أيام على عزم الرحيل وازماع التحويل وعبرنا بمن معنا من العساكر على بيوت الحاضر ولما وصلنا الى جبل جوشن ضربنا عليه الخيام واطلنا به المقام واحضر السلطان بنائين

(٣) في الأصل : شقى .

(٤) في الأصل : يتقى .

(٥) في الأصل : لا تشبثت ولا زائدة وكذا يقتضي حذفها .

وصناعا وأمر بحفر أساس لقصر بينيه ونصر يجنيه وقال : نحن نتصرف في
البلاد والأعمال ونقطعها للرجال ونترك حلب على ما بها من الحال وأمر بترك
القتال والاعفاء عن النزال وسكننا مائتين وركنا لابنين ولرسل الترهيب
باعتين وفي عقد الترغيب نائتين ونذكر أنا من عباد الله الصالحين الذين
جعلهم الله للأرض وارثين ولقد صفت (١) حلب بحلبها وضنت ببيضاها
ويلبها (٢) وسمع شفاه شفاعة وقطع فحسب أفواهاها والسلطان يحمل
ويحلم ويتغلب وهو يعلم ويعاود الاستمالة ويواعد بالاقالة وكان عماد الدين
صاحب حلب للسوء عاينا ويعواقب الأمر عارفا راغبا في التحدى بالاتحاد
والاعتداد بالاعتضاد اماطة للبلاء عن البلاد فافكر ووجد عليه في كل شهر
ما ينفقه ثلاثين ألف دينار على الأجناد وكان يعتمد على رأى الأمير حسام
الدين طمان وهو قديما يوالى السلطان ويؤثر المرافقة والموافقة ويحب في
مضمار الولاء المسابقة فأنشأ على عماد الدين بما كشفه من ضميره ووعدته
إذا سافر فيه بأذكاء الفرس وتثمينه وتسهيل الصعب وتيسيره فخرج ليلا
من باب السر سرا وبر بالحضور وأحضر برا وقد قر بقربه السلطان وخلا
لخلابه وشفى عتابه بأعتابه وسامه أصحاب الأسد الحادر من غابه وأعطاه
يمينه مع سطر يمينه في كتابه فعاد الأمير طمان مطمئن الجنان مرجح الميزان
وأفضى إلى مخدومه بسر مكتومه فأصبحنا بكرة بكرة بكرة وقد حليت وراية
النصر قد اعليت وعروس القلعة قد حليت والأبواب قد فتحت والارباب قد
نجحت وعرف الأمراء فمنهم من خجل ومنهم من وجل فأرسل اليهم السلطان
واستزال روعهم وخوفهم واستزاد دلوهم وشوقهم ومدح لجاجهم وحسد
ارتياحهم وشفع أنكسارهم بجبرهم وقرضهم على صبرهم وجنتهم بما طيب
النفوس بعد الحادث الذى شيب الرعوس وأزال ببشره العيوس وأوجد
النعى وأعدم البوس .

(١) فى الأصل : ضنت .

(٢) واليلب الدروع ، وقيل هى البيض تصنع من جلود الإبل وهى
نسوج كانت تتخذ وتنسج وتجعل على الرعوس مكان البيض . وقيل
جلود تصنع منها دروع وقيل اليلب خالص الحديد ، قال عمرو بن كلثوم :
علينا البيض واليلب اليماني وأسيف يثمن وينحنيا

قال ابن السكيت سمع بعض الأعراب فظن أن اليلب أجود أنواع
الحديد . قال الجوهري : واليلب كل ما كان من جنس الجلود ولم يكن من
الحديد . لسان العرب ١ - ٨٠٦ .

ذكر نكتة : قال ومدح القاضي محى الدين بن الزكى السلطان بأبيات منها :

وفتحكم حلبا بالسيف فى صفر مبشر بفتوح القدس فى رجب

فوافق فتح القدس كما ذكره فكانه من الغيب ابتكره ففى صفر سنة تسع وسبعين كان فتح حلب وكان فتح القدس سنة ثلاث وثمانين فى رجب . قال : ويشبه هذا أننى فى سنة اثنتين وسبعين طلبت من السلطان جارية من سبى الأسطول المنصور بأبيات وهى :

يومل المملوك مملوكة	تبذل الوحشة بالانس
تخرجه من ليل وتواسيه ^(٣)	بطلعة تشرق كالشمس
فوجدة الغيرة قد حركت	سواكن البلبال والمس
فلا تدع يهدم شيطانه ما	أحكم التقوى من الاس
فوقع اليوم بمطلوبه ما	سبى الأسطول بالامس
واننى أمل بعدها كرايم	السبى من القدس

قال : فجاء الأمر على وفق الأمل كما قلت وذهب لى تلك السنة ما سألت وأعطانى عام فتح القدس ما أملت . عاد الحديث قال : وخرج عماد الدين الى خيامه التى ضربها وشرع فى استنجاز الموعد فى البلاد التى طلبها ولم يزل وزيره شمس الدين بن الكافى مترددا فى الطلب وأمر السلطان باتشاء عهده وإيجاب عقد يتأكد به الميثاق ويتمهد به الوفاق فلازمنى (١٢١٤) / أياما حتى حررت نسخة حكمها المحكم لا يفسخ وعقدها المبرم لا يفسخ وأنعم عليه ببلدة سنجار وزيد الخابور ونصيبين والرقعة وسروج .

قال : ولما فتحنا حلب ودانت لنا معاتلها بقى حارم مع أحد^(٤) المماليك الصغار النورية وقد طمع أن يحميها ثم أن أجناد حارم اتهموه بهراسلة الفرنج ومداخلتهم فأخرجوه وأكرهوه على النزول ونزل به المكروه وأعلنوا بشعارنا فسرنا اليها وتسلمناها ودبرنا أمرها وأحكمناها ووقرنا من الإحسان قسط أولئك المسلمين وتلونا فى حقهم « ان الله لا يضيع أجر المحسنين »^(٥)

(٣) فى الأصل : وسواسه .

(٤) فى الأصل : أحد .

(٥) سورة التوبة ، آية رقم ١٢٠ .

فراسل صاحب انطاكية ضارعا وللعجز عارضا والى الانقياد الينا مسارعا
وسر الينا من أسارى المسلمين جماعة وافية وأظهر أسكانه فيه لأسباب
الإيقاع نافية .

ذكر عبوة

قال : وعين السلطان يوما للضيافة العمادية وكان ذلك بالخيم (١) قبل
انتقاله الى البلاد فكملت له أسباب وشروط ونظمت للسماط سموط وترنم
الشادى وترنح التادى وكأنما اجتمع القمران بجلوس عماد الدين بجانب
السلطان وبنياهم فى احظى حضور واحبى حبور وأتم نشاط. وأتم اغتباط
اذ جاء بعض الحجاب وأسر اليه بنمى أخيه تاج الملوك فما تكب عن منهج
ثباته السلوك ولم تتغير طلاقة وجهه وأمر سرا بتجيزه ودفنه ، وأعطى تلك
الضيافة حقها وبسط بسنا انبساطه أفقها ثم انتقل السلطان الى حلب وأقام
بالقلعة ووظف المكارم وكشف المظالم واستقط المكنوس وكتب الى اصحاب
الأطراف والأوساط باجتماع عساكر جميع الجهات عنده للرباط ويتم له ملك
الشام وسر سره بالتمام ، وحالفه عماد الدين فى الموافقة فى سائر المرام .
وأمرنى بكتب المناشير لأكابره وأماظه بعد ما خص أرباب الفضائل بفواضله
واعتصمت العواصم بعصمته ووثقت القلوب فى القبول بين مهابته ومحبته
وأحسن رعاية محسنى الرعاية وأعاد القضاء والخطبة الى أهل مذهب (٢)
الشافعية .

ذكر القلاع وما ترتب من وجوه الاصطناع

قال : وأبقى عين تاب (٣) على صاحبها وخصه بأيدى يده ومواهبها ،
وأما تل خالد فانه أتم بها على بدر الدين دلدريم بن بهاء الدولة بن ياروق
مضافة (٤) الى تل باشر فهدم قلعتها وتمصرف (٥) فى أعمالها واستبد بارتفاعها
وعلالها .

(١) فى الأصل : للمخيم .

(٢) قارن برقى ٥ ورقة ٩٩ .

(٣) فى الأصل : عن بات .

(٤) فى الأصل : مصافه .

(٥) فى الأصل : وانصرف .

وأما قلعة عزاز فان عماد الدين زنكى كان قد هدمها لتوفر قوته على حفظ حلب فأقطعها وأعمالها علم الدين سليمان بن جندر فأعاد عمارتها كما كانت وظهرت آثار كفايته وبانت ، وسلم حارم الى أحد الخواص من أهل الولاء والاخلاص ، وولى القضاء بحلب محى الدين أبا المعالى محمد بن زكى الدين على القرشى فاستتاب فيها القاضى زين الدين نبأ بن الفضل ابن سليمان المعروف بابن البائيسى ، وأقام فى قلعة حلب سيف الدين يازكوج واليا وولى الديوان العميد ناصح الدين اسمعيل بن العميد ، وجعل حلب باسم ولده الملك الظاهر غازى وكان قد اصطحبه من مصر عند وصوله الى الشام وعادت الأمور بسيرته (٤) السارة الى النظام وما برح (٥) السلطان من حلب حتى استقامت أحوالها على جدد الصلاح واستقامت آمالها الى مدد النجاح وضرب باسمه درهما ودينارا وأنارت معالمها وعلا منارها وصدحت بالأدعية منابرها وصدق لأرعاء الرعية منابرها قلت : وأورد ههنا مناشير من انشائه لأماثل منها منشور للشيخ الامام علاء الدين الكاسانى (٦) مدرس الدارس الحنفية بحلب ، ومنشور للمحتسب (٧) بها ولم يسمه وآخر باسم طبيب ثم قال :

ذكر بشائر بوقعات نصر فيها الاسلام (١٠)

وصلت ونحن بحلب منها وقعة برية بالفرنج على ما يعرف بالعسيلة ووقعة بحرية فى ظفر الاسطول وذلك فى محرم سنة تسع وسبعين وشرح ذلك فى كتاب من الانشاء الفاضلى الى الديوان العزيز يتضمن الوقعتين : ادام الله أيام الديوان ولا زالت منازل ملكه منازل التقديس والتطهير وموالاته وسيلة التمحيص والتكثير ، ومواقف الأولياء ببابه مواطن السجود والتعفير ، والولاية من قبله علامة التملك والتأمر ، والوقوف بأقصى المطارح من مرائه موجب التقدير والتصدير ، وآيات نعمة الله فى وجوده واضحة تغنى فيها الابواب عن التبيين والتفسير ، والأمة مجموعة بأمانته جمع السلامة لا جمع

(٦) فى الأصل : بسرعة .

(٧) فى الأصل : غير منقوطة .

(٨) وهو علاء الدين أبو بكر مسعود الكاسانى ، قارن برق ٥ ورقة

١٠٠ ب .

(٩) قارن برق ٥ ورقة ١٠٣ .

(١٠) قارن الروضتين ١ ج ٢ — ٤٧ — ٤٨ .

التفسير . الخادم ينهى الذى يحمله على ما يحمله الى الديوان العزيز من كتبه ويبيديه من رسله ويجيب به دواعى طبعه فى الولاء المسترسل على سجيته أو يحركه المتبعث فيه على رسله أمران أحدهما أن الذى يفتتحه من البلاد ويتسلمه أما يسكون التعمد (٢١٤ ب) / أو بحركة ما فى الأغمار (١١) انها يعمده طريقا الى الاستنفار الى بلاد الكفار وانما يحسبه جناحا يمكنه به المطار الى ملامسه الكفر من الأقطار .

والثانى اعلام أمير المؤمنين ان تقليداته وتقليدات آبائه الطاهرين اذا صدرت عنه وعنهم قريت وما عصيت ، ونفذت وما نبذت فيعلم ان له عبدا يمثل أمره ويلزم الناس بامتثاله ، وخادما يطيع الحكم الجليل ويحكم على غيره بطاعته واجلاله . وعلى هذه التقدمة فهو يستفتح هذه الخدمة بذكر ظفرين للإسلام برى وبحرى أحدهما وهو البحرى عود أحد الأسطولين اللذين أغزاهما أخوه أبو بكر بمصر وكانت مدة غيبته من وقت خروجه الى وقت عوده الى دمياط تسعة أيام لأنه غادرها (١٢) فى خامس عشر المحرم وقطله رابع عشرينه فظفر ببطشه مقلعة من الشام فيها ثلثمائة وخمسة وسبعون منهم خياله ذووا شوكة وازعة وتجار ذووا ثروة واسعة فأخذ الله بأيدي الأولياء برقابهم ومكن الحطم والقصم من صلبهم وأصلابهم ومسح عزة أقدامهم بذلة أحجامهم وسيوفهم اللاتى (١٣) فى أيديهم سلاسل ومليت آمال المجاهدين أموالا وأثقالا وانقلبوا بالقلوب خفافا وبالأيدى ثقالا وبرد مغنهم بعد ما تقدمه من حر الحرب وعادوا عن البحر الملح شاكرين لما أوردتهم من المشرب العذب .

والظفر الثانى وهو البرى ما طولع به من مصر من نهوض فرنج الداروم الى أطراف بعيدة وهذه العصابة ملعونة لا ترع الأعنة ولا تنزع الأسنة تنسرى فتسبق الصباح وتدلج فتستصيح الرياح فنزل بهم والى الشرقية فركب الليل فرسا أركبوه حملا وسروا ثقلا وسرى رملا فتوافتى الفريقان الى ماء يعرف بالعسيلة سبق الفرنج الى مودته والسابق الى الماء محاصر

(١١) فى الأصل : غزاها .

(١٢) فى الأصل : الذى وكذا يتطلب السياق .

(١٣) غير منقوطة .

المسبوق ووردوا أزرقه فتعصب لارزقتهم فظن المؤمن أن الكافر مرزوق وأُستد بالمسلمين العطش وقل أيديهم الدهش فأنشأ الله في ناجز الهواجز سحابة ماء صيغى شفاهم بها « من فوقهم ومن تحت أرجلهم » (١). وأمسك به أيديهم فاستمسكت على أنصلم فثابوا الى الفرنج بقوة أنجاد السماء بالماء وثاروا الى الملاعين الاعداء بالعزم الجرى ذاكرين معجزة اليوم البورى يوم من الله على أهله بالتطهير والرى فلم ينبج من الفرنج الا رجلان أحدهما الدليل والآخر الذليل وانجلت الجلى بعد أن صاروا معصفين ، وتساقوا كئوس الموت تحت ليل العجاج مفتبقين فقطعت شوكة شديدة وقلت شكة كهر جديدة وعاد المسلمون برعوس عدوهم في رعوس القنا وقد اجتنوا ثمراتها وبأرواحهم في صدور الطبى وقد اطفأوا بمائها جمراتها .

قال : ولما تم الفراغ من شغل حلب وأعمالها وتسديد اختلالها فاستصحبنا عساكر حلب والجزيرة واجتمعنا في جموع كثيفة كبيرة وتلونا السلطان بتل السلطان مخيمين على عزم الغزاة مصممين فما وصلنا الى حباب التركمان حتى وصلت قبائل التركمان فتفرقت العساكر في الطرق وأجدت في الجيب والعنق حتى ناطحتنا قرون حماه ، وصافحاتنا سعود قرانها ، وقرت بنا عيون أعيانها فأول من تلقانا ببره القاضي أبو القاسم حاتم الاكرم وقاسم المكارم وكان هذا القاضي امين الدين بن حبيش لم يزل ذا سجية وعيشة رحية فاذا وصل الى حماه سلطان أو أمير أو معروف أو كبير دعاه الى ربهه وأجراه على كريم طبعه فان لم يزره زارته تحاياه وقرته في مخيمه تحفه وهداياه وله من القلوب أتم قبول ولكل نازل به هنا نزل وأكرم نزول . ولهذه الشوافع لم ترد له عند السلاطين والاكابر شفاعة ولم يعر شيئا من حقوقه المصونة اضاعة . ولم يكن هذا القاضي متوليا لعمل ولا قضاء ولا حكم له في انفاذ ولا امضاء وكان قانعا بحدى ملكه ويستثمره بفضل جاهه ويفوق المعروفين بتيقظه وانتباهه .

قال : وكان الملك المظفر تقى الدين بى أخى السلطان صاحب حماه ومالكها ، وقد تولى بالامن والعدل مسالكها وممالكها فوشع ذراه ووسع

(٦) سورة المائدة ، آية رقم ٦٦ .

« ولو أنهم أقاموا التوراة والانجيل وما أنزل اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم منهم أمة مقتصده وكثير منهم ساء ما يعملون » .

قراه وحبر يديه رجب نداء وحصن الحصن الذى لحماه وحماه ، وقصر نظرنا على قصره الناظر الذى اعتنى به وابتناه وما أبهج وأبهى بهوه وبهائه وأعظم أيوانه وأكرم أيواه فتفرقنا بعد الاجتماع وجذبنا زمام الازماع واستن العسكر سنن الرستن وعبرنا العاصى فى طاعة الله بقصد الغزاه والجرد تحت المرد والكمث تحت الكماه ، ومالت بنا أعناق الاعناق ، وقصدنا الى حمص أشواط الاشواق ، وخيمنا على عاصيها وضائق بجموعنا ادانيها واتاصيها وجئنا الى الزراعة ثم اللبوة ووصلنا الى بعلبك ثم قرينا من دمشق ودخلنا اليها وهى ببشرنا مستبشرة وعن صباح سفورنا مسفرة ولم يطل بها المقام وعجلنا الرحلة عنها ، واغتنمنا حضور العساكر المتضاعفة العدد المتظاهرة العدد فخرجنا نحو العدو متوجهين (٢١٥) وفى رياض مراسى الله متنزهين فأول ما وقع البأس ببيسان (٧) وجاء الفرنج فربطهم السلطان على عين الجالوت (٨) وواقع باعداء الله أولياء الطاغوت وقد صفت غزوة ببيسان .

وفى كتاب انشأته عن السلطان وهو : وأقرب غزواتنا عهدا بالفرنج غزوة ببيسان فى كتاب انشأته كان من حديثها المبهج أنا سرنا بعساكرنا الموفورة وقطعنا الاردن وعبرنا مخاضة الحسينية (٩) بخلوص الضمير فى سبيل الله وحسن النية وذلك يوم الخميس تاسع جمادى الآخرة فلما وصلنا الى ببيسان وجدنا بأسنا قد سبق اليها وقد أخلاها أهلها فعاجلها الاصحاب بما احل لاهلها الكفار من النيران وعقدوا تحت سماء العجاج منها سماء الدخان فما برحنا حتى عفونا آثارها ونهب العسكر فيها من زاد وقوت ما زاد به قوة وكانت هذه المقدمة نصره مرجوة الحقنا بها مدنا معمورة وقلاعاً حصينة وأضرمانها نارا ولم نذر بها من الكافرين دياراً ووقعت مقدمة العساكر

(٧) بالفتح ثم السكون مدينة بالاردن بالفور الشامى ويقال هى لسان الارض وهى بين حوران وفلسطين واليه ينسب القاضى الفاضل أبو على عبد الله عبد الرحمن بن على البيسانى وزير الملك الناصر يوسف بن أيوب والمتحكم فى دولته وصاحب البلاغة والانشاء التى أعجرت كل بليغ وفاق بفصاحته وبراعته المتقدمين والمتأخرين ، مات بمصر سنة ٥٩٦ معجم البلدان ٧٨٨—٧٨٩ .

(٨) بلدة بين ببيسان ونابلس من أعمال فلسطين ، معجم البلدان ٧٦٠ — ٣ .

(٩) من أعمال طبرية فى شرقيها ، معجم البلدان ٣ — ٥١٠ .

المنصورة فى أول يوم على خيل ورجل للفرنج عابرين من نابلس فأوقعت بهم وسدت عليهم طريق مهربهم وقتلت راجلهم وأسرت جماعة من الفرسان قيدوا فى الاقياد وتوغل الباقون فى الجبال بحزازات القلوب وحرارات الاكباد ، وكان مقدمهم ابن هنفرى ففر ووصل الخبر بأن الفرنج واتوا بجمعهم المحشود وحشدتهم المجموع وكانوا فى ألف وخمسمائة رمح ومثله تركبلى وخمسة عشر ألف راجل وزحفوا كأنهم أسود الشرى فى آجامها وهضاب شروى بأعلامها فبعثنا اليهم الجاليشية فجالت أمامها وجاشت قدماها وعينا(١٠) الاطلاب للموت طلابا وللنصر بلسان الفصل خطابا وكثر الله المؤمنين فى أعين الكافرين فعادوا بعد الانس ناقرين ولما رأوا بأسنا اخلدوا الى الأرض مهطعين وخذقوا حولهم وأسندوا الى الجبل بالذل لابدين واركزوا قنطارياتهم فى مركز دائرة الخذلان وطلبوا ربح سلامتهم من الخسران واقاموا كذلك خمسة أيام آخرها الاربعاء خامس عشر جمادى الآخرة ونحن فى كل يوم نتوقع منهم الحملة التى هى عادتهم والمبادرة فى اللقاء التى هى فى الصدمة الأولى سورتهم فنكبوا عن اللقاء وما هاجوا الى الهيجاء وعساكرنا المنصورة حولهم حامية فى بحار السوابغ فى بلاد الساحل دونهم عايمة ويعادونهم مساء وصباحا والفرنج قد بيست أيديهم على الاعنة وغلت فى صدورهم وحراب الرعب على صدور الاسسنة والمفرون فى بلادهم يشنون الغوار ويكثرون القتل والأسار فلما رأيناهم لا يبرحون رحلنا عنهم يوم الخميس لخناقهم بنفسين فما صدقوا حتى جفلوا أجفال النمام وتوغلوا فى الجبال وهم أضل من الانعام ، وتصاعدوا فى العقاب ونكصوا على الاعقاب ، ونحن قد بلغنا النكاية(١١) فيهم غايتها والغنايم ، والاسارى قد ملأت الأيدى وثقلت الظهور ، وعجل الله للاسلام وعسكره النصر والظهور ، وعدنا سالمين سالبين غانمين غالبين « والحمد لله رب العالمين » وقد شرعنا الآن فى غزوة ثانية لعزب الكفر ثانية والمسير بالعسكر الذى عدنا به الى الكرك والالتقاء بالعسكر الواصل من مصر عليها فان الفرنج قد بان لنا هوانها وهذا وقت منيتها وأوانها فما نزال بتأييد الله نوالى الغزوات حتى يأذن الله فى فتح الأرض المقدسة والسلام .

(١٠) فى الاصل ساقطة والضبط من البرق ه ورقة ١١٣ ب .

(١١) فى الاصل : النكاب الضبط من برق ه ورقة ١١٣ ب .

ذكر العودة الى الكرك واستدعاء الملك المعادل من مصر لتسولى حلب واستنابة الملك المظفر تقي الدين فى مصر وشرح السبب فى ذلك (١)

قال : وكان الملك المعادل سيف الدين ابوبكر أخو السلطان على عادته فى تولي الديار المصرية مستمرا ، ولأمورها بفضل سياسته وحسن رعايته ممرا ، وهو مستقل بالامر والنهي يولى ويعزل ويعلى وينزل ، وهو سلطان الديار المصرية على الحقيقة ومرتب أمورها الجليلة والدقيقة . والسلطان بالشام فى مهام الاسلام وهو بأخيه كثير وبحسن أثره أثير ، وهو يمدد بالمال والرجال ويجرى الارزاق والآجال فلما ملك حلب كتب الملك المعادل لها طالبا وفيها وفيما يجرى معها من البلاد والمعاقل راغبا فكتب اليه لسؤاله مصيبا ، ولسؤاله مجيبا وواعده الى الاجتماع به على الكرك ليفوز من بغيته بالدرك واستصحب معه الملك المظفر تقي الدين ابن أخيه ليؤليه فى مصر ويستنيبه وكل ذلك بمشورة الأجل الفاضل وعنايته بالسائر والواصل فان السلطان لم يزل يأخذ بإشارته ويعطى ويصيب ببركات آرائه ولا يخطئ . ولما أب السلطان من الغزوة جعل مآب الجهاد الى جهة مآب (٢) من اقليم الشراوة ونزلنا بادرادر واستأمن اليها أهلها المسلمون فأذنتهم بحلية الدين حلاوة الامان وساكفوا تلك الاعمال مسلمون من قديم الزمان وتربى اولادهم فى حكم الفرنج فالفوا ما الفوه وخافوا منهم على ظهور جبههم لنا فأخفوه ثم خيمنا على الربة ثم حصرنا الكرك وحصرناها وكانت المناجيق (٢١٥ ب) تراوحها وتغاديهما وتعاودها وتباديهما ، وتحول السلطان الى الرض ملازما للغرض وأقام بدار الرئيس ليقرب من المناجيق المنصوية ويشاهد مواقع النكاية فى القلعة المحصورة وكانت سبعة قد فتحت لأهل جهنم سبعة أبوابها وفغرت أفواها وكشرت عن أنيابها ، وفصلت أوصال السور بسوء خطبها وخطابها وقد رتب السلطان نوب الرملة على رجال الامراء فى الصباح والمساء ولم يزل يرحم الحصن ويهدم والسلطان فى اثناء ذلك مشتغل من جانب بتعمير البلاد وترتيب الممالك ومن جانب بتدمير الكفر والتدبير له فى الممالك . ثم انتضى شهر رجب وعلم باجتماع الفرنج فى الموضع المعروف

(١) ما بين الحاصرتين من العنوان يوجد بالهامش .

(٢) مآب من قرى البلقاء ويقال لها موته ، معجم البلدان ٦٧٧—٤

بالوالة فقالوا هذا حصر يطول ومسألة تعول وقد أضعفنا الحصن ومكنا منه الوهن ، وهذه نصرة قد أحكمنا أسبَابها ولا خوف من فواتها وما نزال نعاود بالاضعاف حتى نوفرز بالفتوح ونحوز ذخِر الظفر المنوح ، وهذا جمع الفرنج ملتئم وجمهرهم مضطرب وقد اجتمعوا فنحن نقصدهم ونلقاهم ونقدم عليهم ولا نتوقاهم وسيأتى ذكر عودنا فى موضعه .

ولما وصل الملك العادل أظهر عن حب مصر سلوه ، وطلب من حلب واقطاعها مرجوه فعول السلطان على تقى الدين فى الديار وزاد منه اقطاعه بالشام اقطاعا فى مصر وانعم عليه بالأعمال الفيومية وسائر نواحيها بجميع جهاتها وجواليها وزاده القبيبات وبوش وأبقى عليه بالبلاد الشامية مدينة حماه وتلعتها وجميع أعمالها وجعله بصحبة سيدنا الفاضل حتى اذا وصل تقى الدين الى مصر اقتدى بالتدبير الفاضلى واهتدى بسنن رايه الجليل الجلى .

وكان السلطان لا يؤثر مفارقتة ولا يحضره أنس اذا فارق حضرته ولما لم يجد من توجه تقى الدين الى مصر بدا وأنه سيكون بالأعمال مستبدا ، وكانت فى تقى الدين الى مصر جدة لم تكن فى الملك العادل احتاج الى تقويمه الى تدبير الاجل الفاضل فأذن له فى السفرة بشرط الاسراع فى المسودة والمبادرة الى الاجابة عند تحقق الدعوة . فسارا بمن فى صحبتهما وعاد السلطان بالملك العادل وكتبت لهما منشورين فى شعبان سنة تسع وسبعين ، قال : وكتبت الى سيدنا الاجل الفاضل عند الرجوع من وداعه وكان رحيله من الكرك فى منتصف شعبان : رجع الملوك من الوداع وداعى الاسى يحفزه وعادى الاسف يزعجه ويعجزه فعدم الشمس التى تفيض عليه والظل الذى ينفى اليه . لا مجيب لاستدعائه ولا مجير لاستعدائه ولا قابل له ولا قائل به ولا منفق لنقده ولا موثق لعقده ولا مروج لرجائه وظل كضالة لا ينشد وكالضال لا يرشد وكالفقيد لا يفتقد وكالزيف لا ينتقد وكيف حال من حالت كفيته اياسه بأسوة ام نيته أمنيته ياليت المولى قبله صاحبا لركابه وراكبا فى صحبه متلاشيا فى ائسنة آلائه متعاشيا فى سابغ لآلايه وضامعا مع الشرفاء ثقيلًا مع الظرفاء ، سقيما مع الأصحاء هجينًا مع الصرحاء والعقد الثمين ربما انتظمت فيه لصرف العين الخرزة وسدت بالخرزة ثلمتها المعوزة على انه اذا اتاهه فى كنف الرعاية مرعى الكنف غبطه السائرون وتحاماه

الضايرون ولم يثر اليه الثايرون ولا غنى بالملوك فى كل وقت لاستزادة محقه واستزالة مقتته عن تجديد جاهه وتوجيه جده واسعاد رجائه واجراء سعده قالفارسي يستثمر بالتربية غرسه ولا يضيع الملوك الذى ملك رقه باحسان عشر سنين « ان الله لا يضيع اجر المحسنين » (٣) .

ذكر الرحيل الى الشام

ولما رأينا (٤) أمر الكرك يطول ، ودافعنا عن حقه القدر المطول جهز السلطان العسكر المصرى فى الخدمة التقوية التى بالصحة الفاضلية يقويها ومن أرائها فى كل ما ينادى له تلبيتها وتربيتها وانصرف بعسكر الشام عايذا الى دمشق عود الحيا الهاطل الى الثرى الماحل ، وألقينا بها العصا واجرينا ذكر من أطاع وعصى ، وعدنا من فرض الجهاد الى فرض الصيام ، ووقع الشروع فى اراحة العساكر عند استقبال العام واستيناف الجمع لنصرة الاسلام وتولى الملك العادل سيف الدين أخو السلطان حلب وتلقاها وجميع أعمالها وجميع قلاعها ، ومدينة منبج ومعانقها وصار اليها وتسلط بها سلطانها وتمكن منها مكانه ، وتحكمت ولايته وتولتها أحكامه ، ونفذنا أوامره فى أمورها نقضه وإبرامه ودرت على مراده أخلاقها بوضوح مذهبه فى الوفاق خلافا وانصرف نواب السلطان الى دمشق فى خدمة الملك الظاهر ظاهرين بصفو الموارد والمصادر .

(٢١٦) / ذكر وصول شيخ الشيوخ وشهاب الدين بشير

فى الرسالة الشريفة الامامية ووصول محى (٥)

الدين الشاهرزورى معها رسولا من الموصل

قال : ولما استقر بنا فى دمشق المقام وتم الصيام جاء من رافد نعم الله التمام . ووصلت رسل أمير المؤمنين عليه السلام فوفيناهم فى الاستقبال كل حق وذكرنا من الاسراع الى الاستسعاد بهم كل سبق .

(٣) سورة هود آية ١١٥ « واصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين » .

(٤) فى الاصل : رأنا وكذا يتطلب السياق .

(٥) فى الاصل : يحيى — قارن الروضتين (١) ج ٢ — ٥٤ .

ولقى السلطان الرسل فنزل ونزلوا ، وأقبل عليهم وأقبلوا ثم قدم لهم المراكب التي أعدت لهم فركبوا وسأيرهم السلطان واصطحبوا ، ونزل شيخ الشيوخ بالرباط على المنبع ، ونزل القاضي محيى الدين بن كمال الدين الشهرزورى فى جوسق بستان الخلخال ونزل شهاب الدين بشير جوسق صاحب بصرى على الميدان .

قال : وكان بينى وبين شيخ الشيوخ قرابة قريبة فانه اتصل الى ابنة عمى عز الدين أبى نصر أحمد بن حامد ، وقد كانت عقيقة بيت السؤدد ، وكان وزراء الزمان وعظماء دولة السلطان يخطبونها رغبة فى طيب النجار ونزاهة العنصر ، واتفق حضورهما بالكعبة المعظمة فى سنة خمس وأربعين . وتكررت منه الخطبة وصحت الرغبة فأجيب لدينه وأصله وتقواه وفضله وبارك الله منها فى ذريته ونسله . وكان له منها اولاد نجباء أستأثر الله بهم فى ريعان شبابهم وبقي الذى اصطحبه فى هذه الرسالة وكان منعوتا مكنى مسمى بما كان لجده العزيز أبى نصر أحمد فمرض فى الطريق واصطحبه معه فى محفه فوصل ونفسه رهينة بنفس وقد جاء الاجل وذهب الأمل وانقضى العمر وقضى الأمر .

وجلس ثانى يوم وصوله للعزاء وحضر السلطان وجماعة الامراء وصلى عليه ودفن بالمقبرة بمحاذاة الرباط وبردت حرارة الرسالة وشفلت حادثته عن محادثته حتى انقضت ثلاثة أيام موسم التعزية ولم يقدر على التسليم والتسلية .

نكر السبب المقتضى لهذه الرسالة فى هذه السنة

قال : لما عرف صاحب الموصل ما تسنى لنا من فتح آمد وحلب وتيسر كل ما اراده السلطان وطلب خطر بباله خطر البلوى وعود العدوى فمال الى الاستعطاء والاستعطاف وشرع فى استسعاء رسله للاستسعاء واستدعى من الديوان العزيز ارسال شيخ الشيوخ للاستشفاع لعلمهم أنا لا نرى الا الائتبار بالطاعة للامر المطاع وندب قاضى القضاة محيى الدين ابا حامد محمد ابن محمد بن عبد الله بن القاسم الشهرزورى للرسالة من جانبته وأناط بسعيه نجح مطالبه فجاء فى جاه أنيق ولسان دليق وترفع وتعزف وتقنع وتتشف وترق فى ذروة الخطاب بطو آيه على سريرة نيرة الخطابة ولو تخلق بخلق

مرسله في الدفع بالتواضع لكفى الغرض وشفى المرض فانه لما وصل لزمه ناموسه واطال في محل بستانه جلوسه وظهر كانه الامين نزل بالوحى من السماء وجاز بالعطارد في بيته بالجوزاء ولم يأخذ في طريق الاستحذاء وظن ان ذلك لمخدومه نصيحة وخدمة صريحة وبغية صحيحة على ان السلطان مقابل شدته باللين واعطا يمينه على اخذ اليمين فاشتط واشترط وكلما قاربناه شحط ، وكلما أرضيناه سخط وكلما توخينا جامعا للمصالح أبى الا مراده المارد ولم يوافق مصادره الموارد ولو انه تطف واستعطف حصل المخطوب (١) ووصل المطلوب وتأكدت العقود وتمهدت العهود لكنه ألزم ما لا يلزم وجزم ما لا يجزم وعين شرطه له مانع وفيه منازع .

نكر كشف الحال

قال : كانت قد وصلت رسل صاحب الجزيرة وكان صاحب (٢) اربل وصاحب تكريت والحديثة (٣) يشكون من صاحب الموصل وتكليفاته وأثقاله الكثيرة الكبيرة فلما صاحب الجزيرة فهو معز الدين سنجر شاه بن غازي بن مودود بن زنكى وهو خايف من صاحب الموصل عمه وأنه يلزمه ان يدخل تحت حكمه ويخشى ان يكشف ضياء حاله ظلمة ظلمه . وأما صاحب اربل فهو زين الدين يوسف (بن بكتكين) (٤) بن على بن كوجك وهو أيضا شفق من أمره محترق بجمره ، وكذلك صاحب (٥) الحديثة وتكريت يربهان وفي الاعتزاز بنا يرغبان وكل أخذ من السلطان عهدا على أنه يحميه ويقيه ويسمعه ولا يشقيه ، وانصرف رسلهم على هذا القرار . ثم كان وصول شيخ الشيوخ صدر الدين ومحي الدين الشهرزورى ووقع الشروع في حديثهم وحادثهم واجازة دواعيهم واجابة بواعثهم . وكان القاضي محيى الدين الشهرزورى سالفا في المدرسة النظامية ببغداد رفيقى وآنفا في الايام النورية صديقى فصدفوه في هذه المرة عن مشاورتى وصرفوه (٢١٦ ب) عن محاورتى ولو استشارنى لعرفته النهج وسلكت به طريقا للمصالح جامعة وللعوايق رافعة

(١) في الاصل : المخطوب ، الضبط من برق ٥ ورقة ١٣٠ .

(٢) في الاصل : ساقطة . كذا .

(٣) وتسمى حديثه الموصل وهي بليده على دجلة بالجانب الشرقى قرب

الزاب الاعلى ، معجم البلدان ٢-٢٢٢ .

(٤) غير موجودة في البرق ٥ ورقة ١٣٠ ب .

(٥) في الاصل : صاحب .

فصرت عن سره بمعزل حتى استقرت قاعدته (٦) ولم يبق الا عقدة للتأليف
تقرر ونسخة التظيف تحرر فاستدعاني السلطان ذات يوم غدوة وقال :
اكتب لنا شرطا ليكون لنا في الوفاق قدوة فقلت له : كيف تستثنى اولئك
الذين وثقوا بمهدك ، وسكنوا الى وعدك وهؤلاء لا يرضون (٧) بالاستثناء
وكيف تنسب الى ترك الوفاء فقال : اكتب ما ينزهني عن الخلف وينبهنى
على صدق الحلف فقلت تحلف لصاحب الموصل على موصله ونجح مؤمله
وتجعل أمر أصحاب تلك البلاد الى اختيارهم فمن اختارنا تم منا له مناله ومن
اختاره فله عنده سؤله وسؤاله ، وهو يشرع في استدعائهم واسترضائهم
على وفق آرائهم فان صح لنا في عودهم (٨) اليه أمرهم بسط عذرنا (٩) وقبض
عذرهم .

فقال : امض الآن الى شيخ الشيوخ وعرفه بالقضية وارضه بهذه
الحالة الرضية والم ايضا بمحى الدين وانا قد أجبناه على هذه الشريطة الى
اليمن . فأما شيخ الشيوخ فانه عرف واعترف واسعد بالمراد وأسعف ،
وأما محى الدين فانه ابى الا الالباء وانكر الاستثناء وقال : هذا مستحيل ولا
ينقطع به القال والقال واولئك في بلادنا ونوابنا وفي ولايتنا ولايتنا وأصحابنا
وفي خروجهم علينا ما لا خفاء به من تفريق الكلم وتشيت الشمل المنتظم ،
واذا علموا انكم لهم توفقتهم وعليهم اشفقتهم خرق اجماعهم ، وزاغت عنا
اسماعهم وابصارهم فاتركونا واياهم واعتذروا اليهم باننا انما قبلناكم ايام
السخط والآن فقد كمل الصلح فاجروا على العادة ولا تخالفوا في الارادة
فقلنا تأخذ الآن عهدا كما شرحنا وشرطنا وحفظنا به الجوانب واحتطنا ،
وانتم اشرعوا في الاستمالة وتكبوا طرق الاستحالة فما قبل الرسول ولا
تم بقبوله السؤال . ثم استأذنوا في الانصراف والاستيثار على ما تقرر في
الاستحلاف فأكرم الرسل الكرام وقضيت حقوقهم بكل تشريف وعطية وتحفة
وهدية وكان شيخ الشيوخ كبير الهمة أثيرا (١٠) لا يقبل قليلا ولا كثيرا فاذا

(٦) ساقطة في الاصل والضبط من برق ٥ ورقة ١٣٠ ب .

(٧) في الاصل : ولا يرضون .

(٨) في الاصل : وسودهم .

(٩) في الاصل : عدنا والضبط من البرق ٥ ورقة ١٣١ ا .

(١٠) في الاصل : اسيرا .

حمل له الطعام فترقه على الأجناد الذين معه من الديوان العزيز الأمامي ،
وعصم أحواله بالخلق العصامي فما زالت به حتى أجاب كل يوم الى رغيته
وباجة متخذة من تجاجة .

فلما خرجوا من دمشق عازمين على المسير وعرف السلطان أنهم خيموا
بالقصر قال السلطان : قد استحييت من صدر الدين شيخ الشيوخ ، وقد عولت
على أن أركب لوداعه وأقابل مقاله بامتثاله وأقبل مقاله لأجله ولأجلته ،
ويكتب نسخة اليمين كما يملئها بعبارته . فسبقت اليهم بأمر السلطان ،
وعرفتهم بسرعة وصوله ، فلما وصل نزل في خيمة الصدر منشراح الصدر
متضح البشر ثم كشف له في القناعة ما سألته القناع وسأله بالرسول
في عقد الاجتماع (١١) . فأرسل اليه من يعلم بالأمر ويثق به على السر
وضيق عليه سعة العذر فلما رأى تواضع السلطان ترقع وقال : أنا بعد ما
جرت من الحال لا رغبة لي في الاسترسال حتى أنهى الى من خصني
بالإرسال . ولعلكم اعتقدتم أنه ليس لنا مظاهر ولا مظافر ولا موازر بل لنا
من يشتمل علينا ويعصمنا ويحمي لنا ونحن نكاتبه . ونستشير به ولا نتوخي
خلاف مذهبه وأشار الى سلطان العجم والبهلولان فأذن هذا القول منه
بنقار السلطان وترك ما عزم عليه وودع وركب ، وبعد الأمر الذي كان قد قرب
وكان قد أرسل للاطفاء فأسرع للاستحذاء فتكبر .

وقال السلطان فآثر العزم في العود الى الموصل فهأجه وحرف إليها
مواجه ولو تمسك منه بظاهر يمين لفاز لرسله في مكانه بتمكين وكأنه ذكر
بما نسي واستعجل فيها أنسى ، فخطب خطابه خطوبا وغير تقرير ثلثه قلوبا
وجر ذنبه (١٢) تجريه ذنوبا ، وحدثت كوارث ، وكثرت حوادث كلها الى هذه
الحالة منسوب ومن هذه المقالة محسوب وسيأتي ذكر ذلك في مكانه بشرحه
وبيانه .

قال : ووصل رسول عماد الدين زكي صاحب سنجار فاتخذ توخي
المصلحة في المصالحة وعاد فعرف ما أفضى اليه الأمر وما جرى عليه رسل

(١١) في الاصل : الاجتماع والضبط من البرق ه ورقة ١٣٢ أ .

(١٢) في الاصل : ساقطة الضبط من برق ه ورقة ١٣٢ ب .

الموصل من الالباء والعود الى عادة الاعتداء . وانا فى هذه السنة المقبلة قد
عزمنا على الكر الى الكرك وانا راغبون فى جهاد اهل الشرك فى الثواب
المشترك وقوبلت تحاياه وهداياه بأضعافها وبذل له من الابتهاج لمودته كل
ما يؤذن ببهجة الدولة وهز اعطافها وكتب فى جوابه مع رسوله وهو وزيره
شمس الدين بن الكافى كتاب من انشائى بتاريخ ثلاث خلون من ذى الحجة (١٣)
قال : (٢١٧) وكثرت الأمطار فى شتوة هذه السنة والثلوج وتعذرت (١٤)
الحركة والخروج .

ودخلت سنة ثمانين

والبرد قد تقوض أساسه وانقرض باسه وسقطت جمراته وسقطت
غمراته فتقاضى السلطان عزم الجهاد وحزم الاجتهاد فاستدعى الاجناد
واستعد وخرج الى مرج الدلمية من عمل البقاع وقد اذن مرعها بالامراع
وغضت الشعب ورضت الاعشاب وأمكن الرعى وتمكن السعى وشرع الجند
فى الاجتماع والجد فى الارتقاع وتواصلت الرسل وتراسلت الموصل ، وجاء
رسول نور الدين بن قرا ارسلان يظهر لما يوسى به الانتقاد والاذعان وهو
وزيره قوام الدين أحمد بن سماقه وهو حاكم ملكه وناظم لسلطه وأخص
خواصه وأخلص ذوى استخلاصه ودخل الى السلطان من بابى واستفتح
خطابه بمفاتحة خطابى وفرق على الخواص والعوام تحفا وهدايا خصت
وعمت ، وطرفا وسنايا مقاصده بها استتمت . وردة السلطان سريعا واتحفه
احسانا وسيعا وشيعا وسامه بالوصول بمخدومه فى خصوص عسكره
وعمومه واقمنا حتى وصلت البشرى بقدومه . وركبنا وتقلينا على فراسخ
وشاهدنا منه الطود الراسى الراسخ وأنزله السلطان فى سرادقه وعام
فيالقه فى فيالقه واستصحبه الى دمشق فأبدى بمنتهزاتها العشق واضافه
وأزاره الطافة وأدنى من فضله قطافه ولاعبه بالكره فى ميادينها وداعبه
بالطرف فى بساينها . ولما تم عبير الربيع فى عبوره ونمى حبي الحبير
فى عبوره تقاضى غريم الغرام بقضاياه واعلن العزم السلطانى بخفاياه

(١٣) نص الخطيب فى برق ه ورقعة ١٣٣ ا وبقية الاوراق من
١٣٣ ب - ١٤٠ ا غير مذكورة فى المختصر . وبهذه الاوراق ينتهى ج ه من
البرق وتبدأ سنة ثمانين وخمسائة ويقول العماد : ويتلوه الجزء السادس
ودخلت سنة ثمانين .

(١٤) فى الاصل : وتعذر .

وأخرج خباياه وأيقن الاسلام بأمانيه والكفر بمنابيه . واجتمعت
العساكر برأس الماء على الملوك والامراء والاكابر والعظماء ، وأشفق
السلطان من تكليف ابن قرا ارسلان تجشم المشاق فأتزله فى مقام الارفاد
والافاق وتقدم الى اخيه الملك العادل سيف الدين بالاقامة معه لابنائه .
وكان قد قدم كتبا الى الأجل الفاضل بالوصول العاجل ، والى تقي الدين
ناييه بالديار المصرية باقباله منها بالجحافل ، وسار على سمت الكرك
واستصحب عدد الحصر وعدد الابصار والعسكر اللجب والمنظر العجب .

فصل فى كتاب الى صدر الدين شيخ الشيوخ ببغداد فى شهر ربيع
الأول سنة ثمانين : قد توافدت العساكر الشامية والجزرية والديار بركية
ووصل نور الدين بن قرا ارسلان (١٥) فى عسكره المجر وجنده المصحوب
بالنصر ، وعسكر صاحب ماردين فى جمع كثيف ومطلع فى السعد منير منيف
وصاحب دارا وشهاب الدين اخو صاحب سنجار ، وكل منهم ماضى العزم
شديد السهم لما مهدنا له من المهم . ونحن متوجهون الى الكرك يسر الله
فتحه وقرن بمتجرنا فى سبيله ربحه ، وقد استدعينا العساكر المصرية
وتواعدنا بالوصول اليه والوصول عليه فأنا كنا أضعفناه وخريناه وخرنا
القتال عليه وجريناه وان فتحه يستدعى تكرير العود اليه بالحصر وتكدير
صفو العيش على اهل الكفر ولعل بهمة سيدنا يتخذنا فى الملتقى ويسعدنا
على نيل الفتح المبغى . قال وسرنا بالنصر واثقين وفى العزم صادقين
ووصلنا الاساد بالتأويب والخبب بالتقريب حتى أنخنا فى خامس ربيع الآخر
بأعمال الكرك على ادر وما منا الا من شرح الله له الصدر . ووصل الخبر
بقرب العسكر المصرى بالنصر الناصرى والبأس العمري فتشوقنا الى اللقاء
وجينا الى الكرك ونزلنا قبالة الحصن على واديه وعادتها منا عواذيه .
ووصلت العساكر المصرية ووصل الأجل الفاضل ثم وقع التظافر وكمل
التظاهر على مضايقة الحصن (١٦) باعادة قوتها الى الوهن فعبى السلطان
الى الرىض ليقرب سهمه من القرض وسكن فى دار الرئيس . ونصب تسعة
من الفجنيقات الكبار ورتب عليها نوب الليل والنهار وكان نصبها صفا قدام
الحصار مبنية والاستار موثقة بأسباب الاستظهار فزارت الاسوار بالاسوار
ورامت بالداهية الدهياء حتى هدت أركانها وهدمت بنيانها وجردت من العمارة

(١٥) توجد فى الاصل بالهامش .

(١٦) قارن الروضين (١) ج ٢ — ٥٦ .

جدرانها وخمراتها ، ولم يبقَ بيننا وبين الحصن مانع الا الخندق الواسع العميق وقد تعذر فيه الطريق وكان من الادوية الهائلة والمهاوى والمهالك الغالية ولم يكن فى الراى الا طمسه وملوه بكل ممكن وردمه فعد ذلك من الامور / (٢١٧ ب) الصعاب وتعذر لحزونة الأرض وتمخرها اليه حفر الاسراب فأمر السلطان يوم الخميس سابع جمادى الاول بضرب اللبن وجمع الاخشاب وبناء الحيطان المتقابلة من الرىض الى الخندق وتسقيفها ، وتسقيف ستايرها وتاليفها ولما تمت دروبها ومنافذها وكانت شتعاى واسعة لا يزحم فيها الجاى الذاهب ولا يصدم فيها الماضى الايب توافدت رجال العسكر على ذلك واتباعه واثياعه على نقل ما يرمى فى الخندق ويحشى به عرض ذلك المخرم وعمق ذلك المخرق فتمادى على ذلك تتابع الايام والليالى وكاد ان يتساوى بالهدم والطم مخارم الاسافل والاعالى وكاد الفتح يقرب والنجح يكتب حتى عرض الونا وعنا ما عنا ودنا القدر بما دنا .

فصل من كتاب الى ابن قرا ارسلان وهان ظم الخندق بالدبابات التى قدمت والاسراب التى بنيت واحكمت فوجد الناس اليه طريقا مهيعا فهم يزدحمون آمنين من الخراج عاملين على الافراج ، وقد امتلا الخندق حتى ان اسيرا مقيدا رمى بنفسه من السور اليه ونجا بعدما توالى من الفرنج روى الحجارة عليه .

قال : ووصل كتاب الملك العزيز وكان مقبلا بدمشق بوصول رسل الديوان صدر الدين شيخ الشيوخ وشهاب الدين بشير ومن معهما فكتب من السلطان جوابا منه : وما أسعده حين فاز بخدمة سيدنا صدر الدين ولقد وفق فى حضور حضرة جلاله كل يوم والتمين بأنوار عزته والتبرك بايثار ادعيته وقد ظهر أثر قدومه المبارك وبشرت ببشر وجهه وجوه الممالك فلنا كل يوم نصره ومبرة من الله مبرة ومصرة معلنة بالمنايح مسرة .

من كتاب فاضلى الى الديوان العزيز : أصدر الخادم هذه الخدمة من الكرك يسر الله فتحه وعجل فتحه وتوجه اليه عقب منصرفه من بلاد الساحل وبعد قضاء مفترضه وأعرض عنه أولا وهو قصده اعراض الرامى عن مراده وغرضه فانه لجى فى الحناجر وقذى ، ورصد الطرقات المسلوكة وصير فى السبل المشكوكة وقد أخذ من الامال محققها وتعد بارصناد العزايم وطرقها وصار ذنبا للدهر فى ذلك الفج وعذر التارك فريضة الله من الحج وجلس من هام الاسلام بمكان عمامته وختم على انفاس الحجاز

فما يدع نفسا يصعد من تهامته وخف بهذه القطيعة مدينة قد عقل الجبل
حبوتها وأزلق الغراب أن يطا ذروتها وعصم سوار الوادى القوى بعصمها
وحمت عزة الجبل المطل ادهمها والخيّل تصعد منه أنجها فى فلك بين طالع
طالعها وغارب فى واديه لغاربها وجنا المنجنيق بحاكمها وقامت كف كفنه
تراحمها ولسان حبله للنضض يخاصمها . قال : واستمر مقامنا واستحتر
غرامنا وقد آن أن يفتح الفتح المرتجى بابه المريح ويحد الحد المبتغى المنهج
البيهج (١٧) وما فى الفرنج من أهل الحصن من رأى له مخرجا وفرجا وتطائرت
كتبهم الى من ورائهم بالاستصراخ واستأنس روع الكفر من الافراخ .

ذكر القبول من الشام واجتماع الفرنج

فى الموضع المعروف بالواله

قال : وصل الخبر ونحن على حصار الكرك وقد ضايقناها أشد مضايقة
وعالقناها أحد معالقه بأن الفرنج قد أقدموا مجتمعين ولنداء المحصورين
مستمعين وقد جاءوا مدججين وفى بحر الموت ملججين فلما سمعنا بجمعهم
طمعنا فى وقعهم وقتلنا متى رتبنا القوم وعادونا السوم فى مجمعهم وريضا
على مطلعهم وخيمنا قرب مخيمهم وهم فى منزلة الواله نازلون والهـون
للكريهة كارهون ، وكانت مسالك الدخول اليهم صعبة وعرة وطرق التطرف
نحوهم متعمقة متعرة فقلنا نحصرهم ونصبر عليهم ونصابرهم حتى يخرجوا
فيخرجوا الى مفازة البلقاء فيفوزونا للقاء وأطاف العسكر بهم أياما فلم يطق
اقداما فرحل عنهم لخناقهم نفسا فبقي الأمير عز الدين جاولى هناك مقيما
للاطلاع على احوالهم مستديما حتى اذا عرف بحركتهم للخروج أعلمنا بحالهم
وأقدمنا على قتالهم فأصبح وربعهم خال ورسهم بال وأثم لم ينالوا بركوب
الخطر فى طريق لم يخطر ببال فاتخذوا الليل حملا ورجعوا القهقري وسلکوا
فى المضائق سبلا وفروا من الشرك وكروا الى الكرك فأسفنا على فوت الفرص
واقلات الطائر من القفص ، واجتمعت العساكر فى عماق بالاثقال وركنا
زرق الاسنة الزرقاء وقربنا بلقيا الخير قرى البلقاء وعدنا بالسلامة نذكر
سلامة الاعداء .

ولما رأى السلطان أن الفرصة / (٢١٨) فاتت استدرك الفارط بغزوة

(١٧) فى الاصل : المنهج وكذا يتطلب السياق .

قدمها وخطوة اغتتمها وجاب نابلس واجرى اليها الخيل وجر عليها الذيل
وسبى وسلب وغنم وقلب وأقام بها بياض يومه بنسواد قومه حتى استخرج
العسكر المغانم من المغاني وتفرقوا في اقاصي شعابها والاداني . وفي طريق
عوده نزل على سبيطة وفيها مشهد زكريا عليه السلام وقد اتخذ الفرنج
كنيسة واودعوها اتمشة نفيسة وبها من الفرنج سكان واقسماء ورهبان
فقدوها باسارى مسلمين ولاذوا بالامان معتمدين . ثم اتاخ على جنين
ماهبط أوجها وهدم برجها وآب بالنهاب والسبايا والمراعي والصفايا فاجتمعنا
على الفوار وبادرنا بالوصول الى دمشق للاستسعاد برسل الديوان العزيز
وبرؤية شيخ الشيوخ وكان البحر متوهجا وضرام الجو متأججا وقشيت
الامراض ووثبت بالجواهر الاعراض ومرض شيخ الشيوخ فتعفف عن
مواصفة اطباء واستمر في ذلك على شيمة المتوكلين الاتقياء وقال : ان
البلى بالمرض هو النعم بالشفاء . ومرض ايضا شهاب الدين بشير واصحابه
وخواصه وحجابه فضجوا ومجوا وابوا الاتامة وابدوا السامة وظنوا في
الرحلة السلامة وقضى كثير من اصحابهم فتشاعموا بمصابه واسقوا على
شبابه والسلطان يستمهلهم خوفا على مزاجهم ورجاء نجاح علاجهم فاشفق
اصحاب بشير لشدة مرضه من وقته واساعوا الظن بعده بعطايا السلطان
وصلاته فارادوا ان يستعملوا نقودهم ويستعملوا نفودهم ويجتابوا خلعتهم
وبرحوا ويأخذوه معهم فما عليهم بعد ذلك ما يقضى به القدر ويقضى به بعد
قضاء وطر الورد الصدر فحملوا لاجله المطمع في نعمتهم مخدومهم على القدر
وساء حظه الخطر وحسنوا له ان الهواء وبى وبيل وان رسم الصحة في
هذا المحل محيل فطلب بشير الاذن في الرجوع بعد استماع جواب قوله
المسموع فتقضى السلطان حق اكرامه وادى قرض اجلاله واعظامه ومد له
حصنا عربا وحجورا متائفا واطلق لاصحابه اعنة جوده على حسب اقتراحهم
اطلاقا فلما كمل لهم العطاء وكشف لهم عن ستر الراحل التقاء رغبتهم في
المقام رفقا بنفوى السقام فلم يكن للاصحاء بعد استيفاء حظوظهم في اللبث
حظ ولا لزمهم لاجل مرضاة مرضاهم حفظ واصبحوا وقالوا لريضهم الثقيل
انت اليوم في خفة وحملوه راحلين به في محقة واجاؤا شيخ الشيوخ وهو
في بحرانه للعوام في بحرهم ولفح حر وجهه في وجههم لحرهم فلم يران يتعد
عنهم وان كان مرضه مقعدا . وقال : ان القضاء المحتوم ان لم ادركه اليوم
ادركه فدا وعاده السلطان بل تردد اليه كل يوم وليلة في الرباط بالمتبع

ثم استقل مودعا وداع الابد ولم يعلم ان الامل فيه (١) منقطع الابد وكان من
سنجار حسام الدين طمان مقدم عسكرها معنا فى الجهاد فاذن له السلطان
فى عوده الى مقره بعسكره وأمره بمرافقة صدر الدين والرسل معه والرفق
به وبهم فى مسيرهم ومذهبهم فسناروا على سميت الرحبة واغتتم الامير
طمان بركة تلك الصحبة فواجهوا مهاب السموم ودبت الامراض فيهم مدب
السموم ولما بلغ بشير الى السخنة شفت أعين مجيئه بيومه وسلبه الاجل
المقدر من بين قومه ووصلوا بشيخ الشيوخ الى الرحبة وهناك لقي ربه
وورد من الكوثر شربه فهو ممن رفع سريره الملائك ووضعت له فى عليين
الارايك . ولما جاء السلطان نعيه ساء وعيه ولم يزل يجرى على قلبه
ولسانه ذكره وشكره ولم يصف لاحد كما صفا له بشيره وكانت وفاته فى
شعبان بواه الله الجنان .

نكر الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه ووصوله مع عمه الى دمشق وعوده الى مصر منتصف شعبان

قال : كان تقي الدين نايب عمه السلطان ببصر ولما استدعاه مع
عسكرها للغزاة رتب بالديار المصرية نوابه ووصل لعمه موازرا مظاهرا
وبمضاء مضاربه له مضافرا فلما وصلنا الى دمشق حضر بها معنا وأبدى
مكارمه وأبدعها بما وسعنا وبث الزند وبث الحمد وكانت بينى وبينه صداقة
لمصدق الاعتقاد معقودة واثمان صنايمى فى سوق صنايمه منقودة وأنا اثبت
فى هذا الكتاب قصيدة ثائية مدحته بها فى سادس رجب سنة ثمانين بدمشق
حرصا منى على تخليد ذكره وتعمير مجده قلت ومنها :

فما حل فيه الهم الا ليلبثا	اذا شئتها عن غير قلبى تصدثا
الهوى ضناساكننا منى ودمعى محدثا	خذنا شاهدى صدق على صحة
هيك من حال عذرى لها مملثا	(٢١٨ب) / رثى لى عدوى من جفا عيني ونا
وقد علقته فيه غريق تشبثا	غدت دمعتي فى هذب عيني كأنها
من النار ما فى خده الحسن وارثا (٢)	واهيف حزنى فيه ارث فى الحشا
على غير متن الهوى ما توعثا	يقول خليلاي الشقيقان لو مشى
أرى طرقات الصبر عندى أوعثا	رايتم طريق الحب وعثا واننى

(١) فى الاصل : فى .

(٢) فى الاصل : ارثا . تارن الروضتين (١) ٢ ص ٥٧ .

قال : وخرجنا من دمشق في شعبان وخيمنا على الفتية (٣) ودعا السلطان
ثقي الدين فأمره أن يرجع بالعسكر الى مصر بعد ما ودع في منتصف شعبان
وعاد الى القاهرة ثم رجعنا من فرض الجهاد الى فرض الصيام واجدنا شهر
رمضان في دمشق راحة المقام ورجع كل عسكر الى مركز ملكه وكل تبر الى
أربع فلكه .

نكر الشيخ العالم زين الدين أبي الحسن علي بن نجا

الواعظ المقيم بمصر

قال زين الدين هذا من أهل دمشق ومن ساكني مصر ذو لهجة في
الوعظ صحيحة وبهجة في الفضل صبيحة وقبول من القلوب وفصول في
نصل الخطاب الخطوب ، وكان السلطان يستشير ويروقه تدبيره ويتبين
بندبه واستحيائه ويهد بهيراته ويوده بمكرماته . ووصل في هذه السنة
منه كتاب الى السلطان يتضمن برح لوافح الاشواق وشرح فوادح القسراق
ويشوق الى مصر ونيلها ونعيمها وسلسيلها ودار ملكها ومدار فلكها وملتقى
البحرين ومرتقى الهرمين وريفها الريف وصيفها الخريف وان شتاءها ربيع
وشتاتها في الفضل جميع وذكر في كتابه ما دل به على فضيلة تلك الديار
من الآيات والخبار فكتبت اليه في جوابه عن السلطان بتفضيل دمشق على
مصر : وردت مكاتبة الشيخ الامام زين الدين اطال الله بقاه وسعدنا منها
بعد عهد بعيد من مراسم سرورها بعيد وشكرنا الله تعالى على ما تضمنته
من النعم المستمرة والمواهب المستقرة المستدرة وعرفنا طيب الديار المصرية
ورقة هوائها وترفرف آلايها وضحك ارضها من بكاء سمائها وبعد شهادة
زين الدين بزيينة مشهدها واجتلاء العيون برسمها مقام أثمدها قد حكمتها
بفضلها وفضيلتها وحفظ وسيلتها وصدق محلتها ونحن نسلم له المثلثة
في طيبها وتوفر نصيبها ورقة تسميها ورايق تسببها لكن لا ريب أن الشام
اقضل وأن أجر ساكنه أجزل وأن الزلال البارد به أعل وانهل فان الهواء في
صيفه وشتائه وان الجمال فيه أكمل وأن الجمال فيه أجمل ودمشق حديقته
الناضرة وحديقته الناضرة ومنه : لا سيما وقد تمسكتا بالاية والسنة والاجماع

(٣) يرجح أن تكون في شرق الاردن . انظر الخريدة شعراء مصر ١-٧.

وغنيًا بهذه الأدلة عن الاختراع والابتداع أما قسم الله بدمشق في قوله « والتين والزيتون » (١) والقسم من الله بها أدل دليل على فضلها المصون . أما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خيرة الله من أرضه يسوق إليها خيرة من عباده وهذا أوضح برهان على أنه خير بلاده . أما الصحابة رضی الله عنهم أجمعوا على اختيار السكن بالشام . أما فتح دمشق بغير الاسلام وما ينكر أن الله ذكر مصر وسماها أرضا فما الذكر والتسمية في فضيلة القسم ولا الاخبار عنها دليلا على الكرم وإنما اكتسب الفضيلة من الشام بنقل يوسف الصديق إليها عليه أفضل السلام ثم المقام بالشام أقرب للرباط وأوجب للنشاط وأين تطوب القطب من سنا ينير وأين ذرى منف المشرف من ذروة الشرف المنيف المنير وأين الهرم الهرم من الحرم المحترم وبينهما فرق ما بين الفرق والقدم وهل للنيل مع طول نيله وطول ذيله واستطالة سيله برد بردا في تقع الغليل وما لذلك الكثير طلاوة هذا القليل وسبيل هذا السلسبيل ونحن ما نجفوا الوطن كما جفاه ولا نأبى فضله كما أباه وحب الاوطان من الايمان ومع هذا ما ننكر أن مصر اقليم عظيم الشأن وأن مغلها كثير وان ماءها نعيم وأن ساكنها ملك وأمير ولكن نقول كما قال المجلس السامى الاجلى الفاضلى اسماء الله أن دمشق يصلح أن يكون بستان لمصر ولا شك أن أحسن ما في البلاد البستان وزين الدين وفقه الله قد تعرض للشام فلم يرض أن يكون المساوى حتى شرع وعد المساوى ولعله يرجع الى الحق أن شاء الله تعالى . قال : وذكرت بما انشأته في تفضيل دمشق كتابا كريما أصدره مولانا الفاضل الى السلطان يشوقه الى مصر وأولاده بها ويصف طبيها وذلك في سنة أربع وسبعين وهو / (٢١٩) / آدام الله سلطان مولانا الملك الناصر وأعلى ولاءه في صدور الاولياء ومكن اسنته من ظهور الاعداء ولاعدمت السنة منه امداد النعماء ولازالت بادية لعين صوابه وجوه الآراء باسمه الى قلوب رجال رجائه اسارير السراء المملوك يقبل الارض وينبئ أنه وردت المكاتبات الكريمة والتشريفات البارة والشروح الشارحة المسار السارة وتسلم منها حصته التي لا تتبع حظه فيه بملء الأرض ذهباً ولا تأخرت عنه اسار خلقها بنفسه طلبا وجمع بين خطاب المولى وسمعه وخطه وقلبه طامعا أن يجمع الله بين عينيه ووجهه وذلك يوم يكون فيه كما قيل :

رفعت عن الدنيا المنى غير حبها فما أسأل الدنيا ولا استزيدها
أو مما قال قيس :

متى بات هذا الموت لا يلف حاجة وقيل الإجابة عند الفضول

فبشر بما جرت العادة به لا قطع الله تلك العادة من سلامة وصحة
وعافية شملت الاولاد السادة أطاب الله الخير اليهم عن المولى وإلى المولى
عنهم وعجل لقائه بهم ولقائهم له فانه من يلق منهم فلك دسنة برجه وفارس
مهده سرجه فمن الذى لا يصلح له منهم السرج :

فهل لدى منهم ما محالة الميـدان والدرج تبين فيهم ميسم الجـد

تبين فيهم ميسم المجد والعلى وليدا يندى بين أيدي القوابل

لم يستهل بلى ولكن وحشه لم لا تعد له الدروع لفايفسا

فهم والله بحمد الله بهجة الدنيا وزينتها وريحان الحياة وزهرتها ،
وان فؤادا وسع فراقهم لواسع ، وان قلبا تنع باخبارهم لقانع وان طرفا
ما نام على البعد عنهم لهاجع ، وان ملكا ملك تصبره عليهم لحازم ،
وان دهر ا جاد بهم لسخى ثم اذا أبعد عنهم لظالم ، وان نعمة الله فيهم لنعمة
بها العيش ناعم انك ان ابصرتها مرة أكبرتها أن يتمناها فدعونا من تعليل
البلد الاعسر . ولعبيها الملعب الاصفر وشتائها العذاب الاكبر ، ومن رأس
عينها الضيقة المحجر ، ومن ثلجها الذى مقس الجبال بعينه ومن بردها الذى
لا يشفع الخمر عنه الا باذنه . وعود الى ما اترفت فيه من مساكنكم فانهما
تد علتها وحشة لعطينها وسالت مطالع رسومها عن أثمار سلاطينها ،
واذكروا النيل الذى وفى لكم هذه السنة بتقصه وإلى أن يكون ماؤه ذخيرة
لغير جودكم الذى احصاه الله ولم يحصه ، واذكروا فرطها فقد بلغ شطاظه
الى الجناد وعلت افراطه الى أن يكاد يصافح افراط اللحم متمكنا ، واذكروا
ما طوبيتها فقد كاد يقيم الحجة على ملك الشام ووجهه ويتغفل برده فيسرى
الى قلب العليل وكأنه جار على غير طريق فمه واذكروا صحة هوائها وتقشيتها
لأمالككم حتى انعم الله عليكم قبل صحة أجسامها بصحة أجسامكم ولولا انكم
أهنتم الذهب الاحمر والبستموه للروح من جودكم الشعاع الاصفر لقلنا
واذكروا ذهب مصر لكن قد أهنتموه واذهبتموه مجانا حتى غلب هم العافين
فاسئلوا منه بما اتخذته الاملاك تحايا واذكروا رياحين القلوب من زهرات

أولادها ، وقطعات أكبادها أما يشتاقي جيد المولى بدرهم أما تظلم عينيه
الى أن يتروى بنظرهم .

كيم ذا التجلد والاحشاء راجفة اعيز قلبك أن تسطو على كبدى
وللمولى ابتغاه الله أن يقول :

وما مثل هذا الشوق تحمل مضغة ولكن قلبى فى الهوى بقلسوب

فلو أطيع الملوك وقبل رأيه المسئول لكنت كنية المولى الى الاملاك
فانها كنية حققها القدر وما يحليها ووسمه بها أولاده لا كتابه وساق بها كتاب
الله ومن الملوك وما كتابه وقد كان الرشيد رحمه الله يسمى أبو الامناء
لمكان أولاده الامين والمأمون ، وإذا كانت الكنية لثلاثة فلا يكن أباً لثلاثة عشرة
أنا بيت القناة وعثمانهم كسناها وكليالى البدر ولانها ليلة سرار نقصانها .
والمملوك فى هذا الفصل رسول مصر وما هو عنها فى البلاغ بلاغ لا صاغ
عنها من القول الا ما ساغ ، وهو ينتظر جواب الرسالة وقد خالطها بانشاد
وما هجروا أوطانهم عن ملالة وللآراء العالية فضل الشمول .

ذكر صاحب أربل الامير زين الدين أبى سعيد يوسف نيالتكين بن زين الدين على بن بكتكين وانتهاه الى الخدمة

قال : كانت أربل من ولايات الموصل معدودة وإيالها بإيالته مشدودة
فأراد صاحب أربل أن ينفرد بالاستبداد/ (٢١٩ب) ويستقل بالبلاد فكتب
السلطان بالاعتزاز به والاعتزاء والانحياز الى حوزته والاشتداد بقوته فترددت
كتبه ورسله ووضحت فى الموالة والمشايعة سبله وأخذ اليمين على حفظه
وصيانة حقه ورعاية حظه ولزم عقده وحزم عهده .

وكاشف المواصل بالمقاطعة وأظهر المناب عن المتابعة وترادفت رسايله
فى حظه بالحض واقامة جداره المنقضى فان المواصل قامت قيامتهم بقيامه
فما اقمدهم غير المهابة والخواطر المرتاعة من الاخطار المرتادة فداروا
اعراضهم بالاستعطاف وداووا امراضهم بالاستلطاف فعز عليهم وعزف وركب
الانف وغنى عن السواقى بالبحر الخضم واعاد نشر أمره بالانضمام اليه

الى الضم ونفذ يطلب المنشور ببلاده وتحكيمه باستبداده وانفراده فاجيب الى مراده ، وكتبت له منشورا وفق اربه وفوق طلبه فى مستهل المحرم سنة ثمانين وتفصيل ما كتب فى منشوره : اربل وقلعتها وأعمالها وجميع ما قطعه الزاب الكبير شهرزور وأعمالها ، معايش بيت القرايلى الدشت(١) والزراية .

قال : ومن لجأ الى السلطان واحتفى بحمايته معز الدين سنجر شاه ابن سيف الدين غازى بن مودود بن زنكى صاحب الجزيرة فننفذ فقيه الجزيرة مع حاجبه فى استخلاف السلطان فأكرم الرسول وأبرم السؤل وكان يحث على قصد الموصل وكان هو ولى هذه والموصى له من بعده فلما فسل شبا شبابه وتقل من بين أترابه الى ترابه خلفه أخوه عز الدين مسعود وتوسع ابن أخيه هذا سنجر شاه بالجزيرة وكان بعد ذلك على عمه من الجزيرة فرجا من السلطان له فرجا وأهل ان يحدد له من العز منهجا مبهجا(٢) .

نكر صاحب مازدين قطب الدين ايلغازى بن تهرتاش ابن ايلغازى بن ارتق وفاته فى هذه السنة

قال : هو من جملة الامراء الارتقية ممن رتق اولوهم فتوق الاسلام ووقفوا فى نصره الدين مواقف الكرام ولهم فى مبادئ خروج الفرنج غايات فى الجهاد لا تدرك وملكوا من قياد المصاعب وعاد الطالب ما لا يكاد يملك وحفظوا حلب وأبطلوا من الفرنج عنها الطلب ، ونزلوا البيت المقدس قبل استيلاء المصريين عليه وحملوا ببأسهم ما حو اليه فما أخذته الفرنج الا من المصريين فى سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة وبقيت تلك الخطة وبلاد الساحل مع أهل الشرك وعجز عنهم ذووا الملك الى أن يسر الله سبحانه فتحها للملك الناصر صلاح الدنيا والدين يوسف بن أيوب فى سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة وسيأتى ذكر ذلك فى مقامه عند ورود عامه . فبقيت ديار بكر وبلادها فى أيديهم وتفردوا غيها بتوليهم وذبوا عن محصنات معاقلها ومحصنات عقايلها فبهم بقاء بقاعها وبها يهم ضياء ضياعها وبأمرهم أمور ولاية قلاعها يتوارثها كابر عن كابر وماجد عن ماجد . وقد تقدم فى عصرنا هذا ملكان أحدهما هذا قطب الدين ايلغازى صاحب مازدين ومعه ميانارقين وتلك الولايات والبلاد

(١) الدشت بليدة بين اربل وتبريز . معجم البلدان ٢—٥٧٥ .

(٢) فى الاصل : منهجا .

التي تجاورها والاعمال والمعاقل التي تتأريها والآخر نور الدين محمد بن قرا ارسلان بن داود بن سكمان بن ارتق وهو صاحب حصن كيفا وخرتبرت (١) والبلاد التي تناسبها فلما ملك سلطاننا الشام ولزم أمره النظام فأول من لاذ ببابه وعاد بخبايه نور الدين بن قرا ارسلان فانه خاف من حمية قلعج ارسلان كما سبق فقصده السلطان ودخل حدود بلاد قلعج ارسلان وخيم على كوك سو حتى زال الخوف وأمن السوء وذلك في سنة ست وسبعين وقد مضى ذكره وشاع في ذلك أمره فلما خرج من مصر سنة ثمان وسبعين راسل هذا نور الدين وابن عمه قطب الدين صاحب ماردين في مساعدته على قصد الموصل فأجاب نور الدين دعاه ولبي نداه وسار اليه وقدم عليه ونبا قطب الدين وأبى فان صاحب الموصل ابن عمته وما لاق خذلانه بكرم سيمته ولكون شاه أرمن صاحب خلاط خال صاحب ماردين ثبت على مؤازرته بمضاء عزيمته فلا جرم سعى السلطان في نصرة نور الدين وفتح آمد ووهبها له وأتاله من المال والجاه ما أتاله . ثم راسله صاحب ماردين بالوفاق وتنكب نهج الشقاق فاثبت عذره ونفى ذعره ولم يزل عيشه رغيدا والظل مديدا الى أن قلصه القضاء المحتوم والقدر المعلوم ونعى شبابه ونعب غرابه وخلف عيالا وأولادا أطفالا وله ابنان صغيران أكبرهما ينيف على العشر (٢) سنوه فسفرت بولايته (٢٢٠ ١) بعد قطوبهما الوجوه وكفل به في ماردين أحد الاعيان من ممالك أبيه نظام الدين البقشي (٣) وتولاه تولية المشفق النبيه واستقامت الاحوال واستنابت الآمال واقتروا الى اشفاق السلطان واشباله وابدال اعراضه باقباله وايوائهم الى وافر أفضاله ووارف ظلالة .

(١) خرتبرت : بالفتح ثم السكون وفتح التاء المثناة وباء موحدة مكسورة وراء ساكنة وتاء مثناة من فوقها وهذا اسم آرامي وهو الحصن المعروف بحصن زياد في أقصى ديار بكر من بلاد الروم بينه وبين ملطية مسيرة يومين وبينهما الفرات . معجم البلدان ٢-١٧٤ .

(٢) في الأصل : عشرين وكذا هو الصحيح فمن المعلوم أن أولاد قطب الدين كانوا أطفالا . وقد ذكر البنداري بعد ذلك عمر الطفل أنه كان ابن عشر سنوات .

(٣) قارن الروضتين (١) ج ٢ — ٦٣ .

ذكر ما اعتمده السلطان فى باقى هذه السنة

قال : أقام السلطان فى دمشق حتى دخل الشتاء وعارضت عارض نداء الانداء وجادت كجوده السماء ومنح فى خصب السنة كما منح فى احسانه الرجاء وتفرقت بايدى أوليائه كاهواله الاعداء وأقام حتى أنقضى رمضان ولم يرض بالمقام فى كن كانون وآثر الدنو من اعدائه الذين لا يدينون ولا يدنون فهمت همته وحميت حمينه وأخذ بالحزم ونفذ بالعزم وأستحض واستحث وحظر اللبث وأصبح فى يوم أضحت سماه وصحت فى الحسن والطيب اسماره فأخرج مضاربه على سميت بعلبك وضربت خيامه من دمشق على نرسخين وهو يركب كل يوم لصيده وقنصه واهتبال فرضه . وأقام أياما حتى اجتمعت اليه الشداد واتصلت بتوامها الاقتداد وشد زمام الزماع للاسراء والاسراع وسار على طريق البقاع وفزعت تلك الجبال بفوارع الجبال واصحرت الاساد الخوادر من الفيافى الاغيال وسالت أودية الشعاب ببحر الجيش ذى العباب وسرنا حتى خيمنا على بعلبك بظاهرها ودخلت البلد هناك فى العشرين من ذى القعدة مفارقا للمخيم بسبب المرض الملم وشق على السلطان انقطاعى وتوجع لما راعه من أوجاعى فانتقطع إلى واتصل إلى . ورحل السلطان إلى حمص فسير إلى طبييها ابن الصورى وسمع المخدم الاجل الفاضل بخبرى وكان بدمشق فجمع الاطباء وخاطبهم فى تدارك حالى فندب من وقته الموفق بن المطلب (١) وسار فى يوم وليلة إلى بعلبك من دمشق فرأيت منه عمل من طب لمن حب فشفيت بعدما أشقيت وعجلت أوبى إلى دمشق وكان وصولى إليها فى ثامن ذى الحجة وأخرست بحضورى شقاشق المرجفين وأقمعت بأوبى مناقش المتشسوقين واقمت إلى أن عاد النشاط وتيقن على المزاح الاحتياط والسلطان لحماه يرقب قربى ويطلب أوبى وجاءه عند استشعار اليأس منى من بذل له فى منصبى بنولا فما استحسن عنى اليهم عدولا وخلع على البشير بسلامتى . وحين استقام مزاجى استقيت على منهاجى ووافيته وما برح من حلب حتى جئته وما لقيت السعادة حتى لقيته وما أمر بالرحيل حتى وضعت بمخيمه رجلى وأبدى لى أن مقامه من أجلى .

(١) ارسل له أيضا الفاضل من دمشق الحكيم ابن المطران واسمه أسعد بن الياس وطب العماد على يديه ، الروضتين (١) ٢ — ٦٠ .

قال : ودخلت سنة احدى وثمانين

والسلطان بظاهر جماعه مخيم وللعزم على قصد الموصل مصمم والثناء قد انكسر والنور قد انحصر ووصلت الى السلطان يوم عزمه على الرحيل واذن وصولى بأحياء رسم منصبى المحيل ورحلنا للارب منتبذين والى حلب متوجهين ولما قربنا من تل السلطان تلا السلطان سورة الحمد وتلاه سلطان السعد وجاء اخوه الملك العادل سيف الدين صاحب حلب لتلقيه وقد أقبل بالاقبال وجلا وجه الجلال ومعه عسكر حلب فى هيئة رايقه وهيبة رايعة فاستبشر السلطان بلقائه ودعا له بلقائه . ولما وصلنا الى حلب در حلبها وتلقانا عجمها وعربها وخرجوا وتبرجوا وتزهوا وتفرجوا وخيم السلطان بظاهرها ظاهر المخيم طاهر الاديم مستقيما من امر الله على المنهج القويم وأقام امامها (٢) الى ان سأل عن الأحوال ومال نحوه بالنوال وأطاع بدور الدور فى آفاق الاتفاق وأطلق قيود النقود بالارفاق والارفاق وتوجه للسير ماطر السماء سامى المطار سامى الاقتداء قوى الاقتدار . وكنت فى ستة من ماليكى وخدمى واشياع أمتى واتباع عملى والمحتدين احسان السلطان والمعتفين سلطان احسانى . ولما تكاملت جهوع الجنود وتواصلت وفود الحشود رمى قبل العشية دهليز النوبتية فى صفر وفض الختام وقوض الخيام . وأصبح السلطان راكبا فى عسكره ساحبا ذيل عشيره وهو قمر هالته وشمس جلالته ووصلنا الى مضيق جبلان ثم سرنا فى سهول وأوعاث فى مراحل ثلاث حتى خيمنا على الفرات ببحر المبرات ونزلنا بمكان تحت البيرة على فرسخين نعرف ترتيا . والفرات قد تجاوزت حدوده وتجاوزت حدوده ومحت من جسوره سطوراه وأعجزت ورده وصدره اعجازه وصدوره/ (٢٢٠ب) وهو متلاطم الامواج متراحم الاثباح وكان السلطان قد سير الى معقل الفرات وتلاعه ونواحيه وضياعه وأمر عليها بعمارة كل سفينة ومركب وزورق فحالت جواريا كالجبال الرواسى فعلونا آكامها ورفعنا اعلامها « بسم الله مجريها ومرساها » (٣) وأتمنا ثلاثة ايام للعبور وأحمدنا مصبحها وممسها وأخضنا الخيل الماء فقامرت الداء فنبحت السوابح فى تيساره وتسابقت السوابق فى مضماره ولما وقع العبر توقفنا حتى ضم النثر فأخذنا

(٢) فى الاصل : ايامها .

(٣) سورة هود آية رقم ٤١ « وقال اركبوا فيها باسم الله مجريها ومرساها » .

على سمت حران فى طريق برج علوة والبيضاء وقد ضاق بالعسكر واسع
النضاء ووصلنا الى حران فى عدة مراحل وخيمنا بظاهرها ظاهرين وبامداد
نعم الله مظاهرين .

ذكر الامير مظفر الدين كوكبورى صاحب حران

قال : قد مضى ذكر الامير مظفر الدين كوكبورى زين الدين على كوجك
فى سنة ثمان وسبعين عند توجه السلطان الى الموصل ووصوله الى الخدمة
وحلوله محل المشاركة فى الدولة والنعمة ولم يفارق الخدمة على الموصل
وسنجار وكان معنا على آمد عند افتتاحها واختتم كل خدمة نجاحها وحلب
على حلب أمافيق الوفاق وظاهر فى الفزوات وظافر على العزمات ولم يزل
بأخيه زين الدين يوسف بن على صاحب اربل يستعطفه ويستجديه ويحسن
له الالتجاء الى الخدمة السلطانية ويرغبه . وصار مظفر الدين لكل من يرغب
فى الخدمة قدوة ونال بذلك من القرب والزلفى حظوة وعاد من يهتدى به
يقتدى وبوسيلته يحتدى وبخطابه يبتدى ولما عدنا من غزوة الكرك فى سنة
ثمانين وأقام السلطان بدمشق لاداء فرض الصوم وظن أنه يريح ويستريح .
وتواصلت كتب مظفر الدين بالحض والحث وتتابعت رسله على هوى الهواده
عادلين وللمعونة بالمثونة باذلين وبذل رسوله الخاص ابن ماهان (١) عن صاحبه
ما عز وما هان وقال : ان مظفر الدين اذا عبرتم الفرات يستدرك كل ما فات
ويقول بكل ما يحتاج اليه فى تلك البلاد ويقدم يوم الوصول الى حران خمسين
الف دينار وكتب خطه بما أفصح به من قول وأوضحه من قرار وأرغب الامراء
والحجاب والخواص فى البذول فسرنا على ما سبق ذكره على البلاد والاقامة
بها بارزة الاستعداد حتى خيما على حران بالشرح الذى تقدم وسكت
السلطان عن طلب ما كان من البذول وما تكلم فان شيمته الحياء وسجيته
السخاء لكه لما وجد مظفر الدين غير منبعث لحركة ولا متحرك فى مهلكته
وهو غير مبد لاهتمام ولا مجد بالتزام ارتاب بسكوته وسكونه وتواجهت
مختلفات ظنونه ووشى الوشاة وسمى السعاة وقيل لولا عمارة الحال بينه
وبين المواصله لبقى على حميته وتحقق بفعله ما تبرع بقوله وسيرنى السلطان
ومعى شمس الدين بن الفرائش قاضى العسكر وقال : احضرا ليديه واكشفا

(١) فى الاصل : هامان وكذا صحته .

عن حالتيه وأخبراه بما أخبر عنه رسوله وبما سبق به بذوله (٢) وبما استأنفه من الأعفاء والأغفال دون الاحتفاء والاحتفال فلما بصر بنا مظفر الدين أنباته الفراسة بما جئنا فيه وشرع في اثبات ما ينافيه وقام قبل أن يقعد وجاء بمصحف كريم وأقسم به قسم بر على الولاء مقيم . ولما فتح المصحف ووضع عليه يده ليحلف قرأت منه « يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود » (٣) فقلت له: يا أمير هذا يأمرك بالوفاء وقد أتى القرآن لكل مرض بالشفاء فما رفع يمينه حتى استوفى يمينه واستصان أمينه وكذب رسله وجحد ما اعترفوا به من قوله وبذله كله ثم صرف وزيره وادعى عليه تزويره ولولا ذلك ما هان ابن ما هان ولم يصدق على أن ما كان . فجئنا وأخبرنا السلطان بحليسة الحال وأن ما سبق من القول كان محالا على محال فتذمر وتذم وتلون وتلوم وتعجب من القضية وأنها ليست على الحالة المرضية ثم سكت عن شأنه مطرقا حتى أصبح وركب الميدان وفرغ من اللعب بالصولجان استصحب معه مظفر الدين الى سرادقه على العادة واطاع فيه حكم الارادة ونقله الى خيمته ووكل فيها به ومنعه من أصحابه فوقع الخبر بخفضه وشاع سر قبضه وهاج العسكر وماج المعشر وقام الحشر واجتمع الامراء عند السلطان وأشاروا عليه بخلات العفو والاحسان وأجمعوا على أن ينقلوه الى قلعة حلب وخافوا انه اذا خلى سبيله هرب وفات الطلب فلما انصرف الامراء وتصرفت بهم الاراء وخلا وجه السلطان وانا عنده والفقيه ضياء الدين عيسى وقاضى العسكر وعرفنا منه سجية (٢٢١) الاحسان فقلنا له انتهز فرصة الامكان وقتل المذكور طوق الامتنان وما بلغ الامر الى الايحاش وما فقد العثار مهلة الانتعاش والذي أشاروا به ليس من الصواب ولا يحكم فيه بظن الارتياح وكان هذا رأيه فوافقه وعلم أنه قد ما خصه ومازحه وناصحه وما نافقه وأنه بالعقب مصاب وباللن مغتاب ، وقال : امضوا اليه فاكتنفوا ضمايره واستوضحوا سرايره وسكنوا من روعه وأعيدوا الى انقه حلقة عادتي ضوءه وضوعه فوافينا وهو مرتاع مستشعر فاجتلى منا وجوه المعارف وهش بهشاشتنا وسر ببشر أسرتنا وقتلنا له لا تنتم لسابك فان السلطان يطلب بعثك اعتابك وانما اجلسك ليقرب عليه المراسلة والمخاطبة . فقال : هو مالك رقي وعارف حتى وأنا أسمح بما معي من البلاد واخرج اليه

(٢) في الاصل : بذل وكذا يتطلب السياق .

(٣) سورة المائدة ، آية رقم ١ .

من الطراف والتلاد وأصحابه وأخدمه ويبين له صدقى الذى أعزمه فقلنا له بل تسلم اليه قلعتى الرها وحران وتظهر بذلك له الاذعان . فقال : كل ما تتسيرون به فهو مقبول وعلى الرأس والعين محمول ، وعدنا الى السلطان ولم يبرح من المكان وأمر من الخزانة بتشريف يليق فقد شفعه التأييد والتوفيق ، واستدعى به فقبل الارض وتقبل الفرض وعاد الى بيته بالحمد جديده السعد سعيد الجد وتسلمت منه القلعتان ثم اعيدتا اليه فى آخر السنة ومحيت سبة توهمها بكل ما استباحه من الحسنه .

ذكر الرحيل من حران وما جرى بعده

قال : وأقمنا بحران فى صفر ووجه المنى قد صفر ودخل شهر ربيع الاول فى أوائل الربيع واغثمنا مرعى المراد فى المراد المربع . وقال السلطان : لا مكث بعد اليوم ولا لبث فى قصد القوم فصمنا على الرحيل وجبنا الى رأس عين فملأنا سهولها وحزونها وكدنا نشفه عيونها وعبرنا على بلاد رمت الينا باكبادهام وملكنا طوعا وكرها أزمة قيادها ونزلنا بدارا لنا أميرها ووصل الى الخدمة وامتزج بنا وانشج بالود وانتسج وكان قد وفد بعساكر ديار بكر عماد الدين أبو بكر بن قرا ارسلان بسبب مرض نور الدين أخيه فشكرنا على تهديه فى توقيه . وأقمنا بنصيبين ريثما قضينا الاشغال ونضونا الاسمال ثم سرنا وخبب الفلق على نسيج الفيلق مزرور وطرف الشمس الارمد بكحل العجاج مذرور وأقبل صاحب الجزيرة معز الدين سنجر شاه بن غازى بن مودود بن زكى وكان قران النيرين والتقاء البحرين بين النهرين فأصبحنا لأقباله حامدين ولاستقباله عامدين والتفينا به بدرا طالعا فى هالات اعلامه واسدا خادرا فى سلات آجامه واختليناه قمرنا فى نجومه وسررنا بقدومه فانتظم فى السلك واحتكم فى الملك وفاض الجود له ولأصحابه حتى دنت كل شاحط ورضيت كل ساخط ، واستدركنا بالاحسان كل فارطة لأجل تراكم الجحافل والتزاحم على المناهل قصدنا دجلة من أقرب الطرق وتركنا طريق الدولعية(١) والرق ونزلنا على بلاد دجلة على بلد وكان وصولنا الى هذه المدينة فى آخر شهر ربيع الاول ثم حدنا على الشاطئ للثقل والتحول حتى تصل الى الموصل ثم خيمنا على الاسماعيليات وهناك القينا العصا

(١) الدولعية قرية كبيرة من قرى الموصل — معجم البلدان ٣—٦٢٤ .

واستقرت بنا الهوا وتلونا سورة « والنجم اذا هوى » ما ضل صاحبكم وما غوى (٢) وضربت الخيام الى المعركة مغربة ومشرقة ومجتمعة ومتفرقة ، وقد هزتنا الى النصر الاثواق واستفزتنا الى ممالكها الآفاق وطارت الاخبار الى الاطراف ورجفت الادانى والاعاصى بالارجاف . وأول ما بدا به السلطان يوم نزوله ببلد قبل الاسماعيليات تقديم ما هو اثم الواجبات والزم المفترضات وندب القاضى ضياء الدين أبا الفضائل القسم بن يحيى بن عبد الله الشهرزورى فى الرسالة الى المواقف الشريفة النبوية وسدة المنيفة الامامية الناصرية وانهاء الاحوال وذكر الاسباب المقتضية للنهوض وأن اهل الموصل مواضع الاعاجم وخاطبون لسلطانهم القايم وناقشوا اسمه فى الدناير والدرهم وأنهم يتعززون بالبهلوان وأنهم يرسلون الى الفرنج ويقوون أنفسهم على قصد الثغر وتفريق الجمهور وأنه ما جاء طمعا فى استضافة ملك ولا قاع بيت قديم/(٢٢١ب) ولا قطع أصل كريم وانما مقصوده الاصلى ومطلوبه الكلى ردهم الى طاعة الامام ونصرة الاسلام وقطعهم عن مواصلة الاعجام والزامهم بما يجب عليهم من حفظ الجار وصلة الارحام . فهذا صاحب الجزيرة وهو ابن أخى صاحب الموصل ولى عهد أبيه ولم يرع فيه ذمة أخيه وأبعده عما استحقه بالارث والتولية وأجاز حريه وقطع رحمه ولو تمكن منه لأطاح دمه ولولا خوفه من جانبه لما التجأ الى هذا الجانب وما أختار الأجانب على الأقارب . وهذا صاحب اربل جار الموصل أبوه زين الدين على هو الذى حفظ ببيتهم وخلف فى احيائهم ميتهم وهذا ولده فى جوارهم يشكو جورهم ولا يعرف فى المكيدة عليه غورهم وقد استجار وهو جارهم الادنى حديث صاحب الحديث(٣) فى حديثه لا يخفى وقد أشرف على الضرار وأشغى وعين من تكريت من مخالفتين لا تكره وهلم جرا من نوايب وصروف لا تحصي وخرايب ومكوس عنها لا يستقصى أهل الشرك فى تفريق الكلمة وتبديد السلك وعود فى ذكر هذا كله مشافهة الرسول وعلى ما يراه من علاقات الود والقبول . وكتبت الى الديوان العزيز والى صاحب كتبنا برسالته والحوالة على مشافهته وكان ضياء الدين الشهرزورى الوزير يشير بمدحة أسيرها الى صاحب

(٢) سورة النجم آيات رقم ١ ، ٢ .

(٣) بلدة من أعمال الموصل . يقول ياقوت هي بليدة على دجلة كانت بالجانب الشرقى قرب الزاب .

معجم البلدان ٢-٢٢٢-٢٢٣ .

واستندرار ما فى الديوان باسمى من رسوم المواهب فاصحبه كلمة
مطلعها :

قضى الوجد لى أن لا افيق من الوجد	فياضله اللاجىء اذا ظن أن يهدى
اياحادي الاظعان خل زمامها ودعها	على خدى بظعنهم تحدى
وما كنت أدرى قبل صارم حتفه	وقبلى أن السيف يقتل فى الغمد
ولاصبح الا وجهه الواضح السننا	ولا شمس الا زايد الفاقب الزند
ما رعوس الاعداء الا سنابل	وما نبقت الا لسيفك والحصد
كان لثام الزعف من فوق وجهه	عام لبدر التم وفراقه مبدى
بدرع كان البحر فى البحر زاخر	وطرف كان البرق يومض فى لبد
تساور افواه الجراح رماحه	مساورة الاميال للاعين الرمد
وما لامير المؤمنين كيوسف	فتى فى مرضيه بمهجته يفدى(٤)

قال : وشرع السلطان فى اقتطاع البلاد والتوسع بها على الاجناد
وسير الامير سيف الدين على بن أحمد بن المشطوب الهكارى ومعه الامراء
من قبيلته والاكراد من شيعته الى بلد الهكارية وجماعة من الامراء الحميدية
الى العقر(٥) وأعماله لاستفتاح قلاعها واستغلال ضياعها ونصبنا الجسر
وعبر مظفر الدين صاحب حران وخيم بالجانب الشرقى ووافقه جماعة من
الامراء فى العزم الماضى الماضى وجاء أخوه زين الدين من اربل بجنوده وبثوده
وجموعه وحشوده وتصرفت فى الاقاليم اقلامى ونفذت فى تلك الممالك أحكامى
وكان السلطان قد خصنى بما كان للوزير الجواد جمال الدين بالموصل من
الخواص فاغتنمت فيه نهزة الافتراض وشحنت على صنيعه بأحد يدا وغيرها
ورد على مدة مقامنا حلب خيرها وناقشنى نواب الديوان فيها وكتبوا الى
السلطان ان يأخذ ما بذل فيها خمسة عشر ألف دينار وأنتم تحتاجون فى
اجرائها الى استيثار فرمى الرقعة الى وقال : تأمل هذا الهذيان فقمت له
وشكرت الاحسان وتسلطت على أدوات الديوان بالسلطان .

(٤) ذكر أبو شامة ابياتا من هذه القصيدة ، ثارن الروضتين(١)
ج ٢-٦٣ .
(٥) قرية بين تكريت والموصل وهى أول حدود أعمال الموصل من جهة
العراق . معجم البلدان . ٣-٦٩٦ .

ذكر ما رآه السلطان من ترك القتال

قال : ولما نزلنا بالبلاد وجدنا الحر قد وفدت ناره ولفح أواره وقد وقد شهرا ناجر والهجير غير هاجر وجاشت الجيوش وشاقت الخيوش فأشفق السلطان على رجاله من لبس الحديد ومن أوار الحر الشديد وقال : نستعمل ولا نستعجل ونقيم ولا نرحل ونسكن الى ان تحل الحركة وتحل البركة وكفى بأهل الموصل أنهم فيه مسجونون وبما هم فيه محزونون/(٢٢٢ أ) ، والغرض من التصرف في الممالك حاصل والمدد من الطائف الله متواصل فسلطنا وهدانا واشتغلنا بما به بدانا وكان حينئذ ماء دجلة في نقصانه ونضوب بحرهما في بحرانه ، فجاء من زعم انه يمكن سد دجله وسكرها وفق فرصة أخرى وكسرهما ونقلها أو تحويلها الى دجلة نينوى ويعطش الموصل اذا الماء عنه انزوى فضحكنا من هذا القابل وقتلنا له ومالك ولهذا الرأي القابل فأمر على القول وطول في ادعاء حقيقة الطول . وكان الفقيه العالم فخر الدين أبو شجاع بن الدهان البغدادي حاضرا فجعلناه في الامر ناظرا ، وكان وحيد عصره وفيلسوف دهره ومهندس زمانه وموسوس احسانه وانسان عين الفضل وعين انسانيته وله الحظ الوافر من جميع العلوم ولا سيما في المنثور والمنظوم والحكمة والهندسة والنجوم . وكان من عهد قديم سكن بالموصل ولما سمع بكرم السلطان تفتيا بظله وتعرف الى فضله فركب في خدمة السلطان ووقف على المكان وشاهد ما توههوه من سد دجلة وماخذة وفتحها للتحويل ومنافده . وقال هذا يمكن ولا يتعذر وصدق القائل على رأيه وآمن بأبيه ولم ير خلاف مذهبه في در خلف مطلبه ثم وصل الخبر بوفاة شاه أرمن صاحب خلاط فتحول اليها العزم وترجع بها الحزم .

ذكر شرح ذلك

قال : ولما كان يوم السبت العشرين من شهر ربيع الآخر ورد الخبر بوفاة شاه أرمن صاحب خلاط وأنه توفي يوم الخميس تاسعه(١) وحينئذ ترددت الاراء وتثوكت الاوايب واختلفت في المشورة الامراء والاصحاب فمنهم من أشار بسلام(٢) الى حصول المرام ومنهم من رأى المصلحة في البدار

(١) هكذا في الاصل .

(٢) في الاصل غير واضحة .

الى تلك الديار ومنهم من قال نجح بين الامرين فترك ههنا من العسكر بقدر ما يحصل به مضايقة القوم من الجانبين ويعجل بالمسير بالعسكر الباقى الى تلك البلاد والله كفيل بالمراد . وبيتنا فى هذه الاقسام الثلاثة منزوين وبارشاد الله فى استخارته متقدين فلما أصبحنا وردت كتب الاولياء بالولايات بخلاط وبديليس واطهروا الماحضة والموافقة والتأنيس ثم راينا من امراء خلاط وقد وصل عماد الدين بابل وقال للسلطان : أدرك أولياءك وأحبائك وهذه خلاط خلا طريقها وفارق الى قبورك بالقلوب فريقها وان أهلها بالاعاجم لم يخلصوا من المظالم فعجل بدارك وأحسن اليها بآثار ايثارك فما زال بالسلطان يحرك همته ويحرض عزمته ويذكر حلو العرصة ويخسوف من قوت الفرصة ، وهذه الموصل مأمنة الثقات مأمولة فى سائر الاوقات وهى اليك واصلة وفى اليد حاصلة فأصبح السلطان ورأيه فى الرحيل راجح وغدا الرسول وسعيه فى التأميل ناجح وأمر الامراء بالتأهب للرحيل وعرفهم ما تصمم فى عزم التدبير ثم أرسل الى زين الدين صاحب اربل بالعود اليها وقواه بالامير سيف الدين على بن أحمد وأمره بنصرته والمقام عليها .

فصل من كتاب أنشأته الى الديوان العزيز : ومما ينهيه الخادم وفاة شاه أرمن أورث الله المواقف المقدسة أعماق الخلايق ونصر الويه أوليائها فى المغارب والمشارق ، ولم يخلف أحدا ، وبلاده سايبة شاغرة وأفواه المطامع من الاعاجم نحوها فاغرة ، وكذلك ديار بكر جميعها قد خلعت واختلت ومما قد استقامت بها قد حلت . فصاحب ماردين توفى وخلف ابنين صغيرين أحدهما فى عمر عشر سنين والاخر فى عمر سنتين ، وكذلك صاحب حصن كيفا توفى وله ولد فى عمر عشر سنين ودولتشاه صاحب أرزن (٢) وبديليس موجود فى حكم العدم ومن علة الصرع كلهم على وضم وخلاط الآن قد صار طعمة الاعاجم وابنة بهلوان فما زوجها أبوها من صاحب خلاط الا طمعا فى مملكته وأن يحتوى بعده على ولايته . والخادم منذ نزل على الموصل لم يشتغل بالحصار لما اشتغل من وقد الحر ورأى المصابرة الى أن يطيب الزمان وشرع فى تحويل دجلة الموصل عنها وأحضر المهندسين فوجدوه هينا والنفع لسهولة الفتح بينا وأحضرت الآلات وشرع فى حفر المحولات

(٢) مدينة مشهورة قرب خلاط .

معجم البلدان ٢-٢٠٥ .

فلما وصل خبر وفاة صاحب خلاط/ (٢٢٢ ب) تردد عزمه فى الإقامة والرحيل ثم وردت كتب المتقدمين هناك فى مسيره راغبين وللأعاجم كارهين فتعين حينئذ أن يجيب المستدعى ويجير المستعدى . أما الموصل فما يفوت أمر هؤلاء يعيد بعد العود إليها بمشيئة الله حصرها . ومنه وقد عرف أنه لم يبق لتلك الممالك خصم سوى البهلوان وما مقابله الا الخادم وعلى قدر أهل العزم تأتى المعزاييم وهو يسأل من العوارف الجزيلة ويرغب الى العوايد الجميلة فى مثال شريف يجمع ديار بكر وخلاط والموصل حتى يفتتح بأقاليمه الأتالييم ويسلك بهدايته فى النصر على الأعداء المنهج القويم .

ذكر رحيلنا الى ديار بكر

قال : رحل السلطان بعسكره عن الموصل فى أواخر شهر ربيع الآخر سايرا ببحر جفله الزاخر جامعاً بالبأس والفأل وشغل المفخر ، وتقدم الى ابن عمه ناصر الدين بن شيركوه أن يسير فى المقدمة الى خلاط ثم قواه بمظفر الدين صاحب حران فلما وصلوا هناك وجدوا من المتغلبين بها الحران . وكان سيف الدين بكتمر من مهاليك شاه أرمن قد دخلها وحمل معقلها فوقف ناصر الدين دونها وحبس على طيور سكانها وكونها ، وكان قد جاور بدليس الى الطيطوانة (١) ولو سبق الى المكان لم يسبق الى المكانة لكن وزير خلاط مجد الدين بن رشيق كان يظهر للسلطان مناصحته ويسر مشايعته ويبدى الاشتفاق ويذكر الوفاق وهو فى ذلك صاحب عشار وطالب ايثار فكتب الى ناصر الدين بالاتمامة على القرب لتحقيق الهيبة به والرعب وجاء بهلوان فى عساكر الشرق وهو شمس الدين أبو جعفر محمد بن ايلدكر متولى البلاد بتقضه وقضيضه وسمره وبيضه ونزل بقرب خلاط من الجانب الآخر وقيل أن الوزير ايضا كاتبه وأطعمه وأفضى اليه بسر خلوصه واستودعه وهو فى أثناء ذلك يثقل الموازين حتى آل الأمر الى ما آل وتولى بكتمر وأنصرف الحاج والمعتمر وسيأتى ذكر ذلك .

عاد الحديث : وأستشعر ملوك ديار بكر حركتنا وقالوا صلاح الدين مذهبنا رغبتنا الى مملكتنا وكانا صاحبا آمد وماردين صغيرين يقسوم بأمرهما أمراؤها المتقدمون فحافوا من الانتهاء اليهم والاستيلاء عليهم .

(١) الطيطوانة . بلد من أعمال أرمينية . معجم البلدان ٣- ٥٧٠ .

فأما متولى ماردين وهو نظام الدين البقشي فإنه احترز وكشف وجسد الحزم في التحصين وأما من بآمد فإنه خاف أن يستدرك السلطان الفارط ويستعيد آمد التي فتحها ووهبها إذا لم يجد كما قرر الشرايط فقد كان عند وفاة نور الدين قرا ارسلان يوم الاثنين رابع عشر شهر ربيع الأول أشير عليه باسترجاعها وقيل له إنما سلمتها إلى نور الدين محافظة على مرات خدمته ووثوقا بمعدلته وحفظا لمنزلته وقد انتقل الآن منها وخلها خالية وابنه يتيم وهؤلاء الكافلون بأمره قد عرفت سيرتهم وعلمت سريرتهم فكيف يحل لك أن تغلبهم وتجراهم على الرعية وتجردهم فقال : هذا أمر لا يفوت استدراكه وقدمنا ما يجب تقديمه ويلزم بعد الشروع فيه تكميمه ونحن نقدم انفاذ من نثق به على وجه الرسالة لشامل ما هم فيه من الحلية والحالة وكانت بيني وبين وزيرهم القوام بن سحاق معرفة صدقت به الصداقة فكتبت له أن يبادر بالوصول مع مخدمه جاريا من استصحاب المحمول والمبذول على رسومه . وندب للرسالة إلى آمد القاضي شمس الدين محمد بن محمد ابن الفراش فمضى اليهم فوجدهم على جادة العزم جادين فحثهم على الحضور وجاء تدامهم بخبر وصول ولد نور الدين محمد وهو قطب الدين سكران وشيخته الطاعة والأذعان ولما وصلنا في أول جمادى الأولى إلى ميانارتين وكان دخلها من أمراء ماردين أسد الله يرتقش فتتمر وتشمر وشغل البال وأشغل القتال ونصب المنجنقات وجود العرادات وملأ الأبراج بالأعلاج والأسماع بالضجاج متعليا بأمره واستشعلنا بجهره وأبصرنا ما لم نكن نظنه واستصعبنا ما كنا نستسهله ودام قتالها صباح مساء وسام نزالها من الجرح والقتل كل ما سر وساء وخرجوا مرارا وأحرقوا المنجنق فكم دم هريق وأصر حمل وما أطيق وشجانا ذاك الشجب وجاء الأمر كما لا يجب واستشهد يوسف المنجنقي وكان برجال ولم يزل له في مواقف الجهاد كل مجال وندمنا على ما قدمنا (٢) من حصر البلد وقصر الجلال على ما ليس في الجلد وكانت الخاتون ابنة قرا ارسلان زوجة قطب الدين صاحب ماردين المتوفى في المدينة مقيمة وعلى سنن حفظها مستقيمة وهي ذات يقامى وإلى لطف الله بهم مستقيمة وللصوم والصلاة برفع يدها في الدعاء مستديمة وأنها أيم مالها قيم متقنة بكفافها متمتعة بعفافها حاضنة من بناتها لعدد (٢٢٣) الثريا

(٢) في الأصل : نديننا .

سالية بدينها عن الدنيا يحميهم اميرهن فى المدينة حماية الغيران وتضرم نون
حماهن جواحم النيران ظلماء لج الحصار .

وراسلنا الامير المذكور بمن يستلينه ويستكشف نهج الصواب من جانبه
ويستبينه فذكر أنه يقضى حق من وجب عليه حقه وكان له ملكه ورقه ، وان
قطب الدين مذ أدرج فى كنفه درج افراخه الى كنفه ولا يزال فى عونهن ويذل
روحه فى صونهن ، والخاتون مالكة الأمر ونحن لامرها نطيع ولخلافها
لا نستطيع فراسلنا الخاتون وتردد الذاهبون اليها والاتون وقتلنا نحن أولى
بحفظ بيتك وأحق برعاية حق ميتك ، وهذه المدينة اذا دخلناها فلا خروج
عن رضاك ولا دخول اليها الا وفق هواك ، ونصاهر ك فى احدى عقايلك
ويبقى على الابرام لك معاتد معاتلك ، وقتلنا للامير الاسد سرا : قد مالت
الخاتون الى المقاربة فلا تصر انت على المجانبة واتخذ عندنا قبل اصحاب
جماحها يدا ، وكن فى الاتقياد لنا مقتدى . وقيل للخاتون : ان اسد الدين قد
لانت عريكته ودانت اريكته وأحمد أمره وأحمد جمره ، واستقر بعد ذلك الامير
اسد الدين ، وان ينقطع الى الخدمة ويتصل بالنعمة ووفور الحرية ويخص
بولاية جليجور وأعماله ويقطع عدة نصيبهم من خواص رجاله وتقسرر مع
الخاتون ان يبقى عليها كل ما باسمها وباسم خدامها وجواربها وأيتامها
وسألت ان يفرض لها حصن الهتاخ (٣) ليكون لها عشنا للأفراخ . وخطبنا
اليها احدى كرايمها لابن السلطان الملك المعز فتح الدين اسحق ، والتمست
اليمين المؤكدة بالحج والمعاق واخذت اليد السلطانية أبرم العتود واحرز
نسخ المواثيق ، والسلطان يسارع الى بذل كل ما يقترحونه عليه مضافة
التمويق ، وأعيان البلد حاضرون وفى الأحوال ناظرون . ولما أصبحنا
يوم الاربعاء آخر جمادى الاولى تقدم السلطان الى موالى القاضى نجم الدين
بركأت بن عبد الله بن أبى عصرون ومعنا جماعة مقدمون أن ندخل البلد
لمعقد النكاح على ابنه قطب الدين لاسحق ابنه وان نبتدىء الامر بنجح ذلك
المقصد ويمته ، فدخلنا المدينة وأنا وكيل السلطان لابنه فى قبول العقد ،
واذنت الخاتون أم اليتيمة لابن عصرون لها فى تعيين المهر وتسليم النقد
فتم النكاح وعم الصلاح وكمل بالفتح الاستفتاح . وجلس السلطان فى

(٣) الهتاخ ، بالفتح والتشديد قلعة حصينة فى ديار بكر قسرب

سرادته وخرج اليه اعيان البلد من المقدمين والامراء والامائل والكبراء ، وسير السلطان الى الخاتون برسم المخطوبة حمولا وهدايا وبذولا وعطايا ومصوغات ذهبية ومستعملات عراقية مغربية وحصنا وجحشورا عربية وسلم اليها الهتاج بصياغة وأجرى خدمها وخواصها على اقتطاعاتهم ومكنهم من تسلل ارتفاعاتهم وأخذ الأسد المنشور بجليجور وألف الله القلوب ونظم الامور . وسألت الخاتون أن يخلى القاضي أبو الفرج يوسف بن هبة بن بسام الجبلى على قضائه فكتب له منشورا فى مستهل جمادى الآخرة وأجريناه على تولية الحكم والقضاء والاحتساب بميفارقين ونواحيها وما يجرى معها من الحصون والبلاد ، والهتاج وجليجور ، وذى القرنين استجابة الى أمانته ووثوقته بعلمه وأمانته .

ذكر وصول صاحب آمد ونحن على ميفارقين فى جمادى الأولى

قال : قد سبق ذكره وذكر صغر سنه ومخافته وأمنه وذلك أن وزيره التوام كان عارفا بالمصلحة فانتقل بالامر ووصل بمخدومه قطب الدين سكرمان ابن محمد بن قرا أرسلان قادما بالسادة الرابعة والبشارة الرابعة وارثا خلاص الولاء من أبيه ، متقربا باستصحاب صحبه ومقريبه . ولما ورد خبر اتباله امر السلطان باستقباله فتلقيناه على مرحلة فتأناه السلطان بعد امرائه بالقرب واقبل عليه وحياه بالقبول والحب وأكرمه وبجله ووقره وعجله وأفاض عليه جوده حتى أخجله وعجل اعادته الى آمد بعد أن شرفه وأجابه ثممار مواطنه واقطفه وخلع على امراء دولته ومقدمى مملكته وأسهم بأحسنانه أكابر ديوانه وأصاغر غلمانة فعاد الى آمد وقد تزينت له وتعلقت وتألقت بقالف شمل ابن نورها وتألقت ، وتمكن الوزير وأمر ونهى وأدرك من منصبه المشتبه .

ذكر النزول على شاطيء قرامان ومراسلة بهلوان

قال : ولما استتب الفتح وخلصنا ميفارتين تجدد لنا ذكر خلاط وكيف تكسر انشغالنا بسواها النشاط ولما تمادى الزمان وقرب / (٢٢٣ ب) منها البهلوان راسله بكتير وحمل اليه مع ابنته زوجة شاه ارمن الاموال التى اودعت المخزون وندب السلطان اليها الفقيه ضياء الدين عيسى فدخلها وتكلم مع الوزير وشاوره فلما بصدق مناصحته فى التدبير فظهر له من فحوى خطابه ما مخضت به الزبدة ونتجت به لوائح الاراء المستجدة وأحال الحال

على البهلوان وأنه جاء ليملك المكان ولو استعجلتم لسهل ما صعب وهان ، وكان الفقيه عيسى قد صير صاحباً له الى المعسكر البهلوانى للتجسس ومعرفة الاحوال بالتفرس فلما حضر هناك ادعى أنه رسول وان قوله فيما يورده ويصدره مقبول فقاتلوا له ان صاحبك ان جاعنا تحقق فى المصلحة والمصالحة رجاؤنا فكتب اليه الفقيه عيسى يعلمه بما ذكره وأن بحضوره تسكن الدهماء ويؤمن المكروه فكتب الى السلطان بأن النجوم قد طلبوه وله مع ما سنج من الخطوب خطبوه فكتبت الى اتابك شمس الدين بهلوان كتابا بارسال الفقيه اليه عن السلطان ، فتوجه الفقيه رسولا وصادف اقبالا وقبولا ووجد كل ما يقترحه مبدولا وكانوا منا مستوحشين فأنسوا ومن قصدنا اياهم مستشعرين فأمنوا ، ومن حركتنا حذرين فسكنوا ، وبجلوا ضياء الدين وعظموه وكفلوه بالأمر وأطلعوه على السر وصروه بالاحوال محيطا وجعلوه بيننا وبينهم وسيطا . فعاد الينا نشيطا يدرس من شرح حشرهم وجيزا وبسيطا ، واتانا من عند اتابك بهلوان رسل مكرمون وخواص مقربون ، وفتحت ابواب الرسالة وسنحت أسباب الاستعطاف والاستمالة ، وعرفنا ان خلاط قد حمى عسلها نحلها ، وأن غابة عقرها قد ذب عنها فحلها وأنها أعرضت بعدما تعرضت وأبلست بعدما تمرضت (١) ففارقنا قصدها بعدما فات انتهاز فرصة الامكان وخلو عرصة المكان من عسكر البهلوان ولا رغبة فى ايداء الاحن واذكاء الفتن ، فتركنا الدست تايما والخصم خائفا خايما ، ولبثنا أياما لترتيب ذلك الاقليم ومباشرة ضعفها وأمنها بالتقوية والتقويم وفوض السلطان ولاية تلك البلاد الى مملوكه حسام الدين سنقر الخلاطى فحسم بايائته داء الشر ومحا سنا محاسنه بالعرف سنة النكر وأقام السياسة وإدام الحراسة . ولما دخل رجب أصبحت السماء التى أضحت تحتجب وجاء نذير البرد مسمعا صوت الرعد وسعا من البرق الودق بالودق فرأى السلطان أن يعجل الى الموصل أمامه ويحكم هناك أحكام العزم وأسبابه وقال : نقضى بها هذه الشتوة ونستتم بالاقامة الخطوة فتقوضنا المضارب وفوضنا الى الله المأرب وجبنا السبايب وعبرنا السور (٢) وتكبنا مزورين عن ماردين الزور وأقمنا مستريحين ثم نصبنا الاعلام على اعلام نصبيين وورد كتاب من آمد مضمونه أن سيف الدين ما يفارق قصد ميافارقين

(١) فى الاصل : تعرضت وكذا يتطلب السياق .

(٢) فى الاصل : الصور .

وأنه على قصد أن ينهض اليها فما رفعنا بهذا الخير رأسا ولا رأينا بأسا وعرفنا أنه مع سكوننا لا يتحرك ولحجرنا لا يتحكم ثم انفصلنا عن نصيبين للوصول الى الموصل وفكرنا فيما نقيم به من المنزلة بحيث يسهل على من بالجزيرة امدادنا بالامداد فوقع الاختيار على كفر زمار (٣) فقطعنا اليها نواحي البقعة حتى وصلنا وقررنا منازلنا بها ونزلنا في شعبان واغلقت الموصل أبوابها وكثرت الانكايه أبوابها وارتجت وارتجفت (٤) مغالقتها وكان السلطان يركب في بعض الأيام ويشرف عليها ، وهي ترفع أيدي الضراعة رجاء عاطفته اليها وهو مقيم في منزلته لا يريم ومقدم على غريسته لا يخيم ، ودجلة تمد بفلكتها وانلاكها واكلاء عينا واكلالها ، والعزم مصمم على الهدو والمكث والسكون والليث الى أن ينتضى البرد ويقتضى بالرى والورد .

واصبحنا ذات يوم وكانت يأتينا في الرسالة قوم بعد قوم فقبل قد أقبلت محفات فيها مخدرات خواتين اتابكيات لا عهد لشموسهن بشروق ولا لنفوسهن بخفوق ، ولا لمطالعهن بهبوط ولا لمطالبن بتقشوط فخرجن يستشفعن ويستنفعن فانزلن خير منزل وأوردن من الأكرام أعذب مورد وأصفى منهل . وقال السلطان : انما جينا لتأليف كلمة الاسلام واعادة الامور بازالة الخلف الى النظام ، وقد قبلت شفاعتكن ورأيت في عصيان العزم طاعتكن ولكن لا بد من مصلحة تتم ومصالحة تنفعها يعم فاستقر الامر على أن يكون عماد الدين صاحب سنجار أخو صاحب الموصل وسيطا في بين وحكما فيما يعود بمصلحة الجانبين فانه كانت شفاعته سابقة ، ومسالته هي ذلك صادقة صادقة فرأى بهذا الرأي قضاء الحقين ووقف السداد (٢٢٤) / فيه على الطريقين وتعطف وتلطف لأجلهن ولأجلالهن وأتى من الكرامة والمبرة بما يليق بأمثالهن وكن ظنن أنه لا يقيم بحرمة تصدهن ولا يشتمل بأمر يؤذن بمرادهن فدخلن المدينة متلومات متذمات ويلطف الله لأبذات معتصمات .

(٣) في الاصل : كفر زما . وردت في ياقوت كفر زمار والراء ناقصة في الاصل : وهي من قرى الموصل ، معجم البلدان ٤ — ٢٨٨ .

(٤) في الاصل : وارتجت .

ذكر وصول عماد الدين فى الوساطة وما عرض من مرض السلطان

قال : وكان السلطان لما دخل شهر رمضان داوم قراءة القرآن وحفظه والاتقان واشتغل بالصيام والتقليل من الطعام ، وظهر انزعاجه وتغير مزاجه وطال مرضه وامتد وحال مضطرب واشتد ومبداً ذلك أنه أصبح يوم الاربعاء ثامن رمضان محمواً وبقي أياماً سقامه مكتوماً رجاء أن يزول ولا يطول ثم سار خبره وطار شره وقدم على رد الشوائع وردع الشوازع ، وسير الى عماد الدين صاحب سنجار فى انفاذ رسوله ليوعز بكل ما يعود بسؤله فيوصل وزيره الكافى شمس الدين بن الكافى وكان من قبل قد سبق القول فى تسليم بلاد شهرزور وقتلاعها وحصنها وكذلك ما وراء الرأس من البوازيج (١) والرسناتق وتلك بلد القرابلية وبنى قفجاق فدخل ابن الكافى وابن الفراش قاضى العسكر من جانبنا الى الموصل لاجراء العهد على هذا الملتزم المستقبل ، ورحل السلطان قبل عيد الفطر بيوم وهو من بحر بحرانه فى عوم وخيما على نصيبين فى شوال ولم يترقب عود الرسل بنجاح الاشغال ثم استمر الصلح وصلح الامر وخلص ما بينهم وبينه السر والخبر وخطب فى جميع بلاد الموصل للسلطان بعد قطع خطبه السلجوقية وفى ديار بكر أيضاً والديار الارتقية وضرب باسمه الدينار والدرهم وانحل الاشكال وانكشف الجهم . ولا تسلمنا البلاد منهم نفذ السلطان الى شهرزور مملوكه مجاهد الدين اياز شريك فتملى بها وتملك وكان التركمان الايوانية مستولية فشنت شملها وقتك وندب للنظر فى تلك الاعمال القاضى شمس الدين بن الفراش فمضى وحل وعقد واصدر وأورد ، وأقطع لبعض خواصه الممالك البوازيج وسير الى البلاد نوابه ورتب فيها أصحابه ، ورتب ضيعة بالبوازيج تعرف بإقلا على ورثة شيخ الشيوخ بيفداد ، وأقام السلطان على نصيبين أياماً تلايل ثم رحل مستقلاً فى منازل ومراحل حتى القينا بظاهر حران عصا النوى والقلوب لمرض السلطان متخاذلة القوى واجتمع عندنا من البلاد الاطباء وللمرض ضرم يلفح وللسقم قسم لا يبرح والامل مرتعب والجدل محتجب والسماح يقول هذا أو أن كسوف سمائى ونضوب مائى والدين يندب والملك يصخب والايدي الى الله مرفوعة والنيات بالاخلاص مشسفوعة

(١) بلد قرب تكريت على فم الزاب الاسفل حيث يصب دجلة ويقال لها ببوازيج الملك وهى من أعمال الموصل . معجم البلدان (١- ٧٥٠) .

والأنفس متوجعة متوجلة والآنفس بالدعاء مبتهلة والرجاء تحت الخوف
والبلاء فوق الوصف وفى الغيب أسرار وللقمر أمدار تارة وسرار الدموع
منا غزار والضلوع حرار وما كنا نعلم أن النعمة فى سر تلك البليسة وأن
الصحة ظاهرة فى تلك السريرة الخفية وأن لهذه الترحة فرجة وأن لهذه
الغمة فرجة ولهذا الليلة دلجة وأن العافية عافية وأن كفاية الله كافيصة
وسياتى مامن الله تعالى به من الرجاء فى الشفاء بعد الاشقاء .

ذكر شيعمة السلطان فى مرضه

قال : وكلما زاد اله زاد فى لطف الله أهله ، وكلما بان ضعفه قوى
على الله توكله وأنا ملازمه ليلا ونهارا وهو يملئ على وصاياه ويفرق بقلمى
على عفائه عطاياه ، واشتدت به الحال ليلة أيس منه فيها الأطباء فلما أصبح
المعتقون والوافدون الى بابه وضجوا ضجة ارتجت منها الدهماء ولانت
لسماعها الصخرة الصماء فسأل عن تلك البرجة وما موجب هذه الضجة
فتيل له هؤلاء وفدك ورجاؤهم رفدك ، وقد اشرفوا على الخيمة وخرقوا
لاجلها حجاب الهيبة فدعانى وأمر بكتب أسمائهم وتفريق ما اجتمع فى خزائنه
من المال على أقدارهم وتحقيق رجايمهم وأعطى كل سائل وأغنى كل آمل
فوجد بتلك السماحة راحة ترجى لعلته بها اراحة واستمر مدة استمرار
مرضه على بذل جوهر ماله وعرضه ، وكان خلقه أحس ما كان فى حال
الصحة يخاطبنا بسجاياه السهلة السمحة ولا يخلو مجلسه من نوى فضل
وأولى نباهة وهم يتجاذبون بحضرته اطراف الفوائد ويهزون لكارمه أعطاف
المحامد فتارة فى أحكام شرعية وآونه فى صناعات شرعية ومرة فى أحاديث
الاجواد وشيم الامجاد ودفعة فى ذكر فضائل (٢٢٤ ب) / الجهاد وينذر انه
ان خلصه الله تعالى من نبوة هذه النبوة اشتغل بفتح بيت المقدس ولو ببذل
نفائس الاموال والآنفس وأنه لا يحرف بقية عمره الا فى قتال أعداء الله
والجهاد فى سبيله وانجاد اهل الاسلام والاقبال على قبيله وأنه لا يترك
شيمة الجود والسماحة بالموجود وربما استراح فى بعض ساعات الليل
والنهار الى السماع لاشارة الاطباء لاجل التفريح والانتفاع فان ظفرنا بمفرد
مغرب ومطر ومطرب وصانع صوت ومحسن لحن احضرناه عنده فربما راقه
وشاقه ووجد به أفراحه .

ذكر الملك العادل سيف الدين ووصوله الى حران

قال : ولما سمع الملك العادل فى حلب بمرض أخيه ووصوله الى حران بادر بالوصول وقام بضبط الامور وسياسة الجمهور والجلوس كل يوم فى النوبة السلطانية لتولى مصالح الرعية واتامة وظيفة السباط والعمل فى كل مهم بالاحتياط والتعدى لكشف المظالم وبث الكارم وسماع مشافهات رسل الجوانب وابلاء كل عذر واجلاء كل ذعر وتيسير كل عسير ورفع كل خرق ورتق كل فتق ، ولقد عصمنا اذ كنا على خوف من ارجاف يقوى وانتشار خبر سوء لا يخفى ولا سيما اذا خرج الاطباء وقالوا ما فيه أمل ولكل عمر أجل فهناك ترى الناس يستشعرون وبابعد ما يعز عليهم من اعلاقهم ودوابهم يستظهرون ما اراك من المهملين لا من الموقنين فقلت له : أنا لا أخاف الا على سلطانى فاذا ذهب فلا شداد لشانى والذى يغوت أعز من المال والدواب ولا أخاف على ذلك مع ذهاب الاصل من الذهب فزال بالحضور العادل كل مخافة وسلم الله برأفته من كل آفة ، وكان الملك العزيز عثمان ولد السلطان مع أبيه مقتد بمعاليه مقتف بمراضيه ، وكان من جملة وصاياه عند اشقائه ان ادركنى المحتوم ودنا اليوم المعلوم فقد خلفت أبى بكر وعمى عثمان وعلياً وكلهم أراه بهرادى فى اقامة الجهاد ملياً يعنى بأبى بكر الملك العادل أخاه وبعمى تقى الدين بن أخيه وبعثمان وعلى ولديه الملك العزيز والملك الافضل ورأى عليهما بكفالة سيف الدين وتقى الدين فى مصر والشام العول وأقام الملك العادل الى أن وضع المنهاج وصح المزاج وطابت القلوب وغابت الكروب ثم وصل مع أخيه الى حلب وتم معه الى حمص ودمشق وهب له نسيم مصر فاستجد لنشره النشيق .

وبدا له من بعد ما اندمل الهوى برق تالسق موهنا لمعساته

وسياتى ذكر مضيه مع الملك العزيز الى مصر فى سنة اثنتين وثمانين ووصول الملك الافضل من مصر وبعده الملك المظفر تقى الدين .

قال : وكان الاجل الفاضل نى هذه السنة بدمشق مقيماً والى احسان منابى عنه فى الحضرة السلطانية مستقياً فلما وصلنا فى هذه النوبة الى حران اول ما فتحت عينى على المملوك الفاضلى سافراً مسافراً وقد أصبح له تشريفاً شريفاً ووفراً أوفراً واحضرنى رزمة ثياب أرزمت لى ركبها بنجح كل منى ومنيح كل غنى وناولنى كتاباً وأوقفني على البحر بجواهره والفلك بزواهره .

ذكر نوع من المكازم السلطانية

قال : لما نزلنا على الموصل فى النوبتين اجتمع شعراء البلاد وحضر الحاضر والبادى وما بقى من ينظم وهو قعيد بيته بيتا ويجرى فى مضمار فروسيته كمينا الا وقد أتى بمدحه ليعود بمنحة فتناولها الفقيه ضياء الدين عيسى وكان معينا فى كل نغمى وبؤس وجرح الكرام بكرمه يؤسى وحملها الى السلطان ولعلها مائة قطعة او قصيدة لواهبه مستريدة ولعــــــــــــــــوارفه مستريدة فقال سلمها الى العماد ليتأملها ويعرف أصــــــــــــــــيلها ومنتحلها فمن استحسّن شعره حسن بالتشريف شعاره وأكثرها درهمه وديناره فانا نجود لمن يجيد ومن أفاد يستفيد فسلم الفقيه تلك الأوراق وعرض ما فيها على فما استلمحت أكثر ما استلمحت وفيها منتحل ومنتحل ومقول ومنتقول وصحيح وسقيم ولاقح وعقيم ومعوج ومستقيم وسمين وغث وجديد ورث فلو حملنا أمرهم على مقتضى الأمر لقل من استقل بالنفع وباء الباقون بالضر فضمنت نشرها وطويت خبرها وسترت عيوبها وزررت جيوبها ودرجتها فى دروجها وأبقيت نجومها فى بروجها وجئت الى السلطان وقربت تلك المقربات بسروجها وقلت ما هذا أو ان الانتقاء (٢٢٢٥ أ) /والانتقاد وتعرض الرجاء فيك للكساد وما من هؤلاء الا من استفرغ وسعه وقطع فى الطريق شعثه واحال على نضو ابله نسوه وأتى بجهد المثل وهم وفدتك وقد هدتهم نارك وحدتهم اخبارك فجعل لهم على أقدارهم ولا تشعروهم بشعار اشعارهم فقال : نعم ما به أشرت ولنشره بعرفنا عرفت ونشرت ثم أحضر الاكياس وأجرى فى تفريق جمعها القياس وأوجد الرجاء واعدم اليأس وأغنى الوفد وفخر الحمد .

ذكر حكاية أخرى

قال : كان من معارفى فقيه قد تأدب وأعجمى قد تعرب وعن له أن ينظم فى السلطان قصيدة كانت ألفاظها مضحكة وكلماتها بين العريضة والعجمية مستدركة فأوصلها الى لأوصلها الى السلطان وأهز بها منه عطف الاحسان فارتقت لعرضها ليلة موافقه لاداء فرضها وجئت الى السلطان بها وقد سر بشفائه وقر بما أقر الله عينه من اماطة ادوائه فانشدها من جلسائه من صوته أندى ونشاده أجدى والسلطان يضحك من سماعها وتعجب من أعاجيب ابداعها وجلساؤه يوافقونه على ضحكه وينظمون النظم المسموع فى مسلك الاستغراب وسلكه وأنا ساكن لا أبدي حركة فتعجب

السلطان من سكوتى وسكونى واستغرابهم الضحك دونى فقلت انه استعان
بى فى احسان المناب فلا أقل أن لا اسهمه بالارتياب والاغتياب فلما كان
موسم ارضاء الوافدين واغناء القاصدين وحرررت ورقة باسمائهم وتجددت
لتفرقة عطائهم عين لصاحب ذلك النظم ثلاثون دينارا وجعلها له اذارا فقلت
له بل تضعفها وتجعلها ستين فأنكم ضحكتم بثلاثين وجائزة قصصيدته
ثلاثين فقال : انصفت واحسنت النيابة ولو كانت الجائزة بمقدار القيسة
لم يبلغ خمسة صداق تلك اليتيمة فاستغنى ذلك المعلم وحصل له فى مظننه
المغرم المغنم .

ذكر الصدقة فى المرض

قال : لما مرض قال لى اكتب الى الولاة والنواب بالديار المصرية
والشامية أن يتصدقوا على الفقراء والمساكين من المال المعد للحمل على
قدره فى التعمين ولم يبق فى الممالك الا من وصل اليه نصيب ودعا
بالصالحات لمن الله لدعائه مجيب ومن جملة تلك الصدقات انه امرنى أن
اكتب الى الصفى القبايض أن يتصدق بخمسة آلاف لنفوز من الثواب بأضعاف .
قال : ولما امتد زمان مرضه أمر ببناء دار عند سرادقه وحمام فى أربعة أو
خمسة أيام وكان قد استحضر من دمشق ولديه الصغيرين تورانشاه وملكشاه
وأمهما فأسكنهم فيها مدة مقامه فسمها دار العافية للبرء فيها من سقامه
ثم خلاها لمن يترك بها ضيفا وجعلها للأويين اليها وقفا فله وطن وطمر
عمرت بعمارته الاوطان وبيت سرور خرجت بدخوله اليه من بيوت الكرام
الاخوان وبنيان سلطان شاد مبانى السلطنة ومكان عز تفاضل بفضلته عز
الامكنة ومريض أسد تقتشعر من بأسه الأسود ومجثم سداد يترافد الى رفده
الوفود وكان مثل السلطان فى تلك المنزلة وهو مقيم كما قال الله تعالى فى
حق يونس « فنبذناه بالعراء وهو سقيم » (١) فيها اللق حبل الحياة وأزجا
النجاة وخص الله السلطان بفضيلة فتح القدس وقضى حاجاته التى كانت
فى النفس وسيأتى ان شاء الله تعالى شرح كل فتح فى موضعه وكيف أشرق
سنا النصر من مطلعة .

(١) سورة الصافات : آية رقم ١٤٥ .

نكر من توفي في هذه السنة من اكابر الدولة

قال : توفيت الخاتون العصمية بدمشق في ذي القعدة وهي عصمة الدين ابنة معين الدين أنر ، وكانت في عصمة الملك العادل نور الدين رحمه الله فلما توفي وخلفه السلطان بالشام في حفظ بلاد الاسلام تزوج بها في سنة اثنتين وسبعين وهي من أعف النساء ولها أمر نافذ ومعروف بأيدي المعروفين آخذ وجناب ما يزال يلوذ ويعوذ به لآذ وهي في الدولة حاكمة ولها صدق وصدقات ورواتب للفقراء وادارات ، وقد بنت للفقهاء والصوفية بدمشق مدرسة ورباطا وذلك سوى وقوفها على معتقها وعوارفها وأياديها وكان السلطان حينئذ بحران في بحر المرض وبحرانه فما أخبرناه بوفاة خاها على زايد علة ووقد غلته وهو يسدعي كل يوم درجا ويكتب اليها كتابا طويلا حتى سمع نعي (٢٢٥ ب) / ناصر الدين محمد ابن شيركوه بن عمه فنعت اليه الخاتون وقد تعدى عنه اليها المنون (١) وكانت وفاة ناصر الدين بحمص في تاسع ذي الحجة من هذه السنة من غير مرض أشعر بها ولا علة أضيف حكم الحمام الى سببها فجاءته المنية فجأة فوجدنا من القدر بقاء السلطان احسانا وبوفاة ناصر الدين اساءة وكادت مطالع الانس تظلم لولا أننا استأنفنا لها بالشفاء السلطاني لها اضاءة وكان ناصر الدين هذا الى محسنا وبفضيلي معلنا ولي فيه مديح وله عندي منايح وان أوردتها طال الكتاب وأول ما مدحته به في الايام النورية سقاها الله كلمة منها .

قصد اذل الكفر قاهره	واعزز الدين ناصره
كم ساع في الزمان	له كرم من عثايره
وعلى دون الملوك له	عقدت فيها محاصره

وفي هذه السنة في جهادي الآخرة توفي الامير سعد الدين مسعود ابن انر ونحن قد فتحنا ميافارقين ولقد كان من الاكارم الاكابر ولم أر احسن منه خلقا وازكى عرقا ولم يزل في الدولتين النورية والصلاحية أميرا مقدما وعظيما مكرما ولسفور فضائله ووفور فواضله رغب السلطان وهو زوج

(١) ساقطة في الاصل ، والضبط من الروضتين (٢١) — ٦٧ .

أخته أن يكون هو زوج أخته وواصله السعد تحقيقا
لنعتيه بالتى تزوج بها مظفر الدين كوكبرى بعـده
وجدد بها اسعاده وسعده . قال الفتح بن على بن محمد الاصبهاني منتخب
الكتاب وهذه الجهة (٢) المعصومة بقية شعب الدوحة الايوبية وهى الآن
ساكنة بدمشق وقدمتها فى سنة عشرين وستماية والملك المعظم أبو الفتح
عيسى بن السلطان الملك العادل هو القايم بشرائط تعظيم قدرها وتفخيم أمرها
وهى التى توسطت بين السلطان وبين زوجها مظفر الدين فى اتصال
الملك الناصر أبى سليمان داود بن السلطان الملك المعظم حتى يميره من دمشق
الى اربل فى رمضان سنة احدى وعشرين وستماية وهو الآن متملك تلك
البلاد والمتكفل فيها بأموال العباد والله تعالى يبلغه تحت ظل أبيه غاية الطلب
ونهى المراد . قال : ولم يزل سعد الدين لى متعصبا متصعبا ولسمودى
منقربا ولقربه من السلطان يتحجب عنده فى مطالبى ويؤرب عنى فى تقرير
مراتبى .

قال : وفى هذه السنة رد السلطان قلعتى الرها وحران الى مظفر
الدين كوكبرى لتوفره فى الخدمة على حفظ القوانين وظهر منه كل ما حقق
الاستظهار وأوجب لامره الامرار ورغب فى مصاهرة السلطان وقلده وطوق
الامتنان .

وفى هذه السنة توفى عز الدين جاولى وهو أكبر الامراء الاسدية ولم
يزل فى الجهاد يحسن بلاؤه ويصدق غناؤه . ولما عدنا بعد فتح ميافاريتين
الى الموصل طرعه البلاء وأوقعه التضاء وفتز لحصانه بعض السواقي فغثر (٢)
به وانكسرت رجله ثم اشند اليه وطال سقمه وانتقل الى دمشق وتوفى بها
فى اواخر هذه السنة او فى أول سنة اثنتين وثمانين .

وفى هذه السنة يوم الاربعاء ثامن رمضان قتل بآمد وزير قرا ارسلان
وهو قوام الدين أبو محمد عبد الله بن سهاقه (٤) قتله ممالك مخدومه غيلة
ومحلوا فى مباغتته فى الفنا حيلة . والسبب فى ذلك انه كان قد تمكن من

(٢) ربيعة خاتون بنت ايوب عمرت الى أن توفيت بدمشق بدار أبيها
وهى دار العقيقى فى شهر رمضان سنة ٦٤٣ هـ وهى آخر اولاد ايوب
لصلبه موتا وكان يحترمها الملوك من اولاد اخوتها واولادهم ويزورونها فى
دارها انظر الروضتين (١) ٦٧-٦٨ .

(٣) فى الاصل : تعد والتصحيح من الروضتين (١) ج ٢ ص ٦٧ .

(٤) قارن نفسى المصدر . نفسى الصفحة .

الامر وسكن الى قوة نفسه وركن وكان أحد الامراء الكبار المعروف بالصلاح فبلغ أنه قد تولى الاعراض وائف من الوزير ولم يرض أن يتبعه وكلاهما مستشعر من صاحبه فتسبب الوزير الى قبضه وحبسه واشتغل في التدبير بنفسه فلما سمع السلطان خبره قال انه تعرض للوقوع في خطره وكأني به وقد ذهبت نفسه وتداني أمسه وسيثق بقوم به يفتكون ولدمه يسفكون وكأنه تطلق بما في الغيب مكتوم وفي اللوح المحفوظ مكتوب محتوم فانه وصل الخبر بقتله على ما تم من ختره وحقه فان جماعة من الممالك الفردين تأمروا بينهم على الفتك بالوزير فجاء واحد اليه وهو جالس في ديوانه وايوانه في الدست الاثير وعنده الاكابر والامائل وهم ينتظرون الاذن على العادة فقال : الملك يدعوك وحدك يسألك عن حديث عندك فقام يسحب ذيل اختياله ولم يدر بما يستصحب من ويل اغتياله فدخل الدهليز وقد اغلقوا (٢٢٦) / الباب الذي يصل فيه الى الامير واغلقوا وراء الباب الآخر لما تصوره من التدبير فاعتالوا وفتكوا به وقتلوه ثم اخرجوا الصلاح من حبسه وردوه الى مجلس أنسه فلما تمكن قبض وبسط وشرك أصحاب الوزير وقتل منهم من أدركه واستولى على كل ما ملكه ثم قتل أولئك القاتلين وكانوا به واثقين وعن مكره غافلين وبقي متوليا للدولة الى أن أدرك الامير رشده والى أن يبلغ أشده فاستبد بملكه وأخرجه من سلكه .

وفي هذه السنة توفي الفقيه المذهب عبد الله بن أسعد الموسلي بحمص وكان المدرس وكان علامة زمانه في علمه ونسيجه وحده في نظمه وقد أوردت في صدر الكتاب ما يستدل به على فضله .

ذكر العزم على الرحيل من حران

في السنة التي قد قبل علاجها واشتد مزاجه وأراد أن يكون في السفر الى الشام واستقينا الحظ من السهول قبل الحزون ولأنه في وسط الممالك وعلى جواز المسالك فتواترت في البلاد أخبار إبلاؤه وأنباء استبداده واستتلاله وكان عنده ولده الاعز الملك العزيز وأولاده الصغار الاعزة ، والملك الظاهر بدمشق مقيم والامر هناك مستقيم فلما ورد نعي الخاتون وناصر الدين وخلا شبلة أسد الدين بعده في العرين وخيف على بلاده لصغر أولاده واحتيج أيضا الي الاحتياط علي ما في خرايته واستخرج

ما خلفه من ورثته من دفاينه . وكذلك الخاتون عصمة (١) الدين خلفت أملاكاً وتراثاً وأوقافاً واسعة وأثاثاً ولم يكن من الحركة بد ولم يكن إلا بحضور السلطان لتلك الخلات والاختلالات تسديد وسد .

قال : وفي هذه السنة لما كنا على ميافارقين وقد فتحناها ورد للسلطان مثال شريف أمامي ناصري بتفويض ولاية ماردين وحصن كيفا اليه تاريخه غرة جمادى الاول . قال : ودخلت سنة اثنتين وثمانين والسلطان ساير بعساكر مفاخر عساكره وخيم على شاطئ الفرات وقد مشط البؤس وصفا من الصحة العبوس ، وودعنا مظفر الدين صاحب حران من الفرات مصحوباً بالقوة والثبات مشحوناً وفلك آماله بالمكرمات ، ورحلنا صوب حلب والملك العادل سيف الدين سلطاتها على المقدمة وقد هيا لقدومنا أسباب التكرمة ونزلناها في العشر الاوسط من المحرم فألفيناها كما ألفناها بالعدل أهلة ومن الفضل ناهلة والخطوب (٢) عنها ذاهلة والقلوب بحب الدولة عامرة والنفوس بنعمة ربها متحدثة ذاكرة .

واحتفل الملك العادل بأخيه السلطان وحمل عنه وله وأظهر (٣) مجمل جميله ومفصله وقام بكل فرض وسنة في الخدمة وتقبله وما خلى أحداً من خواصه إلا خوله وموله .

وأضافني الصنيعة ابن النحال كاتب الملك العادل واستضاف معي قوماً وفيهم نجم الدين بن المجاور الوزير العزيزي وقد بعثتني على مصاحبتي اليه وده العزيزي . وكان سكن الضيعة من قلعة حلب في برج من أبراجها وكان في ذلك مذعوراً معذوراً فاته كان بالاحتراز من المخالطة مأموراً وكان قد نفق على مخدومه واختص بسرّه وأطلع على مكنونه ومكتومه . وكان نصرانياً من القبط ثم اضطر إلى الاسلام بسبب امرأة هوى بها وعشقها وحظى بها ورضيها وما سلمت له إلا بالاسلام فاذن سمعه في أسعادهما بتمامه واستقر أمره على نظامه وأفضى به التوفيق إلى التمكين ولم يزل معه حتى انتهى عمره في سنة تسعين .

(١) في الاصل : عضد .

(٢) في الاصل : خطوب .

(٣) في الاصل : وأظهرها .

قال : ولما قضينا بطلب الارب رتب الملك العادل فيها نوابه وأحكام
احكام الملك العادل واسبابه ، وصحب أخاه السلطان منفذا لأوامره ومديرا
لعساكره اشفاقا من تعب يلحقه وأرفاقا به فى نصب يرهقه فانه كان فى
غيب وعكته ولا يؤمن من مضرة حركته ، ووصلنا الى حماه فى مراحل طاب
مراحها وأسفر بحمد مسراها صباحها وتلقانا النايب عن الملك المظفر تقي
الدين بكل جمال وجميل وحسن واحسان جلى جليل وتقى الدين حينئذ
نايب السلطان فى الديار المصرية وقد عول فى حماه على نظر ناصر الدين
منكورس بن ناصح الدين خمارتين وفيه السماحة والحماسة والحجى
والحصافة (٢٢٦ ب) / وكان تقي الدين منذ تولى حماه حصن قلعتها وعمق
خندقها وأدام بعمارتها اشتهاه وبارادة ادارتها استظهاره فلما ندبه
السلطان للنيابة عنه فى مصر سأل أن ينزل عن حمص (٤) فابى فوافقه على
مراده وأبقاها لما عرف من اجتهاده فسلمها الى ناصر الدين منكورس وشكرته
الرعية . وكانت بينى وبينه صداقة بصدق الاعتقاد معقودة . واتفق أن سرقت
لى فى طريقها الى حمص ثلاثة جمال بما لها من عدة ورجال وكنت قد سلوتها
وتمكن عندى فوثها ، فجاءنا هذا الامير بعد يومين بقطارين من الجمال
المسروقة وقال : لما سرتهم عرفت أن وراءكم لصوصا فرتبت أصحابى فى
المواضع البعيدة من العمارة ليرصدوا أهل الذعارة فوجدوا هذه الجمال
التي احضروها فتأملتني فاذا هى جمالى نفسها (٥) فشكرت همته الكريمة على
احسانها ولم تزل الثغور لسداده مسدودة والرعايا بسياسته محروسة
ورايات الكفر بنكاياته منكوسة .

فصل قال : وهؤلاء الذين قرضتهم ووصفتهم تنكرت معرفتهم بعدد
الايام السلطانية فمهم صدقونى لصدق الحاجة فلما استفنوا عنى حملوا معرفتى
وانكروا عارفتى وهذه شيمة اخلاء الدنيا فى دين الاخلال وملة اللال
واستحالة الحال .

(٤) فى الاصل : مصر .

(٥) فى الاصل : نفسه .

ذكر الموصول إلى حمص وتقرير أمر أسد الدين أبي الفرات
شريكوه بن محمود بن شريكوه مكان أبيه

قال : كان قد وصل صاحب أسد الدين إلى الفرات لتقرير ما يجري له من الولايات فأمر السلطان بنظم منشوره وضم نشره وكتاب منشوره فأجرى عليه (١) جميع ما كان لأبيه وجئنا بعد ذلك إلى حمص وأقمنا واستعرضنا خزائنه واستخرجنا دفاينه وقسمنا ميراثه . وكانت أخت السلطان الحسامية زوجة ناصر الدين وهي مستحقة للثمن والباقي بين البنت والابن وخلفت عينا وورقا ومجتعما ومفترقا ومبلغ التراث في الملك والعين والأثاث أناف على ألف ألف دينار فما اعاره السلطان طرفه ولا امترى خلفه بل تركه على أهل التركة وأبقاه برمته لهم وأسد الدين مع صفه (٢) وان كان شهما (٣) لبيا وسهما مصيا احتاج إلى أمير أمين يتقدم على أصحابه ويتولى مصالح بابيه فرتب أميراً من الاسدية يعرف بالامر لسداده ويبلغ في السن مدى رشاده ونعت بالولاية إلى أن تفرد الأمير بالامر لسداده ويبلغ في السن مدى رشاده ونعت بالملك المجاهد وفي نسخة منشوره : وأنعمنا عليه بكل ما كان لوالسده رحمه الله من البلاد والضياح والمعاقل والاقطاعات والولايات وقررناه عليه مستمرا على الدوام مصونا من الأحداث معصومة سرايره المحصنة من الانكاث وذلك حمص، سلمية، تدمر، وأدى بنى حصين، الرحبة، زلبيا . واعتمد على الأمير الحاجب بدر الدين ابراهيم بن شروة (٤) الهكاري في ولاية قلعة حمص وما رأيت من الاكراد مثله دينا ومروءة وكما وقوة فأقام بها مدة حسنت فيها آثاره وشاعت بالخير أخباره إلى أن نقله السلطان إلى قلعة حلب فكان كما رغب ثم طلبه الملك العزيز في آخر عهد السلطان ورتبه في قوص . ولما فرغنا بحمص من اشغالها ورتبنا ولاية ولاياتها ونواب أعمالها عادنا هوى جلق وطيب هوائها وموافاة أندية أندائها ومعاودة جنا جناتها ومواعدة لذات لذاتها فلما ترتبنا واستطعنا لها النشر والنشق قال لى السلطان : جرد القلم فابد مشق دمشق واكتب إلى الاولياء وبشرهم بوصولنا فتد هبت لهم

(١) في الاصل : على .

(٢) كان عمره ١٣ عاما . انظر الروضتين (١) ٦٩-٢ .

(٣) في الاصل : غير منقوطة .

(٤) في الاصل : غير منقوطة .

فَبُول اقبالنا باقبال قبولنا والحمد لله الذى اعادنا ورد الينا برد البلاء
بلادنا ولما شاع بدمشق خبر دنوتنا احتفل أهلها واجتمع بالمسار شملها وطلعت
أعيانها ونبتعت عيونها ووائت أبكارها وعونها وتطبقت على سنة الامن
بتدومنا جفونها وراقنا تلقى أود الامل وعلق اخلاء العمل واتفقت المتعشقة
وسمعت الطليقة ودخلنا المدينة وزينة الدنيا خارجة وسكينة النعمى فارجة
وكان الفاس قد ساءهم خبر المرض فسرهم عيان السلامة وما الذ الرجاء
بعد الابلاس والثراء بعد الافلاس وانهم ظفروا فى الايحاش بالايانس وأمنوا
بمشاهدة الانوار السلطانية حنادس الوسواس واجتمع السلطان فى القلعة
بأهله واقطع الزمان عن جهله وشاهدنا الفضل والكرم (٢٢٧ أ) / بالمشاهدة
الفاضلية وعدنا الى السعادة القديمة واجتمع السلطان به فبثه (٥) أسرار
وزاره مرة واستزاره ودخل جنته وجنى ثماره وراجعته فى مصالح دولته
واستشاره وعمل بما أشار به بعد أن شاء الله واستخاره وعاد الهوى
وعدنا وزاد الحجى وزدنا ووغيثنا بما نذرنا وانجزنا ما وعدنا واحيى السلطان
سنتى الاسعاف والانصاف وأجنى قطاف اللطاف وجلس فى دار العدل
لكشف المظالم وبث المكارم واحياء المسالم .

ذكر ما استأنفه السلطان من نقل الولايات

قال : وكان السلطان للالزمة أخيه العادل له قد مال الى رأيه وغنى
بغنائيه ووثق بنفاذه فى الامور ومضائه وهو يشير عليه بما يتمكن فى نفسه
ويقترن بأنسه ويتصور فى حدسه . وكان الملك الأفضل نور الدين على بمصر
وهو ولده الاكبر تد بدأ يظهر وقد مالت اليه بمصر جماعة وله منهم طاعة
وربما نغم تقى الدين النائب هناك من واحد أمرا فوكتت فيه منه شفاعاة
فكتب يشكو من اختلال أمره وانه لا يسمعه خلاف من استبد بحكمه ولا يمكنه
أيضا ما يقع من المصلحة برغمه فى عزمه . وكان فى نفس السلطان أن ينقل
ولده الملك العزيز عثمان الى مصر ليكون عزيزها وليحرز ملكها ويجوزها وهو
مفكر فى وجه تقريره وطريق تدبيره حتى بدا له نقل الأفضل بخطه بكل ما
يستميله الى بلاد الشام فاذا وصل نظر حينئذ فى اتهام ما يؤثره من المرام
(فكتب الى الأفضل بخطه يستميله) (٦) ويضمر بالنجح تأميلة ويذكر له فرط

(٥) فى الاصل : فابقه والضبط من الروضتين (١) ٢ - ٦٩ .

(٦) هكذا فى الاصل .

أشتياقه وأنه لا انفراق من ألم فراقه فليصل بجميع أهله وجماعته ووالدته وحشمه وأصحابه وسحره بمعاني الترغيب كتابه فلما قرأ (١) كتاب والسده وثق بنجاح مقاصده وايقن بنجاز مواعده فودع مصر وداع القللى وأزمع عنها أزماع السالى واعتمد فى الرحيل على أمر الله تعالى وسار بالهمم العوالى والأحوال الحوالى وجاء البشير بوصوله يوم الاثنين الثالث والعشرين من جمادى الأولى فأمرنا السلطان بتلقيه فى خواصه وحشمه وحواشيه فركبنا سحرة هذا اليوم المبارك وخرج معنا الامراء والولاة والقضاة وكان يوما مشهودا محمودا مشكورا واستصحبنا الحرس الخاص واستتبعتنا العوام والخواص ، ونخل فى زى موكب السلطان وجاء به وأثله بالقلعة فى دار رضوانه ومكن مكانه وكتب الى تقي الدين أنه قد أزلجت علقه وشفيت فى الاستبداد بمصر غلقه فابتهج تقي الدين بتفرده وانتهج سر توحده ولم يدر أن الوهن يطرق الى وثوقه وأن الكساد يسوقه الى سوقه وأن كان فى ذمة ولد السلطان وعصمته وأن تمام حرمة بحرمة غلو استمسك به واعتصم بسببه وقال : لا ولاية لى فى بلدك الا بولاء ولدك وأننى فى التربية كفيه وفى التولية وكيله لمعيب تحويله وما أمكن تبديله لكن قضاء الله ماض وقدره قاض .

ذكر تسليم حلب الى الظاهر

قال : ولما دخلنا دمشق كان بها من أولاد السلطان غياث الدين غازى فزار (٢) عمه الملك العادل وهو صهره وقد أشتد بمظاهرتة ظهره فقال له قد نزلت عن حلب لك وحييت بها عطلك وأنا أقنع من أخى باقطاع أين كان والزم الخدمة ولا أفارق السلطان وأطلبها من أبك ان كانت ترضيك وجاء الى السلطان فقال : هذه حلب مع رغبتى فيها أرى أن أحد أولادك بها أحق وملكها به اليق وولدنا الملك الظاهر أحب أننى بها أوثره وملك الدنيا فملك (٣) حلب له لا استكره وأنا مع ملازمتى لخدمتك ومساهمتى فى نعمتك لا يعوزنى بلد وقال السلطان : مالنا الآن لها عوض ولا لنا فيما ذكرته غرض المهم الآن

(١) كذا . وفى الاصل مطموسة .

(٢) فى الاصل : غير منقوطة .

(٣) فى الاصل . فكيف .

تدبير أمر ولدى الملك العزيز فان مصر لا بد أن يكون لى بها ولد اعتمد عليه واسند ملكها اليه والصواب خروجنا الى البلقاء ونخيم على الزرقاء ونرتب معه من يمضى الى مصر من الامراء . فرحطنا ومعنا الملك العادل والعزيز والظاهر والامراء والخواص وسرنا حتى خيمنا على الزرقاء وارعبنا بقربنا من الثغور قلوب الأعداء (٢٢٧ ب) / وكان قد مضى أن الملك العادل قد زهد فى حلب وطلبها الملك الظاهر والتمس عوضها بلادا عينها ونواحي بمصر بينها وكان قد مال الملك العزيز اليه لاشغافته عليه فسأل اياه أن يسير معه الملك العادل فانه نعم الكافى الكافل وحلف انه عن عمه غير عادل ومازالت الرسائل تتردد والاقتراحات تتحدد حتى أعطاه السلطان بمصر البلاد المعروفة بالشرقية واعتمد عليه فى ساير الممالك المصرية وسمع تقى الدين فى مصر هذا الخبر غنبا ونفر واذا تولى أبو بكر فلا عمر فعبير الى الجيزة مظهرا انه يمضى الى بلاد المغرب ليملكها وكتب الى السلطان أن لا يمنعه من سلوك مسلكها وسمت همته الى مملكة جديدة وأثائم ذات ظلال مديدة وقد كان أحد مماليكه المعروف بقراقوش قد جمع من قبل الجيوش وسار الى بلاد برقه وهدته الامنية الى النفايس فى بلاد نفوسة فادركها وتجاوز الى افريقية وهو يكتب الى تقى الدين مالكة برغبته فى تلك المملكة ويقول أن البلاد سايبه وعرايسها لكفوها منها خاطبة فلما تجدد ما تجدد عبر تقى الدين بمسكره وجنده ومالت اليه عساكر مصر لبذوله ومخائفة عدوله وقدم مملوكه يوزبه ليكون فى المقدمة .

ولما انتهى الى السلطان خبر عزمه قلق بتفريه وعلق بتفريه وقال لعمرى ان فتح المغرب مهم لكن فتح البيت المقدس اهم والفائدة به أتم واذا توجه تقى الدين واستصحب رجالنا المعروفة وأبطالنا الموصوفة ذهب العمر فى اقتناء الرجال واذا فتحنا القدس والساحل طويانا الى تلك الممالك المراحل وعلم لجاج تقى الدين فى ركوب اللجة واحتجاجة فى سلوك تلك المحجة .

قال : ولكننا نكتب اليه بالوصول ليشافهه بوصايا ويطلعه على خفايا وحينئذ يعزم ويصمم فاذا وصل اليها شغلناه واذا استقلنا عثره أقتناه فكتب اليه يأمره بالقدوم عليه . ولما استقر أمر الملك العادل فى المعيشة التى بها توحد الولاية المصرية التى بها تفرد استدعى نجاز أمر العزيز للسير معه فقرر السلطان لولده قوص وأعمالها ومرافقها وأموالها وأضاف

اليه أجنادها ورجالها ورتب له رواتب ووظف له وظائف مواهب وعين له من خواصه حجابا ومن ذوى استخلاصه أصحابا ودون له ديوانا وكتابا ، وودعه فى العشر الأول من شعبان ، وسار الملك العادل وودعناهما وعدنا مع السلطان والمناضل ، وكان دخولهما الى القاهرة فى خامس رمضان . وأما الملك الظاهر فان السلطان سيره الى حلب وانعم عليه بها وببلادها وسائر قلاعها وأقاليمها وضياعها وأمر أمرائها بطاعته ومتبوعيها بتباعته ، وندب معه شجاع الدين عيسى بن بلاشوا ، ولم يزل الملك الظاهر من أيام ص سفره كبير الثمر نسيج الدهر شديد التيقظ ، شديد التحفظ بعيد المنال قريب النوال .

وأما الملك المظفر تقى الدين فانه لما وصل كتاب عمه بالاستدعاء سارع الى تلبية النداء ، فجاء مغذا يفذ السائرين نداء وخلقى بمصر أصحابه وأسبابه فوصل الخبر بوصوليه فى العشر الاخير من شعبان وخرجنا لتلقيه ، وخيم السلطان على كنف المصرى فوق قصر أم حكييم فلما قرب ركبنا الى موكبه وقرت عينه بلقيا عمه وظفر من السعادة وما فى قسمه ونسى ذكر المغرب لانتارة مشرق سعده فلم يرجع الى ذلك الحديث من بعده ، وخاطبه السلطان بكل ما عاد باتسه النافر والسلو عن أمسه القابل ودخل الى دمشق فى آخر شعبان فابصرنا على وجهه هلال رمضان وعاد الى ما كان له من البلاد ومنبح والمعة ثم أضاف اليه ميافارقين وجميع ما فى ذلك الاقليم من المعاتل وخصه من ممالكه بالكرايم والغنائيم وكتب الى مصر باستدعاء رجاله واعلامهم بتأخر عزم المغرب بل ابطاله فامتثلوا الامر وفارقوا الى الشام مصر سوى ملوكه زين الدين يوزيه (٣) فانه رتب له عسكرا الى المغرب ومضى واستصحبه وغلب على بلاد أفريقية ثم قصد صاحب المغرب فأخذه مأسورا ثم اغراه مع الغز فى شفرة من الثفور فألفاه مشهورا مشكورا فقدمه على الغزية الفزاة ولهم بلاء حسن فى تجمع الكفر ولا قدر للبهات مع البزاة .

(٣) فى الاصل : يعذبه .

ذكر مكرمة اتقى الدين

قال : أجلسنى عنده يوم قدومه بالمخيم على المصرى ييثنى (١) أسراراً ويذكر لى فى الحسن والاحسان آثاره وأطال معى حديثه عتيقة (٢٢٨ أ) / وحديثه فجاءنى من سارنى بخبر أزعج خاطرى وذلك أنه أخبرنى احتراق دكان فى جوارى غلبت عليه النار حتى اشترقت بها الدار فسألنى اتقى الدين عن الحال وما سبب شغل البال فأخبرته هو وقلت هو قربان هذا القدوم المبارك فقد كان العصر القديم وقوع النار فى القربان امارة قبوله وعنوان حصوله فأتى هذا القول فى اريحيته ونفذ الى يوم وصول الى دمشق مائتى دينار وقال رى بهذا ما تشعث من هدم أو نار ولم يكن العهد بعيد بانفاذ رسمى من مصر وبناتير مصرية مائتين ولم يستكثر فيكون الضنين وكم له عندى من ايداء مبتكرة وكان لا يسمع لى قصيدة الا استأنف لها جائزة جديدة ومما مدحته به فى هذه الدفعة قصيدة سينية تشتمل على مائة واربعين بيتاً انشدتها اياه فى ثالث رمضان من هذه السنة ومطلعها :

عفا الله عنكم من ذوى الشوق نفسوا	فقد تلفت منا قلوب وأنفس
أيا لكم الا ببالواى سلوة	ولا لكم الا بهمى تأنس
جرحتم فؤادى بل هدمتم تجلدى	فهل بعثتم طيفكم يتحسس
لم أنس أنسى بالحمى سقى الحمى	عيشة لى مجنى ومجلى ومجلس
ولى فيه من ثغر الحبيب وخده	ومقاتله راح وورد ونرجس
ظننتم بعينى انها تألف الكرى	فهل بعثتم فؤادكم يتحسس
ومنها فى المدح :	
بتوقيعه تجرى المواهب أبحرا	فهل قلم فى كفه أم قلمس
وهل بظلم الرأى مكارم ماجد	عيون الندى من كفه يتحيس
تشكى اليه الغرب جور ملوكه	فأشكيت به الجور بالعدل يعكس
يستر بالنقع السماء كأنها بخو	ف فقاكم بالعجاج يترمس
شموس ظبى تغدوا لها الهام	سجدا لله نصرانيه تتمس
وكم كفى الاسلام سوءا بملككم	كفيتم على رغم المعاذير كل سو
إذا ما تقى الدين صال تساقطت	لاقدامه من عصبة الشرك أرؤس
بانمار شكرى غرس نعماك مثمر	وتزكوا ثمار الغرس أن طاب مغرس (٢)

(١) فى الاصل : غير منقوطة .

(٢) وردت هذه القصيدة فى الروضتين مع اختلاف فى بعض الابيات

انظر الروضتين (١) ج ٢ ص ٧١ ، ٧٢ .

فكر ظهور كذب المنجمين فى شعبان هذه السنة

قال : كان المنجمون فى جميع البلاد يحكمون بخراب العالم فى هذه السنة فى شعبان عند اجتماع الكواكب الستة فى الميزان بطوفان الريح فى سائر البلدان وخوفوا بذلك من لا وثوق له باليقين ولا أحكام له فى الدين من ملوك الاعاجم والروم واشعروهم من تأثير النجوم فشرعوا فى حفر مفارقات وتعميق بيوت فى الاسراب وتوثيقها وسد منافسها على الريح وقطع طريقها ونقلوا اليها الماء والازواد وانتقلوا اليها وودعوا الطرف والتلاد وانتظروا اليعاد وكلما ستمعنا بأخبارهم ضحكنا من عقولهم الواهية العقود وسلطاننا يسخف آراء أولئك الملوك وكيف خص الله بصايرهم بالاضلال والحكوك فلما كانت الليلة التى عيها المنجمون لمثل ريح عاد ونحن جلوس عنده السلطان فى فضاء واسع وناد للشموع الزهرات جامع وما يتحرك لنا نسيم ولا يسرح للهوا فى رعى مناقب الأنوار مسيم فذاكرنا ما ذكره المنجمون وشرعنا فى رواية أحاديث الرسول وذكر ما يدل على بطلان أقاويلهم من المنقول والمعتول فما راينا ليلة مثلها فى ركودها وركونها وهودها وهودئها .

فكر الحوادث فى هذه السنة

قد سبق ذكر أتاك شمس الدين محمد بن أتاك ايلدكز المعروف بهلوان وعساكرهم وأنهم وصلوا الى قرب خلاط عام أول فى جمادى الآخرة/ (٢٢٨ ب) ونحن على ميافارقين فلما انصرفنا انصرفوا وتصرف بهلوان وجرى بما قدره الله الحدثان ومرض مرضا أعبى الاطباء دواؤه وأعضله داؤه وأيسه عن الصحة اطبائه وانتقطع رجاؤه من الثرا الى الثرا ومن البراءة الى المرا وجاعنا نعيه فى أول سنة اثنتين وثمانين فما ندرى أكانت وفاته فى هذه السنة أم قبلها وكانت حياته متصلة للجد والجدي الى أن جذ القدر حبلها واضطربت من بعده تلك الممالك وتطرفت الى البلاد من بلاتها الممالك وأحربت اصفهان والى اليوم من سنة أربع وتسعين ما وضعت أوزارها وما ببالى أزور عنها من استولى بها أوزارها . قال الفتح على بن محمد الاصفهاني مختصر الكتاب والى اليوم من سنة اثنتين وعشرين وستماية الحروب فى اصفهان شامية على ساقها والفتن مميحة فيها على سكانها بأوراقها والله تعالى يفرج عن أهلها ويبدل حزن أحوالها بسلها . قال : وتولى بعد بهلوان اخوه تزل ارسلان غازال مهابة الملك السلجوقى وسلك

بالمسعيد الشقي الى أن اتضع الملك وانقطع السلك وطمعت خراسان في العراق وعمدت الافاق من الأفاق .

عاد الحديث : قال : واتصلت المواصله بيننا وبين المواصله واستمرت المراسلات بالصلوات وفقدت الحقوق في الحقوق وجاء البر من العقوق وأعد السلطان لاتبك الموصل هدايا وتحفا ومستعملات مصرية وثيابا وحصونا وجحورا عربا وطيبا أهده أخوه سيف الاسلام من اليمن وكذلك لوالدة الاتبك وصاحبته ولابنة نورالدين رحمة الله عليه ولأترابهن ما يليق بهن من البدلات الثمينات والمفاخر الذهبيات وتلايد العنبر الاشهب ونقايس اللبس المذهب . وأعد لمجاهد الدين قايماز مدبر ملكهم ما يعزز نظيره من الخلع النضارية والهدايا الكثيرة والمركوب العربي وقوم ما سيره اليهم بما يربى على عشرة آلاف دينار سوى الخيل والطيب والشيء البديع الغريب ورخص ما نزع(١) به الشيطان ورفع الشنان وارتفع الشأن واستظهر بمظاهرتهم السلطان .

نكر جمال الدين محاسن بن محمد المعروف بابن المعجمي ووصوله الى الخدمة السلطانية

قال : قد أجريت حديثه لما نزلنا على الموصل في النوبة الاولى وانه المتردد في الرسالة وانه ذو رأى وبصيرة وفضل وفطنة وهو أمين الأمير مجاهد الدين قايماز(٢) وحاجبه ومهديه التي تتضح بسنا رأيه مذاهبه . وفي تلك الدفعة عند حضور شيخ الشيوخ على الموصل في الشفاعة يخرج كل يوم هذا محاسن بحديث حديث ويحضر وهو عاد في زى مستعد مستغيث حتى بردت تلك الحرارة بطبه وقلت عن الموصل حدود بأسنا بحده وعزمه ، ولما رحلنا عنهم تلك الكره وفتحنا بلادهم بالخابور وسنجار واشتغلنا بحصار آمد في أوائل سنة تسع وسبعين وجئنا الى حلب وحلبنا درها ونظمنا في سلك الفتوح أمرها جاءنا الخبر بدمشق أن أتابك الموصل قبض على مجاهد الدين وجبسه وأخفى موضعه الذي فيه أجلسه وكان من قبل اعتقاله له قد توجه الحاجب محاسن إلينا بأرساله فعلم بحاله وكان قد قرب

(١) في الاصل : نفع والتصحيح بالهامش نزع .

(٢) في الاصل : قايماز .

من حلب فأبعد عنه ممن وراءه الطلب وكتب إلى السلطان وأمره بالوصول وأعطاه حتى أغناه وحقق له من الاتطاع والاصطناع كل ما اقترحه وتمناه ثم استخلصه لنفسه واستخضعه لأنسه وأنساه بجوده الموصل والاتابك وقال الحمد لله الذي أتى بك وهو من جميل دابة وحسن أدابه كل يوم في زيادته وحسن وسعادة دين ودنيا . وكان يعتمد عليه في المهام العظام وأرسله مرات إلى قزل أرسلان وإلى السلطان السلجوقي (٣) بهمدان وأما مجاهد الدين فانه طال اعتقاله أشهراً وأيس صديقه لما لم ير له مظهراً ثم رأى صاحب الموصل بعد حين أنه من أمر مملكته في تهويم وتهوين واستيقظ وإذا أموره بسواء مختلة وعقوده منحلة فعرّف وأنف واستدرك ما فرط وكان مجاهد الدين عنده مكراً ولم يزل له مستشيراً معظماً فأخرجه يوماً بعد اليأس منه إلى مرتبته وسر السلطان بما سمعه من خلاصه فانه لم يزل من مريدي الخير وخواصه ولما نزلنا في المرة الثانية في سنة إحدى وثمانين على الموصل صحبنا جمال الدين محاسن من جملة خواصه الأمراء ومن المحدثين في المشاورات والآراء واقطعه من أعمالها بأوشنايا (٤) وانفصلت بتوصله وتوسله هناك القضايا ولما صالحناهم اعتمدوا على محاسن في حفظ مصالح الجانبين فاستقرت الألفة بوساطته وجرى أمر المواصلته بمقامه عندنا على السداد وأمنوا بأمانته وكفايته (١٢٢٩) / طوارق الفساد وتخيروا في النصرة الناصرية على ما سيأتي شرحه إلى الجهاد ونقل جمال الدين محاسن أهله وولده إلى الشام ووفرت حظوظه من الأكرام والآنعام .

قال : وكان مجاهد الدين قايماز في أيام الملك العادل نور الدين محمود ابن زنكي رحمه الله وهو يتولى أربل يتوفر على مصالحه ويؤثر مناجحي ولما جاءت الدولة الصلاحية وانتقل هو إلى الموصل جرى معي على أحياء تلك المعرفة فلما تنفّس صبح الصلح حررت عهداً عبرت به معاهد الأحرار

(٣) هكذا في الأصل .

(٤) بأوشنايا : قرية كبيرة من قرى الموصل قرب بلد من أعمال البقعاء .

واسوت بإبراء أساءة كلبي كلم الإبرار وقصدت التحقيق وأحكمت المواثيق
ومتضيت حق الكلم فقتضوا حق الكرم وانفذوا الى بغلة مسرجة ومائتي دينار
وثلاثين ثوبا من مقدمات أنواع الوشى . ولما أتمنا بدمشق سنة اثنتين وثمانين
أنفذوا على يد جمال الدين محاسن ذلك الرسم بل أضعفوا فان مجاهد الدين
تقرب من خاصه بما أحرزته قصب السبق وأبقى الى انقضاء بقاء السلطان
صدائقه الصديق ، قال : واشتغل السلطان فى بقية سنة اثنتين وثمانين فى
استقراره بدمشق ومقامه اشفاقا لنكس سقامه فى بعض أيامه بالصيد والقنص
فكان يركب الى قل راهط باليزاة والشواهين مع مماليكه الخواص الميامين
وله شاهين يجرى كأنه بحر ، وإذا خلق فشرار ، وإذا أحرق فجمر فكلى المدار
ملكى المطار شهاب ثابت فى الديجور عذاب واصب على الطيور وكم صاد
ليوسف يعقوبا وعقر فى أنجاز وعد صيده عرقوبا ولما رأيت للسلطان هذا
الجراح غبطته عليه وطلبته اليه وقتلته هب لى هذا الشاهين فتعجب من
سؤالى المستبعد وسؤالى المستغرب فقال انت للقلم والدواوين والحجج
والبراهين فمالك ولليزاة والشواهين فقلت : يكون فى ملكى وكل ما يقتنصه
يأمر لى به المولى وهذا أربح لى وأنفع وأولى . فقال : نعم وهبته لك ولما
أصبح وعاد من القنص سى لى سبعة عشر قطعة من طير ماء حجل وقال :
هذا صيد شاهنيك فى طلق واحد وعلى عجل فملكك ذلك الشاهين خمس
سنين والسلطان يصطاد به ولى قنصه فمزال لى على هذا الحق محافظا
ولهذه النكتة ملاحظا الى أن أودى الجراح فيالله دره من سلطان خاطره
بهم المالك مشغول وعلى قلبه عبء الدنيا والآخرة محمول ولا ينس ذكر
هذه القضية التى أعاد مزاحها جدا والشدة لى حقا معيدا فدون حقه على
مثله أنه يوسف ومن حقنا بعده أن نتلوا : « يا اسفى على يوسف » (٥) .

نذكر ما أنعم به فى شهر رمضان من هذه السنة

قال : لما دخل شهر الصيام نوع انقسام الانعام وأصل وفرع واعسرب
وأبدع وأنفق ان بعض التجار كانت بضاعته بياقير رفيعة مالها نفاق ولا له فى
أخراجها ارتفاق فحملها الى الخزانة السلطانية وهى أكثر من مائة قطعة
فقال خذوها واكتبوا أثمانها الى مصر . فاشتريت منه وكتبت له بذلك توقيع

على ما نرى مصر من المال الحاضر وكان من كرم شيم السلطان اذا عرف في خزانته موجودا انه لا يستطيع تلك الليلة حتى يفرقه جودا فقال لى قد اجتمعت لنا بياقير وعمايم فقد تقاضتني نفسي بجعلها على أهل الفضل والمكارم فنبدا بأهل الدين والتقوى ونجعل لهم أوغر خط من الجدوى وكان في الوافدين ومن أهل البلد وعاظ وعلماء وحفاظ فيكون كل يوم بكرة نوبة (١) لمن يتكلم على المنبر ثم يخلع عليهم وعلى القراء ويفضل بـعدهم على الشعراء فاشتغل مدة اسبوعين بالمواعظ وسماعها ووضع المنبر في ايوان القلعة للناس واجتماعها ولما فرغ الوعاظ من شغلهم واتوا بظلمهم وورينهم قلت : قد قضينا حق الوعاظ وبقي حق الفقهاء وهم العارفون بأداة الشرع ناقلون حكم الأصل والفرع ولا بد من احضارهم في الايام الباقية من هذا الشهر وسماع مناظرة ائمة العصر فقال : انهم يقضى بهم الخلاف الى التشاحن والتضاغن فقلت : انا اضمنهم ولا احضر الا أقرهم وأوزنهم فقال : انت تتعصب لهم لا بل منهم لاجل اجلالهم لا يمهلهم ولا تغفل عنهم فحضر أول يوم في ذلك المحفل جماعة اكابر من مشايخ أهل الفضل فجرت مناظرة مفيدة ومباحثة مبدية للفضل معيدة فأول من أشار اليه السلطان بالاستدلال من هو منظور بعين الاستقلال وهو مدرس الحنفية في المدرسة النورية برهان الدين مسعود فتأبى وتكذب وخاف أن يعرض عليه من لا يباريه في نظاره ولا يجاريه في مضماره فقلت له أبدر الى الميدان منطلق العنان فما يقوم برهان الا بالبرهان فقال : ان كنت تعترض فأنا بحكمك افترض فأجبتة الى مراده وأمنتة (٢) أن يجاريه سوى في ميدانه (٢٢٩ ب) / وبجلته بأن أكون في اقترانه فشرع في الدليل وقضى حق السائل في السؤال والجواب ثم نص السلطان على في الاعتراض فباشرت اباكار أفكارى بالانتقاض وثبتت العلة وشفيت الغلة وحلت الاشكال واعدلت ما مال وبينت فيه الاختلال . وكان تمسكه بخديث ثم شرع في اثبات الحكم بالقياس فألزمته الانتقال فشرع في الجواب واحسن وأتى بما أمكن وتعوض النادى وسال بالفوائد الوادى .

(١) في الأصل ساقطة ، الضبط من الروضتين (١) ٢-٧٤ .

(٢) أبو شامة يقول : فاستدل أول يوم برهان الدين مسعود مدرس الحنفية في المدرسة المعمورة النورية واعترض عليه العهد الكاتب الروضتين (١) ٢-٧٤ .

وكان في اليوم الثاني محفل أحفل واستدل فيه أكبر مشايخ الحنفية بدر الدين عسكر واعترض عليه من أصحابنا القاضي محي الدين بن الزكي ففاض الفضل ودر الحفل ، وكان السلطان يجلس كل يوم لطايفه ويجدد ذكر كل تالدة بطارفه فلما دنا العيد وقرب من الأمل البعيد أمر بانبثبات ما يخص بالخلع فكانوا أكثر من مائتين وخرجوا عن غدة المعينين فأمر بابتساع العمائم وأحياء سنة المكارم ونقل جميع ما في الاسواق الى الخزانة للاتفاق وكنت قد أخذت رسم التشريف في أول شهر رمضان فسحبت في العيد بالدخول في زمرة العلماء بالخلع المستجدة الاردان وكان قد اجتمع الوفود والرسل من الاطراف فدخلوا في عموم الاسعاف بخصوص اللطاف . قال : وفي هذه السنة بنيت دارى بدمشق مقابل القلعة وكان السلطان لا يكاد يقيم في بلدة ولا يستقيم على أحد ينتقل في البلاد اما للجهاد وأما للاستكبار من الممالك وأخراج الملوك الى الانقياد فلما أتم في هذه السنة سنة اثنتين وثمانين بدمشق للاستراحة كان يستدعيني ليلا ونهارا ويستكفيني في المهمات والمهمات سرا وجهارا فبنيت دارى للقلعة مجاورة ليقرب طريق قصده وأدخل دارى اذا خرجت من عنده فهي الان مريمى ومناخى وبه عش أفراخى وهي حقه درى وحقه درى وببيت عطاردى ونظم (٣) أوانسى وشواردى .

ذكر ما تجدد من الخلف بين الفرنج

قال : كان قومص طرابلس ريمند بن بيمند الصنجيلى تزوج بالقومصية صاحبة طبرية وجعل بها لاجلها سكناه وقصر على تملك الفرنج منها فان الملك المجذوم لما هلك أوصى لابن أخته وهو الذى بعده ملك ولأجل صفه كفله القومص وهو على تربيته يحرص ويثوب الاستبداد يقمص وهو بالقوة والراى مسلسل ويزعم أنه بالأمر مستقل فهلك الصغير وبطل عليه التدبير فان الملك انتقل الى أمه وبطل ما كان في زعم القومص وزعمه فوقعت عينها على أحد المتقدمين العرب فاستخلصته للقرب وانكحته نفسها وبردت لسهمه قوسها ومكنته من مزرعتها لسقيها وحرثها وأدنته من خلوتها لادناء خلخالها من رعائها وقالت : ان الفرنج ذكورها أقوم بالملك من أناتها ثم جمعت المتقدمين والبارونية والاسبتار والداوية وقالت : هذا زوجى قد نقلت اليه ملكى وعقدت به مسلكى فوضعوا على رأسه التاج فزخر بحره

وعب وماج فسقط القومص في يده وخرج من جلد جلده وعمى عليه
واضح جده وطولب بحساب ما تولاه فنفر منه واباه وناداه الملك وما لباه
وادعى أن ذلك انفقه في الملك الصغير والذي رباه ثم حل حباه وسل
طلباه واحتزل واعتزل ومن ذورة العتو ما نزل ولاذ بسلطاننا وانفذ رسله ببذل
الاستطاعة في الطاعة والجري على حكم التباعة وانه وان دعى أجاب
وان رعى أهاب فأعجب السلطان قوله وقالوا ربما كان هذا ختلا وختمرا
وخداعا ومكرا فقال : أليس قد وقع بين الكفر اليأس وحصل لهم من اصلاحه
البأس فيجربى به مجرى المؤلفة القلوب وكان الأمر على ما تفرسه والعقبى
الحميدة على ما جد منه فان ذلك كان من أسباب وهن الكفر ومنزل نص
النصر . وكان في الاسر خيالة من أصحاب القومص قد قررت عليهم قطايح
ثقيلة فأجاب سؤاله في المن والاطلاق وأخرجهم الى عز السراح من ذل
الاسترقاق حتى كاد القومص لولا خوف اهل ملته يسلم وصار بدولة السلطان
وملكه يقيم ومال اليه من الفرنج جماعة وظهرت له منهم للطاغية طاعة وأمن
الشفر وسكن الدهر ودخلت من جانبهم الى بلادهم السبايا وخرجت الفنايم
والسنايا والقومص قوم صدق يساعده في كل باطل وحق ففل بهم أهل
الساحل وبلوا منه بالشغل الشاغل .

(١٢٣٠) / نكر غدر ابرنس الكرك

قال : كان هذا ابرنس ارناط اغدر الفرنجية واخبثها وأفحصها
عن الردى وأبحثها وانتقضها للمواثيق المحكبة وأنكثها وهو على طريق
الحجاز ومن نهج الحاج على المجاز . وكنا في كل سنة نفزوه وبالبوايق
نعزوه وقد الجأنا الى مضايق المضايقة والاضاقة فأظهر أنه الى الهدنة
والهدوء شديد الفاتة فتعرض للتضرع وجنح للسلم وأخذ الأمان لبسلده
واهله وبقي الأمن شاملا والقفل من مصر في طريق بلده متواصلا وهو يمسك
الجاي والذاهب ويحيى من الضروب والضرايب وينكب النواكب حتى لاحت
له فرصة في الغدر فانتهازها وقطع الطريق وأخاف السبيل ووقع على قافلة
ثقيلة ونعمة جليلة فاجتاحها واستباحها وكان معها من الاجناد فأوقعهم في
الشرك وحملهم الى الكرك فأرسلنا اليه وذبمنا فعالمه وقبحنا احتياله فأبى
الا الاضرار والاصرار وأضرم الشرار وأضرى الشرار فنذر السلطان دمه
فأظفره الله به يوم حطين فقدمه ووفى في اراقة دمه بما التزمه . وأقام

السلطان بقية سنه اثنتين وثمانين بدمشق وقد شغل الفرنج بعضهم ببعض وعسكر الجهاد فى العرض ونحن من عداد الاعداد واستمداد الامداد فى اقامة سنة وأداء فرض .

قال الفتح بن على الاصفهاني مختصر الكتاب : قد أورد الصـسـدر السعيد عماد الدين رحمه الله ههنا رسائل لفضلاء العصر مبينة على حروف معينة أكثرها وان اشتملت على الالفاظ البارة والمعاني البديعة لا تخلوا من تكلف تهجه الاسماع وتعسف تنبوا عنه الطباع فتركناها واضربنا عن ذكرها صفحا وطوينا دون وصفها كشحا وسلكنا طريق الاختصار وأعزناها جانب الأزوار واختصرنا على ايراد هذه الابتداءات الفاضلية من كتبه الجليلة الجليلة فمنها :

وقفت على كتابه الذى توالى فيه سجعات الصاد ولسيدنا فخر كل من ينطق بها كما قال أبو الطيب وتناسقت محاسنها تناسق قطرات السحاب الصيب وهو يتناول الالفاظ والمعاني من مكان قريب وان مد باعه فمن سحاب وان اغترف فمن قلب والله لا يخلو النفس من أنفاسه المستطابة والدولة من آرائه المستصابة . أخرى سلام له من صاحب وأهلا بكتابه ومتى نقول أهلا بالكاتب وفداه من يعرفه وان أبوا فانا والطالب الغالب وسبحان من خصه بمعجزة بنوته فسيح القلم بين أصابعه وتفجرت الحكم من ينباعه وجعله اماما ومن الذى لا يغفر بأن توسم تتابعه .

أخرى : ادام الله توفيقه والتوفيق به وصرف عنه كل مكروه من صروف الدهر ونوبه ولا أخلى الملكة من كريم مرتبته وشريف منصبه ولا زالت مسرات الخلق مضمونة على رسله وكتبه وعين الله كالية له فى منصرفه ومنقلبته .

أخرى : أحظى الكتب ادام الله سعادة الحضرة العالية واحضر التوفيق لمقاصدها وأعان اللسان على فروض محامدها والقلب على شجون تباعدها وأجراها على جميل عوايده لديها كما يجرى الاصدقاء على احسن عوايدها وفسح فى مدتها ومدة محبيها حتى تستدركوا قوايت فوايدها عند عيدها وأدعها الى تملك رق الحر من شكره وأولى المحللة فان تحت المحطور من نشعره شكره ما كان قريب العهد بمواطن خواطرها مذكرا بأيام الربيع من لقائنا التى فيها ذكرى لذواكرها فلذلك لا يقرأ منها حرفا الا قرانه من

الثقل ولا يبين منه صدرا الا قال ان من البيان لسحرا وهى ادام الله نعمتها
اذا ارسلت نفسها على السجية اتت بالمطبوع التى تقصر عنه الطبع
فاذا جاءت بالامور المهمة اتت بالمصنوع الذى يملأ الاسماع فلها الفضلان
مسترسلة ومختزلة والصوابان مروية ومرجلة والاحسانان متأنية ومستعجلة
كيف ما شاعت جاءت وكيف ما أرادت أوردت وفى أى حلسة برزت قال
رحمه الله .

وبخلت سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة

وهى السنة الحسنة المحسنة والزمان الذى تتضت على انتظار
احسانه الأزمنة وطهر(١) فيه المكان المقدس الذى سلمت بسلامته الأمكنة
وخلصت بمنحة الله من المحنة الأرض المقدسة المبتهنة ونصرت الدولة
الناصرية وخذلت الملة النصرانية وتميز الطيب من الخبيث وانقتم التوحيد
من التثليث وشاع فى الدنيا بحاسن الأيام الصلاحية حسن الأحاديث .

(٢٣٠ ب) / قال : وقد وصفت فى الكتاب المرسوم بالفتح القدسي(٢)
الأحوال ووسعت ووشعت الأقوال وحليت الفتوح واثبت الشروح وأنا
أورد فى الكتاب مما أوردته جملة الجميلة وجلالته الجليلة .

ذكر مقدمة لئلك مباركة

قال : كان السلطان قدم الكتب لاستقدام الكتائب وقرب جنابه للجانب
والأقارب وواصل الموصل وسنجا ونصيبين وآمد وديار بكر من البسر
بالأمداد بعد الأمداد واستدعى لذلك ممالك الشام من الأطراف والأوساط
وأمرهم بالاحتياط وبرز من دمشق يوم السبت أول المحرم فى العسسكر
العمرم والعزم المصمم ومضى بأهل الجنة لجهاد أهل جهنم فلما وصل الى
رأس الماء وجعلها محط مضارب سرادقه ومجر صوانعه ومجرى سوابقه
وأمر ولده الملك الأفضل نور الدين عليا بالاقامة هناك ليستدنى اليه
الامراء الواصلين والاملاك وسار السلطان الى بصرى وخيم على قصر
السلامة وقد استقبل من الله الكرامة والاستقامة .

(١) كذا وفى الاصل ظفر .

(٢) فى الاصل : أداة التعريف ساقطة .

نكر سبب ذلك

وقد سبق ذكر غدر ابرنس الكرك وهو على طريقى العسكر المصرى والحاج وكان فى الحج حسام الدين محمد بن عمر بن لاجين ووالدته أخت السلطان وجماعة من الخواص وأقام الى تلقى الحجيج وذلك فى آخر صفر ثم لما فرغ باله حم الى الكرك استقلاله وتقدم بمن معه من العساكر حتى نزل على حصنها فأقمنا هناك حتى أجتث أصولها وفروعها واستأصل كرومها وزروعها . ووصل العسكر المصرى يقوى الاستظهار ، وأقمنا على الحالة الحالية والجلالة الجالية ، وأما الملك الأفضل فإنه اجتمعت عنده الجنود من كل فريق وأتوه من كل فج عميق وضاق بوفودهم الفضاء وفاض بوفورهم الفضاء وانقضى من السنة شهران وطال بهم انتظار السلطان فرأى الملك الأفضل أن يشغلهم بفزوة يعودون منها بحظوة فانهض منهم سرية ورتب على خيل الجزيرة وما جاء من الشرق وديار بكر مظفر الدين كوكبرى صاحب حران وعلى عسكر حلب والبلاد الشامية بدر الدين دلدزم ابن ياروق وعلى عسكر دمشق وبلادها صارم الدين قايمائز فأسرجوا الخيل وأدلجوا الليل وصباحوا صفورية (١) فى أواخر صفر وصباح النصر قد أسفر، وخرج اليهم الفرنج فى الداوية والاستبار (٢) والبارونية والدركبولية ووثبوا فى وثبات الاساد وحملوا فى ثبات الأطواد فلولوا ان الله أصحابنا التوفيق لكاد الكفر ينجو والاسلام لا يدرك ما يرجوا لكن امرأنا الكرام استطابوا (٣) الحمام فلاقوهم بقلوب الصخور وهبوب الصقور وغاروا وظفروا وقتلوا وأسروا وهلك مقدم الاستبار (٤) وحصل جماعة من فرسانهم فى قبضه الاسار فعادوا سالمين غالبين غانمين وكانت تلك النوبة باكورة البركات ومقدمة ما بعدها من ميامن الحركات وجاءتنا البشرى ونحن فى نواحي الكرم فلما قرأنا الكتب عدنا واجتمعنا بالعساكر وانتظم شمل الأوائل والأواخر وخبينا على عشترا وقد غص بخيل الله الوهاد والذرى واشتغل العسكر على فرائس مخ

(١) فى الاصل : صفورته . وهى كورة من نواحي الاردن بالشام وهى قرب طبرية . معجم البلدان ٣-٣٩٩ .
(٢) فى الاصل : الاستبار .
(٣) فى الاصل : واستطابوا .
(٤) فى الاصل : الاستبار .

عرضا وطولا وملأنا الملاء حزنا وسهولا وعرض العسكر في اثني عشر ألف
مدجج ولما انتفضي العرض واقتضى الفرض وسالت بأفلاك السماء الأرض
كان السلطان قبل رحيله بيوم أركب العسكر بعدته وعدته ورتبه أطلابا وحزبه
أحزابا وعين رجال القلب ومن يقف بالقلب واليمينه وحمايتها والميسرة وكماتها
والجناحين وقوادمها من ذوى الأقدام والمقدمة والساقة على سنن النظام
وعين مواقف الرجال ومواضع الإبطال وعين الجاليشية من كل طلب باسمائها
ورماة أحداقها وحداق رماتها وقرر هيأتهم في الركوب والنزول وسار يوم
الجمعة سابع عشر ربيع الآخرة بالعساكر وسارت على تعبيتها وتربيتها
واناخذت ليلة السبت على صفين والكفر مخسوف والشرك مكسوف ونسيم
النصر من تربها مسوف وباتوا (١) تلك الليلة فلما بكروا ركبوا وكبروا وقد
أخذ (٢) بحرهم في الارتجاج وبرهم في الارتجاج ونزلوا بثغر الاقتحانة وضربت
الخيام وزهى الاسلام وأمكن من الكفر الانتقام وأقام السلطان هناك
خمسة أيام الى يوم الخميس ثم صمما الغزائم على الأقدام وسلب لبس
السلامة من ملابس (٣١١) / عداوة الاسلام .

وأما الفرنج فأنهم لما سمعوا باجتماع كلمة الاسلام ووصل
إمداد العساكر المصرية والجزرية الى الشام فزعوا وشرعوا في اصلاح ذات
بينهم ورجعوا عن التغاير والتنافس وقتلوا نحن أنصار الطرسه وأصلاب
الملة الصليبية وآثروا صلح القومص ووصلوا على مراده مطالع أمانيه
بالخلص وتزاوروا وتوافدوا وحشدوا وحشروا وجمعوا عنده الناسوت
واللاهوت ورفعوا صليب الصلبوت واصحروا بصحراء صفورية وطما سيل
خيلهم على الوهاد والربى (٨) ودب راجلهم كرجل الدب واجتنبوا سوايغ
واجتنبوا سوايق والمعوا البوارق واسمعوا الصواعق وشبوا نار الفرق
وأشابوا المفارق وما زال السلطان مستخيرا ولاعوانه مستشيرا فأشار
الأمراء ذووا الاراء بالصدود عن اللقاء والمحافظة على زمار الاسلام
وصون الدماء ، وقالوا لم يسبقك أحد الى مضايقة القوم فلا تعركهم عقال
المعركة ولا تلق بأيديهم الى التهلكة وهذه بلادهم قد خلت منهم فتشتغل بالاغارة

(٥) في الاصل : وحملها .

(٦) كذا وفي الاصل ويانك .

(٧) كذا — ساقطة في الاصل .

(٨) كذا وفي الاصل الدبى .

على بلادهم الخالية ونقدم باقدامنا عطل أحوالها الحالية . فقال السلطان :
 الأيام غير مأمونة والاعمار غير مضمونة والجهاد قد تعين فرضه ولا بد لى
 من اللقاء وقد قال الله أصدق الثائلين : « ولينصرن الله من ينصره » (٩)
 فقالوا خصك الله بهذه الفضيلة ونجح الوسيلة وحيث استخرت الله فى
 الإقدام فانا نبذل المهج بين يديك للإسلام فلما أصبح يوم الخميس سار
 الخميس وزحف بأسده العريس وحارت غزالة الفلق من أسد الفيلق وتقيد
 عنان الحوض عنان الجواد المطلق ولاح سنا الموت الأحمر فى السنين
 الأعرق وأشرف على الفرنج فى مسكرها العسكر (١٠) وقام المحشر ومباح
 البيض والسفور وارتفعت الاصوات بقول الله أكبر غلو برزوا للحصاف
 لطالت عليهم يد الانتصاف لكنهم ربهضوا وما نبضوا وهدعوا وما نفضوا
 فلما عرف السلطان أنهم لا يبرحون من قرب صفورية أمر أمراءه بأن يقيموا
 على مقابلتهم وقدموا على عزم مقابلتهم ونزل هو فى خواصه العشية على
 مدينة طبرية وعلم أنهم اذا علموا بنزولنا ثاروا للوصول اليها فحينئذ ننمكن
 من قتالهم ونجهد فى استئصالهم فحضر طبرية وجمع العساكر على أحد
 أبراجها فوقع ذلك البرج وانهزم عنه الفرنج وتصبى عليهم سلايلم الإسلام
 ودخلوها فى جنح الظلام واستنصاعوا بما أعلاوا من الفرام وعادت ليلة
 معدودة من الأيام ووقعت النار فى مخازن كبار واهراء الأغلال وبقيت الدور
 فارغة شاغرة وأفواه الاطماع الى ازواد ما يحويه غامرة وتحصنت القومصية
 ست طبرية فى قلعتها ومعها بنوها وحموها بسيوفهم وعصموها ووقع
 الاشتغال بحصارها وتقب جدارها وقصم سوارها فجاء من أخبر بأن الفرنج
 قد ركبوا وارتكبوا وجاعوا فى ليل القتال مداجين والى حرب التوحيد بحرب
 التلث مخرجين فلما سمع السلطان بحركتهم ايقن بهلكتهم وقال : الحمد لله
 الذى أنجز وعده وايد جنده ونهض بجباله الى جبالهم وسار لقتالهم وضيق
 عليهم سعة مجالهم ووقف بصفوفه امامهم وقد وقد الحر واستشرى الشر
 ولاسدى شمل ولاولئك الكلاب بين اللهب لهب وفى ظنهم أنهم يردون الماء
 ويردون الدماء فخلاتهم الحالة الحالية وعالتهم العلة المائلة وذلك فى يوم
 الجمعة ووراء عسكرنا بحيرة طبرية والورد عد ومأمنه بعد وقد قطعت
 على الفتوح طريق الورد وبلوا من العطش « بالنار ذات الوقود » (١١) فوفقوا

(٩) سورة الحج آية رقم ٤٠ .

(١٠) وردت فى الاصل الفرنج ثم صححت فى الهامش الى العسكر .

(١١) سورة البروج آية رقم ٥ « النار ذات الوقود » .

صابرين مصابرين على ضراوتهم وشربوا ما فى أدواتهم وشفوها ما حولهم من المصانع واستنزلوا حتى ماء المدامع ، ودخل الليل وسكر السيل وماتوا بظماء برح وقدوا أنفسهم على الشدة واستعدوا بالعزائم المحتدية وسهر السلطان تلك الليلة حتى عين الجاليشية من كل طلب بأسماء رجالها وملا كتابيها وكان ما فرقه من النشاب أربعمئة حمل ووقف سبعين جمارة فى خومة الملتقى يأخذ منها من خلّت جعابه وفرغ نشابه من تعالق يفتح من باب الموت والمغالق وتواضيع لخراق المضاعف الفسيح وناوكات ذوات نكايات وزياريات وزنبوركات .

فكر يوم حظين وهو السبت الخامس والعشرين من شهر ربيع الآخر

قال : وأصبح الجيش على تعبيته والنصر على تلييته وبرز رجال الجاليش وارتجزت دعاء التحريض والتحريش وقامت (٢٣١ ب) / الحرب على ساقها ووفت بميثاقها ، والفرنج متكاثرة العدد متكاثرة العدد آخذة طريق البحيرة بطوارق الحيرة قد أحاط رجالها بخيلها جارية الى القرار بسيلها فاعترضهم سدنا واعتراها صدنا فعرفوا انه لا سبيل الى الحياة الا بسلك نهج الموت وانه لا مطمح فى اللقاء الا باستحلاء طعم الفوت والسلطان وقف قلبه ووقف على الوثوق بنصر الله قلبه وهو يمضى بنفسه على الصفوف ويحضهم على حظهم من الفتوح والحقوف وكان له مملوكا اسمه منكورس من شמוש الترك قد كمل الله تعالى له حسن الخلق والخلق وفضله فى الفروسية وهو راكب أمام العسكر وأراد ان يكون له فضيلة السبق فى الاقدام فوثب بحصانه وثوب الضرغام وحمل حملة جرى فيها عنانه وشكر لها احسانه وظن انه يوافقه فى الركضة أعوانه فجذبته لقوة رأسه حصانه وخلاه خلانه فلما رآه الفرنج وحيدا ووجدوا المدد عن نصرته بعيدا رجعوا اليه ورموه عن ظهر حصانه وأحاطوا به فى مكانه فأثبتت فى مستنقع الموت رجله وقاتل الى أن بلغوا قتله فلما اخذوا رأسه ظنوا أنه بعض أولاد السلطان وزعموا ظهور الكفر على الايمان وأما عساكرنا فاتها لما رأت استشهادها حمت حبيتها وخلصت لئلا فى ارداء أعدائه بنيته وصممت الجاليشية تلفحهم بلوافحها وتقدحهم بقوادحها وبرح بالفرنج العطش ووجدوا الطرق مسدودة والسبل مسدودة . وكان التسميم أمامها والحشيش قدامها فرمى بعض مطوعة المجاهدين النار فى الحشيش فتأجج عليهم أسعارها وتوهج أوارها

فوصلوا في ورطة الاحتدام فضايقت ذيابهم منا الضراغم وعارضت صقورنا منهم الثغام ودارت بمساعير الجحيم ودواير الشعرا بجواحم ، ونظـر القومص من مبتدا الأمر الى غايته وعلم أن القوم قد تداعى بنيانهم ودعاهم خذلانهم فأفكر كيف ينجو فقال لهم : أنا أسبق بالحملة وأفضلهم بالجملة فاجتمع هو وآزروه جماعة من المتقدمين هم مظاهروه وصحبه صاحب صيدا وباليان بن بارزان فحمل القومص ومن معه على الجانب الذي فيه الملك المظفر تقى الدين ففتح لهم طريقا ورمى من أتباعهم فريقا فمضوا على رعوسهم ونجوا بنفوسهم ولما عرفوا أن القومص نفذ في الهزيمة هائوا ثم اشتدوا وما لانوا وحلوا حملات راضوا بها جهاج الحرب وخلصوا فيها غمار الطعن والخرب وعمهوا فيها استطاعة القدر بل طاعة القدر واستعزنا النصر عليهم من النصل المستعر فوقعنا فيهم وقوع النار في الحلفاء وصبنا ماء حديد للالطفاء فزاد في الازكاد فحطوا خيامهم على غارب حطين حين رأونا بهم محيطين فأعجلناهم عن ضرب الخيام بضرب الهام وازلنا أقدامهم عن مداحض الاتدام وما زالت اللجج تفيض والمهج تقيظ والنفوس تنقع والرعوس تطير حتى كست أشلاء مشلوليهم عرى المراء وحشت (١) شفاها الشفاء من أفلاء مفلوليهم احساء الدماء وانكسر من الصليبي صلبه وبطل طلبه وحيرت كماته وكمته وقبابه وقببه وملك عليهم صليبيهم الأعظم وذلك مصابهم الأعظم ولما شاهدوا الصليب سليبا أيقنوا بالهلاك واثخنوا بالضرب الدراك وما برحوا يؤسرون ويقتلون وللوثوب يحنون وبالخراج يثقلون فنكبوا في أرواحهم وأنفسهم ووصلنا الى مقدميهم وملكهم وأبرنسهم فتم أسر الملك وأبرنس الكرك وأخذ الملك جفري ودوا (٢) صاحب جبيل وهنقري وأسر من نجا من القتل من الداوية ومقدميها ومن البارونية من أخطاه البوار أصابه الاسار وجبر الاسلام بكسرهم وأسروا بأسرهم فمن شاهد القتل قال ما هناك اسير ومن عاين الأسر قال ما هناك تقتيل ومنذ استولى الفرنج بساحل الشام ما شفى للمسلمين كيوم حطين غليل فآله عز وجل سلط السلطان واقدره على ما أعجز عنه الملوك ونظم له في حتوف أعدائه وفتوح أوليائه الملوك وخصه بهذا اليوم الاغر والنصر الأبر .

(١) كذا وفي الاصل : وحنت .

(٢) ورد هذا الاسم في الروضتين (١) ٢ — ٧٨ مغايرا : أوك

قال : هذه النوبة المباركة كانت للفتح القدسي مقدمة ومن عجائبها أن فارسهم مآدام غرسه سالما لم يدن لمصرعه فانه من لبسه الزردى من فرقته الى قدمه كانه قطعة حديد ودراك الضرب والرمى اليه غير مثنسيد لكن غرسه اذا هلك فرض وملك فلم يغنم من خيلهم (٢٣٢ أ) / ودوابهم وكانت الوفا غرس سالم وغنمنا ما لا يحصر من بيض مكنون وزعف موضون وبلد وحصون وابتدلنا منهم بهذا الفتح كله اقليم مصون وذلك سوى ما استفتح من مال مخزون واستخرج من كنز مدفون ولما صح الكسر وقضى الأمر وسكن البحر وتمكن النضر ضرب للسلطان فى تلك الحومة دهليز السراق وتوافت اليه غرسان الحقائق ونزل السلطان وصلى للشكر وسجد وجدد الاستبشار بما وجد وأحضر عنده من الاسارى الملك والابرنس (٣) وأجلس الملك بجانبه ليزيله الوحشة ويحصل له وهيات الانس والفاه يلث للعطش وينظر مبهوتا نظر المستوحش فأمر له بماء مثلوج فشربه ثم ناول الملك الابرنس القمح فأستشفه ثم حضر الترجمان حتى يعرف جواب ما يخاطبه به السلطان وما زال يقرعه بغدره وبغيه ويذكره بجهله وغيه ثم ركب وخلاهما ولم ينزل حتى شاهده ضرب سراقته وبسطت نمارقه وركزت اعلامه وبيارقته ثم نزل وأمر باحضار الابرنس فقام اليه بالسيف فحل عاتقه وحفظ مع الاله فى نذر دمه موافقه وكان عنده خادم ثم فجر برجله بعد أن أخذ رأسه وهد أسنانه فلما شاهده الملك يسحب بقدمه ويشحب فى دمه طار عقله وثار خبله واستحضره السلطان فخانت رجله فجاء مرتعبا مرتعشا (٤) وظن انه كرفيقه هالك فقربه وسكنه وأدناه وأمنه وقال : ذاك بصنعه لعده ضيعه واصراره على غدره صرعه وأجلسه وآسنه وهيات ينتعش من الله آتعه او يسعد من الكفر أنحسه ثم جمع الاسارى المعروفين وسلمهم الى والى قلعة دمشق الناصح وسلمهم الى أصحابه وأمرهم أن يأخذوا خط الصفى القابض فى دمشق بوصولهم ويحتاط عليهم فى اغلالهم وكبولهم فتفرق العسكر بمن ضمنه ايدى السبى ايدى سبا وهادتهم الوهاد والربى وضرب الله ذلة أهل السبت فى يومه على أهل الأحد وسار الناس منهم بالمدد بعد المدد . وعبرت بحطمين فرأيتها موضع الاعتبار وشاهدت ما فعل أهل الاقبال بأهل الادبار وعانيت اعيانهم خبرا من الاخبار ورأيت الرعوس طائيرة والنفوس بايرة والجسوم

(٣) الواو اضافة وفى الاصل ابن زائدة .

(٤) كذا وفى الاصل مر .

رمتها السوافى والرسوم درستها العوافى ولما أبصرت خدودهم ملصقة بالتراب وقد قطعوا أربابا تلوت قول الله تعالى « ويقول الكافر ياليتنى كنت ترابا » (٥) ولما أصبح السلطان يوم الأحد خيم على طبرية وراسل القومصية وأخرجها من حصنها بالأمان ووفى لها ولبنيتها الفرسان شروط الأيمان فخرجت ببالها وعيالها ورجالها وأثقالها وولى طبرية صارم الدين قايماز النجى فعادت بعادته الجميلة أهلة بأهل اليمن والأيمان معتدلة المحاسن بالعدل والاحسان وسكنت مساكنها وعمرت أماكنها وقبضت مخازنها وعرضت دفاينها وعاد الإسلام الغريب منها الى وطنه والدين الحافل منها الى مأمنه وأصبح السلطان يوم الاثنين السابع والعشرين من الشهر مغتبطا بما شوره الله له من سيف النصر فرأى أنفاذ مقدم الداوية مع الملك وأخيه وجماعة الأكابر الى دمشق كما سبق ذكره ثم نفذ فى الاسارى الداوية والاسبتيارية (٦) خاصة أمره وقال : لا نفع فى ابقائهما وهما جنسان نجسان فلا بد من ابادتهما وأردائهما فما جرت عادتهما بالمفاداة ولا يقلعان من المفاداة فتقدم باحضار كل أسير داوى واسبتيارى (٧) ليخضع فيه حكم السيف ثم علم أن كل من عنده أسير لا يسمح به فجعل لكل من يأتية بأسير منهما من الدنانير الحمر خمسون فأتوه فى الحال بمائتين وأمر باعدائهم وضرب رقابهم وكان بحضرته جماعة من المطوعة المتورعة والمتصوفة ومن تمت بالزهد والمعرفة قد اعتقوا الى ضرب الاعناق ووقف كل منهم حائرا عن ساعد ومثمرا عن ساق فمنهم من أمضى عقبه وأمضى ضربه ومنهم ما كبا زنده ونبا جده والسلطان جالس وماله عن أنفاذ حكم الله فيهم حابس ووجهه باشر ووجه الكفر عابس فشاهدته الضحوك القتال والمختال المقتال وكان الاسارى قد سبق بهم الى البلاد الناس ولم يقع على عددهم القياس فكتب الى الصفى بن القابض ناييه بدمشق أن يعجل لطلب الداوية والاسبتيارية السبق ويضرب عنق من يجده منهم فامتثل الأمر فى ازهاقهم (٢٣٢ ب) / وضرب أعناقهم فما قتل الا من عرض عليه الإسلام فأبى أن يسلم ورأى لشدته فى كفره أن ينقاد للقتل ولا يستسلم وما أسلم الا آحاد حسن اسلامهم وتأكد بالدين غرامهم .

(٥) سورة البنا آية رقم ٤٠ .

(٦) فى الاصل : الاسبتيارية .

(٧) فى الاصل استتارى .

نكر السبب في نذر السلطان دم ابرنس الكرك

قال : وما زلت أبحث عن ذلك حتى حدثني الأمير عبد العزيز بن شداد بن تميم ابن المعز بن باديس وهو ممن يتولى الافضل الفاضلى من دونه التنقيس ولم يزل له بحاضرتة ومحاورته الأنيس وهو من البيت الكبير وكان جده صاحب افرقية والقيروان وكانوا يتوارثون ملكه الى قريب من هذا الزمان ذكر ان الأجل الفاضل حدثه بما حدث من مرض السلطان وأنه لما عاد الى دمشق من حران بعد المرضة وذلك فى سنة اثنتين وثمانين وهو فى عقابيل سقمة لا يفارق الاثين واشفى ذات يوم على الخطر واستسلم للقدر وحضره فى يوم الجمعة وهو يوصيه وهو فى تنفط أنفاسه المعدودة وترقب تلوص ظلال عمره الممدودة وقد قنط من الحياة وفاته امكان من الوفاة فقال فاردت أن أشغله عن الوهم والهـم وقلت ما معناه قد ايقظك الله وما يعيدك من هذا السوء سواه فانذر انك اذا ابلت من هذا المرض تقوم بكل ما لله من المفترض وانك لا تتقاتل مع المسلمين أبدا وتكون فى جهاد أعداء الله مجتهدا وانك اذا نصرك الله فى المعترك وظفرت بالقومص وابرنس الكرك تتقرب الى الله تعالى بارقة دمهـما واعطاه يده على هذا النذر وانجاه الله فأبل من مرضه واستقل بنهضته واستقبل السنة القابلة بسنة الفوز وفريضته وجرى من مقدمات الجهاد ما جرى وخيم السلطان فى جموع الاسلام بعشـترا وركب يوما فى عسكره وأمواج بحره وأفواج معشره وقد التقا الطلعة المباركة من الأجل الفاضل فقال ليكن نذكرك على ذكرك وستزد نعمة الله بمزيد شكرك ولا تخطر غير قمع الكفر بفكرك فما أنقذك الله من تلك الورطة ونعشك من تلك السقطة الا لتوفر حظك من هذه القبضة فتوكل على الله عازما وجاز الاردن حازما وأرعب جأش الكفر وفل جيوشه وثل عروشه ووقع فى الشرك ابرنس الكرك فوفى بضرب عنقه نذره وأما القومص فأنه أخذ فى الملتقى بالهزيمة حذره ولما وصل الى طرابلس أخافه فى مأمنه القدر وسلمه مالك الى سقر .

نكر فتح عكا

قال : ورحل السلطان ظهر يوم الثلاثاء والتوحيد ظاهر على التثليث والطيب قد امتاز عن الخبيث ونزلنا بأرض لوبية (١) عشية وأصبح سايرا الى

(١) فى الاصل : لوحة الضبط من الروشتين (١) ٢ - ٨٦ .

عكا « فساء صباح المنذرين » (٢) ولما أشرفنا عليها أيقنا بفتحها فما كان فيها من يحميها وما صدقنا كيف نتملكها ونحويها وظهر أهلها على الأسوار لظاهر الممانعة وخفقان الويتها (٣) يشمر بقلوبها الخافقة وأرواح جلدتهم الزاهقة ووقفنا نتأمل طولها ونأمل حصولها وخيم السلطان بتربها وراء التل ولبت عساكره في الحزن والسهل وبتنا تلك الليلة وقد هزتنا الاطراب كأنما دار علينا الشراب والسلطان جالس ونحن عنده وهو يحصى جنده ويقسح معهم في اقتباس الاراء زنده ومنا من يستسح رفده ومنا من يستجيز وعده ويواصله بالدعاء ويشافيه بالهناء الى أن نادانا ابن ذكا فابينا وناديننا العسكر فعبيناه ووقفنا بازاء البلد صفونا وأطلقنا على أطلاله وقومنا فخرجوا اليينا رجالا ونساء واكثرنا ضراعة ودعاء وبذلوا الاذعان وطلبوا الامان فاعطيناهم الامان على الأنفس من المال والأنفس وخيرناهم بين المقام والترحيل والسكن في وطنهم والتحول فشرع معظمهم لشدة الخوف في التثقل وارخيناهم طول التمهل وفتحوا يوم الجمعة في مستهل جمادى الأولى بابها (٤) ودخلناها لاقامة الجمعة وزادوا في الدخول عدة من المتطوعة وجماعة من الطمعة وأخياف من الاتباع لا تخاف من التبعة فما منهم الا من ركن على دار رحمه وأسام فيها سرحه فخطوا على دور اخلاها أربابها وأموال خلاها أصحابها (٢٣٣ أ) / وجينا الى كنيسةهم العظمى وحضر الأجل الفاضل فرتب بها المنبر والتبلة وهى أول جمعة أقيمت بالساحل وكان الخطيب والامام فيها عبد اللطيف بن الشيخ أبى النجيب ولما رآه السلطان اتقى وأزكى ولاه مناصب الشريعة في عكا فتولى القضاء والوقف (٥) والحسبة والخطبة وغوض عكا وضياعها ومعاقلها وقلاعها الى ولده الاكبر الملك الأفضل نور الدين على وجعل للفقيه ضياء الدين عيسى بن محمد الهكاري (٦) كل ما كان للداوية من معيشة واقطاع ودور ورباع فتصرف فيها وحصل على حواصلها وعلق بكرامتها وعتايلها ووقع في مراعيها المربعة نوابه وأثرى بثراه وثروتها أصحابه وولجوا المخازن واستخرجوا الدماين وكذلك ممالك الملك الأفضل أصحابه

(٢) سورة الصافات آية رقم ١٧٧ . « فاذا نزل بساحتهم فساء صباح المنذرين » .

(٣) في الاصل : قلوبها الضبط من الروضتين (١) ٢ — ٨٦ .

(٤) كذا وفي الاصل : بهابها .

(٥) في الاصل : الموقف .

(٦) في الاصل الهكاري .

وولاته ونوابه نبشوا المخازن وفتشوا المراكب واستباحوا المخزون والمدفون والمحروس والمصون ومن جملة ذلك أنهم احتسبوا بغير علمى على دار باسمى فباعوا منها متاعا بسعمائة دينار وقلدنى المنه فى تحصيل الدار فانها كانت من أنفس العقار وانما وصفت هذا لعلم ما غنموه وما التهبوا على حيازته والتهموه ، وتصرف الملك تقي الدين فى دار السكر فافتتنى قنودها واستوعب موجودها وقد أشرت الى هذا المعنى فى الكتاب الموسوم بالفتح القدسى وقرىء على السلطان منه ليلة ونحن بالقدس سنة ثمان وثمانين وسمع ولو ذخرت تلك الذخاير وجمع لبيت المال ذلك المال المجموع الوافر لكان عدة ليوم الشدايد وعدة لنجح المقاصد فقال السلطان : هذه رفيعة على ثلاثة اثنان منهما فى جوار الرحمة والآخر باق فى مقر العصمة يعنى بالاثنتين الفقيه عيسى وتقى الدين وبالاخر الباقي ولده نور الدين ولعمري هو كما ذكره لكن الملك الافضل نور الدين ما حصل له بخاصة بل لذوى اختصاصه واستخلاصه ولقد شرحت فى ذلك الكتاب الأحوال ووصفتها وذكرتها بالحالة (٧) التى شاهدها .

عاد الحديث وأقام السلطان بمخيمه على عكا أياما وأعلى بالمنى اعلاما وكان يوم فتح حطين قد كتب الى أخيه الملك العادل سيف الدين بما من الله به على الاسلام والمسلمين من الظفر والتأييد والتمكين فوصل بعسكره ورعيه ومعشره وجاء كتابه مبشرا بوصوله ومذكرا بسؤله وانه فتح فى طريقه بمن صاحبه من فريقه الحصن المعروف بمجدل يافا وانه حاز منه الفنايم والسبايا وانه مجد فى طى السهول والحزون وفتح ما يستقبله من الحصون فسطر جوابه وشكر صوابه وانه يقيم فى ذلك الجانب جامعاً للكتائب ليجمع به الواصلون من مصر الآملون معه النصر . وتوجه عدة من الامراء الى الناصرة وقيسارية والبلاد المجاورة لعكا وطبرية وآبوا بالفنيمة والسبى خير أوب وجامعونا بكل مليحة مليحة متعبة مريحة مقبلات اواب طويلات الذوايب ثقيلات الروادف خفيفات المعاطف فكم أجد الله لنا من نعمى هنيه وأمدنا من حبي سنيه فما الا من انفض وغضب وعض وفى كل يوم لنا فتح جديد ومنح عتيد وتأييد يتبعه تأييد .

قال : وفى هذه السنة نكب صاحب مجد الدين أبو الفضل عبد الله ابن صاحب استاذ الدار العزيزة بجريرة جرت عليه القتل وجريمة ما اطلع عليها وما اقبل عثرتها وذلك ظهر يوم السبت رابع عشر ربيع الأول فنجاه القدر من كمينه وفجأه الكدر من معينه وبيننا هو فى أمر قاطع وفجر ساطع وفخر صاعد وشمل جامع اذا بفته الزمان ومحنه الحدثن وعثر منه على جنابة أسعت الى دمه قدمه ودعت الى وجوده عدمه وانما أوردت ذكر مقتله فى هذا الموضع لأنه جرت العادة منا بمكاتبة من يكون أمر الديوان اليه فيما يسفح من المقصود المتوقع فلما مضى لسبيله قام فى موضعه عميد الدين أبو طالب بن زيادة فتولى الثانى لما بدأ به الأول الاعادة ووصل كتابه وكتب جوابه وفى بعض الكتب اليه : والبلاد والمعاقل التى فتحت هى طبرية وعكا والناصرية وصفورية ونابلس وحيفا ومعليا وفولة والطور والشقيف . قال : وأما الفولة فهى قلعة للداوية حصينة لما خرج سكانها لم يدخلها سكينه فان الداوية الذين كانوا فيها قد هاجوا الى الهيجاء وطروا فى التقتلى والاسراء فنعب القزاب على طول الفولة بدماء أهلها المظلولة فهى غاب غابت أسودها الحماة وغيل غالت (٢٣٣ ب) / ليوثه عداتها الهداة وفيها ذخاير كتابهم وأخاير نقايسهم وسبايك نضارهم وكرايم أعلاتهم ولم يبق فى الحصن الا آخاد من الغلمان واتباع الفرسان فخافوا على النفوس وارتاعوا من البؤس ومالوا الى الاذعان وسلموا الموضع بالامان وتسلمنا بتسلمها جميع ما يجاورها بتلك الارض كدبورية وجنين وزرعين والطور وأضيفت الى الثغر وأما حيفا فاتها من عكا وقيسارية على البحر وتسلمت لسيف النصر وأما نابلس (٨) فان أهل ضياعها ومعظم أهلها كانوا مسلمين وفى سلك الرعية مع الفرنج منتظمين وفيها افرنج ونصارى مقيمون مدبرون وقد اقرؤا منذ استولوا عليها المسلمين على عوايدهم فى قضائهم وحكمهم ومشاهدتهم ومساجدهم وهم يجيئون كل عام منهم قرارا ولا يغيرون لهم شرعا ولا شعارا فلما عرفوا كسرهم وأنهم لا يرجون جبرهم وخافوا من مساكنة المسالين واشفقوا وأخذوا بالحزم لما فرقوا وتفرقوا وكبسهم أهل الضياع فى الدور الرباع وغنموا ما وجدوه من الذخاير والمتاع واوقعوا بضعفائهم وضايقتوا الحصون على اقويائهم وطلبها من السلطان ابن أخته الامير حسام الدين

عمر بن محمد بن لاجين وكان الامير القوى وهو عزيز عند خاله ملى بفضله
وافضاله متقبيل شيمة السلطان فى بأسه ونواله متفرد من الاملاك بمحاسن
خلاله فاقطعه السلطان نابلس وأعمالها وضياعها ومعاقلها وقلاعها متوجه
لفتحها وصحب جيوحه جماعة من الاصحاب وسال بالجبيل « وهى تمر مر
السحاب » (٩) فأول ما أناخ على سبسطية (١٠) وفيها مشهد زكريا عليه السلام
وقد أخذها الاقساء كنيسة منذ فارقتها الاسلام وفيها أوانى وآلات فضيات
وذهبيات وقومتها من الرهابين فيها مقيمة ولا يؤذن فى الزيارة الا لمن معه
هدية لها قيمة فدخل الموضع وأغلق بابه وأفرد عنه حجابيه وأصحابه وأمر بجمع
ذلك المصوغ والحوك والمسبوك والعقود والسلوك كل ما يعز وجوده فى
خزائن الملوك فاقتناه جميعه لنفسه خاصة وأمن أن يرى بمعدها خصاصه
وصارت له خزانة ثقيلة وذخيرة جليلة وأبقى فى الموضع من الفرش والآلات
ما لا يستغنى عنه المشهد ولا يحسن أن يخلوا من مثلها المسجد وفتح
للمسلمين أبوابه وأظهر للمصلين محرابه ولما فرغ من شغله سار الى نابلس
عليها منيخا وأدعاء المسلمين بها مصيخا وطال حصره للفرننج بالحصن ثم
استنزلهم بالامان واستمال من سكانها من ضرب عليه الجزية بعد زمان
فعادت بلدة محشوة بساكنيها كالرمان وبقيت (١١) الى آخر عهده وعمرت
بعده واحسانه ورفقه ورفده قال : وكانت بينى وبينه صداقة بصدق العقيدة
معقودة ومودة أسباب النقص فيها مفقودة فتظمت هذه القصيدة قلت
ومطلعها :

استوحش القلب مذ غبتم فما أنسا
وأظلم اليوم مذ نبتم فما شمسنا
قلبى وصبرى وغمضى والشباب وما
الفتى من نشاطى كله خلسنا (١٢)

(٩) سورة النمل آية رقم ٨٨ .

(١٠) سبسطية : مدينة من نواحي فلسطين من أعمال بيت المقدس .

ياقوت : معجم البلدان ج ٣ ص ٣٣ .

(١١) فى الأصل : ويقشعه وفى الروضتين بقيت بيده .

قارن الكتاب (١) ٢ — ٨٨ .

(١٢) وردت هذه القصيدة فى الروضتين (١) ٢ — ٨٨ وهنا يورد أبو

شامة العبارة التالية : قال العماد وانشدته يوم فتح القدس قصيدة أولها :

ذكر فتح تبين وصيدا وبيروت وجبيل

قال : وكان السلطان مدة مقامنا بعكا يندب العساكر الى الولايات وسير الملك المظفر تقي الدين وأمره بقصد تبين (١) فمضى اليها واستسهل اجتيازها ووجد بالمنعة اغترارها ورأى الى وصول الشام ونزوله عليها اغوارها فكتب وتواترت كتبه وافية بالحشد والتحريض والبعث بالتصريح والتعريض فأخذت العزائم في الانتشاء والصواب في الانتشاء ورحلنا يوم الجمعة تاسع جمادى الاولى رواحا واعرنا العزم على تأييد الله في منزلة نزلت بها الالطاف وعذبت لمواردنا النطاف وأصبحنا على الرحيل وبتنا ليلة السبت دون تبين ونزلنا عليها يوم الاحد الحادى عشر فوجدناها قلعة أرضها في السماء وقلعة في جوزها جواز الجوزاء ما يمر السحاب الا على سفوحها ولا تسترق شياطين الكفر الا من سطوحها فلا جرم جعلنا (٢٣٤) / نجوم النصال لها نجوما وانزلنا الوبال عليهم سجوما وهاج بهم وهج الرعب وأبدوا وجوما وأخرجوا من عندهم من أسارى المسلمين قرية وطاعة تبدو بهم للشفاعة منهم ضراعة ثم أمن السلطان أهل القلعة وأهلهم الى أن ينزلوا خمسة أيام وخرجوا من مقدميهم جماعة رهابين فضربنا عليهم خيمة الى أن انتهت المدة وتسلمت القلعة واقتضت العذرة وخلص الحصن بما فيه وترتب واليه وملكت أباعده ونواحيه .

وأما صيدا فأنا لما فرغنا من شغل تبين رحلنا على سميتها معدين وعبرنا في طريقنا على صرفند (٢) ونشقنا رياح رياحينها ونظـمـرنا نضرة بساتينها وجلنا لحكم الرياضة في رياضها وربضت أسودنا في آجالها وغياضها وافتتحنا بفتحها ثم أنصرفنا عن صرفند نحو صيدا صابرين وغلناها ساعة الوصول وحالة النزول فان صاحبها كان ناظرا في العواقب سائرا جرح النوايب فتقدم الى نوابه أن يفتحوا لنا بابها ويرفعوا أحجابها ويخلوها ويعطلوها حتى يحلها المسلمون فيخلوها فلما جيناها حلقت لنا عروسها

(١) بكسر اوله وتسكين ثانية وكسر نون وياء ساكنة ونون أخرى ،
بليدة في جبال بني عامر المطللة على بلد باتياس بين دمشق وصور . معجم
البلدان ١ — ٨٢٤ .

(٢) وصفها ياقوت : مدينة لطيفة على الساحل وأوردها كالتالى :
صرفنده قرية من قرى صور بسواحل الشام ، معجم البلدان ٣ — ٣٨٢ .

وجنبت غروסהا وذلك يوم الاربعاء الحادى والعشرين من جمادى الأولى
فحان الفتح الميسر على الوجه الأسهل .

وأما بيروت فأننا لما حصلت لنا صيدا سرنا فى يومنا على سميت بيروت
وبتنا ليلة الخميس دونها وصبحنا بكرة يوم الخميس فى خميس بكر للصباح
وضايقتناهم أياما ودافعوا أشد دفع وماتعوا أحد منع فبيناهم فى أحر حرب
وأمر طعم طعن وضرب اذ صاح صايحهم وناح نايحهم انهم يركبون السفينة
وينزلون المدينة فأصبحنا يوما على العادة المستمرة فى المقارعة والمضايقة
خط السلطان بجميع شرائط الايمان وانتق فى ذلك اليوم لى تغير المزاج وتعذر
العلاج واحتجت الى مفارقة الخدمة للضرورة والوصول الى دمشق لمداواة
الادواء المحذورة ولما احتاج السلطان لتأمينهم الى انشاء مثال طلبنى
فاعتذرت فعدرنى وأحضر عنده كتاب العسكر ومتصرفيه ومن يظن به فضلا
ويعتقد فيه وحسب أن كل من يحمل قلما كاتب وأنه يستحق الرتبة من له
راتب وكل من كتب الايمان المطلوب تناوله منه وتأمله واستنقصه واستزاده .
فقال السلطان لكل عمل رجال ولكل جواد فى حلبة السبق مجال وهنا عرف
قدر العماد وانه موافق موفق للاتيان بوفق المراد ، فجاء الى النجيب العدل
بالحديث ووجدنى فى العارض الكريث وقال : اكتب هذا الايمان فان هذا
الفتح بقلبك مصدوق وقد خصك خالكك بالفضيلة فما يشاركك فيه مخلوق
فقلت له : قد غلق رهنى وذهب ذهنى وحبس قلبنى الى فقال : ان كنت ما
تكتب فأهل فقلت : أرجو أن تشملنى السعادة السلطانية فاكتب ما يرضى
فوفقتنى الله تعالى للمراد وهدانى فى الانشاء لما يجب من الاصدار والايراد
ووقع ذلك التوقيع الموقع الحسن وسلم البلد خطى ثم ارتحلت الى دمشق
وعدت عند ابلالى وحال اعتدالى يوم فتح القدس وسلمت بيروت بحضورى
وخرج منها ومن تلعنتها الفرنج وامتلأ بهم الى السور النهج وعاد الاسلام
الغريب منها الى وطنه وذلك يوم الخميس التاسع والعشرين من جمادى
الأولى وكانت مدة النزول عليها الى نزول أهلها ثمانية أيام .

وأما جبيل فان صاحبها أود كان فى جملة من نقل الملك الأسير الى
دمشق فتحدث مع الصفى القابض فى أمره وباح اليه بسره وقال له : ما لكم
فى أسرى فايدة ولا غنيمة على فتح جبيل زايدة وأنا أسلمها بشرط سلامتى

فأنهى الصفى حاله فاستصيب ما قاله فأمر بإحضاره فى قيده والاحتسار من كيده فوصل به ونحن على بيروت فطلبنا منه الشرط الموعود والاجل الموقوت فسلم جبيل وسلم وربح لخاتمه وغنم ومضى اليها من تولاهما وتبعها فتح بيروت وتلاها وانتظمت هذه البلاد المتناسقة بالساحل فى سلك للفتوح متنسق وأمرها من الاستقامة فى متفق .

فكر ما تجدد فى صور من خروج القومص منها ووصول المركيس اليها

قال : وما شك القومص أن السلطان اذا عاد لا يتعدى صور وأنه يجمع عليها العسكر المنصور فأخذ بالحزم ومضى الى طرابلس ولم يلبث قليلا (٢٣٤ ب) / حتى هلك وبتوا من أسفل السافلين فى النار الدرك ولما كان من مراد الله بقاء صور وصل اليها المركيس وهو الذى أغاث الشرك وكان من خبره أنه وصل الى الساحل هذا العام لفتح بلادها فأرعى على عكا مركبه ثم صوب نحوها مذهبه ثم رأى فيها غير الذى بالمعتاد فحداه الارتياح بالارتياح الى الارتياح فاستخبر فأخبر بالحال فشرع فى التخلص والاحتياط وكانت الريح راكدة فنادى من متولى هذا البلد فقيل : الملك الأفضل فقال : هاتوا لى خطة واكتبوا فى الامان شرطة فما زال يرد الرسل حتى طابت الريح فأتلع وطار بجناح شراعه وفات ادراك من يخرج لاتباعه ومضى اليها وقد خرج منها القومص وقد لاح منها الفرص فأقام فيها وهو على تحصينها يحرص ولما عبر السلطان لم يستح عليها ولم يصح اليها وقال : فتح بيت الله المقدس انعم ونفعم اتم وأعم وهذه صور ربما طال حصارها واستتقال أنصارها والأصوب الأصلح الاستغفال بما هو أنجح وأنجح وكان من قضاء الله تعالى بقاء صور فانها ضمت من الكفر الجمهور وجمعت الحسود والحسور وما فتحنا بلدا الا وانتقل أهلها بالامان اليها ونزلوا حواليتها ومجاورتها فى هذه النبوة أعادت أرماتها وأرخت خناقها وحفر المركيس لها خنادق أحدثها وغور أعماقتها وآوى اليها الواصلون من البحر وملأت آفاقها وكانت لما عبرنا بها على ما حكى أمرها سهلا ولكن ما لمراد الله مرد وليس مما قضاه الله وقدره بد .

نكر فتح عسقلان والنزول عليها والاجتماع بالملك العادل والاتفاق على فتحها

قال : كان السلطان على الاجتماع بالملك العادل حريصا ويرى لدلولات
الآراء بما يشير به وينص عليه تخصيصا وقد وصل كتابه يستحثه على
انتهاز الفرص في فتح بيت المقدس وقصده والاستغالل بما عداه من بعده
فان أوقات الامكان مفتتمة وأنفاس الاسحار للارتياح باستنشاقها متسمة .
قال الفتح بن علي بن محمد الاصبهاني منتخب الكتاب : حدثني الامير ظهير
الدين غازي بن الامير السعيد مبارز الدين سنقر الحلبي في محرم سنة
اثنيتين وعشرين وستمئة وهو أحد الأبراء السلطانية الملكية المعظمية قال :
سمعت الملك العادل بحماه يقول لبعض المؤرخين : وما شافهت به السلطان
صلاح الدين في انتهاز الفرصة في فتح القدس مبالغا في ذلك اني قلت :
ان عادتك ان يأخذك القولنج في بعض الاوقات فلو أخذك الليلة وجرى
عليك ما لا بد منه من الوفاة علق رهن بيت المقدس في يد الكفر فاجتهد في
ذلك وأقضى حق ما أنعم الله به عليك بواجب الشكر فقال : اعمل (١) ما تأمر
به وتشير اليه ولا يخالف ما تحكم به وتنص عليه فما فتح القدس الشريف وما
منح ذلك المجد المنيف الابالجد العادلي والجد الناصري قدس الله ارواحها
وسهل الى الفردوس معدلها ومراحها . قال الامام السعيد عماد الدين :
فراح السلطان مغر للفزاة الروح مستفتحا بما هو حل الفتوح وسار واجتمع
بالملك العادل في طريقه وتفاوضا في شكر ما أنعم الله به من نصره وتأييده
وشرعا بعد ذكر الاشواق وتبريحها في موازنة الآراء وترجيحها وتنقيح أداة
الصواب وتلقيحها وقد استخار الله تعالى بالنزول على عسقلان يوم الاحد
سادس عشر جمادى الآخرة وكان السلطان قد استدعى من دمشق ملك
الفرنج ومقدم الداوية المأسورين واستصحبهما محمولين بقيادهما وشرط انه
اذا فتح البلاد بهما أطلقهما فلما نزل على عسقلان راسل الملك أهلها
في التسليم فعلموا انه مستكره (٢) فأسقطوا حكمه وعصوا أمره فبسط
السلطان عذره وشرع السلطان في مضايقة البلاد ونصب عليها من المجانيق
كل جاث على الركب جاث للكرب جالب معاطن الإبل المعاطن سالب بسكون

(١) كذا وفي الاصل كعمل .

(٢) في الاصل : مستكره .

المساكن وما زال الحجار ترفض والجدار ينقض والمتجنقات تضرب وترض حتى خلا السور من حاميه وأمن المقاتلة نكايه مراميه فأتقدم الثقالبون على نقيه ورفعوا عن عروس البلد حجب نقبه وبأثروا بالتخريب البواشير ولأفح المساعير المساعير (ورفعوا عن عروس البلد) (١) وقابل المقابيل المدابير فأنسوا من رجاء الانتعاش وتهافتوا على نار الحرب كالفرأش فلما أحس الملك بما أحسوا به من الشدايد راسلهم واستحضر منهم عتلاء لا يجهلون (٢٣٥) / قوله على أنه فرد ولا يردون نصحه بالتهمة وقال : أنتم تطمون أنني لا أريد الخير إلا لأهل ديني وهذا السلطان في عزمه يريدكم ويردني فان سمعتم مني اطعتموني في أمري وانقضتموني من أسرى أما إذا خلصت وخلصت وكنت أعلوا عليكم فكيف رخصت وتكررت بينه وبينهم مراسلات وكانوا يلحون حتى علموا أنهم مغلوبون فقبلوا نصيحة الملك ورأسلوا في طلب الاسمان بشروط اقترحوها والعفو عن جرائم اجترحوها فان الأمير حسبهم الدين إبراهيم الحسين المهراني وهو من أكابر الامراء استشهد على عسقلان فخاف الفرنج أن تثور عليهم الاكراد لفأره فاشتطوا واشتروطوا وسروا الى ما أجيروا اليه واعتصموا فسلموا البلد بأنفسهم وأموالهم وخرجوا منها برجالهم ونسائهم وذلك يوم السبت لانسلاخ الشهر وكانت مدة الحصار الى أن تسلمتهاها أربعة عشر يوما أدر لنا فيها ثمر الظفر والانتصار وعاد بها بدرهم الى المحاق والمرار وما برح السلطان مقبيا بظاهر عسقلان حتى تسلم المعقل المجاورة لها والبلاد المقاربة منها .

أما الداروم فقد خاف من بها فسلمها وكذلك غزة وظهرت بظهورنا عليها عزتها وتبدل بالإسلام بعد الكفر ربها والرملة وبينى ظل بها موقف الضلال يهدم ومربع الهدى بينى (٢) وبيت لحم ومشهد الخايل صلوات الله عليه وعليه السلام عاد الى وطنه منهما الإسلام وأما لد فانها أخرجت منها خصومها اللد ومعصومها في الشرك الى التوحيد رد وتسلم كل ما كان للداوية مع غزة كبيت جبريل والنطرون وأخلى منهم تلك الحصون وكان مقدم الداوية معه وشرط أنه اذا تسلم معاقله فك عنه قيوده وسلاسله فما زال معه على الشرط والشرع المضبوط .

قال : ووصل الملك العزيز واجتمع بوالده بعد فتح عسقلان وكان وصوله ببأسه وصوله وقوته من الله وحوله وبأسه ومعشره وقومه وعسكره

(١) هكذا وردت في الأصل . (٢) في الأصل : وبينى .

وولاية بلاده ووراة زباده وآلافه وآحاده وعدده واعداده فحنا قلب السلطان على كبده ووضع يده فى يده فأعدتها الجود فمدده اليوم من مدده . ولما انتظم شمل كتياب البر وكرم وصولها وصلت مراكب البحر وقدم أسطولها وهى شوانى شوانى للشتاء زواين للفرقة عقباتها منقضة كالبراة وغربانها ناعبة بين الفداة جاءت كقطع من الليل أو دفع من السيل كأنها فى خضراء الخضرم كواكب ولرجوم الشياطين ثواقب ، أعلام فى شعاع الاعلام العباسية سود وأكام تمدها من أكام الأمواج مدود تولاهها حسام الدين الحاجب لؤلؤ منظم سموطها ومهد الاحكام لنصر أسبانيا وشروطها واستمرت بالسواحل تكبس وتكسب وتنم وتجلب فى كل يوم لنا غزوة صحيحة ونوبة شديدة ونابية لذرى الشرك مبيرة مبيدة والحاجب لؤلؤ مجاهد عظامها ومضى عزيمها كلما التفت مركبا للعدو تافقه وألفته وأسعدنا الله وأشقته وكيف ما امكن احرقته أو أغرقته واجتمعت على جمعه وفرقته ووقع حقها على الباطل فأنهقته .

ذكر فتح بيت المقدس

قال : ورحل من عسقلان على سمت القدس وقصده واستيصال نبات الشرك وحصده من أرض الله تعالى ونقدس بتطهير الأرض المقدسة باهلاك الطائفة الطاغية النجسة وتقدمه الرعب الى قلوب الفرنج فوقعوا فى الأمر المرتج المضطرب المرتج وكان بالقدس حينئذ البطريرك الأعظم وهو الشمامسة العظيم الشأن وبائيان بن بارزان وهو ومالكهم فى التسلط سيان والذين أغفلتهم حياطه الحطين من الفرسان الداوية والاسبتارية والبارونية من ذوى الكفر والشنان وقد حشروا وحشدوا وقالوا : السمع عند اللقاء بالمهج ونسيح داما الدماء فى اللجج وما الذى أصاب عزنا حتى نهون ونحن نشعل عليهم الحرب الزبون فأخرجوا اليهم حتى تلقاهم وهذه رماحنا بأيدينا وإذا فأجانبناهم فجعلناهم وأوجعناهم وأخذنا منهم بثأر يوم حطين إذا صرنا بمراكزهم بدوايرنا محيطين فقال لبيهم المجرب فارسهم المتدرب عدوا عن هذا الراى وما بلقتم فى الفى الى هذا القافى وانتم عند مقبرة ربكم تحمونها وتقاتلون دونها والقدس لنا جامع وسوره عن السوء مانع (٢٣٥ ب) وإذا خرجنا فما ندري على ماذا نحصل وهل نقطع أو نصل ثم شرعوا فى السر وأمروا بالأمر وقسموا على الاسوار أقسام الاسراء ونشروا على كل قطر منه لواء اللواء على كل نيق متجنيقه وحفروا فى الخندق حفرا عميقا وأعادوا كل نهج واسع بما وعروا

به مضيئا وخرج جماعة منهم على سبيل اليزك وادلجوا ليلا وجروا للجرأة
 ذيلا وأعرضوا عدة من أصحابنا غارة وعلى طريق السلامة مارة ، وكان قد
 شد من المقدمة المنصورة أمير تقدم وما تحرم وهو جمال الدين شروين بن
 حسن الزرزارى فلما علمه أثبت فى مستنقع الموت رجله وشد من الدنيا
 إلى الآخرة رحله وكان فى موضع يعرف بالقبيبات فساء السلطان نعيه (١)
 وسره سعيه وسار سارا وللجحفل الجرار حارا ولم يدع لجفنه فى يومه
 ونومه غرارا ووصل السرى بالسر ليلا ونهارا ونزل على القدس يوم الأحد
 منتصف رجب وقد قضى من حق الله فى طلب بيته ما جب وفى القدس ستون
 ألف مقاتل من فارس وراجل . وخيم فى أول الأمر على غربيه وأقام خمسة
 أيام يدور على البلد ويقسم على حصاره أهل الجلد وابصر فى شمالها
 أرضا راضيها للحصار فانتقل إلى المنزل الشمالى يوم الجمعة العشرين من
 الشهر متمكنا من التهر ظاهر القوة بالله قوى الظهر فشرع فى نصب
 المجانيق فما أصبح يوم الأحد إلا على منجنيقات نصبت بلا نصب من كل
 مختص برد الردا معتصب يشق الجلود بالجلود ويدق الصنجد بالصنجد
 يقضى ختام التأليف ويرضى هام الشراريف وما زالت المجانيق ترمى وترمى
 وتدمى وتدمى والنزال دايم والقتال قائم وفى قنطاريات الفرنج من الفرج
 تنوط ولخطيات اليراع بأيدي كتب الكتائب فى الظهور خطوط ولشوموس
 اليزك من أفق الترابك بزوغ ولثعالب العواسل فى ضلوع الاساد ولوغ وكان
 فرسانهم فى كل يوم يباشرون دون الباشورة أمام جموعهم المحشورة
 ويتطاعنون بالذوايل ذوات الذوايل المشورة وبيروزون يبارزون ويحاجزون
 ويناجزون ومطاعيننا المطيعون لله عليهم يحملون وهم كما قال الله تعالى
 « يجاهدون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون » وممن استشهد مبارزا
 ولم يشهد بينه وبين الجنة حاجز الأمير عز الدين عيسى بن مالك كان أبوه
 صاحب قلعة جعبر . وكان فى كل يوم يفرس فوارس ويلقى ببشر وجهه
 وجوه النون العوايس فاغتم المسلمون من صرعه وهان عليهم فى تلف مهجته
 اتلاف الهج وهاجوا وهجموا اكناف الوهج وهجروا الجلد إلى الجلاد وركبوا
 أصناف الوهج حتى وصاوا إلى الخندق فخر به وبددوا جمعه وفرقه

(١) فى الأصل : سعيه .

والتصتوا بالسور فنبهوه وعلقوه وحشوه وأحرقوه وصدقوا وعد الله في القتال لاعدائه فصدقوه وارهقت المنجنيقات وأزهقت وسنحت وسحقت فتمكن رعبنا في قلوبهم وأذنت حربنا بكروبهم وعرف الفرنج أنهم مغلوبون وعن النجاة محجوبون فعقدوا بينهم مشورة وقالوا ما لنا إلا الاستيمان فقتلنا أخذ منا بخطه الخذلان والحرمان وأخرجوا كبراءهم ليؤخذ لهم الأمان فأبى السلطان إلا قتالهم وتدميرهم واستئصالهم وقال ما أخذ القدس منهم إلا كما أخذوه من المسلمين منذ إحدى وتسعين سنة فأنهم استباحوا القتل ولم يتركوا طرفا يستزير وامنعوا^(٣) في رجالهم قتلا ونساءهم^(٤) سبيا فقال باليان بن بارزان في الحضور مستأذنا مستأمننا وباح بها بان في فكر الكفر من الثمر كما بنا وقال للسلطان : قد رجوناك فلا تخيبننا^(٥) ووصلنا فلا تصبنا وجئنا فلا تردنا ومتى استوحشنا وأيسنا اسقلنا الهلاك واستقتلنا وما نخرج من منزل حتى نخربه ولا نظفر بدم محتون حتى نسربه فالديار نخربها والدماء نحرقها وقبة الصخرة نرميها وعن السلوان نعيها والمصانع نخسفها والمطالع نكسفها وعندنا من المسلمين خمسة آلاف أسير ما بين غنى وفقير وكبير وصغير فنبدأ بقتلهم وشئت شملهم فقليل للسلطان هؤلاء أن أخرجوا لجوا وأسلفوا الأهوال وأتلفوا الأموال وسسفكوا الدماء وقتلوا الأسراء والصواب أن نحسبهم أسارانا فنيبهم نفوسهم وندخل في القطيعة رئيسهم ومرعوسهم فإذا بعد لأي فيما رآه المسلمون من رأى فما زالوا يتوصلون ويترددون ويتلددون حتى استقر أمرهم على قطيعة اشتروا بها المهج ونفوا دونها عنهم الحرج (٢٣٦ أ) وهي عن كل رجل عشرة دنائير وعن كل امرأة خمسة وعن كل نسمة صغيرة أو صغير ديناران الذكر والأنثى فيه سببان فمن وفى بالحق خلص من الرق ومن عجز بعد أربعين يوما ضرب الرق عليه ونهج به منهج العبيد والاماء وبذل باليان بن بارزان عن الفقراء ثلاثين ألف دينار وانفصل بما التزمه من قطيعة وقرار وسلموا المدينة في يوم الجمعة السابع والعشرين من رجب أو أن وجوب صلاتها وطلعت الرايات الناصرية على شرافاتها وأغلقت أبوابها بعد تسلمها لحفظ ناسها في طلب القطيعة والتماسها وضاق وقت الفريضة وتعذر أداؤها وللجمعة مقدمات وشروط

(٣) في الاصل : وامنعوا .

(٤) في الاصل : نساءهم .

(٥) في الاصل : غير منقوطة .

ولم يمكن استيفاؤها وكان الاقصى بلا محرابه مشغولا بالخنازير والخنا
 مملوءا بما أحدثوا من النسي مغمورا بالنجاسات حتى حرم علينا فى تطهيره
 منا الوفا فوقع الاشتغال بالاهم الانفع وهو حفظهم وضبطهم الى ان يؤخذ
 تسليهم فرتب السلطان على كل باب اميرا امينا فلو اذيت الائمة للمأت الخزانة
 لكنما اختلفت عليها الايدى وتعدت الى التمدى وكثرت الاقلام الضابطة
 فقل الضبط وتزاحم الرابطون فاندل الربط والنواب الاكابر استنابوا اضاعرا
 اقاموا فى تقصيرهم المعاصر وقتلوا لانفسهم الذخاير وادعى مظفر كوكجورى
 ان بها جماعة من ارمن الرها وعددهم ألف نسمة فجعل اليه امرها وكذلك
 صاحب البيرة ادمى العدة الكثيرة وكذلك كل من استوهب عدة اطلقها وحصل
 له مرفقتها ثم تولى الملك المعادل استخراجهم وقوم على الاداء متهاجمهم
 وسهل بأوفى نصيب ورعى منه فى مرعى خصيب . وكانت بالقدس ملكة
 رومية متعبدة متهربة فى دين التثليث موحدة وعندها حول وخدم وعبيد
 وجوار ووصايف ونواب وامناء واصحاب وضايف فلما دهتها الداهية
 وعراها فى تمسكها بكنيستها عراها الراهية غاذت السلطان فأعازها وأبى
 عليها من المصوغات من صلباتها الذهبية المجوهرة جذاذها فخرجت بجميع
 مالها وحالها ونسائها ورجالها واستنطها واعادها والصنفاديق بأقفالها
 والتفاريق بأحمالها وتبعها من لم يكن من أتباعها وشيعت بشفاعتها من ليس
 من أشياعها وسارت الملكة الرومية لمرابها مالكة ولسالك ممالكها سالكة .
 وكذلك خرجت الملكة زوجة الملك كى ابنة المالك أمارى (١) وهى بأبيها بتسر
 وبزوجها بتارى وعزمت على أنها تداوى مرض حالها وتدارى وتسال فى
 شيعتها وعيشتها ورزقها ومعيشتها وحاشيتها وغاشيتها فوهب لها جميع
 ما سألته وعجل لها تجمع ما أماته وكان الملك زوجها متيها فى برج نابلس من
 قيده مطلقا ومن رقه ممتتا لكنه موكل به ليوم تسريحه وقد غلب الى زوجته
 لاعج تباريحه فأذن لها فى قصده فسررت وسارت بخدمة وجواريتها وحليها
 وحللها وبسطها وفرشها وأحمالها وأوساقها وجواهرها وأعلقتها وأقامت
 عند زوجها وبلت بغرته غلة أشواقها . وكذلك خرجت الابرنساسة أم هنغرى
 وهى زوجة الابرنس الذى سفلك يوم حطين دمه وفاء بالنذر وهى صاحبة
 الكرك وهى بنوابها محوطة وبرأيها منوطة فجاءت سائلة فى ولدها العانى
 فوعدت بالجميل وشفاء مالها من الظيل وأنها ان سمحت بحصنها سمح لها

(١) انظر الروضتين (١) ٢ — ٩٦ . وهى ابنة الملك أمارى .

بأبائها ثم سلكها فى الاعفاء والاطلاق سبيل الباتيات وعصمت فى نفسها ومالها وأصحابها بالراعىات الوافيات .

ذكر وصولى الى خدمة السلطان

قال : سبق ذكر ما ألم بى من السقم وانقطاعى الى دمشق للتداوى فلما سفر وجهه صحى وتوجهت وللمعود الى الخدمة تنهت فوصلت الى السلطان يوم السبت تانى يوم الفتح فاستبشر بقدمى وخلع على البشير قبل اوبى، وكان أصحابه يطالبونه بكتب البشائر ليغربوا ويشرقوا ويسيروا فى البلاد ويتفرقوا وهو يقول لهم : اهذه الثوس ثار ولهذه المأذبة نار ولهذا الوادى من سبيل الخاطر الفلانى سيل جار ولعله ينفد ولارواينا يرد ثم اجتمع كتبه فى غيبى وعملوا بالبشارة نسخة منها ينسخ أصلها ويفرع ويفرخ وهم بها مشغولون وبنارها مشغولون حتى أقبلت وجاءهم الريح وركدت الريح (٢٣٦ ب) / وفاح العرار ورمى الشيخ وقالوا : مرحبا بمن صبنا وجهه الصبيح ولقيني السلطان بكل عرف بهيج وعرف أريج وتقريظ واطراء وتقريب وادناء وأنه من كرامة الفتح اتفاق وصولك واقبال قبولك وقدمك فى هذا اليوم وسموك بهذا السوم وهذا ميدانك فأين جوادك وأين أقلامك فهى أقاليد الاقاليم وإذا اعوجت فهى للتقويم واستردا الكتب التى تخيروها واستثلت البطاقات التى طيروها فأجريت ضامرى فى المضمار وانتهت قمرى الى الابزار وبريت بقلمى للايراد والاصدار وكتبت فى ذلك اليوم سبعين كتاب بشارة وكل كتاب بمعنى بديع وعبرة ثم أردفتها فى تلك الليلة بكتب نابت فى سمائها عن شهب استوعبت فى كل كتاب الشروح واستفتحت بتعظيم وعظمت الفتوح .

ذكر جلوس السلطان يوم الفتح للهنا بالخيم

على ظاهر القدس وخطبة الجمعة

قال : وجلس السلطان يوم الفتح ونص النصر ظاهر ووجه العز سافر والأمراء والعظماء قيام وجلوس وفى المطالع بدور وشموس وللموايح أنفاس وللمنايح نفوس وهو فى كيكنه وجلالته كالقمر فى هالته والدنيا حاليه بحالته والدين مدلول دلالاته وأعين الامثال منتظرة لمراسمه والسنن الاقبال مثنية على مواسمه وقلوب القبول ممتلية تمتاز وأيدى الآمال متمليه بتبله والجمع

خافئ والخطب عال ولبضائع الفضل ارباع ولصنایع الانضال افراح ولاجسام
المكرمات ارواح فلم يتقوض المجلس الا عن مجد مشيد وحمد عتيد وجد سعيد
وسعد جديد ولما كان يوم الجمعة التالية لجمعة الفتح تقدم السلطان
ببسط العراض واخلایها لأهل الاخلاص وتنظيفها من الأدناس وكس ما فى
أرجائها من الأرجاس وكان قد سبق أمره من مبدأ الأمر بهدم ما هناك من
أبنية الكفر فقد كان الداوية بنوا غربية دارا وأدخلوه فيها وخلطوه بمبانيها
واتخذوا منه جانبا مستراحا للاعلال وجانبا هريا للاغلال فأمر فى العاجل
بكشف قناعه ورفع الوضیع من أوضاعه حتى ظهر موضع المنبر والحراب
واستظهروا باقامة أقدامه من الحجاب واجتمع الخلق فى ذلك الاسبوع على
تفريق ذلك الهدم المجموع وتعاونوا حتى كشفوه ونظفوه ورشوه وفرشوه .
وكان قد أمر باتخاذ منبر فى تلك الأيام فنجدوه وركبوه ولما أصبحنا يوم
الجمعة وجدنا العلل مزاحة والهمم مراحة وهناك فضلاء بلغاء وعلماء أتیاء
وكل منهم قد سبق لخطبته الخطبة وأمل الفوز بنفضيلة تلك الرتبة وأعد لذلك
المقام مقالا ونشط بشقشقة فصاحته من قمر حصافته عقالا حتى اذا جعل
الداعى وتعين الفرض على الساعى حضر السلطان للصلاة فى (١) قبلة
الصخرة وامتألت تلك العراض والسكون واستعبرت للفرح بما يسيره الله
العيون فعین السلطان القاضى محى الدين ابا المعالى محمد بن على القرشى
بن الزكى للخطبة فصعد فسعد وحمد وأحمد وأبلغت بلاغته وأوردت زناد
القلوب صياغته وأدت المعانى الفاظه وأنبه الأتقاضى والادائى ايقاظه فاهتزت
لمقامه لاكناف المنبر واهتزت لكلامه أعطاف المعشر ودعا لأمر المؤمنين ثم
لسلطان المسلمين ونزل وقام فى الحراب اماما أكمل بصلاته الفرض وأرضى
بسمت دعواته والطائفة فى ركعاته وسجداته السماء والارض . وسر
السلطان بنصبه ورفع وامتلا صدره حبورا منه لجلاء بصره وسمعه فقد
أخذت اشعة أنوار الخطبة فى سواد الاهبة وعظمت أخطار المهسابة فى
خواطر اللجة . ثم رتب السلطان بعده خطيبا يستمر اقامته الجمیع
والجماعات ويستقر ملازمته لاداء الصلوات .

وكان الملك العادل نور الدين محمود بن زكى فى عهده عرف بنور
مراسته فتح البيت المقدس من بعده فأمر فى حلب باتخاذ منبر للقدس

(١) كذا وهى ساقطة فى الأصل .

سحب النجارون والصناع والمهندسون فيه سنين وأبدعوا في تركيبه الأحكام والتزيين وبقي ذلك المنبر بجامع حلب منصوبا سيقا في صوان الحفظ مقروبا حتى أمر السلطان في هذا الوقت بالوفاء بالنذر النورى ونقل المنبر الى موضعه القدسى فسرف بذلك كرامات نور الدين التى اشرف سناها بعده بسنين وكان من المحسنين الذين قال الله فيهم « والله يحب المحسنين » (٢) ثم أمر السلطان بترخيم الحراب (٢٣٧ ١)/وتعظيمه وتخصيصه فى عمارته بأعم أسباب تكريمه فجاء على ما تشاهده الآن العيون ويتفرع من حسنه واحسانه الفنون .

قال : ولما قضيت الصلاة تلك الجمعة نصيبه سرير الوعظ . وتقدم السلطان الى الفقيه (٣) ابن نجا الواعظ لشرع السرير وينفع بعظاته الصغير والكبير وحضر المجلس بمرأى منه ومسمع وكان أنور مجلس وأجلى واشرف جمع ومجمع فحقق ورفق واشهد وأشهق وذكر الفتوح وبكارتة والقدس وطهارته وما أعده الله لهذه الطائفة من الطارفة الطارقة وما أنزله من الأمن على القلوب الخائفة ووصف ببلاغته ما لا يبلغ اليه اللسان الواصفة وكان يوما راجحا وصوما رابحا .

وأما الصخرة المقدسة فان الفرنج كانوا بنوا عليها كنيسة وأعادوا رسوما القديمة دريسة وستروها بالابنية وكسوها صورا هى أشنع من التعرية وملأوها بتصانيف التصاوير ونبتوها فى ترخيمها أشباه الخزازير فتقدم السلطان بكشف قناعها ورفع أوضاعها ومحو صورها ورخص وضرها فحببت بالقبل وفديت بالمقل وغسلت بالادمع واشتعلت بنسار الأضلع ولما ظهرت الصخرة وجدناها قد أبقّت بها النوايب حزوزا فان الفرنج كانوا نقلوا الى بلادهم منها قطعا وأبدعوا فيها بدعا حتى قيل أنها بيعت بوزنها ذهباً وأفضى الأمر بها الى أن يكون حجرها منتهيا فغطاها بعض ملوكهم اشفاقا عليها لئلا تمتد يد ضميم اليها فابقت جزوزها فى القلوب حزازات وما حديث جلاتها فى الاتفاق بروايات وإجازات . وتولاها بعد ذلك الفقيه ضياء الدين عيسى ففضلها بشبابيك من حديد وثبت أركانها بكل تشديد

(٢) سورة آل عمران آية رقم ١٤٨ .

(٣) فى الاصل : ساقطة .

وأقام السلطان بها أماما أحسن التلاوة وحافظا للقرآن وحمل إليها وإلى المسجد الأقصى ريعات ومصاحف ورتب بها للقراءة أوراده وظايف فافتتح فيها بالخطبات وخطبت بالدعوات ودعيت بالمصالحات والحمد لله الذى شدد ظهر الارشاد الى صخرته وملا قلوب الأولياء بمسرة الدين ونصرة أسرته.

ذكر ما شرع فيه الفرنج من أداء القطيعة

قال : وشرع الفرنج فى اخلاء البيوت وبيع ما ذخروه من الأثاث والقوت وأهلوا حتى باعوا بأرخص الائمان وكان خروجها بالمجان ولا سيما ما تعذر ثقله نقله وصعب حمله وكان كما قال الله « كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فلكهين كذلك وأورثناها قوما آخرين » (١) فباعوا ما تهيأ على البيع اخراجه وغلبوا على ما فى الدروس الماعون والمذخور ، وكانت كنيسة قمامة وهى كنيسةهم العظمى مبسطة بالبسط الرقاع مكسوة بالبستور من النسيج والحرير المزوج من سائر الانواع والذين يذكرون انه قبر عيسى عليه السلام محلى بصفائح الفضة العين ومصوغات الذهب واللجين مصنفج بالنضار مقلد من نفسايس الحلى بالاوثار فاعاده البطرك منها عاطلا وتركه طلالا مائلا فقلت للسلطان هؤلاء انما اخنوا الامان على أموالهم فما بال هذا المال وهو بالوف يحملونه فى أثقالهم فتال هم يهرمون هذا التأويل ويقولون لم يحفظوا العهد ولم يلحظوا العقد ونحن نجيبهم على ظاهر الامان ونغريهم بذكر محاسن الايمان وكانت المهلة أنه من عجز بعد أربعين يوما عن أداء ما عليه من القطيعة ضرب عليه الرق فتلواهم النواب بعد خروجنا من القدس وبقي منهم من ضرب عليهم الرق خمسة عشر ألفا فى الحبس ففرقتهم السلطان وتناهت بهم المسالك وحصلت لى منها سبايا نسوان وصبيان وذلك بعد أن وفى بارزان بالضمن وأدى ثلاثين (٢) ألف دينار وأخرج من ذكر أنه فقير بحسب الامكان وكانوا تقدير ثمانية عشر ألفا واعتقد أنه لم يبق فقير وبقي بعد أدائه على ما ذكرناه كثير .

وأما النصارى الساكنون بالقدس فاتهم بذلوا مع القطيعة الجزية ليسكنوا (٣) ولا يزعجوا ويؤمنوا ولا يخرجوا وأقروا بوساطة الفقيه عيسى

(١) سورة الدخان آيات رقم ٢٥ — ٢٨ .

(٢) فى الأصل : ساقطة والضبط من الروضتين (١) ٢ — ١١٥ .

(٣) كذا وفى الأصل : لساكنون .

وأقر السلطان من تمسوس النصارى أربعة قوام لقمامة واعفاهم ولم يكلفهم
القرامة وأقام بمدينة القدس وأعمالها منهم وكانت برسم الفرنج ومقدميهم
مجاورة الصخرة وعند باب الرحمة مقبرة وبقباب معمرة وأحداث وأحداث
تعفينا آثارها ورخصنا أوصارها (٢٣٧ ب) / وقلعنا صفايحها المخسرة
وأعمدتها المرحمة وسوينا بها الأرض وسلطنا عليها النقص واشير على
السلطان بتخريب كنيسة قمامة (٤) فلم يترجح في رأيه تخريبها ولا توضيح
عنده تصويبها .

وقام السلطان بظاهر القدس حتى حقق الآمال وفرق الأموال وقسم
الانتفال وعصى في طاعة الله بافناء تلك النفائس العزال فقد كان أخوه
الملك العادل وجماعته يرون وهو من الرأي الصواب ابقائها للذخائر
واعدادها لما يدور من الدواير وكان ذلك أولى في شرع الحزم لكنه جرى
من فطر سماحته على الرسم وسمعت الملك العادل يوما في أثناء حديثه في
ناديه وهو يجري ذكر افراطه في بث أياديه اننى توليت باستيفاء قطيعة
القدس فانفذت له ليلة سبعين ألف دينار وقتلت قد حصل منه على استظهار
فجائنى خازنه بكرة وقال : نريد اليوم ما نخرجه على اتفاق منا عندنا فما كان
بالامس باق فنفذت ثلاثين ألف دينار أخرى في الحال ففرقتها على رجال الرجا
بيد النوال ونفذ الى الملوك الذين كانت عساكرهم في الفتوح حاضرة
هدايا وتحفا والطاق جازية .

ذكر الرحيل عن القدس على عزم حصار صور وهو يوم الجمعة الخامس والعشرين من شعبان

قال : كانت صيدا وبيروت مع الأمير سيف الدين على بن أحمد
المشطوب وهما لجاورة صور معرضتان للخطوب قد وصلت كتبه محروسة
على حصار صور خاصة وعلى بنان التندم لخوف قوات الفرص عاضة وانها
بالرابطة فيها والمصاهرة عليها تماك وفي كل يوم فرصة اذا قامت لا تستدرك

(٤) يقصد كنيسة القيامة وقد اعتاد المؤرخون تسميتها بهذا الاسم .
قال في الفتح : « وأمر السلطان باغلاق أبواب كنيسة قمامة وحرم على
النصارى زيارتها .. وتفاوض الناس عنده فيها فممنهم من أشار بهدم
مبانيها .. » قارن الفتح القدسي : ١٤٥ .

والى متى الليث وحتام المكث ولم يبق فى النفس الا حاجة صور فانهضوا اليها العسكر المنصور فقد اينع فى القلوب غرس ضمها وما بقى فى كنانه الكفر غير سهمها ولا بد من العزم الجزم فى خوض هذا الخضم وكف الملم وكفاية المهم فرحل السلطان عن القدس باليوارق الملتمة والفيالق المجتمعة والافلاك بكواكبها والاملاك بمواكبها وكان الملك الافضل قد رحل قبـلـه بأيام ليحكم ما بعكا التى يتولاها من اسباب واحكام ثم تبعه الملك المظفر تقى الدين ثم رحل السلطان فى اليوم المذكور وودع ولده الملك العزيز وسار معه منزلة واعاد الى مصر عزيزها وجدد بمحاسنه تطريزها وذلك آخر العهد بلقائه وان مد الله سبع سنين بعد الفتح فى حياة السلطان وبقائه ثم استصحب معه الملك العادل واستظهر بصحبته ووصلنا الى عكا يوم الخميس مستهل رمضان وبصور (١) من خبر مصرنا ما اتعد الكفر واقامه وكان المركيز قد حفر الخندق للبلد من البحر الى البحر قداده ووثق سورة وأسعر عليه مساعيره وبنى بواشيره وأحكم « فى التعمير تدبيره » (٢) واستكثر الى جموعه العدد وكثر من جنوده العدد ورحلنا الى صور بقوايم قوية وصوارم ظلمية روية ووصلنا اليها يوم الجمعة تاسع الشهر وخيمنا بازاء السور بعيدا منه على النهر واقمنا ثلاثة عشر يوما حتى تلاحقت الامداد وتكاثفت العدد وتكاثرت الاعداد وهيأنا آلات الحصار وتنكبنا عنها عن نهج الاقتصاد والاقتصار وحول السلطان مضاربه الى تل قريب من السور مشرف منه على الجمهور « وكان تحوله اليها يوم الخميس الثانى والعشرين من الشهر واقام مقامه المصابر الصبور » (٣) وحجز على السفهاء العدى بالحجازات وضايقتهم بالابراج والمنجنىقات والعرادات والدبابات وقد تكفل كل واحد من الملوك بجائب يكفيه فالملك العادل سيف الدين بدر فى جائبه وتحرف الاقران بمضياء مضاربه ، وتقى الدين فى جانب آخر نازل منازل مقابل ، والملك الافضل خيمته من وراء السلطان قريبة وعزمته لدعاء الصبح مجيبه والامراء والكبراء وعساكر ملوك الاطراف والحاضرون فى الخدمة لا يحصون ولا يحصرون ونحن نرجوا من الله انهم على أعداء الله ينصرون . وفى هذه الايام وصل الملك الظاهر غياث الدين غازى غازيا وللدین بقيامه وافيا واستظهر السلطان بالظاهر ابنه وركن الى شدته لشدة ركنه وانزله بقربه ورتب رجاله فى

(١) فى الاصل : بصور .

(٢) فى الاصل ساقطة والضبط من الروضتين (١) ٢ — ١١٩ .

(٣) فى الاصل : توجد بالهامش .

أماكنها وإبطاله في مكانها وعين لها مواقفها في مياسرها وميامنها وتعاقد أولياء الله على قتال أعدائه وانتظروا نزول نصره من سمائه وكانوا يقاتلون (سماء) (٤) صباح مساء وفي كل يوم بل (٥) في كل ساعة بأس شديد وقاتل جديد ونوال مبيد (٢٣٨) / وأما المنجنقات فأنما شقت حجاب السور بشورة الاحجار وهتكت ما نضدته للسناير من الستار الابراج فانقضت على الكفر من النضال نجومها وقذفت الشياطين من القوارير رجومها واستدعى السلطان الاسطول المصري وكان بعكا فجاءت منه شوان عشر لها على القتال (٤) ضم ونشر جبالها « تمر مر السحاب » (٥) وهضابها تجرى في الامواج على الهضاب . وكانت للفرنج في البحر مراكب خفاف وحراريق لها بحريق النصال قذاف وفيها رماة الجروح والزنبوركات والفكبات بالناوكات فهي تجرى بقرب الساحل موتره للمنايا مؤثرة للمنايا يرمون من دنا من البحر ويدمونه ويصممون على مقاتلتهم فلما جاء اسطولنا استطال عليها وأبعدها من صور وحواليها فأجترأنا على الدنو من البحر والهجوم عليهم فيه بالتهرأ واحطنا بهم وقتلتناهم برا وبحرا وصدعنا أكبادهم رعبا وذعرا وكاد الفتح لنا يتم والحتف فيهم يهيمون نحن نحرس ونقتص ونفرس فبينما نحن في هنا ظفر وأصفى ورد وصدر اذا أصبنا ليلة وفجعنا بقطع مدده الموصول وذلك أن رئيسه عبد السلام المغربي ومتوليه بدران الفارسي ومقدميه ورجاله الفوا على الاستقامة أحواله واغثروا بالافتدار ونعسوا ولم يحترسوا عن نوايب الاسحار وذلك أن خمس شوان منها كانت بازاء البلد في بعض الليالي مرساة بأرصاد العيون على الكفر معراه فنامت بازاء ميناء صور وقد نسي القدور وجرت الى السحر ومالت الى راحة العين من تعب السهر فما شعروا الا بهراكب العدو مالكة وبرجالها فأتكة فدخلوا بها الى الميناء « وملك الفرنج خمسة من شوانى المسلمين واسروا مقدميها ورئيسهم عبد السلام المغربي ومتوليه بدران الفارسي وأمراءه » (٦) ويذر أمراؤها المقدمون وتواقع الى الماء رجالهم الباقون فمنهم من نجا وخلص تحت ستر الدجى ومنهم من

(٤) هكذا وردت في الاصل وهي لا تستقيم مع السياق .

(٥) اضافة يقتضيها السياق وهي في الاصل ساقطة .

(٦) كذا وهي ساقطة في الاصل .

(٧) سورة النمل آية رقم ٨٨ .

(٨) ما بين الحاصرتين ساقط في الاصل والاضافة من الروضتين (١)

فتنط من خلاصه المرتجى فاصبحنا وقد وجئنا من تلك الليلة وبفتتنا نبوة تلك النبوة ثم قلنا هذه المراكب التى سلمت لا انتفاع بعدتها القليلة ولا حاجة بنا الى بقاء الباقيات الصالحات عندنا وان الله سينصر بدونها فى حماية الدين جندنا فجزنا لنسير الى بيروت وننجوا من المعرة ونفوت فلما اقتذف بهما ملاحوما بصرت بمراكب الفرنج وراها فخافت اعتراكها واجترأها فتواقعت الى الماء خارجة على الوجوه مشفقة من المكروه وكانت مجمعة بجريد وبجفوة مصرية ونجا منها شينى رئيس جبيل (٩) كأنها الجبل وانحدر على البحر كأنه سيل وكانت رجاله منتخبين بالبأس والبهالة منتخبين وأما الشوانى التى تخلوا عنها فأننا رفعناها الى الأرض وبسطنا فيها أيدي النقص وعدنا الى ما كنا عليه من قتال البر واطمعت الفرنج شئون تلك الشوانى فقاتل ما هذا اوان القوانى فاستعدت يوما وقت العصر وخرجت عن الحصر واقتدموا مدججين فى بحر اللجاج ملججين يجررون من ابدان السوابغ ذيولها ويجرون من أمواه السيوف القواطع سيولها فما ترى الا فل الحديد بالحديد وشل العديد بالعديد وهز الصوارم وحز الفلاصم وحطم الموازن وبث المكنون ونقل الكتان وما زالت الرعوس كالزروع تحصد والمعالي فى الضلوع تقصد والقنا فى السابرى تندق والكلى باليسرى تنشق حتى انفل الحديد وتكرس وانحل السديد وتيسر وكانت الدائرة على الكفرة فانفجرت على نصالنا عيون الفجرة وانتكسوا مغلولين مأخوذون وأسر فيهن أسر منهم مقدم كبير قدم سسلبه بأموال وعد لحماسته ولبسالته برجال ما سلم نفسه حتى سلمت دونه نفوس وما غل عنقه حتى طارت دون وقوعه رعوس وتباثر الناس وقالوا أسر المركيس وحصل فى القبض ابليس وكل من يتأمله يشبهه بالمركيس ويمثله . وكان الليل قد جن والليل قد ارجحن فسلمه الساطان الى الملك الظاهر ليحفظه ويعين الحراسة يلحظه فقدم المقدم وضرب بيده عنقه ولما اقمنا صروحا تبين أن المركيس فى الحياة مهله ابليس وعادت بالحروب فى كل يوم يحدد فيها المتون وتدور برحاما الحرب الزبون تجد ويجدون وتشتد ويشندون ولو اقمنا لرجونا من عون (٢٢٨ ب) / الله تعالى أن ينصرنا وقلنا قد آن للصبح أن يسفر وللنجح أن يظهر لكن مراد الله أمضى وقدره اغلب واقضى .

نكر الرحيل عن صور وبيان السبب فيه وذلك فى آخر شـوال

قال : كان اصحابنا قد ألفوا من مفتتح الفتح الحصول من غير تعب على هنى الربح فما التفتوا الا درة ثمينة ولا اشترطوا الا لقمة سمينة فلما حصروا صور وابصروا الامور وشاهدوا الشهادة واحتاجوا الى هجر المعيشة الرحبة المألوفة وانفقوا الاموال فى جلب القوت والعلوفة مشى بعضهم الى بعض وقالوا تد طال مقامنا فاستحال مرامنا وقتلت وجرحت رجالنا ومالت الى الزوال أموالنا وفيها جماعة كرهوا الرحيل وقالوا : قد أوهنا العدو ورزقنا الله عليه الغلبة والعلو وقد فرق علينا (١) السلطان من الاموال آلافا مؤلفة حتى استتبت الاسباب فاذا رحلنا احبطنا الاعمال واذهبنا غبننا تلك الاموال وقد قال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون » (٢) واذا امتثلتم هذه الاوامر فانكم بوعده الصادق تفلحون وتفتحون ومن الناس من هو ساكن ساكت حتى يبصر ما يكون من حكم القدر ويقضى الله اما بالرحيل واما بالفتح والظفر فجاء الالوف الى السلطان وقالوا : قد بان تعذر الامكان وقد اشرفنا على كانون وكل ومل المؤمنون وما ينتضى يوم الا ويقضى أو يجرح فيه قوم وهؤلاء رجالك فلا تفرط فيهم ولا تحملهم على ما يردىهم وبين أيدينا بلاد أهون من صور فأرح لفتحها عسكري المنصور فقال السلطان : قد انهينا فى بحر الاجتهاد العوم فكيف يطرق بالرحيل اليها اللوم وما عذرنا اذا فرجنا عن عداته وخرجنا عن مواقيت عداته وبالصبر ينال الظفر ويتوفيق الله لاتباع امره يوافق القدر وهذه صور ان بقيت اتعبت وان نفس كربها اكربت ولم يبق بهذا الساحل مدينة للسوء سواها وما نخاف اجتماع مدد الفرنج الى الساحل لولاها فاذا فتحنا رتاجها فتحنا كل رتاج واوضحنا كل منهاج والحصون والمعازل الباقية فى يد الكفر مجاورة لبلادنا فى البر وما أهون فتحها اذا يئس رجالها من امداد البحر واذا تركنا هذه الجمرة فى رمادها وهذه الشعلة متوارية فى زناها أعصفت بها نكب الرياح وعذت بوريقها الذى للاقتداح فانتشر حريقها واتسعت للطورق طريقتها وقد قرب من نار شره الخمود وتعذرت من سوره

(١) كذا وفى الاصل عليها .

(٢) سورة آل عمران آية رقم ٢٠٠ .

الحدود وإذا مضينا وتفرقنا فمتى نجتمع ونعود وقد أمكننا الغربية وانتم الاسود وقد لاحت الفرصة وقد حميت الحمية فماذا الخمود فتأبوا الى ما رآه واتوا الى رضاه فأقمنا بعد ذلك أياما نوفى المصاهرة حقها والمرابطة صدقها والسلطان يفرق على الرجال الاموال ويحبب الى أولياء الله في سبيله القتال في أنفس المتضجرين بالمقام ما فيها وكم ثبتت متجلدة على ما ينافيها فتمكنت الفترات في عزوماتها وتطرفت السكنات الى حركاتها وصارت تفل بنوب المنجنيق وتدعى سانحات أسباب التعويق ويقول الأمير : رجالى يجرحون فكيف يعدون للنوبة أو يروحون وبقيت المنجنيقات واقفة لا فادح لزنادها بحجارة ولا قابل لسومها ببيع ولا اجارة وقد استوفيت شرح ذلك في كتاب الفتح القدسي واديت المعنى باللفظ القسى فلغزم السلطان على الرحيل وأمر بنقض الأبراج والمنجنيقات ونقل الأثقال والآلات فحمل بعضها الى صيدا وبيروت في البحر والبر وأحرق بعضها لئلا يحصل بها نفع للكفر وانتقل السلطان الى المنزلة الاولى وشرع جمع العسكر في الاثراق كأنهم قد اطلقوا عن الوثاق ورحل الملك المظفر تقى الدين وسار الى دمشق على طريق هونين واستصحب معه عساكر الشرق وجموع الجزيرة والموصل وسنجار وديار بكر وماردين ثم استقل السلطان راجلا وسلطنا بالخييل في خدمته ورأى الباقيين فوق الجبل في ثلاث مراحل حتى انخنا بظاهر عكا عند التل وخيم السلطان (٢٣٩) / هناك وأقر الفضل وأرف الظل وعين يوم رحيله امرأ يقيمون على صدر الى أن يعرفوا عبور النقل فان طريق الناقورة في الجبل المطل على البحر ضيقة المسلك لا نعبر بها الا جمل جمل فعبرت بها الأثقال والاحمال في أسبوع وسار الملك العادل الى مصر والملك الظاهر الى حلب واستأذن أيضا بدر الدين دلدردم الباروقى في المسير وصار هاولا في النجم الغفير والجمع الكثير .

وفي هذا التاريخ استشهد سيف الدين أخو عز الدين جاولى في غزيرلا كبسته فرنج حصن كوكب آخر ليلة من شوال وكان محمود السيرة منتبه الغزيرة ظاهر الذيل من الدرن ظاهر الميل الى الاثر الحسن وكان قد تخلف من الحصون التي لم تملك حصنا كوكب وصفد وانما طال أمد فتحهما لان في كوكب جمهرة الاسبتار وفي صفد جمهرة الداوية قرأى السلطان الحاجة في فتحهما الى المطاولة والحاجة من غريهما بالمطاطلة فوكل بهما أميرين أمينين فاصلت على أشقياء صفد سيف الدين اللصستي بمسعود ورأى أن

يوكل^(٢) بكوكب غير محهود وكلاهما استشهد وحكم مراد الله غير مردود فأما محهود فانه أقام فى حصن عفرىلا وهو قريب من حصن كوكب ونقص على المقيمين فيه الطعام والمشرب وضيق عليهم حتى ضاق خناقهم وحق ارضاتهم وآن أن ينصال ارضاتهم فدخل الشتاء واعتل الهواء واغتر محهود بجمود القوم وخمودهم وترك النوم واشتغل بعبادته فى حصنه ولما كان آخر ليلة من شوال وهى ليلة راعدة بارقة خلا محمود خلاله المحموده وسهر وحرص الى السحر وهو فى غرة فى غار الغير وأخل أصحابه الاحتراس ومالوا « فغلبهم النعاس »^(٤) فما استيقظوا إلا وفرنج كوكب عليهم بركة وللبنة حياتهم هاتكة فمالوا يدافعون عن أنفسهم حتى استشهدوا ونقل الفرنج الى كوكب ما وجدوا من عدة ومتاع وسلاح وكراع . ووافق نعيه رحيل السلطان من صور فتقدم الى صارم الدين قايماز النجمى أن يربط كوكب فى خمسمائة فارس ولم يزل عليها منيخا حتى تسلمنا الموضع فى أواخر سنة أربع على ما سيأتى ذكره .

وفى هذه السنة كان فتح حصن هونين أيام مقامنا على حصار صور وذلك انه لما فتحت تبين امتنعت هونين فوكل بها من الامراء من رابطها وصابرها ولم يزل مقاتلا لها حتى راسلوا فى طلب الامان وتسليم المكان وجاء الخبر الى السلطان فأمر الامير بدر الدين دلدروم اليازوقى فى التوجه الى هناك وخرج الفرنج منها آمنين والحمد لله رب العالمين .

ذكر دخول السلطان الى عكا

قال : وأقام السلطان بظاهر عكا فى سرادقه ناظرا فى غاية حقوق الدين وحماية حفايقه واتفقت فى تلك الليالى رياح مختلفة وعواصف مرجفة وكان الملك الأفضل فى برج الداوية مقيما فسكن السلطان بالقلعة فى محل الرفه والرفعة واستقر بها الى أن دخلت السنة الاخرى ورثب الامير عز الدين جرديك واليا وأعاد به عاطل الولاية حاليا وانما عول عليه لنزاهته

(٣) تارن الروضتين (١) ٢ — ١٢٠ حيث يقول : فوكل بصدد جماعة يعرفون بالناصرية مقدمهم مسعود الصلفى ووكل بكوكب الامير سيف الدين محمود .

(٤) ما بين الحاصرتين ساقط فى الاصل والضبط من الروضتين (١)

ونباهته فسد المختل وشفى المعتل وأقام السياسة وأدام الحراسة ووقف دار الاستبائية نصفين نصفاً على المتصوفة ونصفاً على المتفقهة وأهل المعرفة من الطائفتين ووقف دار الاسقف الى جمال الدين بن أبى النجيب المتولى بها أمور الشريعة وأدت الحال بتفريق رياضها الوسيعة .

نكر حسن خلق السلطان

قال : كان أيام حصار صور قد فرق أموالاً كثيرة على الولاة فى البلاد لجمع الرجال فلما قضى الله بالارتحال نكر بتلك الأموال فأضرب عن ذكرها ولم يخرج أمره فى أمرها وكان والى أعمال عكا حينئذ شمس الدين على بكريمان وقد سير اليه ألف دينار قبل الرحيل من صور بأيام فلما حم الرحيل كوتب برد المال فقلت للسلطان : انه من الكماة الكفاه فأنعم عليه بها عنده فلم يعد لذكره بعده واحتسب تلك الأموال للآخرة ذخراً ولم ير لها جبره من كنز انفاقه كسراً .

(٢٣٩ ب) / نكر الرسل الواردين فى هذا التاريخ

قال : فأول رسول وصل وسؤله حصل رسول الديوان النبوى منزل الرسالة ومحل الجلالة وهو أخى تاج الدين أبو بكر حامد بن محمد بن حامد وكان وصوله ونحن على صور فحين وردت البشرى بقربه أمر بعض الأمراء بتلقيه ويحميه فى المنزلة التى يبيت بها ويقيه ولما بكر أمر الأمراء بالتبكير لاستقباله والتوفير لجلاله وتلقاه الملوك الحاضرون الملك العادل والأفضل والظاهر وعقدت بمحاسن ذلك المقدم المشهود المحاضر ثم ركب السلطان آخراً وتلقاه وقام بحق الخدمة الامامية ووفاه واستصحبه معه الى موقف القتال ومقام مناصب الابراج ومراكب الامواج وثم أنزله بقربه وحياه بحبه ثم عبر يوماً لحضوره وأدى الرسالة النبوية بحقها وأبدى الجلالة المنيفة فى أنفها . وكانت معه تذكرة مشتملة على العتب والتقريع فيما مر به الاعداء من السعى الوضيع والوشى الشنيع فقابل العتاب بالاعتاب ورد الخطأ الى الصواب وبين أن الحسود اخترع الزور وشهد أنواره رام أن يستر بظلامه الفلق ومضى أخى الى القدس وزاره وشهد أنواره وأقام الى آخر السنة ومنزلته موقرة معظمة ثم كتبت على يده ما استقام به على جده .

وكان من جملة الواصلين الفقيه كمال الدين الشاشي^(١) قاضى أرز الروم فاسهمه السلطان خصوص انعامه والعموم واتفق وصوله أو ان رحيلنا من حصار صور وسار معنا الى عكا ولقيته وقد أنجز أمره وهو يشسكى وسألته عن شكواه فذكر لى اقتراحا يسيرا وشكى تقصيرا فقلت حقك يقتضى وتلوت « ولسوف يعطيك ربك فترضى »^(٢) ثم استأذنت له فى تلك الليلة على السلطان وأحضرتة ووفيته حق تبجيله وقربته وقلت : لعل مولانا ما عرف انه نقيه عن النظراء متميز وفى المناظرة مبرز فهل يؤذن فى حل مشكلة والكلام فى مسألة فيش لذلك القول وهش بالطول فقال : مبارك يشرع ويجيد ونسمع ويفيد فشرع فى مسألة مستدلا معلا وأصفت له مبعلا وهزرت له عطف الاستحسان وأعزرت قدره ومكانته بقدر الامكان وقربته الى قلب السلطان ثم اعترضت على كلامه وأعدته أحسن اعادة وذيلته من المعانى البديعة .

قلت للسلطان : هذا من الفقهاء الاعيان يعود الى تلك البلدان ويتحدث باخبار فتوحك وأنباء غدوتك فى الجهاد ومببوحك وقد رغب فى التبرك بما يستصعبه من عدتك فى الفزو والملبوس فان لها قبولا فى القلوب ونفاسة فى النفوس فأدناه منه تأنيسا ووهب من كل عدة خاصة لها علقا نفيسا حتى أعطاه قميصه المزور عليه وملا بعوارفه يديه فخرج وودعه وودعته وأشاع حمدي وبالحمد شيعته هذا ولم يزل أدبى وقضاء حقوق الكرام من انجح آدابى والسلطان يقلدنى فى مذهب سماحه ويقلدنى فى الفن فى الارشاد مقصد معارفى هذا^(٣) وانجابه . قال : ومن جملة الواصلين فى التاريخ رسول الاتابك مظفر الدين قزل ارسلان .

ذكر نبذة من أحواله

كان هذا مظفر الدين قزل ارسلان وهو عثمان شمس الدين ايلدكزا مستوليا على بلاد العجم بعد أخيه بهلوان وهو عم السلطان السلجوقى

(١) قارن الفتح القدسي ٨٨ ، والروضتين ج ٢ - ١٢٠ .

(٢) سورة الضحى آية رقم ٥ .

(٣) فى الاصل توجد بالهامش .

ليس (١) معه أمر نافذ ولا بيده في الملمات منه آخذ وقد حكم على البلاد جميعها ارانيه واذربيجان والري واصبهان ومن حد حلوان الى حد خراسان وقد هرب السلطان السلجوقي ليخرج من تحت حكمه ويتسلط على عادة كل سلطان ورسمه ثم قوى وعاد ولم ينتظم لسوء تدبيره أمر ولم يرتفع له قدر فانه كان كثير التحيل من خواصه يرتاب بغش ذوى استخلاصه فاذا أوهموه في أعظم امرائه أمرا عظيما لم ير في الايقاع بهم تهويما ولا تهويما فما يشعر الواقف على رأسه الا ورأسه طاير ودمه ماير فخاته مقربوه وانتزحوا وكل منهم نافر ومازال قزل ارسلان يتتبعه ويرده تارة ويردعه حتى ظفر به وسيره الى بعض القلاع وحبسه وهذا قزل ارسلان كان يجد لى أمرا في السماح والاموال في أنامله كالثهسيم على مهب الرياح ومن جملة سجاياه الكريمة أنه تبقى عنده رسل الاطراف مقيمين في ظل الاسعاف مشمولين من تفقده بكرام الاطاف (٢٤٠) / فلواقام الرسول سنة اقام بتبجيله وتشريفه حتى تستغنى بدقيق أنعمائه وجليله فاذا استأذن في العود أجزل له عطاءه ووفر له الاء واعاده ملوء الحقايب مطوق الجنايب منتقلا بالنضار وكان اذا عرف اجتماع الرسل عنده من الامصار واقاصى البلاد وأدانى الديار احضرهم في ايوانه وغمرهم باحسانه فمن وافقته على أنسه أقام ومن عف عن القعود في ذلك المجلس قام . وكان على مذهب ملوك العجم في ادهسان الشرب وسمعت أنه انهب آلات مجلسه الذهبية والفضية وكانت الوفا لندماه مرارا وكم مرة لم يبق في خزانته عرضا ولا درهما ولا دينارا وكانت هذه شيئته في دولة أبيه وهو يحبه اذا افتقر ويعفيه فلما اتسع ملكه وتوحد واتسق سلكه وتفرد ولم يخل خليفته ولم يزل طريقته وكلما سنحت الدنيا له سخا بها ووهب الدرر بسخائها والدرر لسحابها . واذا ركب تعد له المواكب وتمد له الجنايب والمراكب مثقلة بالسرقات المدثرة والاطواق والسحوت المسجدية المجوهره وهو راكب ازهاها حليا وأبهاها جريا . وحكى أنه أئتم على أحد الرسل بمركوب غال فجاءه كل سابع كأنه بحر ساطع كأنه فجر ضامر كأنه صقر ذى حافر كأنه صخر وقد ركب الامير وهو يسايره ويحصاده ويحاوره وتحت الامير مركوب في كون مركوبه بعينه بطوقه وسحته ونضاره وتحت مد فرس الرسول وترح وتجهد فقال : ما بال جوادك الينا يسهل

وعليها يحمل فقال : يطلب رفيقه وينادى شقيقه وهو من فراقه على فرق ومن اشتياقه على قلق غنزل الأمير عن حصانه ووهبه له بثلايده وعقبائه وركب غيره وصان ببذله خيره وقبل سايره قاض من قضاة تلك البلاد وهو على بغلة عاطلة هزيلة والأمير على بغلة فارهة جميلة بمصوغات الثبر في الحلبي ثقيلة فقال يا قاضي : ما لبغلتك قد عجفت فقال : ادمغتها الغيرة من أختها فما هي على تختها ولا في طوقها وسحتها فأعطاه البغلة بسرجه وطوقها وأمر لبغلة القاضي بمثل زينتها لتقرن فيها بقرينتها وزاده عطية لأجل علفها وإزالة هزالها وضعها فاستغنى القاضي بها بقية عمره ووجد جده وعدمه .

ومن جملة مكارمه أن الأثير الأخسيكي شاعر دهره وسأحر عصره مدحه بسنة أبيات من شعره فجاد له بستة آلاف دينار من تبره وقال : لو زادني زدته . وحكى أيضا أنه وصل إلى المعسكر شاب أديب قد حوى من كل فضل طرفا وحاز من كل غريبه طرفا لكنه فقير قد أدركته حرفة الأدب وأحوجته الاضرار إلى الاضطراب وأخرجه الاغترار بالاغتراب فلما وصل إلى المعسكر اجتمعوا حوله وسمعوا قوله وعرفوا معرفته ووصفوا صفته ونما الخبر إلى الأمير على السنة ندمائه فأمر باحضاره ولما حضر فأكبه وشافه واستطرف أبه واستوصف آدابه ونظم في وصف الحال رباعية بالفارسية فاحضر له ألف دينار حمر وقال : خذ هذه واتسع بها وشفع وقد وصلناك فلا تنقطع فلما بسط الكف وقبض الالف طار من الفرخ كالفرخ إلى وكره وأبعد الدموع إلى تلك الدناتير عن ذكره ورجع إلى البلد وقمرت عين الوالدين بالولد وطلبه مخلفر الدين قزل ارسلان فأخبر بانفصاله وأنه قنع بما تهيأ به من أفضله فقال : ما كان أدنى همته ولو عرفنا لاجزلنا عطيته .

ومن جملة انحرافه في سماحته أن المجير البيلقاني الشاعر بالفارسي تعلق له أمل بجمال فكتب إلى قزل ارسلان مقطوعا في أحد وعشرين بيتا لم يخل كل بيت عن لفظه الجمل بمعنى ليس في البيت الآخر بديع وسنبك نصيع فوهب له أحد وعشرين بازا نجيبا . قال : وهذه نبذ من مكارمه ليقتردى بها الكرام ولأنوب في الشكر عمن شمله الانعام وهو من الملوك الذين سيرت

اليهم البشارة من المملوك وسار بالبشائر والهدايا والتحف والاسارى اليه ابن اختى جمال الدين ابو الفتح اسمعيل بن الحسن بن عبد ربه وكان يتوب عنى فى الكتابة وهو سهم كاف كثير الاصابة فاختره السلطان لهذه السفارة وجعله امينا على أداء ادوات البشارة ومضى سفيرا فقبول وفوده من القبول بالوقور وارسل معه أعزاً من عنده وحمله مشاقفة وشكره وهو عز الدين الطالبى فوصل واوصل الهدايا والتحايا وأحضر لما حضر نفود المكرمات والثنايا وكنا حينئذ بعكا وهى بالاولياء معمورة وبالألاء مغمورة فأنزلناه فى اكرم منزل وشاهد مواقف الكرام ومقامات الاقدام وأقام فى (٢٤٠ ب) / اقامة هنية وكرامة مضية وفى كل يوم اهداء مركوب وعطاء غير منسوب فلما آن انفصاله وحان ارتحاله أغناه واعطاه ما لم يخطر على مناه وعين لصاحبه من أنواع الهدايا ما جاوز تقويمه الالوف وأطاع فى سماحة طبعه الالوف وأخذ الهدية القزلية من الجواهر الثمينة والمستعملات المصرية والثياب المعدنية والعقاق العربية وكل ما حازا به يد الايد فى جهاد من طريف التلاد وعقاييل الطرف والتلاد والخوذ والنزول والمعتود والسلوك وغير ذلك مما يصلح للملوك وسلم جميع ذلك الى جمال الدين نسيبى وجعل له تلك الرسالة من نصيبى وأهدى لامرائه وخواصه وذوى قربه واختصاصه هدايا على اقدارهم ومنزل كبارهم وصفارهم وتوجه وتوجه الرسول ومعهم رسولنا وقد شملها اقبالنا وقبولنا وكتبت على ايديهم بالفارسية كتباً بالبدايع مشحونة فلما وصلتهم الكتب والرسائل تواصلت بيننا وبينهم الصلات وتهادت المهاداة واسترسلت المراسلات وانقلبت الى المصانف الصفات .

قال : وسأذكر نبذا من تخرقه فى السماحة وأغفلتها ثم تندمت كيف أهملتها أصبح يوما فى عنفوان هبوب صباحنا وقد وهب جميع ماله من لبسه وثيابه واصطبله بالآتة ودوابه وخيمته بما فيها من سبده ولبده وتعد على الأرض متجردا عن كل ملك شأذا من كل عقد وسلك وذلك فى زمان أبيه فلما نعى الخبر اليه بما سخا به وأنه صفر يده أحضره وزجره واستجعله فيما عرف منه وانكره . قال : ومن أنت ومن يقال لك ومن لهذا الطريق الذى سلكه سلك فتال ما معناه أنا أبى خير من أبيك وأشرف وأعظم . أنت الاتابك شمس الدين ايلدكز والدى فمن كان والدك ولا تنكر اذا وردت مواردك وأنت تخاف وتسعد عنه واخلف عليه أفضل ما كان له وأوفر .

ومن حكايات مغنية (٢) فى مجلس أنسه والتهاب طربه فى طيب نفسه
فقال ما الدوايرى علف وما لما أنفقه على علفها خلف فقال سرا لخادمة خذا
غراره فأملأها بشباب ديباج وحرير وأطلى رأسها بحشيش وشدها وأعددها
وإذا طلبناها أحضرها فلما أحضرت قل لها هكذا هذا العلف خذنى هذه
الساعة إذا كان هذا جودك وموجودك فكتت تخل مجلسك من أحضاره
وتبقيه عاريا من عاره فقال لها وحلف أنها تتولى أخذ الفرارة المحشوة
وتفريغ الفرد المملوء فقامت كرها على القدم لأجل اجلال القسم فأخرجت منها
غنى الأبد فخرت ساجدة وفخرت واجدة وعاد منها غنى الاحسان باحسان
الفنى وأخذت فى الاطراب والاطراء .

ومن حكاياته أن شاعرا مدحه بقصيدة سبعين تناهزت أعطائه فقال
يحكم على فيما أعطيك ولا ترضى إلا بما يرضيك فقال : قد قنعت بسبعين
دينارا عدد أبياتها فقال له : ما أدنى همتك لو طلبت منى سبعين ألف دينار
ولا حرمتك منها ولا حذرتها ثم أعطاه ألف دينار وحلا وجهه وأمله وصفحه نجحه
بسفور وأسفار . قال : وهذا كله لا يكون فى بحر سلطاننا جدولا ولا لأحد
أمليه فى سماحته منهلا وكان مهذب المذهب طاهر المحفل والموكب وقد خصه
الله بالصدر الأرحب والعرق الأطهر الأطيب للخالق تقواه وللخلقين جدواه
وانما يريد للأخرة دنياه فلا جرم ختم الله بالحسنى عقابه . قال وفى هذه
السنة سنة ثلاث وثمانين استشهد الأمير الكبير شمس الدين بن المقدم
وهو محمد بن عبد الملك يوم عرفه فى عرفات .

تكر السبب فى ذلك

قال : لما وقع الفراغ من فتح القدس دنا الحج واستقام منه المفلحون
على النهج وقالوا نحرم من المسجد الأقصى الى البيت الحرام ونفوز مع
ادراك فضيلة القدس فى هذا العام بإداء فريضة الجهاد وحج ركنى الاسلام
فاجتمع جمع من أهل ديار بكر والجزيرة والشام وسار بهم الأمير شمس
الدين بن المقدم شيخ امراء الاسلام الكرام فودعه السلطان على كره من مفارقتة
واستهله ليحج فى السنة الاخرى على موافقته فقال ما معناه : ان العمر

قد فرغ والامل قد بلغ والشيب قد أنذر والقدر قد حذر واغتتم فرصة الامكان
قبل أن يتعذر فمضى والسعادة تقوده والشهادة تروده حتى وصل الى عرفات
وما عرف الاثبات فشحاع وصوله وسالت سيوله وحالت حيوله وضربت خيامه
وخفقت أعلامه واشتغلوا ليلة عرفة بالمناسك فلما أصبحوا نقرت على العادة
نقاراته ونعرت (٢٤١) / بوقاته ففاظ ذاك أمير الحاج العراقي ففاض غيظه
وغاض برد رضاه ولفح فيضه وركب اليه في أحرايه وكما طعانه وضرايه
فأوقع به وبأصحابه وأبلاهم بخراجه ونهابه وجري حكم الله الذي كان ضرب
الطبل أوكد أسبابه وقتل جماعة من حاج الشام وجرحوا وهتك استارهم
ونقل طاشتكين شمس الدين بن المتقدم الى خيمته وهو مجروح وفيه روح
وحمله معه الى منى فمضى ودفن بالعلى وارتاع أمير الحاج بما اجتزمه
وكيف لم يراقب الله وأحل حرمه وكيف عدا على الحج العائد بالله وسفك
دمه فكتب محضرا على ما اقتصره بعذر فيها اجترحه والزم أعيان الحاج
على ما عينه من المراد فكتبوا مكرهين ووقعوا له على الانفس والاموال
وسلكوا معه طريق السلامة في الاحوال وكان عذره أنه أنكر عليه ضرب
الطبل فأبى وثبت عليه من الحرب السبا فلما انتهت الى الغرض الأشرف
تلك الحالة وأن العثرة أخطأتها الاتالة أنكرها أنكارا شديدا ونسبها الى
طيش طاشتكين ولم يجد له رأيا سديدا فلا جرم وضع عنده قدره ووهى أمره
حتى نكبه بعد سنين وحبسه وأطال سجنه ثم عفا عنه بعد مدة مديدة وشدة
جرت عليه شديدة وولاه حرب بلاد خوزستان وخراجها وأوضح بسياسته
منهاجها ولما وصل الى السلطان خبر استشهاده ابن المتقدم وجماعته لأمه
على ترك الحزم واضاعته واحتسبه عند الله غازيا شهيدا ساعيا الى الجنة
بقدمه سعيدا وأقام ابنه عز الدين ابراهيم في بلاده مقامه وأثر عليه انعامه
ووجده على سمت أبيه وسمده وهديه وهذوه وكبر قدره وعلوه ومثلت يوم
الحضرة الكريمة الفاضلية فتجاذبنا اطراف العوايد وتناولوا اقتطاف الفوائد
فوجدت بحر خاطره يتدفق لائق الدرر وسنا رأيه يتألق لإبداء الفرر فتفاوضنا
في همة السلطان وغزاوانه وعزمته وفتكاته ومعجبات كراماته ومعجزات
مكرماته فارتجل الأجل الفاضل بديهي في صفة سيوفه مقطوعا علقت بحفظي
من أبياته بعض (١) قطوفه وهي :

(١) كذا وهي ساطة في الأصل .

ماضيات على الدوام دوام هن فى النصر نجدة الاسلام
 فى يمين السلطان ان جردتها أشبهتها صواعق فى غمام
 تنثر الهام كالخروف فما أشبه هذى السيوف بالاقلام (٢)
 فى محارب حربى البيض صلت وركوع الظبى سجود الهمام

ودعا للسلطان فقال : أدام الله استعباده الاحرار وتحريره العبيد وتبعيده
 من التوب القريب وتقريبه من الامل البعيد . ووصف بحالى أنوار سعادته
 اثمار ارادته وقال : طلب موعها فما موعها ومن التحنيس قوله : فيم وقوفنا
 على قوم وقوفنا .

ومنه : لولا كرك بالكرك لما عدمت شوبك بالشوبك
 وانشأ مرتجلا :

أحرق دنى كبدى فى خده الخمر الندى

قال : نكت من مكاتباته . فمنها :

أبا الاسكندر الملك افتديتم فما تضعون فى أرض وبادا (٣)
 وان من النصرات الى مجسر الفرات الى فريق مستزادا

والله يصون الحضرة العالية عن عدواء السكر ورعشائه ويحملها على سهل
 الطريق ومثابه ويمتع بأقوالها التى شفع الناس نيلها وأقوالهم ترهب ذهاب
 غيابه .

قال : ووصف كتب اليه ووقف منها على البلاغة المبرودة الموصوفة
 والجواهر الثمينة المكنونة والثمرات التى اجتنتها من شجرة البلاغة الطيبة
 وفى الناس من يجتنى ليجنيها من الشجرة الملعونة .

(٢) الاضافة من الروضتين ج ٢ ص ١٢١ .
 (٣) هذا البيت يسبقه بيت ناقص والشرط الموجود : وقد أبعدا فى
 البلاد .

فصل من أخرى : وقفت منه خاطرى الحيران على ما هداه لقصده
وقلبى الظآن على ما جمع بينه وبين ورده ويسرت حلل الانس ورقعت ولولا
القلق لقلت له ورياض القدس وأشرفت على أيام الاعياد وليالى المرس
فلاعدمت ذلك الفضل الواسع والخلق البارع والاطناب (٢٤١) / والمعنى
النافع واللفظ النافع والمعنى الواثق والسرو الطالع والحديث الذى بث فى
الارواح شعاع الروح والعلم الذى يذبح الطروس بوشى الوشايح والتوائى
التى الى غصون غصون السطور بمنزلة الحمام السواجع وقد علم اننى
ارتاح الى هذه الحلى وأحل لها عقدة الحبى واهتز لقطرها كما يهتز لحب
القطر الربى واننى أقرأها معاودا ثم لا أقتضى منها أربا وقد تبادت الفرقة
والشوق متماد وهام خاطرى ومنه :

فى كل واد الا وادى السـلو ليس له بواد ولا هو له بـواد
أما فى صروف الدهر ان يرجع النوى بهم ويدل القرب فيهم على البعد
بلى فى صروف الدهر كل الذى أرى ولكنما اغفلن حظى على عمد

وأما الاخبار الطيبة بتلك السيافة المستعذبة فقد أوردتها بلسان الاحسان
وأحسن فيها العبارة عن الزمان وهو ترجمان الزمان وهو المعيد لبنائه
لل يملأ الملوان ولقد جئت أن ذلك البيان مما زين للناس من الشهوات
ومما حظر عليهم من حوادث النشوات بل هو من نعيم الجنة الذى كلما نفذ
جدد ومن ثمراتها الذى كلما أريد ردد لاعدمت الدولة الناصرة من ثلثة ناصرا
ومن رأيه ناظرا ومن فكره جيشا لجيش الاعداء كاسرا .

ومن أخرى أقلام المجلس السامى اذا صفها صوب فكره أطفأت
كل نار واذا انجدها جد عزمه أخذت كل نار وأدام الله أسفار وجوه كتبه
ورسله وسأذكر ما حضرته من قوله الحسن والاحسان والروح والريحان
وثبوت ذهنه على أن الطبع شجاع والفكر صناع وقلمه فى كرسى مملكة يده
نائذ الامر مطاع ، قال : وقد سبق ذكر أخى تاج الدين رسولاً من الديوان
العزیز فى هذه السنة بتذكرة غلظ فيها القول واحفظ منها الصول وأتت الى
العلم الكريم الفاضلى فوصل منه جواب .

فصل : وقفت على ما أشار اليه من حديث التاج أبقاه الله وتأويل
التذكرة وما جددته تأملها من مفايط وضبايط وما أشار اليه الحاضرون وما نظر
فيه الناظرون واستنجاهه برأى واستمداده بكتابى وانتظاره لما يسفر عنه

من السلطان عن بصره جوابي وقد علم سيدنا اننى املت الاقلام فيما كتبه واخفيته فيها ادرته وحررت المشورة فى دمج هذه القضية وسير هذه الحلية والامساك اما على معنى التخصص او معنى التبرص فرب صبر استقل بحمود العاقبة ورب مكروه الفاتحة ادى الى محمود الخاتمة . واصل هذه التذكرة مبنى على جواب الباطن والتعاطى الظاهر ومن كان صلاحه التوقى فتساعده عليه ومن كان رضاه القول فنرشده(١) اليه وقد كتبت الان بما اتسع لى ان اكتبه وسالت ان يدفع هذا الفيض فما جاء ما اوجبه وانا واثق من حسن النية ان المولى التاج ابقاه الله يخرج من هذه القضية سالما غائما لا راغما غارما فان حريته وفضل سجيته يجردانه من الذنب ولا يجعلان لقلبه بهذا الامر شغلا فما رأيت قط الثأر العثار الا حيث لا يستقيم اليه ولا يخلص الطوية .

جواب مكاتبة اخرى :

وقفت على كتاب كريم يتضمن من احوال المولى تاج الدين الا من جهتين من جهة المودة ومن جهة اطراح ما يردد فى حتى من المهودة وبالله أقسم لقد بذلت المجهود وما من شرط بذله بلوغ المقصود ووددت لو اطلع على الكتب التى كتبها فان فيها عذرا ونصحا يقتضيان قبولا ونجحا وقد جددت فى هذا الوقت الذى كشفت فيه وجه النصيحة واوردت فيها قضية الراى الصحيحة وأرجو أن يسرد على اصغار ولا يرد على ما ورد عليه ما قبل من الغاء ومن فقرة الاسدين فلا بأس فنزل الانس الدين . اخرى هو مفض على كل مقضب ومجد على كل مجذب يستقل بكل مضلع ويكشف كل معضل وقد علم قاصده أنه مفض منه الى مفضل .

قال : وقال استلأمت البلاغة بزرد أحرفه فقلت واستنتت المعانى فى طرق طرفه . قال وفى التعزية لشهيد وليس من السنة أن يرتع فى رياض الرضا ونحن نسخط ونسرح فى جنان الجنان ونحن فى الاسى نتورط فان الله لا حكم على علمه ولا علم لنا بحكمه . وله والحر اصبر قلبا والعبد اصبر جسما . وله : كتابى يملى على القلم ويكاد يستمد من الدم . وله : وصمته بما استوى فيه نطقه وصمته الفت منه ود اللام للالف والواو للحلف .

(٤) كذا وهى ساقطة فى الاصل .

(٢٤٢) / وله فى التوسط بين الاصدقاء :

ما ادخل بينكم الا كدخول المروء فى الاجفان بيد لها ما ذهب من النور
والفمض وكالنسيم بين الاغصان معطف بعضها على بعض وله : لجئت لواهج
التصغير برويد والضرب بزيد .

ومن دعائه للسلطان : جعل الله الارض التى يملكها مقبلة والارض
التى يطأها مقبلة والارض التى يجر عسكره اليها مثقلة والارض التى يلاقى
عدوه بها مقتله .

استفدته من محاضرة السلطان صلاح الدين

قال كان يعدل فى البذل فقال : احسن ما سمعته فى حب العدل للفقيه
زين الدين بن الحكيم .

من ذم عاذله فانى شساكر للعدل

ماضهم اغراؤهم بالعدل ان لم أقبل

آبى الملام عليهم وحلاوة التذكار لى

لهم القلب من ذكر الاحبسة مملى

وكان نقادا للشعر جيد الفكر ولكنه يلوم اهله على اظهار النظم ويقولون
يتعرضون للذم . وجرى عنده يوما حديث وحيش (١) الشاعر من اهل عصرنا
فقال : استحسنيت أبياته فى الناضى كمال الدين الشهرزورى وقد مطله :

سنة تمر وتقلوها سنة	شهر يكر ويمده شهر
والمدح منى غير مقتصر	ونداك لاقل ولا كثر
واروح بالاحسان مشتملا	حتى كان عطيتى كفسر

واستحسن لحسان الكلبى من اهل عصرنا فى وصف دمشق :

لشام شامة وجنة الدنيا	كما ان انسان مقلتها الفضيضة جلق
من روضها لك جنة ما تنقص	ومن الشفيق جهنم ما تحرق

(١) هو ابو الوحش سبع بن خلف بن احمد بن زيد ذكره المهادنى
الخريدة . انظر شعراء الشام ١ - ٢٤٢ - ٢٤٦ .

تريب الخطو يحسب لو رآنى ولست مقيدا لى بقيد

وأنشده عنده :

كان بزاته أمراء جيش على اكتافهم صدا الدروع

واستحسن الفاضل قول الشاعر فى معنى اقتضاء الوقت :

شر من عاش ماله فاذا حاسبه الله سره الاعدام

وجرى بالمجلس الكريم الفاضلى ذكر حب الصغير وأن القلب الضيق
ربما ضاق عنه فارتجل فى الحال هذه الايات :

طفل كفاه القلب دارا له	كأنما القلب له ثالث
ويوسف الحسن وقلبى له	سجن وما تم له صاحب
أصبح والقلب لبس	له لا قاصر عنه ولا ساحب
وهو كعيني وهو انسائها	وهى له من الخسارج حاجب
ضاق به ضيق عناقى له	فلم يسع ما قاله العباب

تم الجزء الأول من كتاب سنا البرق الشامى

ويتلوه فى الثانى

ودخلت سنة أربع وثمانين وخمسمائة (١) ...

الفصل الثالث

الفهارس

محتويات المخطوط

صفحة

- مقدمة البندارى للمخطوط ١
- ذكر الوصول الى الشام فى شعبان سنة اثنتين وستين وخمسمائة ١٦
- ذكر سبب وصولى الى دمشق ١٧
- فصل ١٩
- ذكر دخولى فى خدمة نور الدين ٢٢
- ذكر أسد الدين والانتعام عليه بخص ٢٤
- ذكر توجه فخر الدين شمس الدولة تورانشاه من مصر الى بلاد اليمن مستهل رجب سنة تسع وستين ٢٤
- ذكر تفويض شحنة دمشق الى القاضي كمال الدين الشهرزوى رحمه الله ٢٨
- ذكر وفاة الملك العادل نور الدين محمود بن زنكى بن آقسنقر رحمه الله بقلعة دمشق ٣١
- ذكر تيسير فتح قلعة جعبر ٣٨
- ذكر مسير الفرنج الى مصر ٣٩
- ذكر ما اعتمده أسد الدين عند وصوله الى مصر وكان وصوله اليها فى سابع عشر ربيع الآخر ٤٠
- ذكر وفاة أسد الدين يوم الاحد الثانى والعشرين من جمادى الآخرة وولاية صلاح الدين فى الخامس والعشرين منها . ٤٢
- ذكر الزلزال التى عمت بلاد الشام ٤٧
- ذكر توجه نور الدين الى الموصل بعد وفاة أخيه قطب الدين . ٤٩
- ذكر الشيخ عمر الملاء ٥٢

صفحة

- ذكر وفاة الامام المستنجد بالله وولاية الامام المستنضئ أبي
- محمد الحسن ووصول رساله اليها ٥٣
- ذكر صديق له ببغداد يقال له علم الدين على بن اسماعيل الزكائدار ٥٥
- ذكر وصول عماد الدين صندل رسولا من دار الخلافة بالخلع
- والتشریفات لنور الدين وصلاح الدين ٦٠
- ذكر تفويض اشراف ديوانه الى ٦٣
- ذكر ما سهره صلاح الدين من مصر من الاموال ٦٤
- ذكر خروج الملك الناصر صلاح الدين ونزوله على الكرك والشوبك ٦٥
- ذكر بعض المتجددات بالشام ٦٦
- ذكر وفاة نجم الدين أيوب والد السلطان بالشام ٦٨
- ذكر مسير الموفق خالد القيسراني الى مصر ٦٨
- ذكر الوصول الى حلب والتوجه منها الى بلد الروم وفتح قلعتي
- مرعش وبيهنسى ٧٠
- ذكر عود القاضي كمال الدين الشهرزوي الى بغداد ٧٢
- ذكر مسير الملك الصالح من دمشق الى حلب بتاريخ يوم الخميس
- الثالث والعشرين من ذي الحجة ٧٤
- نوبة الكفر ونفاقه ونوبة اسطول صقلية ٨٠
- ذكر توجه صلاح الدين الى دمشق وتملكه ٨١
- فصل ٨١
- ذكر رحيل السلطان الى حمص مستهل جمادى الاولى ٨٣
- ذكر الوقعة الاولى مع المواصلة والحلبين ٨٦
- ذكر وصول رسل دار الخلافة ٨٨
- ذكر ما اسفر عنه حالي ومال مالى ٨٩
- ودخلت سنة احدى وسبعين ٩٠
- ذكر السبب في ذلك ٩١
- ذكر الوقعة مع المواصلة والحلبين يوم الخميس عاشر شوال ٩٤

صفحة

- ذكر وصول شمس الدولة تورانشاه أخى السلطان من اليمن ٩٧
- ودخوله الى دمشق فى مابيع شوال
- ذكر النزول على عزاز فى ثالث ذى القعدة ٩٩
- ذكر قفز الحشيشية على السلطان ليلة الاحد حادى عشر ١٠٠
- ذى القعدة
- ذكر مكرمة فاضلية ١٠١
- ذكر فتح عزاز يوم الاثنين حادى عشر ذى الحجة ١٠٢
- ذكر خلاص رجل مسلم من نكبة عظيمة بشفاة كريمة ١٠٢
- ذكر النزول على حلب منتصف ذى الحجة ١٠٣
- ذكر الرحيل من حلب ١٠٥
- ذكر كسرة على الفسرنج ١٠٦
- ذكر وفاة القاضى كمال الدين فى مابعد المحرم وما آل اليه
- امر القضاء ١٠٧
- ذكر وفاة شمس الدين أبى المضاء الوزير ١١٠
- ذكر مؤيد الدولة أبى الحرث أسامة بن مرشد بن على بن منقذ
- وعوده الى الشام عند علمه بوصول السلطان ١١٠
- ذكر تفويض القضاء الى ابن أبى عصرون ١١٢
- ذكر وصلة السلطان للخاتون العصية بنت الامير معين الدين
- فى آخر صفر ١١٣
- ذكر الخروج من دمشق بكرة يوم الجمعة رابع شهر ربيع الأول ١١٤
- ذكر انموذج من انعامه على بمصر ١١٦
- ذكر القاضى ضياء الدين القاسم بن يحيى بن عبدالله الشهرزورى ١١٧
- ذكر بناء السور على القاهرة ومصر ١١٩
- ذكر اللسان الصوفى ١٢١
- ذكر وصول الرسل ووقوع بعضهم فى الأسر ١٢٢
- ذكر خروج السلطان الى مرج الفاقوس فى ذى الحجة من السنة ١٢٤
- وبطلت سنة ثلاث وسبعين ١٢٥

صفحة

- ذكر علم الدين الشنساتاني ١٢٦
- ذكر بروز السلطان بقصد الغزاة الى غزة وعسقلان ونوبة الرملة ١٢٧
- فكم ما تجدد في هذه السنة بالشام ١٢٨
- ذكر نزول الفرنج على حماة يوم الاحد العشرين من جمادى
الاولى ورحيلهم عنها بعد اربعة ايام ١٣٥
- ذكر الخروج من القاهرة والتوجه الى بلاد الشام ١٣٧
- ذكر استشهاد عضد الدين وزير الخليفة في العشر الاولى من
ذي القعدة في هذه السنة ١٤٥
- ذكر مكرمة ههنا ١٤٦
- ذكر عز الدين أقبسوري ١٤٧
- فصل ١٤٨
- ذكر الأمير شمس الدين بن المقدم ١٤٨
- ودخلت سنة أربع وسبعين ١٤٩
- فصل آخر في حق نقل القضاء ١٥١
- فصل آخر من كتاب في معنى أخيه شمس الدولة ١٥١
- فصل في ذم ماء دمشق ١٥١
- فصل آخر في معنى ازالة المنكرات ١٥٢
- ذكر ما أسقطه السلطان من المكوس بمسكة شرفها الله ١٥٣
- ذكر الحوادث في هذه السنة ونحن بحمص ١٥٤
- ذكر الظفر بخيل ورجل للفرنج أغارت على بلد حماة في العشر
الاولى من شهر ربيع الأول ١٥٥
- ذكر مكرمة للسلطان ١٥٧
- ذكر المقياس بمصر ١٥٨
- ذكر حديث بيت الأحرار ١٥٨
- ذكر وصول رسول دار الخلافة ١٥٩
- ذكر نوبة هنري ومقتله في أواخر هذه السنة ١٦٠
- ذكر هسير شمس الدولة الى مصر ١٦١
- ودخلت سنة خمس وسبعين وخمسمائة ١٦٤
- فكم فكم وشمسمة مرج عيسون ١٦٤

صفحة

- ذكر منقبة لعز الدين فرخشااه ١٦٧
- ذكر غيبة تنقى الدين عن هذه النوبة ١٦٧
- ذكر النزول على حصن بين الاحزان وتيسير فتحه فى اقرب زمان ١٦٨
- ذكر وفاة الامام المستضى وخلافة الامام الناصر رضى الله عنهما ١٧٣
- توجه السلطان الى بلد الروم وبلد الأرمن . وفتح حصن المانوية ١٧٧
- ذكر وفاة شمس الدولة أخى السلطان فى هذه السنة . . . ١٧٨
- ذكر وصول الرسل من الديوان العزيز ١٨٠
- ذكر الرحيل الى مصر يوم الاثنين ثامن عشر رجب والوصول الى القاهرة ثالث شعبان ١٨١
- ذكر وفاة صاحب حلب الملك الصالح رحمه الله ١٨٥
- ذكر آفة ضيافة ١٨٩
- ذكر السبب فى القبض عليه ١٩٠
- ذكر عاطفة مستغربة ١٩٢
- ذكر سهوة تطير ١٩٣
- ذكر بطشة فرنجية وقعت الى البحر ١٩٤
- ذكر ما تم بنهضة عز الدين فرخشااه ١٩٥
- ذكر نهوض السلطان الى طبرية وبيسان ١٩٧
- ذكر مكرمة للملك عز الدين فرخشااه ١٩٩
- ذكر مكرمة مشتركة ٢٠٠
- ذكر العزم على قصد حلب وعبور الفرات ٢٠٠
- ذكر وصول رسل دار الخلافة ٢٠٤
- ذكر الرحيل الى سنجار وفتحها ٢٠٧
- ذكر وفاة الملك المنصور معز الدين فرخشااه بدمشق فى جمادى الاولى سنة ثمان وسبعين ٢١٠
- ذكر نصرة الاسطول المتوجه الى بحر قلزم وكانت فى شوال سنة ثمان وسبعين والمقدم فيه الحاجب حسام الدين لؤلؤ . ٢١٢
- ذكر تولية الامير شمس الدين بن المقدم بعد الملك معز الدين فرخشااه ٢١٣
- ذكر مكرمة لمظفر الدين كوكبورى ٢١٤

صفحة

٢١٦	— ذكر السبب في ذلك
	— ذكر المسير الى آمد وفتحها وكان النزول عليها يوم الاربعاء
٢١٨	— سابع عشر ذي الحجة وفتحها يوم الاحد
٢١٨	— ودخلت سنة تسع وسبعين وخمسمائة
٢٢٠	— ذكر تسليم مدينة آمد الى نور الدين محمد قرا ارسلان
٢٢١	— ذكر القوام أحمد بن سهاقة وزير نور الدين محمد بن قرا ارسلان
٢٢٢	— ذكر الرحيل من آمد والتوجه الى الفرات لقصد حلب والولايات
٢٢٣	— ذكر القفول وعبور الفرات وفتح تل خالد
٢٢٣	— فصل من الانشاء الفاضلى في المعنى
٢٢٤	— المنزلة الاولى
٢٢٤	— المنزلة الثانية
٢٢٧	— ذكر عبرة
٢٢٧	— ذكر القلاع وما ترتب من وجوه الاصطناع
٢٢٨	— ذكر بشاير بوقعات نصر فيها الاسلام
	— ذكر المودة الى الكرك واستدعاء الملك العادل من مصر لتولى
	حلب واستنابة الملك المظفر تقي الدين في مصر وشرح
٢٣٣	السبب في ذلك
٢٣٥	— ذكر الرحيل الى الشام
	— ذكر وصول شيخ الشيوخ وشهاب الدين بشير في الرسالة
	الشريفة الامامية ووصول محبي الدين الشهرزوري معها
٢٣٥	رسولا من الموصل
٢٣٦	— ذكر السبب المقتضى لهذه الرسالة في هذه السنة
٢٣٧	— ذكر كشف الحال
٢٤٠	— ودخلت سنة ثمانين
	— ذكر القفول من الشام واجتماع الفرنج في الموضع المعروف
٢٤٣	بالواله
	— ذكر الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه ووصوله مع
٢٤٥	عنه الى دمشق وعوده الى مصر في منتصف شعبان
	— ذكر الشيخ العالم زين الدين أبي الحسن علي بن نجا الواعظ
٢٤٦	المقيم بمصر

صفحة

- ذكر صاحب اربل الأمير زين الدين أبى سعيد يوسف نياالتكين
على بن بكتكين وانتمائه الى الخدمة ٢٤٩
- ذكر صاحب ماردين قطب الدين ايلغازى بن ثمرتاش بن ايلغازى
ابن ارتق وفاته فى هذه السنة ٢٥٠
- ذكر ما اعتمده السلطان فى باقى هذه السنة ٢٥٢
- وبخلت سنة احدى وثماتين ٢٥٣
- ذكر الأمير مظفر الدين كوكبورى صاحب حران ٢٥٤
- ذكر الرحيل من حران وما جرى بعده ٢٥٦
- ذكر ما رآه السلطان من ترك القتال ٢٥٩
- ذكر شرح ذلك ٢٥٩
- ذكر رحيلنا الى ديار بكر ٢٦١
- ذكر وصول صاحب آمد ونحن على ميافارقين فى جمادى الاولى ٢٦٤
ذكر النزول على شاطيء قرامان ومراسلة بهلوان ٢٦٤
- ذكر وصول عماد الدين صندل فى الوساطة وما عرض من مرض
السلطان ٢٦٧
- ذكر شية السلطان فى مرضه ٢٦٨
- ذكر الملك العادل سيف الدين ووصوله الى حران ٢٦٩
- ذكر نوع من المكارم السلطانية ٢٧٠
- ذكرى حكاية أخرى ٢٧٠
- ذكر الصدقة فى المرض ٢٧١
- ذكر من توفى فى هذه السنة من اكابر الدولة ٢٧٢
- ذكر العزم على الرحيل من حران ٢٧٤
- ذكر وصولنا الى حمص وتقرير أسد الدين أبى الحرث شيركوه
ابن محمد بن شيركوه مكان أبيه ٢٧٧
- ذكر ما استأنفه السلطان من نقل الولايات ٢٧٨
- ذكر تسليم حلب الى الظاهر ٢٧٩
- ذكر مكرمة لتقى الدين ٢٨٢
- ذكر ظهور كذب المنجمين فى شعبان هذه السنة ٢٨٣
- ذكر الحوادث فى هذه السنة ٢٨٣
- ذكر جمال الدين محاسن بن محمد المعروف بابن العجمى ووصوله
الى الخدمة السلطانية ٢٨٤

صفحة	
٢٨٦	— ذكر ما أنعم به في شهر رمضان من هذه السنة
٢٨٨	— ذكر ما تجدد من الخلف بين الفرنج
٢٨٩	— ذكر غدر أبرنس الكرك
٢٩١	— ودخلت سنة ثلاث وثمانين
٢٩١	— ذكر مقدمة لذلك مباركة
٢٩٢	— ذكر سبب ذلك
٢٩٥	— ذكر يوم حطين وهو السبت الخامس والعشرين من شهر ربيع الآخر
٢٩٩	— ذكر السبب في نذر السلطان دم أبرنس الكرك
٣٠٤	— ذكر فتح تينين وصيدا وبيروت وجبيل
٣٠٦	— ذكر ما تجدد في صور من خروج القومص منها ووصول المركيز اليها
	— ذكر فتح عسقلان والنزول عليها والاجتماع بالملك العادل
٣٠٧	والاتفاق على فتحها
٣٠٩	— ذكر فتح بيت المقدس
٣١٣	— ذكر وصولي الى خدمة السلطان
٣١٣	— ذكر جلوس السلطان يوم الفتح للهنا بالمخيم على ظاهر القدس
	وخطبة الجمعة
٣١٦	— ذكر ما شرع فيه الفرنج من أداء التطيعة
	— ذكر الرحيل عن القدس على عدم حصار صور وهو يوم الجمعة
	الخامس والعشرين من شعبان
٣١٧	— ذكر الرحيل عن صور وبيان السبب فيه وذلك في آخر ثوال
٣١٧	— ذكر دخول السلطان الى عكا
٣٢٤	— ذكر حسن خلق السلطان
٣٢٤	— ذكر المرسل الواردين في هذا التاريخ
٣٢٥	— ذكر نبذة من أحواله
٣٢٩	— ذكر السبب في ذلك
٣٣٤	— استفدته من محاضرة السلطان صلاح الدين

فهرس الأعلام

(١)

ابن جبيش القاضى أمين الدين ٢٣٠
 ابن حمدون ١١١
 ابن حنبل ١٣٩ ، ١٥٠
 ابن حيوس ١٥
 ابن الخشاب مقدم الشيعة ٧٤
 ابن الخلال ٥٨ ، ١٤٧
 ابن الخياط ٣٩
 ابن سـمـاـقـة (الوزير) ٢٢١ ،
 ٢٤٠ ، ٢٦٢ ، ٢٦٤ ، ٢٧٣
 ابن الصورى (الطبيب) ٢٥٢
 ابن عبد القوى الداعى ٢٩
 ابن عبد المؤمن ٧٦ ، ٧٧
 ابن عبيد الفقيه ٦٣
 ابن عصفور شرف الدين ٥٢ ،
 ٥٤ ، ٦٠ ، ١٠٨ ، ١٠٤ ، ١٥١
 ابن عصفور شهاب الدين ٦٢ ،
 ١١٢
 آل عتيل ٣٨
 ابن غفراس اختيار الدين ١٧٦
 ابن قرجلة ٣٩
 ابن القومصية (هو) ١٦٦ ، ١٧٥
 ابن كوخات الامير ٤٠
 ابن لاون مليح ٧١ ، ١٧٧
 ابن المقدم (شمس الدين) ٣١ ،
 ٨١ ، ١٤٨ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ،
 ١٦٧ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٣٢٩ ،
 ٣٣٠
 ابن المطران ٢٥٢
 ابن منقذ ٨٥ ، ١١١٠ ، ١٥٧

أبو الرداد عبد الله ١٥٨
 أبو الفرج بن يوسف بن هبة الله
 ابن يسام الجبيلي ٢٦٤
 أبو الفتح سعادة الضرير ١٧١
 أبو القاسم شيخ الشيوخ ١٧٤ ،
 ١٨٠ ، ١٨١ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ،
 ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ،
 ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٨٤
 أبو جعفر صاحب الخزن ٥٣
 أبو حامد الغزالي ١٨٣
 أبو صالح بن العجمي ٢٣ ، ٣١ ،
 ٣٣ ، ٣٦ ، ٦٩ ، ٧٤ ، ٨٦ ،
 ١٣٤ ، ١٣٥
 أبو طاهر بن عوف ١٨٨
 أبو طاهر أحمد بن محمد بن السلفى
 الاصفهاني ١٢٠
 أبو العباس السفاح ١٤٧
 أبو على الحسين بن رواجه ١٨٩
 أبو مسلم ١٨٧
 أبو الهيجاء السمين ٢٤ ، ٧٧ ،
 ٨٨ ، ٢٠٣ ، ٢٠٩
 أبو يعلى موفق الدين حسن العنزى
 ١٨٩
 ابن البلدى شرف الدين ٥٠ ، ٥٣
 ابن بارزان (باليان) ١٦٥ ، ١٦٦ ،
 ١٧٥ ، ٢٩٦ ، ٣٠٩ ، ٣١٠
 ابن جوسلين ١٩
 ابن حسان ٢٣ ، ٤٠

- ابن النحال (كاتب الملك المادل)
٢٧٥
ابن الفتاش ١٥٤
ابن نبيسان على الرئيس ٢١٤ .
٢٢١ ، ٢١٩ ، ٢١٨ ، ٢١٥
ابن هبيرة ٢٢ ، ٥٠ ، ١٤٦
ابرنس الكرك (أرناط) ٩٤ ، ١٩
٢٨٩ ، ٢١٢ ، ١٨٨ ، ١٨٥
٢٩٢ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ٢٩٩
٣١٢
الابرنساسة صاحبة الكرك ٣١٢
أحمد بن تقى الدين عمر ١٣٠
الاخسيكى الشاعر ٣٢٧
أقطان بن ياروق ١٥٦
آل صمة ١٤٧
- (ب)
- بدر الدين ابراهيم الهكارى ٢٧٧
بدر الدين حسن ٢٣٧
بدر الدين دلدردم الياروقى ١٦٧ ،
٢٢٧ ، ٢٩٢ ، ٣٢٣
بدر الدين عسكر (شيخ الحنفية)
٢٨٨
بدران الفارسى ٣١٩
برهان الدين مسعود ٢٨٧
البطرك الاعظم ٣٠٩ ، ٣١٦
البندارى (الفتح بن على) ١ ، ٤ ،
٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٢ ، ١٣٣ ،
١٣٨ ، ١٤١ ، ٢٥١ ، ٢٧٣ ،
٢٨٣ ، ٢٩٠ ، ٣٠٧ ، ٣٣٥
بنو أمية ١٥١
بنو خفاجة ٥٠
- بنو قفجان ٢٦٧
بنو كلب ٢٨
بنو المسيب ٢٨
بنو منقذ ١١٠
بنو هاشم ١٥١
بنو يعقوب ٢٠٩
بهاء الدين قراقوش ٥٨ ، ٥٩ ،
١١٦ ، ١١٩ ، ١٥١ ، ١٨٩ ،
١٩٠ ، ٩١ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥
٢٨٣
- (ت)
- تاج الدين أبو بكر بن حامد ٥٤ ،
٣٢٤ ، ٣٣٢ ، ٣٣٣
تاج الدين أبو اليمن الكندى ٢١١ ،
٢١٢
تاج الدين بورى ١٩٥ ، ٢٠٤ ،
٢١٧ ، ٢٠٥
تاج الدين تتش ٢٣١
تقى الدين عمر ٥٨ ، ٨٦ ، ٩٣ ،
١١٤ ، ١٣٠ ، ١٣٤ ، ١٦٣ ،
١٦٧ ، ١٨٥ ، ٢٠١ ، ٢٠٤ ،
٢٠٧ ، ٢٢٣ ، ٢٣٠ ،
٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٤١ ، ٢٤٥ ،
٢٦٩ ، ٢٧٦ ، ٢٨٠ ، ٢٨١ ،
٢٨٢ ، ٢٩٦ ، ٣٠١ ، ٣٠٤ ،
٣١٨ ، ٣٢٢
تورانشاه (الملك المعظم) ٢٤ ،
٢٥ ، ٣٠ ، ٤٤ ، ٦٧ ، ٩٧ ،
١٠٦ ، ١٢٢ ، ١٣٤ ، ١٤٩ ،
١٥١ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٧٨ ،
١٧٩

(ج)

جاولى الاسدى ١٠٠ ، ١٦٩ ،
٢٧٣ ، ٣٢٢
جفرى ٢٩٦
جمال الدين ابو الفتح اسماعيل
٣٢٨
جمال الدين بن ابي النجيب ٣٢٤
جمال الدين خوشترين ٢٠٣
جمال الدين شروين بن حسن
الرزازى ٣١٠
جمال الدين عيسى ٢١٥

جمال الدين محاسن بن العجمى
٢٨٥ ، ٢٨٤

جلدك ٩٧

جوسلين ٩٤

جى دى لوزنيان (الملك) ٢٩٦ ،
٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨ ،
٣٠٩

(ح)

حسام الدين بن ابراهيم الحسين
المهرانى ٣٠٨

حسام الدين تيمرك ٩٢

حسام الدين طمان ٢٢٥ ، ٢٤٥

حسام الدين عمر بن لاجين ٢٩٢ ،
٣٠٣ ، ٣٠٢

حسام الدين لؤلؤ (الحاجب) ٢١٢ ،
٢١٣ ، ٣٠٩

حسان الكلبى ٣٣٤

الحشيشية ٨٣ ، ٨٤ ، ١٠٠

حطان ١٨٩ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ٢٠٧

(خ)

الخاتون العصمية ابنة معين الدين اتر
١١٣ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ،
٢٧٥

الخاتون زوجة قطب الدين ابنة
قرا ارسلان ٢٦٢ ، ٢٦٣ ،
٢٦٤

خالد القيسرانى (الموفق) ٦١ ،
٦٨ ، ٦٩ ، ٧٦

خمارتكين (محمد بن) ٢٢٣

(د)

داود (ابو) ١٥٠

داود القاضى ١١٣

داود بن منكلا ١٠٠

دريد الشاعر ١٤٧

دوا صاحب حبل ٢٩٦

الداوية ١٣١ ، ١٦٨ ، ٢٨٨ ،

٢٩٢ ، ٢٩٦ ، ٢٩٨ ، ٣٠٠ ،

٣٠٢ ، ٣٠٩ ، ٣١٤

دولتشاه صاحب ارزن ٢٦٠

دوك الروم ١٩

(ر)

الرشيدي ٢٤٩

ريمند المصنجلي (قومص طرابلس)

١٩ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ،

٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩٣ ، ٢٩٦ ،

٣٠٦

(ز)

زكريا عليه السلام ٣٠٣ ، ٢٤٤
 زكى بن آقسنقر ٣٨
 زين الدين بن الحكيم ٣٣٤
 زين الدين بن نجا الفقيه ٢٩ ،
 ٨٧ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٣١٥
 زين الدين على كوجك ٢٥٨ ، ٢٥٧
 زين الدين يوسف بن بكتكين ٢٣٧ ،
 ٢٤٩

(س)

سابق الدين عثمان ٧٣
 سعد الدين أبو حامد ١٢٢ ، ١٠٥
 سعد الدين بن مسعود بن انر
 ١١٣ ، ٢٠٩ ، ٢٧٢
 سعد الدين كمشكين ٣٦ ، ٣٧ ،
 ٥٢ ، ٦٩ ، ٨٦ ، ٠٣ ، ١٠٤ ،
 ١٣٤
 سليمان الداراني ٤٦
 سليمان الديري ١٥٦
 سنقر الحلبي ٣٠٧
 سويد بن غنم المصري ١٣١
 سيف الدين أبو بكر بن السلار ١٠٦
 سيف الدين بكتمر ٢١٦ ، ٢٦١
 سيف الدين جاولي ٣٢٢
 سيف الدين على بن أحمد المشطوب
 ١٦٣ ، ١٦٧ ، ٢٥٨ ، ٣١٧
 سيف الاسلام طفتكين ٨٣ ، ٨٤ ،
 ١٣٧ ، ١٩١ ، ٢٨٤
 سيف الدين غازي ٣٦ ، ٥١ ،
 ٧٥ ، ٨٦ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٧ ،
 ١٨٣
 سيف الدين يازكوج ١٠٠ ، ٢٢٨

(ش)

شاور ١٩ ، ٢٠ ، ٢٤ ، ٣٩ ،
 ٤٠ ، ٤٥
 شاه أرمن ٤٦ ، ٢١٦ ، ٢٥١ ،
 ٢٦٤ ، ٢٦١ ، ٢٥٩
 شمس الدين بن الفرائش (قاضي
 العسكر) ٣١ ، ١٢٨ ،
 ١٨٩ ، ٢٥٤ ، ٢٦٢ ، ٢٦٧
 شمس الدين بن أبي المضاء ١٠٤ ،
 ١١٠
 شمس الدين جاولي ٨١
 شمس الدين على ٣٧ ، ٧٤
 شمس الدين على بن بكريسان ٣٢٤
 شمس الدين أيلدكز ٣٢٥ ، ٣٢٨
 شهاب الدين بن تكش ٨٦ ، ١٠٠ ،
 ١٠٦ ، ١٣٧
 شهاب الدين بشير ٧٣ ، ١٨١ ،
 ٢٠٩ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٤٤
 شهاب الدين محمود بن الياس
 الارتقي ٢٤ ، ٤٥ ، ٥٦ ،
 ٥٧ ، ٨٩ ، ٢٠٢
 شهاب الدين مالك ٣٧ ، ٣٨
 شيركوه (أسد الدين) ١٧ ،
 ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢٢ ، ٢٤ ،
 ٣٩ ، ٤٠ ، ٤٢ ، ٦٤ ، ٢٧٧

(ص)

صارم الدين خطلج ٢٠٠
 صارم الدين قايماز ٢٩ ، ٢٩٨ ،
 ٣٢٣
 الصفي القباض ١٤٦ ، ١٧٣ ،
 ٢٩٨ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦

٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥
 ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٣٠ ، ٢٣١
 ٢٣٣ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧
 ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٢
 ٢٤٣ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧
 ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣
 ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧
 ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦١
 ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥
 ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٢٧٠
 ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥
 ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩
 ٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤
 ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، ٢٨٨
 ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٢
 ٢٩٣ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ٢٩٧
 ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣٠١
 ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥
 ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، ٣١٠
 ٣١٢ ، ٣١٣ ، ٣١٤ ، ٣١٥
 ٣١٦ ، ٣١٧ ، ٣١٨ ، ٣٢٠
 ٣٢١ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣ ، ٣٢٤
 ٣٢٥ ، ٣٢٩ ، ٣٣٠ ، ٣٣١
 ٣٣٢ ، ٣٣٤

الصفدى ٨ ، ٥ ، ٤

صمصام الدين أجك ١٦٤

صمصام الدين بهرام الارتقى ٢٠٩

(ض)

ضياء الدين أبو بكر البغدادي ١٢

١٢٣

ضياء الدين الحاجب ٦٤

الملك الصالح اسماعيل ٣٠ ، ٣١
 ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٨١ ، ٨٢
 ٨٦ ، ٩٥ ، ١٠٤ ، ١٠٥
 ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٦٢ ، ١٦٧
 ١٨٥

صلاح الدين الملك الناصر يوسف بن

أيوب ١ ، ٢ ، ٣ ، ١٣
 ١٦ ، ١٨ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢
 ٢٣ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٣
 ٣٥ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣
 ٤٤ ، ٤٨ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩
 ٦٠ ، ٦١ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٧
 ٦٨ ، ٧٤ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٨١
 ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٦
 ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٢
 ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٩ ، ١٠٠
 ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٥
 ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١١٠ ، ١١١
 ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١١٩
 ١٢٤ ، ١٢٧ ، ١٢٩ ، ١٣٢
 ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٣٧ ، ١٤٠
 ١٤١ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٥
 ١٤٦ ، ١٤٩ ، ١٥٣ ، ١٥٥
 ٥٦ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٥٩
 ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٥
 ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧١
 ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٧٧
 ١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨١
 ١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٨٥
 ١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ١٩٢
 ١٩٣ ، ١٩٥ ، ١٩٧ ، ١٩٩
 ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥
 ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٠٩ ، ٢١٠
 ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢١٩

عبد السلام المغربي ٣١٩
عبد العزيز بن شداد بن تميم بن
باديس ٢٩٩
عبد اللطيف بن الشيخ ابي النجيب
٣٠٠

عبد النبي الخارجي ٢٢٥
عثمان شمس الدين ايلدكز ٣٢٥
عدنان النجاشي ١٤٦
عثمان الزنجيلي ١٩٢
عز الدين آقشوري ٩٢ ، ١٤٣ ،
١٤٧ ، ١٤٤
عز الدين جاولي ٣٢٢
عز الدين جرديك ٤٠ ، ٣٢٣
عز الدين الطالبلي ٣٢٨

عز الدين فرخشااه ٨٦ ، ٩٢ ،
٩٦ ، ١٢٦ ، ١٤٩ ، ١٦٠ ،
١٦١ ، ١٦٤ ، ١٦٧ ، ١٦٩ ،
١٧٣ ، ١٧٦ ، ١٨١ ، ١٨٤ ،
١٨٥ ، ١٨٨ ، ١٩٢ ، ١٩٥ ،
١٩٦ ، ١٩٧ ، ١٩٩ ، ٢٠٢ ،
٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٣ ، ٢١٤

عز الدين محمد بن الوزير ابن هبيرة
٥٣

عز الدين مسعود ١٠٤ ، ١٨٣ ،
١٨٥ ، ٢٠٤ ، ٢١٦

عز الدين موسك ٨٠
الملك العادل سيف الدين ابو بكر

٨٠ ، ١١٥ ، ١٤١ ، ١٦٢ ،
١٨٢ ، ١٩١ ، ١٩٣ ، ٢٢٩ ،
٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٤١ ،
٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ ،
٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨١ ،
٣٠١ ، ٣٠٧ ، ٣١٢ ، ٣١٧ ،
٣١٨ ، ٣٢٢ ، ٣٢٤

ضياء الدين القاسم الشاهرزوي
١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٢ ، ١١٧ ،
١١٨ ، ١٤٦ ، ١٤٨ ، ١٦٠ ،
١٧٤ ، ١٨١ ، ٢٥٧

ضياء الدين مسعود بن القفجاني
٧١

الضياء الرحبي ١٢٢
الضياء الطبري ١٥٦
ضياء الدين عيسى الهكاري ٤٠ ،
١٣١ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٥٥ ،
٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٧٠ ، ٣٠٠ ،
٣٠١ ، ٣١٥ ، ٣١٦

(ط)

طاشكين ٣٣٠
طغرل الجاتدار ١٧ ، ١٥٨

(ظ)

الملك الظاهر ٢٣٥ ، ٢٧٤ ، ٢٧٩ ،
٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٢٨٨ ، ٣٢٢ ،
٣٢٤

ظاهر الدين سكران ٢١٦
ظاهر الدين بن منصور المطار
١١٠ ، ١٤٠ ، ١٤٥ ، ١٧٤

ظاهر الدين غازي ٣٠٧

(ع)

عبد الله بن جعفر ١٥١
عبد الرحيم البيساني (القاضي
الفاضل) ٢ ، ٥٨ ، ٩٠ ،
٩٣ ، ١٢٨ ، ١٣٢ ، ١٥٦ ،
٢٣١ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٤١ ،
٢٥٢ ، ٢٩٩ ، ٣٣٠ ، ٣٣٥

عبد الصمد ٢٩

المويرس ٢٩

(غ)

غريس الدين قلسج ٤٠

الفريض ٣٠

غياث الدين غازى ٢٧٩

(ف)

فخر الدين بن الدهان ١٨٣ ، ٢٥٩

فخر الدين قرا أرسلان ٢١٤

فخر الدين عبد المسيح ٤٨ ، ٥٢

فخر الدين مسعود الزعفرانى ٣٨٨

٦٩ ، ٨٣ ، ٨٩ ، ٢٠٢

فضل الفيضى ١٣١

فيليب بن الرقيق ٤٧

(ق)

قزل أرسلان ٢٨٣ ، ٣٢٥

قطب الدين النيسابورى ٢٧ ، ٤

٧٠ ، ٧١

قطب الدين ايلغازى بن تمرثاش

٢١٦ ، ٢٢٢ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٦٢

قطب الدين سكمان ٢٦٢ ، ٢٦٤

قطب الدين قايمار ٩١

قطب الدين مودود بن زنكى ٤٨

قطب الدين نيال ٩٩ ، ٢٠٢

قلسج أرسلان ٧٠ ، ١٦٧ ، ١٧٦ ، ٢٥١

القومصية ست طبرية ١٦٦ ، ٢٨٨

٢٩٤ ، ٢٩٨

على أبو الفوارس ١٠٠

الملك العزيز عثمان ١٢٠ ، ١٤٣ ، ١٧٢

٢٦٨ ، ٢٤٢ ، ١٧٣ ، ٢٧٧

٣٠٨ ، ٢٨٠ ، ٢٧٧

عماد الدين الكاتب الاصفهاني

٢٤١ ، ٣٠٤ ، ٤٠٥ ، ٦٧ ، ٨

١٤ ، ١٣ ، ١٢ ، ٩ ، ٨

٦٩ ، ٨٥ ، ١٣٠ ، ١٥٥ ، ١٧١

١٩٩ ، ٢٨٧ ، ٢٩٠ ، ٣٠٧

عماد الدين أبو الفتح بن حمويه ٧١

عماد الدين أبو بكر بن قرا أرسلان

٢٥٦ ، ٢٦٠

ممساد الدين زنكى ٣١ ، ٥١ ، ١٨٥

٢٢٥ ، ٢٢٣ ، ٢٠٦ ، ٢٢٦

٢٦٧ ، ٢٣٩ ، ٢٢٧ ، ٢٦٧

عماد الدين صفدل ٦٠

عمسار الدين بن كمال الدين

الشهرزورى ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٤٨

١٤٨

عميد الدين أبو طالب ٣٠٢

العاقد ١٩ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٥ ، ٤٦

٦٤ ، ٥٩ ، ٥٨ ، ١٥٦

عضد الدين أبو الفوارس بن اسامة

ابن منقذ ١١١ ، ١٥٦

عضد الدين بن هبة الله بن المظفر

٩١ ، ١٤٥ ، ١٤٦

علاء الدين الكاساني ٢٢٨

علم الدين الشاتاني ١٢٦

علم الدين النوقاني ٥٢

علم الدين الزكندار ٥٥

عمارة اليمنى ٢٤ ، ٢٩

عمر الملاء ٥٢

عون الدين بن هيرة ١٧

(ك)

محمد بن يحيى ٥٢
محمود بن محمد بن ملكشاه ١٧
المركيس ٣٠٦ ، ٣٢٠
المستضيء بالله ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ ،
٦٠ ، ١٧٣
المستجد ٥٣ ، ٩١ ، ٩٢
محيى الدين أبو المصالي ١١٣ ،
٢٢٦ ، ٢٢٨ ، ٣١٤
المظفر المعري الاثري ٩٦
مظفر الدين كوكبوري ٩٥ ، ٢٠١ ،
٢١٤ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٨ ،
٢٧٣ ، ٢٩٢ ، ٣١٢
الملك العظيم عيسى ١١ ، ١٣ ،
٢٧٣
مقدم الداوية ٩٨ ، ٣٠٥ ، ٣٠٧
مقدم الاسبقار الاور الكبير ٥٦
الملكة الرومية ٣١٢
معاوية ١٥١
معبد ٣٠
معز الدين سنجر شاه ٢٣٧ ، ٢٥٦
الملك الجنوم ٨٤ ، ١٦٥ ، ٢٨٨
الملكة زوجة الملك كي ٣١٢
معين الدين أنر ٢٠٩
معين الدين عبد الرحيم ١٨٦
المسعود النبدهي ١٨٤
مؤمن الخلافة ٥٨
مؤيد الدولة ٨٥
المهذب أبو الحسن ٢٥
المهذب بن أسعد الموصل ١٧٧ ،
٢٧٤

(ن)

ناصر الدين اسماعيل ٢٢٨
الناصر أبو داود سليمان ٢٧٣

الكامل بن شاور ٢٤
كلمان ٢٥
كمال الدين أبو الفضل ١٤٥
كمال الدين بن الوزير محمد بن علي
ابن منصور ٧٥
كمال الدين الشافعي (قاضي أرز
الروم) ٣٢٥
كمال الدين الشهرزوري ٢ ، ١٨ ،
٢٢ ، ٢٨ ، ٣١ ، ٧٢ ، ١٠٧ ،
٣٣٤
الكند ١٣٥
الكنز ٨٠

(م)

ماجد غلام هنثري ٩٠ ، ٢٣٢
المبارك بن منقذ ٢٥ ، ١٨٩
مجاهد الدين تايماز ٥٢ ، ٧٠ ،
١٢٤ ، ١٦٨ ، ٢٠٤ ، ٢١٧ ،
٢٨٤ ، ٢٨٥
مجاهد الدين اياز ٢٦٧
مجد الدين أبو بكر ٣٧ ، ٣٨ ،
٨٢ ، ٨٨
مجد الدين أبو الفضل (استاذ
الدار العزيزة) ١٨٦ ، ٣٠٢
مجد الدين بن رشيق ٢٦١
مجد الدين بن الزكي ١١٣
مجد الدين اليزدي ٥١
مجد العرب العامري ١١١
محيى الدين الشهرزوري ٧٤ ، ٧٥ ،
٢٣١ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٣٨ ،
٨٨
محمد بن خوشترين ١٦٦

ناصر الدين شيركوه ٨٦ ، ٤٩ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ١٠٠ ، ١٠٣ ، ١٦٣ ، ١٧٦ ، ١٦٩ ، ٢٦١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٤
 ناصر الدين منكورس ١٥٥
 ناصح الدين خمارتكين ١٥٥ ، ٨٣
 ينصر الدين بن المظفر ٢٠٩
 نصرة الدين بن زنكى ١٠٤
 نجم الدين أيوب ٤٦ ، ١٨ ، ١٦ ، ١٢١ ، ٦٨
 نجم الدين بن الجاور ١٧٢
 نجم الدين بن أبى عمرو ٢٦٣
 نجم الدين بن مصال ١٥٤ ، ٩٠ ، ١٥٥

(و)

ولى الدين اسماعيل ٤٠ ، ٣١ ، ٧٤ ، ٦٣ ، ٣٣٤
 وحيش الشاعر ٣٣٤

(هـ)

الهراس (الكيا) ٥٣
 هماد الدين مودود ٣١
 هنفرى ٢٩٦ ، ١٦٠ ، ٤٧
 هنفرى (ابن) ٣١٢ ، ٢٣٢

(ي)

يوزية (زين الدين) ٢٨١
 يوسف عيله السلام ٢٨٦
 يوسف النجيفي ٢٦٢

ناصر الدين شيركوه ٨٦ ، ٤٩ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ١٠٠ ، ١٠٣ ، ١٦٣ ، ١٧٦ ، ١٦٩ ، ٢٦١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٤
 ناصر الدين منكورس ١٥٥
 ناصح الدين خمارتكين ١٥٥ ، ٨٣
 ينصر الدين بن المظفر ٢٠٩
 نصرة الدين بن زنكى ١٠٤
 نجم الدين أيوب ٤٦ ، ١٨ ، ١٦ ، ١٢١ ، ٦٨
 نجم الدين بن الجاور ١٧٢
 نجم الدين بن أبى عمرو ٢٦٣
 نجم الدين بن مصال ١٥٤ ، ٩٠ ، ١٥٥
 نجم الدين بن نبهان ١٧٢
 نجم الدين الخبوشانى ١٢٠
 نجم الدين نجاح ٩٢
 نجم الدين الشهرزورى ٥١
 نظام الدين البقشى ٥١
 الناصر لدين الله (الامام) ١٧٣ ، ٥٤
 نور الدين (الملك المعادل محمود بن زنكى) ٢٠ ، ١٩ ، ١٤ ، ٢ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٦ ، ٨٢

فهرس الأماكن

البيرة ٥٦ ، ٢٠٢ ، ٢٥٣

أم الدنانير ١٩٩

أم حكيم ٢٨١

الانبار ٥٠

الاهرام ١١٨

ايله ١٣٧ ، ١٨٢ ، ١٩٥

(ب)

الباب ٣٨

بارين (بهرين) ٤٨ ، ٨٩

البارعية ٢١٨

باريخان ٢٠٧

باتباس ١٩ ، ٣٣ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ،

١٧٣ ، ٣٠٤

باوشسنايا ٢٨٥

البركة ٨١ ، ١٣٧

بدليس ٢٦٠ ، ٢٦١

بزاعة ٣٨ ، ٩٧ ، ٩٨

البصرة ١٨

بصرى ٨١ ، ٩٥ ، ١٨٢ ، ١٩٥ ،

٢٣٦ ، ٢٩١

بعلبك ٦٨ ، ٨٤ ، ٨٦ ، ٨٩ ،

١٠٦ ، ١٤٩ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ،

١٥٨ ، ١٦٢ ، ١٧٣ ، ٢٠١ ،

٢٣١ ، ٢٥٢

بغداد ١٧ ، ٣٦ ، ٥٠ ، ٥٥ ،

٧٢ ، ٩١ ، ٩٢ ، ١٤٧ ، ١٧٤ ،

١٨١ ، ٢٠٦ ، ٢٣٧

البقاع ٦٨ ، ٨٩ ، ١٠٦ ، ١٦٤ ،

٢٤٠

(١)

آمد ٢٠٢ ، ١٤ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ،

٢٢٠ ، ٢٢٢ ، ٢٣٦ ، ٢٥١ ،

٢٦١ ، ٢٦٤ ، ٦٥ ، ٢٧١ ،

٢٨٤ ، ٢٩٢

ابريم ٦٨

ادوم ٣٨

اذريجان ٣٢٦

أربيل ٥٢ ، ٧١ ، ٣٧ ، ٢٤٩ ،

٢٥٨ ، ٢٥٧

الأردن ١٩٥ ، ١٩٦ ، ٢٣١ ،

أرز الروم ٣٢٥

أرزن ٢٦٠

الاسكندرية ٢٠ ، ٢١ ، ٥٧ ، ٧٧ ،

٧٨ ، ٩٠ ، ١٢٠ ، ١٢١ ،

١٧٨ ، ١٨٨

الاسماعيليات ٢٥٦ ، ٢٥٧

أسوان ٦٨ ، ٧٧ ، ٨٠

اصفهان ١٢٠ ، ١٧٤ ، ٢٨٣ ،

٣٢٦

أفريقية ٢٠٨ ، ٢٨١ ، ٢٩٩

أطنج ٢٠

الاقحوانة ٢٩٣

القاهرة ٢٠ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٥٧ ،

٦٢ ، ٦٨ ، ١١٥ ، ١١٧ ،

١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢٧ ، ١٣٢ ،

١٣٧ ، ١٥٠ ، ١٦٢ ، ١٨١ ،

١٨٤ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ،

٢١٣

(ج)

جبل ٢٩٦ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣٢٠
الجديدة ٢١٦
جدة ١٥٤ ، ١٨١
جزيرة الذهب ١٠٨
الجزيرة ١١٥ ، ١٥٨ ، ٢٣٠ ، ٢٣٢ ، ٢٦٦ ، ٢٥٦ ، ٢٣٧
٣٢٩
جلق ٣٨ ، ٨٨ ، ٢٧٧
جليجور ٢٦٣ ، ٢٦٤
جنين ٢٤٤
الجيزة ٢٠ ، ١١٥ ، ١١٨
جى ١٢٠

(ح)

حارم ٢٥ ، ٣٧ ، ٨٣ ، ١٠٣ ، ١٣٤ ، ١٣٧ ، ١٣٥ ، ٢٢٦
جبس جلدك ١٩٦
الحجاز ١٥٤ ، ٢١٢ ، ٢٨٩
حران ٢٣٨ ، ٥٢ ، ٧٥ ، ٢٠١ ، ٢١٤ ، ٢١٠ ، ٢٠٩ ، ٢٠٢ ، ٢١٦ ، ٢٥٤ ، ٢٥٦ ، ٢٥٨ ، ٢٦٨ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٩٢ ، ٢٩٩
حرزم ٢١٦
الحديثة ٢٣٧
حصن الاكراد ٥٦
حصن زياد ٢٥١
حصن كيفا ١١١ ، ١٧٤ ، ٢٠٢ ، ٢٠٧ ، ٢٥١ ، ٢٦٠ ، ٢٧٥
حصن الماتوية ١٧٧

بلخ ١٢١

بلبيس ١٩ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٨١ ، ١٢٨
بلد ٥١ ، ٩٤ ، ٢٥٧
البلقاء ٢٣٣ ، ٢٨٠
البوازيح ٢٦٧
بوقبيس ٨٣ ، ٩٤ ، ١٥٥
بهنسى ٧٠ ، ٧١
بيسان ١٩٧ ، ٢٠١ ، ٢٣١
بيت جبريل ٣٠٨
بيت الاحزان ١٢٢ ، ١٥٨ ، ١٥٩
١٦٠ ، ١٦٨ ، ١٧٠
بيت لحم ٣٠٨
بيروت ٢٠١ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣١٧ ، ٣٠٧
البيضاء ٤٣

(ت)

تبريز ٢٥٠
تبين ٣٠٤
تدمر ٢٧٧
تل باثر ٣٧ ، ١٧٦ ، ٢٢٧
تل توبة ٥١ ، ٥٣
تل خالد ٢٢٣ ، ٢٢٧
تل السلطان ٩٧ ، ٢٥٣
تل الصافية ١٣٠
تكريت ١٦ ، ١٧ ، ٢٣٧ ، ٢٥٨
تهامة ١٨٠
قياء ١٧٩ ، ١٨٧ ، ١٨٨

(ث)

ثبير ١٦٠

خراسان ۳۲۶
خرقبرت ۲۵۱
الخرقانية ۴۳
خسیرشیزر ۱۶۲
خلاط ۴۶ ، ۲۱۶ ، ۲۵۱ ، ۲۵۹ ،
۲۶ ، ۲۶۱ ، ۲۶۵ ، ۲۸۳

(۱)

دارا ۲۰۹
الداروم ۳۰۸، ۲۲۹، ۵۷
داريا ۴۶
جبوريه ۳۰۲، ۱۹۶
درعا ۱۹۹
ددرعين ۳۰۲
الدشت ۲۵۰

[illegible]

حطين ٢٩٧ ، ٢٩٦ ، ٢٩٥
حماه ٨٧ ، ٨٦ ، ٤٨ ، ٢٢
١٣٤ ، ١٠٧ ، ٩٣ ، ٨٩ ، ٨٨
١٧٨ ، ١٧٧ ، ١٦٣ ، ١٥٥ ، ١٣٧
٢٣ ، ٢١٦ ، ٢٠٩ ، ٢٠١
٢٧٦ ، ٢٥٣ ، ٢٥٢ ، ٢٣١
٣٠٧

طب
٢٨ ٢٧ ٢٤ ٢٣ ٢٢
٧٣ ٧١ ٧٠ ٥٤ ٥٢ ٤٨
٨٦ ٨٥ ٨٣ ٧٥ ٧٤
١.٣ ١.٢ ٩٩ ٩٨ ٩٦
١٧٧ ١.٩ ١.٥ ١.٤
٢.١ ٢.٠ ١٨٦ ١٨٥
٢٢٢ ٢١٧ ٢١٦ ٢.٦
٢٣. ٢٢٨ ٢٢٥ ٢٢٣
٢٥٥ ٢٥٣ ٢٣٥ ٢٣٣
٢٨٤ ٢٨. ٢٧٩ ٢٧٦
٣٢٢ ٣١٤ ٢٩٢ ٢٨٥

لحظة المزيدة ٩٢

٦٤٨ ٦٣٩ ٦٢٤ ٦٢٢ مص
٦٨٦ ٦٨٤ ٦٨٣ ٦٨٢ ٥٦
٦١٦٨ ٦١٦٣ ٦١٥٤ ٦٨٩
٦٢٥٢ ٦٢٣١ ٦١٧٨ ٦١٧٧
٢٧٧ ٦٢٧٦ ٦٢٧٢

حلوان (فارسی) ۳۲۶

حوران ٤٠٧٦ ، ١١٤٦ ، ١٤٩٦
١٩٩٦ ، ٢٣١

۴.۲ حیض

(خ)

الخاڀور ۷۵ ۶ ۵۲ ۶ ۸۴ ۶ ۲۰۱ ۶
۲۸۴ ۶ ۲۰۳
۱۲. ڇيوشان

سنجار ٢٠٧ ، ١٨٥ ، ٥٢ ، ٥١
 ٢٣٩ ، ٢١٦ ، ٢٠٩ ، ٢٠٨
 ٢٨٤ ، ٢٦٦ ، ٢٤٥ ، ٢٤١
 ٣٢٢ ، ٢٩١
 السويداء ٢١٥

(ش)

الشام ٣٥ ، ٢٦ ، ١٩ ، ١٦
 ٣٦ ، ٤١ ، ٤٧ ، ٥٥ ، ٥٦
 ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٧ ، ٧١ ، ٧٨
 ٨٩ ، ٩٢ ، ٩٨ ، ١١٠ ، ١١٥
 ١١٨ ، ٣٤ ، ١٣٧ ، ١٦٢
 ٦٦ ، ١٦٨ ، ١٧٨ ، ١٨٤
 ١٨٥ ، ١٨٧ ، ١٩١ ، ١٩٥
 ١٩٦ ، ٢٠٠ ، ٢١٨ ، ٢٣٥
 ٢٤٣ ، ٢٤٧ ، ٢٥١ ، ٢٦٩
 ٢٩١ ، ٣٠٤ ، ٣٢٩ ، ٣٣٠
 ٣٣٣٥
 ٢٣٣ اشراوة
 ١٦٣ الشعراء
 ٣٠٢ الشثيف
 ٦٧ الشلالة
 ٦٥ ، ٦٢ الشوبك
 ٢٦٧ شهرزور
 ٢٣٧ ، ١١٠ ، ١٦٣ شيزر
 ٥٠ شيلا

(ص)

٣٢٢ ، ١٣٩ صدر
 ٨١ صرخد
 ٣٠٤ صرفند
 ٣٢٢ ، ١٧٣ ، ١٦٨ صنفد
 ٢٢٣

الدولعية ٢٥٦
 ديار بكر ١٦٣ ، ١٢٦ ، ١٠٥
 ٢٦١ ، ٢٦٠ ، ٢٥٦ ، ٢٥٠
 ٣٢٩ ، ٣٢٢ ، ٢٩٢ ، ٢٩١

(ر)

رأس الماء ٢١٧ ، ٢١٦
 رأس عين ١٩٩ ، ٤٧ ، ٤٠ ، ٢٤١
 الراوندان ١٨٦
 الرحبة ١٧٧ ، ٨٦ ، ٤٩
 الرستاق ٢٦٧
 رعبان ١٧٦ ، ١٦٨ ، ١٦٧
 الرقة ٢٠١ ، ٨٤ ، ٧٥ ، ٤٩
 الرملة ١٣٢ ، ١٣٠ ، ١٢٧ ، ٥٧
 ٣٠٨ ، ٢٣٣ ، ١٤٠ ، ١٣٧
 الرواديف ١٧٣
 الرها ٣١٢ ، ٢٧٣ ، ٢١٣ ، ٨٩
 الري ٣٢٥

(ز)

زبيد ٢٠٧ ، ١٩١ ، ١٨٩ ، ٢٥
 زرا (زرع) ٦٦
 زردنا ٢٤
 زليبا ٢٧٧

(س)

سبسطية ٣٠٣
 سروج ٧٥ ، ٣٨
 سلمية ٢٧٧ ، ٨٩
 سمكين ٦٦

عسقلان ٣٩ ، ٥٧ ، ١٢٧ ،

١٢٩ ، ١٣٣ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨ ،

٣٠٩

العسيلة ٢٢٨ ، ٢٢٩

عشتر ٤٧ ، ٥٦ ، ٦٧ ، ٢٩٢ ،

٢٩٩

عزربلا ٣٢٢ ، ٣٢٣

العقبة ١٣٧ ، ١٩٥

عقبة شتار ١٩٥

العقر ٢٥٨

عقرقوب ٥٠

عكا ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣٠١ ، ٣٠٢ ،

٣١٧ ، ٣٢٣ ، ٣٢٤ ، ٣٢٨

العق ٢٠٢

عين تاب ٣٧ ، ٢٢٣ ، ٢٢٧

عين جالوت ٢٣١

عين الجبر ٦٨ ، ١٠٦

عيزاب ١٨٠ ، ٢١٣

(غ)

غزة ٥٧ ، ١٢٧ ، ٣٠٨

الغسولة ٩٨

(ف)

الفاقوس ٧٨ ، ١٢٤ ، ١٢٥

الفسطاط ١٢٠

الفتيع ٤٠ ، ٢٤٦

فلسطين ٢٣١ ، ٣٠٣

الفوار ٤٠ ، ٦٦ ، ١٩٧ ، ١٩٩

الفولة ٣٠٢

(ق)

قرا حسا ٨٧ ، ٨٨ ، ١٧٥

صفين ٢٩٣ ، ٢٩٤

صفورية ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ٣٠٢

صفلية ٧٦ ، ١٦٢

الصنمين ١١٤

صور ٣٠٦ ، ٣١٧ ، ٣١٨ ، ٣١٩ ،

٣٢١ ، ٣٢٣ ، ٣٢٤ ، ٣٢٥

صيدا ٢٩٦ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣١٧

(ض)

ضرا ٢١٤

(ط)

طبرية ١٩٧ ، ٢٣١ ، ٢٩٤ ،

٢٩٨ ، ٣٠١ ، ٣٠٢

طرابلس ٨٣ ، ٨٤ ، ١٠٥ ، ١٦٢ ،

٢٩٩ ، ٣٠٦

طرسونس ١٧٦

طود ٨٠

الطور ٣٠٢

الطيطوانة ٢٦١

(ع)

عدن ٢٥

العدوية ١٨٩ ، ١٩٠

عرايان ٢٠٣

العراق ٣٦ ، ٧٠ ، ١١٨ ، ٢٠٩

عرفات (عرفه) ٢١٧ ، ٣٢٩ ،

٣٣٠

العريش ١٨٢

مزاز ٣٧ ، ٩٩ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ،

٢٢٨

ماردين ٢٦٤ ، ٤٦ ، ١٢٢ ، ٢٠٢ ، ٢١٦ ،
 ٢٢٣ ، ٢٤١ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ،
 ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٥ ، ٢٧٥ ،
 ٣٢٢
 المجلد ٥٢ ، ٧١ ، ٨٤
 مجدل يافا ٣٠١
 مخاضة الحسينية ٢٣١
 مخاضة المجلد ٨٤
 المخزن ١٤٠ ، ١٤٥
 مدرسة الجاروق ٧٠
 المدينة المنورة ١٨٧ ، ١٨٨ ، ٢١٣
 مرعش ٧٠ ، ٧١
 مرج الصفر ٩٠ ، ١١٤
 مرج عدوسة ١٢٤ ، ٢٠١
 مرج عيسون ١٦٤
 مشهد الرمان ٢٠٣

مصر ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٤ ،
 ٢٩ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤٤ ،
 ٤٦ ، ٤٧ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٦٢ ،
 ٦٨ ، ٧٤ ، ٨٦ ، ٩٠ ، ٩٢ ،
 ٩٣ ، ١١١ ، ١١٤ ، ١١٥ ،
 ١١٦ ، ١١٩ ، ١٢١ ، ١٢٢ ،
 ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٣٨ ، ١٥٨ ،
 ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٧٢ ، ١٧٨ ،
 ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ،
 ١٨٦ ، ١٨٩ ، ١٩٢ ، ١٩٤ ،
 ٢٠٠ ، ٢٠٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣٢ ،
 ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ،
 ٢٦٨ ، ٢٧٦ ، ٢٧٨ ، ٢٨٠ ،
 ٢٨١ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، ٢٨٩ ،
 ٣٢٢

مصياف ١٠٥
 المعرة ٨٨ ، ١١٠ ، ١١٢
 معليا ٣٠٢
 المغرب ٢٠٨ ، ٢٨٠ ، ٢٨١

قرامان ٢٦٤
 القبيات ٢٣٤ ، ٣١٠
 القدس ١٧٤ ، ٢٢٦ ، ٢٧٠ ،
 ٢٨٠ ، ٣٠١ ، ٣٠٣ ، ٣٠٧ ،
 ٣٠٩ ، ٣١٠ ، ٣١٢ ، ٣١٣ ،
 ٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣١٦ ، ٣١٧ ،
 ٣٢٤ ، ٣٢٩
 القسطنطينية ٧٧
 قصر السلامة ٢٩١
 قلزم ٢١٢
 قلعة جسر ٣٧ ، ٣٨ ، ٤٠ ، ٤٨ ،
 قوص ٢٧٧
 القيروان ٢٩٩
 قيسارية ٣٠١ ، ٣٠٢

(ك)

الكرك ٦١ ، ٦٥ ، ١٨٨ ، ١٩٥ ،
 ٢١٢ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٥ ،
 ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٣ ، ٢٨٩ ،
 ٢٩٦ ، ٣١٢ ، ٣٣١
 كفر زمار ٢٦٦
 كفر طاب ٨٨ ، ٨٩
 الكسوة ٦٦
 كوك سو ١٧٦ ، ١٨٣ ، ٢٥١
 كوكب (حصن) ٣٢٢ ، ٣٢٣
 كيسون ٧١

(ل)

الليرة ٥٦
 لوبية ٢٩٩

(م)

مآب ٢٣٣

النطرون ٢٠٨	مكة ١٥٣ ، ١٦٠ ، ١٧٤
التوبة ٦٨	اللوحة ٢٨
نيسابور ١٢٠	الموصل ٢٨ ، ٣٦ ، ٤٨ ، ٥١
نينوى ٢٥٩ ، ٥١	٥٢ ، ٥٣ ، ٥٧ ، ٨٤ ، ٨٦
(و)	٩٨ ، ١٠٤ ، ١٢٢ ، ١٢٦
	١٤٨ ، ١٦٨ ، ١٨٢ ، ١٨٣
وادي القرى ٤٧ ، ١٨٧	١٨٦ ، ٢٠١ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤
وادي بني حصين ٢٧٧	٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢١٠ ، ٢١٦
وادي موسى ١٩٥	٢١٧ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧
واسط ١٨	٢٣٨ ، ٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤٩
الوالدة ٢٤٣	٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٥٩ ، ٢٦١
	٢٦٦ ، ٢٧٠ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥
(هـ)	٢٩١ ، ٣٢٢
	منبج ٢٣ ، ٩٧ ، ٩٩ ، ٢٣٥
الهتاخ ٢٦٣	المنبج ٢٣٦
هرون (درب) ٧٢	ميفارقين ٢٢٢ ، ٢٥٠ ، ٢٦٤
همدان ١٧٤ ، ٢٨٥	٢٧٥ ، ٢٨٣
هيت ٥٠	الميدان الاخضر ٢٣ ، ٣١ ، ٦١
	٢٢٤
(ي)	(ن)
يبني ٢٠٨	نابلس ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٤٤ ، ٣٠٢
اليمن ٢٤ ، ٢٥ ، ٩٧ ، ٩٨	٣١٢
١٢٣ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٨٠	الناصره ٣٠١
١٩١ ، ٢٨٤	نصيبين ٥٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٩
	٢١٤ ، ٢٥٦ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦
	٢٦٧ ، ٢٩١

المصادر

المصادر والمراجع

أولا : المصادر والمراجع العربية :

- ١ — أبو الفرج الاصفهاني : كتاب الاغانى ، ١٣ جزء ، القاهرة ١٩٢٧ — ١٩٥٠ .
- ٢ — أبو الفدا اسماعيل : المختصر فى اخبار البشر ، ٤ أجزاء ، القاهرة ١٩٢٥ هـ .
- ٣ — أبو صالح الارمني : تاريخ الشيخ أبى صالح تحقيق B. T. Evetts اكسفورد ١٨٩٥ .
- ٤ — أبو شامة عبد الرحمن بن اسماعيل : كتاب الروضتين فى أخبار الدولتين النورية والصلاحية .. الطبعة الاولى — القاهرة ١٢٧٨ هـ . الطبعة الثانية — تحقيق د. محمد حلمى أحمد ، ج ١ القاهرة — ١٩٥٦ ، ج ٢ القاهرة ١٩٦٢ .
- ٥ — أبو مخزومة : تاريخ ثغر عدن ، تحقيق لوف جرن ليدن ، ج ١ ١٩٣٦ ، ج ٢ ١٩٥٠ .
- ٦ — ابن الاثير عز الدين : الكامل فى التاريخ ، ١٢ جزء ، لندن ١٨٥١ — ١٨٧٦ .
- ٧ — ابن العميد : مختصر تاريخ الطبرى ، مخطوط رقم Laleli 2002 استانبول .. القسم الخاص بالايوبيين ، تحقيق كلود كاهن B.O.E. ١٩٣٥ .
- ٨ — ابن العبري أبو الفرج : مختصر تاريخ الدول ، بيروت ١٨٩٠ .
- ٩ — ابن العنيم كمال الدين : زبدة الطب فى تاريخ طب ، تحقيق د. سامى الدهان ، ٣ أجزاء ، دمشق ١٩٥١ ، ١٩٥٤ ، ١٩٦٨ .
- ١٠ — ابن بكرة منصور : كشف الاسرار العلمية بدار الضرب المصرية ، تحقيق عبد الرحمن فهمي ، القاهرة ١٩٦٦ .

- ١١ — **ابن البيهقي الشيباني** : قرّة العيون فى أخبار اليمن الميمون ، مخطوط ، المتحف البريطانى رقم OR. 3265 , Add, 2740
- ١٢ — **ابن الديبشى** : ذيل تاريخ بغداد ، تحقيق مصطفى جواد ، بغداد ١٩٦٣ .
- ١٣ — **ابن القرات نصى محمد بن عبد المرحمن** : تاريخ الدول والملوك ج ٤ ، تحقيق حسن الشماع ، البصرة ١٩٧٦ .
- ١٤ — **ابن الفوطى أبو الفضل عبد الرزاق** : الحوادث الجامعة والتجارب النافعة ، تحقيق مصطفى جواد ، بغداد ١٣٥١ هـ .
- ١٥ — **ابن أبى الهيجاء** : الاول فى تاريخ ابن أبى الهيجاء — مخطوط ، معهد المخطوطات العربية ، القاهرة .
- ١٦ — **ابن الحنبلى إبراهيم** : شفاء القلوب فى مناقب بنى ايوب ، مخطوط ، المتحف البريطانى ، رقم OR. 1371
- ١٧ — **ابن الحسين محمد بن يحيى** : غاية الامانى فى أخبار قطر اليمانى ، تحقيق سعيد عاشور ، القاهرة ١٩٦٨ .
- ١٨ — **ابن حاتم بدر الدين بن محمد** : السمت الغالى الثمن فى أخبار الغزبايمن ، تحقيق ركس سميت ، كامبردج ١٩٧٤ .
- ١٩ — **ابن حوقل** : المسالك والممالك ، تحقيق دى خويه ليدن ١٨٧٢ .
- ٢٠ — **ابن الجوزى السبى** : مرآة الزمان ج ٨ ، تحقيق جويت شيكاغو ١٩٠٧ .
- ٢١ — **ابن خلكان أحمد بن محمد** : وفيات الاعيان ، فى جزعين ، القاهرة ١٨٨٢ ، الترجمة الانجليزية ٤ اجزاء ، باريس ١٨٤٣ — ١٨٧١ .
- ٢٢ — **ابن خير الله العمري** : منية الادباء فى تاريخ الموصلى الحدياء ، تحقيق سعيد الديوه جى ، بغداد ١٩٥٥ .
- ٢٣ — **ابو سمرة الجعدى** : طبقات فقهاء اليمن ، تحقيق فؤاد سعيد ، القاهرة ١٩٥٧ .
- ٢٤ — **ابن شداد بهاء الدين** : النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ، تحقيق جمال الدين الشيبلى ، الإسكندرية ١٩٦٤ .

- ٢٥ — **ابن شداد عز الدين محمد** : الاعلاق الخطيرة فى امراء الشمام والجزيرة ، تحقيق سامى الدهان . دمشق ١٩٥٦ .
- ٢٦ — **ابن شاکر الکلبى** : فوات الوفيات ، تحقيق محمد محبى الدين عبد الحميد ، جزءان ، القاهرة ١٩٥١ .
- ٢٧ — **ابن الشحنة محبى الدين أبو الفضل** : الدر المنتخب فى تاريخ حلب ، تحقيق عواد سرکيس ، بيروت ١٩٠٩ .
- ٢٨ — **ابن قاضى شهبة** : الدر الثمين فى سيرة نور الدين ، مخطوط نور عثمانية رقم ٣٤١٦ .
- ٢٩ — **ابن القلانسي حمزة أبو يعلى** : ذيل تاريخ دمشق ، تحقيق اميدروز ، بيروت ١٩٠٨ .
- ٣٠ — **ابن مماتى** : قوانين الدواوين : تحقيق عزيز سوريال عطيسة ، القاهرة ١٩٤٣ .
- ٣١ — **ابن منظور الفضل بن مکرم** : لسان العرب ٢٠ جزء ، القاهرة ١٣٠٣ هـ .
- ٣٢ — **ابن منقذ أسامة** : كتاب الاعتبار ، تحقيق فيليب حتى ، برنستون ١٩٣٠ .
- ٣٣ — **ابن نباتة المصرى** : المختار من كلام القاضى الفاضل ، المتحف البريطانى مخطوط رقم Add, 1307
- ٣٤ — **ابن واصل** : مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب ، تحقيق جمال الدين الشيبان ، ج ١ ، القاهرة ١٩٥٣ ، ج ٢ ١٩٥٧ ، ج ٣ ١٩٦٠ .
- ٣٥ — **الباشا حسن** : الالقاب الاسلامية ، القاهرة ١٩٥٧ .
- ٣٦ — **البليبي فخر الدين** : شرف نامه ، تحقيق د. يحيى الخشاب ، القاهرة ١٩٥٧ .
- ٣٧ — **البغدادي عبد اللطيف** : الانفاة والاعتبار فى الامور المشاهدة والحوادث المعينة بأرض مصر ، القاهرة ١٢٨٦ هـ .
- ٣٨ — **البندارى الفتح بن على** : شاه نامه ، الترجمة العربية ، ترجمة عبد الوهاب عزام ، القاهرة ١٩٣٢ ، نصره الفترة وعصره القطرية ، القاهرة ١٩٥٠ .

- ٣٩ — **النوادري خليل بن أيك** : كنز الدرر وجامع الغرر ، مخطوط
أحمد الثالث رقم ٢٩٣٢ .
- الدر المطلوب في أخبار ملوك بني أيوب ج ٧ ، تحقيق د. سعيد
عائشور ، القاهرة ١٩٧٢ .
- ٤٠ — **الذهبي شمس الدين أبو عبد الله محمد** : تاريخ الإسلام وطبقات
المشاهير والأعلام ، ٣ أجزاء ، القاهرة ١٣٦٧ هـ .
- تاريخ الإسلام الكبير ، مخطوط سراي رقم ٢٩١٧ .
- ٤١ — **حاجي خليفة مصطفى بن عبد الله** : كشف الظنون ، جزءان ،
استانبول ١٩٤١ — ١٩٤٣ .
- ٤٢ — **حسن حبشي (دكتور)** : نور الدين والصليبيين ، القاهرة ١٩٤٨ .
- ٤٣ — **الحنفى محمد بن اسماعيل** : كتاب نهاية السؤل والأمنية في تعليم
الفروسية وأمور السلطنة ، مخطوط المتحف البريطاني رقم
Add, 18-80.
- ٤٤ — **الخرزجي إبراهيم** : تاريخ دولة الأكراد والأتراك ، مخطوط
السلمانية حكيم أوغلو على باشا ، رقم ٦٩٥ .
- ٤٥ — **الخويطر عبد العزيز (دكتور)** : سيرة الملك الظاهر بيبرس ،
(رسالة دكتوراه . لندن ١٩٦٠) .
- ٤٦ — **عبد الباقي محمد فؤاد** : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ،
القاهرة ١٣٧٨ هـ .
- ٤٧ — **العدوي إبراهيم (دكتور)** : تاريخ الأساطيل العربية ، القاهرة
١٩٥٧ .
- ٤٨ — **العرشي حسين بن أحمد** : بلوغ المرام في شرح مسك الختام فيمن
تولى اليمن من ملك وإمام ، القاهرة ١٩٣٩ .
- ٤٩ — **العريني الباز (دكتور)** : مصر في عصر الأيوبيين ، القاهرة ١٩٦٠
مؤرخو الحروب الصليبية ، القاهرة ١٩٦٢ .

٥. — عماد الدين الكاتب الاصفهاني : خريدة القصر وجريدة اهل العصر.

شعراء مصر ، تحقيق د. شوقي ضيف ود. احسان عباس ،
جزءان ، القاهرة ١٩٥١ — ١٩٥٢

شعراء الشام ، تحقيق د. شكرى الفيصل ، جزءان ، دمشق
١٩٥٥ ، ١٩٥٩ .

شعراء العراق ، تحقيق بهجت الاثرى ، جزءان ، بغداد ١٩٥٥ —
١٩٦٤

شعراء المغرب : تحقيق محمد المرزوقي ، تونس ١٩٦٦ .

البرق الشامي : مخطوط مكتبة بودليان اكسفورد ج ٣ رقم Bruce III
ج ٥ رقم March 425

الفتح القدسي : تحقيق محمد صبيح ، القاهرة ١٩٦٥

نصرة الفترة وعصرة القطرة ، تحقيق هوتسها ، ليدن ١٨٨٩ .

نتاي : المراجع الأجنبية :

Al-Allouche et Ragragi, Catalogue des Manuscrits Arabes de Rabat
Bibliothèque general et Archives du Maroc, Paris, Tome 1,
1954, Tome, 11, Rabat, 1958.

Ashtor, E., — Saladin & The Jews, Hebrew Union College Annual,
XXVI, 1956.

Atiyya, A. S., The Crusades in The Middle Ages, London 1938.
The Crusades, Historiography & Bibliography, London, 1962.
Ayalon, D., Studies on The Mamluk Army, B.S.O.A.S., XV, 1954,

Baldwin, M.W., — Raymon III of Tripoli & The Fall of Jerusalem
1140 - 1178, Prinecton, 1936.
The Decline & Fall of Jerusalem, 1174 - 1189.
The Latin States under Baldwin III & Amalric I 1143 - 1174.
In a History of The Crusades ed. K. Setton & M.w. Baldwin,
University of Philadelphia Press, vol. I, Philadelphia, 1955.

Barker, E., — The Crusades, The Legacy of Islam , ed. Thomas
Arnold & A. Guillaume, London, 1960.

Blachere et Sauvaget, J., — Regles pour Editions et Traductions de
Textes Arabes, Paris, 1953.

Bosworth, C., E., — The Islamic Dynasties, Islamic Survey, 5,
Edinburgh, 1967.

Brockelmann, C., —Geschichte der Arabischen Litteratur. 2 vols.,
Weimar, Berlin, 1898.

Browne, E., G., — A Hand List of Muhammadan Mansuscripts
Preserved in The Library of The University of Cambridge,
Cambridge, 1890.

Supplemenary Hand List, 1922.

A second Supplementary Hand List, A., J., Arberry, Cam-
bridge, 1952.

- Cahen, Cl., — La Syrie du Nord a l'Epoque des Croisades et la Principauté Franque d'Antioche, Paris, 1940.
- The Historiography of The Seljuqid Period, in "Historians of The Middle East, ed : B., Lewis & P., M., Holt Oxford, 1962.
- "The Ayyubids" E.I., New ed., Leiden & London, 1954,
- Editing Arabic Chronicals; A few suggestions", Islamic Studies III, 1962.
- Canard, M., — Fatimids et Burids a l'Epoque du Caliph al-Hafiz le Din Allah, REI, XXX, 1967.
- Dawes, E., A., — The Alexiad of Anna Comina, English trans. London, 1929.
- Delaville le Roulx, J., Les Hospitaliers en Terre Sainte et Chypre, 1100 - 1310, Paris 1904.
- Dozy, R.P.A., — Dictionnaire detaille de Noms Arabes, Amesterdam, 1845.
- Supplement aux Dictionnaires Arabes, Leiden, Paris, 1927.
- Eche, Y., — Les Bibliotheques arabes publiques et semi-publiques en Mesopotamie, en Syrie et en Egypte au Moyen Age, Damascus 1,967.
- Ehrenkreutz, A.,S., — The Place of Saladin in The Naval history of The Mediterranean, JAOS, IXXV, 1955.
- Dar al-Darb, E.I., 2.
- "Extracts from The Manual on the Ayyubid Mint in Cairo", B.S.O.A.S., XV, 1952.
- Elisseeff, N., Nur al-Din, — Un grand prince musulman de Syrie au temp des Croisades, 118 - 1174, 3 vols, Damascus, 1967.
- "Hisn al-Akrad", E.I. 2.
- Ernoul, — La Chronique d'Ernoul et Bernard le Tresorier ed. M.L. de Mas Latrie, Paris, 1871.

Gabrilie, F., — The Arab Historians of the Crusades, Los Angeles, 1967.

The Arabic Historiography of the Crusades, Historians of the Middle East, ed. B., Lewis & P.M., Holt, Oxford, 1962.

Gibb, H.A.R., — "The Achievment of Saladin".

"The Armies of Saladin".

Studies on Islamic Civilization, London, 1962.

"The Arabic Sources for the life of Saladin" *Speculum*, XXV, 1950.

"Notes on the Arabic material for the history of the early Crusades" *B.S.O.A.,S*, VII, 1935.

"Al-Barq al-Shami" The History of Saladin by the Katib Imad al-Din al-Isfahani", W.Z.K.M. Wien, 1953.

Goiten, S.D., — A Mediterranean Society, Economic Foundations vol., I, University of California Press, Berkeley & Los Angeles, 1967.

Grousset, R., — Histoire des Croisades et du Rayaume Franc de Jerusalem, 3 vols., Paris, 1934 - 1936.

Guyard, S., — "Un Grand Maître des Assassins au temps de Saladin" *Journal Asiatique*, IX, 1877.

Helbig, A.,H., — Al-Qadi al-Fadil Der Wazir Saladin, Eine Biographie, Berlin, 1909.

Houtsma, M., Th., — Recueil de Textes Relatifs à L'Histoire des Seljoucides, vol., 2, Leiden, 1889.
"AlBundari" E.I. 2.

Joinvill & Villehardouin, — Chronicales of the Crusades, trans. M.R.B., Shaw. London, 1963.

Kahel, Von Paul., — Eine Wichtige Quelle Zur Geschichte des Sultan Saladin "Die Welt des Orients, Stuttgart, 1947-1952,

Levy, R., Mustawfi, E.I., 1.

Lewis, B., — The Arabs in History, London, 1964.

The Assassins A radical sect in Islam, London, 1967.

"Saladin & the Assassins" B.S.O.A.S., 1953, XV.

"The Arabic Sources for the Syrian Assassins" Speculum, XXVI, 1952.

Lewis & Holt, — Historians of the Middle East, Oxford, 1962.

Michael The Syrian, La Chronique de Michael le Syrien, ed. and trans. J.B., Chabot, 4 vols. Paris, 1904.

Mikhailova, A.I., — Catalogue of Arabic Manuscripts in the Institute Nordov part 3, (History), Leningard, 1955.

Minorisky, V., "Prehistory of Saladin", Studies on Caucasian History London, 1953.

"Kurds" E.I. 1., "Kurdistan" E.I. 1.

Nicoll, A., et Pusey, E.B. — Bibliothecae Bodleianae Codicum Manuscriptorum Orientalium, 2 vols., Oxonii, 1778.

O'Leary De Lacy, History of the Caliphate, London, 1923.

Pearson, J.D., — Index Islamicus, A Catalogue of Articles on Islamic Subjects in Periodicals & other collective publications, Cambridge, 1958. Suppl. 1, 1962. Suppl. 2, 1967.

Popper, W., — Egypt and Syria Under the Circassian Sultans, 1382 - 1468, Systematic notes in Ibn Taghribardi's Chronicals of Egypt, University of California Publicatoin, Semitis Philology, vol. XV, Berkeley, & Los Angeles, 1955.

Riely-Smith, J., — The Nights of St. John in Jerusalem and Syprus, 150 - 1310, London, 1967.

Rohricht, R., — Regesta Regni Hiersolymitani, 2 vols., New York, 1893 - 1904.

- Rosebault, C.J., — Saladin Prince of Chivalry, London, 1930.
- Rosenthal, F., — A History of Muslim Historiography, Leiden, 1952.
- Runciman, S., — A History of the Crusades, 3 vols. London, 1951.
- Saunders, J.J., — Aspects of the Crusades, Canterbury New Zealand, 1962.
- Sauvaget, J., — Introduction to the History of the Muslim East, Los Angeles, 1965.
- Samil, R.C., — Crusading Warfare, New ed. Cambridge, 1967.
- Smith, G.R., — The Ayyubids & Rasulids, The transfer of Power in 7th - 13th Century Yemen, Islamic Culture, vol. XLIII, No. 3, 1969.
- Stevenson, W.B., — The Crusaders in the East, Cambridge, 1907.
- William of Tyre, — A History of Deeds Done Beyond the Sea, English trans. E.A. Babcock & A. Krey, Columbia University Record of Civilization, 2 vols. New York, 1943.

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٧٩/٣٠٦٢

مطبعة الجلاء
٢٠٢ شارع النهضة البراقية - سبيل